

بسم الله الرحمن الرحيم



الجامعة الإسلامية - غزة
عمادة الدراسات العليا
كلية الآداب - قسم اللغة العربية

البناءات الجمالية في النص القرآني

إشراف: فضيلة الأستاذ الدكتور / كمال أحمد غنيم
أستاذ الأدب والنقد بالجامعة الإسلامية - غزة

إعداد الطالب
رائد مصباح الداية

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات نيل درجة الماجستير في الأدب والنقد

(المنهج التكاملي)

2011م - 1432هـ



أقرب الأسماء

- إلى الروح الطاهرة التي لم تحبوا آثار رحمتها في نفسي حتى أراها هناك..... أمي
- إلى الحاني الذي أنعم بين يديه راجيا رضاه... أبي.
- إلى أسرتي التي أخذت وقتها، وأعطتني دعاءها.
- إلى كل محب للثمة ورسوله والمؤمنين.
- إلى المجاهدين المخلصين البائعين للثمة كل شيء.
- إلى أخوتي الكريمين أبي عمر وأبي عبد الله.

شكر وتقدير

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هدانا لهذا الذي كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله. وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ

صَلَاةً وَسَلَامًا عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ (الشمس: 19)

الشكر الذي سأحملة في حلي وترحالي إلى أستاذي الدكتور / كمال أحمد غنيم، إذ له علي فضل كبير، شجعني، ودلني، وما تأخر في إسداء النصح لي، وصولاً إلى هذا اليوم. فبالغ الجزاء من الله -تعالى- له، وخالص الدعاء مني.

والشكر موصول لأستاذي القدير، العالم الكبير، الذي أشرف به لمناقشتي، الأستاذ الدكتور / نبيل خالد أبو علي، أستاذ الأدب والنقد.

وكذا الشكر والامتنان إلى الدكتور الفاضل / وليد أبو ندى... رعاه الله، وأدام في الخير فضله.

وإنه لا يفوتني أن أتوجه بشكري إلى كل من كان له حق علي فأخذته، من دعاء، ووقت، وجهد، ونصح، وإعارة.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هدانا لهذا الذي كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله. وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ

تقدمة

الحمد لله الرحيم الرحمن، علم القرآن، خلق الإنسان، علمه البيان، والصلاة والسلام على أحسن الخلق، أكرمهم خلقا، وأعذبهم نطقا، وأبلغهم بيانا. فالصلاة والسلام عليه، وعلى آله، وأصحابه، وأتباعه، ومن سار من الأولين والآخرين على منواله، وبعد.

إن أعظم ما ينبهر به العالمون والمتعلمون، وأتمن ما يشتغل به المؤمنون والعارفون، وأبهى ما تحلى بمعرفته الأقدمون والآخرين، وأعذب ما سمعه الشعراء والأدباء، وتزين به في الأحاديث النبلاء والحكماء. القرآن العظيم، فقد جعله الله -تعالى- للعالمين النور والضياء، وختم به أجمع رسالات الأنبياء، قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾ (النساء: 174).

هو القرآن الذي حوى علوم السابقين واللاحقين، وأخبار الأمم وأحوالهم من أول الخلق إلى ما بعد يوم الدين، متحديا بنظمه وبيانه، وبنسقه وترتيب آيه، ونغمه وإيقاعه، أرياب الفصاحة والبراعة، ممن استوت قريحتهم، وبلغت مبلغ الفوارة عبارتهم، فما استطاع أمامه أحد منهم وقوفا، وما تجرؤوا لو استطاعوا له وصولا. لذلك شددت إليه رحالي، عساني أن أوفق للاشتغال بخدمته. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أشرف أمتي حملة القرآن)، فقد جعل الله حملته منارات هداية للعالمين، وسادة الأمم أجمعين.

وإن الباحث في هذا الجهد الذي هو جهد المقل، يريد التزود من هذا النبع الذي لا ينضب خراجه، ولا يذهب بهائه -على كثرة المشتغلين به- لينفع به نفسه، ويدخل في سلك من رضي الله عنهم، ورضوا عنه. وكذا ينفع ببحثه إخوانه من طلبة العلم، وذلك من خلال استظهار مكامن الجمال في بناءات النص القرآني، متزودا من كتب العلماء والأدباء، ملتقطا ما سطره من إشراقات نورانية، ودلالات ظاهرة وخفية، واضعا جهدي في الجمع والإبانة، والكشف عن جمالات كل بناية. مستمدا من خالقي -سبحانه- العون والسادات والتوفيق. ثم مسترشدا من مشرفي وأستاذي على الطريق.

أولاً: أهمية هذا البحث، تبرز أهمية البحث في موضوعي المختار من خلال:

- 1- الكشف عن العوالم الثلاثة -الدنيا والبرزخ والآخرة- من خلال بيان أهمية الزمان والمكان في القرآن الكريم، وبيان آثار معظم الألفاظ التي تختصهما.
- 2- حصر ألفاظ الزمان والمكان في القرآن الكريم، واستظهار بعض جمالياتها.
- 3- تتجلى في البحث بناءات النصوص القرآنية التي يكشف البحث عن أنواعها وجمالياتها في نصوص قرآنية متعددة، تهم كل مسترشد، وتبهج كل مندوق.
- 4- إن القرآن معجز بإيقاعه، وجاذب للأسماع بنغم نسق حروفه وكلماته. والبحث يسبر أغوارها، ويبين اتساقها.

ثانياً: سبب اختيار الموضوع.

- 1- الدفاع والذب عن القرآن الكريم.
- 2- الكشف عن المزيد من الجماليات البنائية في النص القرآني، تلك التي تساهم في ترغيب المتلقي للاقبال عليه، والتزود منه.
- 3- وضع سهم من سهام الخير ، والمشاركة في تلك التجارة الربحة التي لا تبور.

ثالثاً: منهج البحث

البحث يقوم على دراسة منهجية وصفية، وتحليلية وإحصائية " المنهج التكاملي " من خلال الإجراءات التالية.

- 1- حصر ألفاظ الزمان والمكان في القرآن الكريم ما أمكن، ويمكن أن يكون الباحث سها عن بعض الألفاظ، فالكمال لله- تعالى- وحده، ولمن اجتباه سبحانه.
- 2- تعتبر الإحصائيات في البحث تقريبية، حاول الباحث جاهداً أن تبلغ الدقة بأرقامها وأعدادها، فإن حصل خطأ أو نسيان، فهذا دليل نقص الإنسان، ويرجو الباحث عفو الرحمن.
- 3- اختيار، ومناقشة، وتحليل الأمثلة التي تكون موضع التطبيق.
- 4- ذكر مجموعة من الأدلة والأمثلة للمسألة الواحدة غالباً، لتأكيد المسألة، والأمثلة المذكورة لا للحصر.
- 5- إيراد بعض اللطائف اللغوية والبلاغية حسب ما أمكن، كل في موضعه المناسب.
- 6- التأكيد على صحة التطبيق في معظم المسائل ما أمكن، من خلال عرض آراء اللغويين، وبعض المفسرين.
- 7- إجراء بعض الإحصائيات التقريبية لبعض المسائل، غالباً يتم الاستفادة منها في التحليل.

ثالثاً: أهداف هذا البحث

- 1- خوض غمار البحث العلمي، مع التقريب والتدقيق في جمع الجمالات واستظهارها، واستجلاب المنافع ورصدها، وجمع المنثور من اللطائف وذكرها.
- 2- المساهمة في التأكيد على إعجاز القرآن بنظمه وتأليفه وبيانه.

رابعاً: الدراسات السابقة

لم أجد من كتب أو بحوث محكمة أو رسائل علمية بهذا العنوان شيئاً، وذلك في حدود علمي ومعرفتي واطلاعي، بيد أن هناك كثيراً من الدراسات أجريت، وكتب قد ألفت، قد اهتمت بعلوم القرآن الكريم المختلفة، وإعجازه، وفي موضوعات عديدة. ودرج على هذا الاهتمام سلسلة من العلماء والبلغاء. ووقع تحت عين الباحث كتب القدماء وهي كثيرة، التي خاضت الحديث في متفرقات مما قد اهتم هذا البحث بالتزود منه، ومن تلك الكتب:

1- البقاعي؛ برهام الدين أبي الحسن إبراهيم، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ط3، بيروت، دار الكتب العلمية، 2006م.

2- الجرجاني؛ عبد القاهر بن عبد الرحمن، دلائل الإعجاز، ط3، القاهرة، مطبعة المدني، 1992م.

3- السيوطي؛ جلال الدين، معترك الأقران في إعجاز القرآن، تحقيق: محمد البجاوي، ط1، القاهرة، دار الفكر العربي، د.ت.

4- الزركشي، محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: أبي الفضل الدمياطي، ط1، القاهرة، دار الحديث، 2006م.

أما دراسات المحدثين وكتبهم، فمنها:

1- عبد الكريم؛ بكري، الزمن في القرآن الكريم، ط1، مصر، دار الفجر، 1997م.

2- إبراهيم؛ أحمد شوقي، فتح العليم في تفسير القرآن الكريم، وبيان أوجه الإعجاز العلمي فيه. د ط، القاهرة، دار غريب، 2005م.

3- الأهل؛ عبد العزيز سيد، من إشارات العلوم في القرآن، د ط، بيروت، النهضة الحديثة، 1972م.

4- إعلاني؛ نزيه محمد، الشخصيات القرآنية، ط1، عمان، دار صفاء، 2006م.

5- خضر؛ سهام، الإعجاز اللغوي في فواتح السور، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 2008م.

6- رمضان؛ محيي الدين، وجوه من الإعجاز الموسيقي في القرآن، ط1، عمان، دار الفرقان، 1982م.

7- موسى؛ إبراهيم نمر، جماليات الشكل الزمني والمكاني، مجلة فصول، مجلد 12، العدد2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1993م.

ملحة البحث:

تمهيد: النفس الإلهية والجمال، وفيه:

الجمال ووسائل إدراكه

القرآن كلام الله

الذات العلية وآثار ذكرها في النص القرآني

الفصل الأول: بناء الزمان في النص القرآني، وفيه:

أولاً: تعريف الزمان

ثانياً: أنواع الزمان

ثالثاً: الزمان في القرآن الكريم، وفيه الزمن الغيبي، وطوي الزمن، وعلاقة الزمان بالشخصية، وآثار الزمان.

رابعاً: تقانات الزمان في النص القرآني

خامساً: ألفاظ الزمان في النص القرآني ودلالاتها

الفصل الثاني: بناء المكان في النص القرآني، وفيه:

أولاً: تعريف المكان

ثانياً: مفهوم المكان ودلالاته في النص القرآني

ثالثاً: أنواع العوالم وأماكنها.

رابعاً: ألفاظ المكان في النص القرآني ودلالاتها

الفصل الثالث: بناءات النص القرآني، وفيه:

تعريف البناء

أنواع البناءات في النص القرآني، وفيه:

1- البناء القصصي.

2- البناء التوقيعي.

3- البناء الدائري.

4- البناء اللولبي.

5- البناء المقطعي.

6- تعدد البناءات.

الفصل الرابع: البناء الموسيقي في النص القرآني، وفيه:

تعريف الغناء والإيقاع والموسيقى في النص القرآني

أولاً: مصادر الموسيقى، فيه عشرة مصادر.

ثانياً: ظواهر الموسيقى، وفيها ست ظواهر

أخيراً:

" الخاتمة " التوصيات والنتائج "

المصادر والمراجع المحتويات

تمهيد:

النفس الإلهية والجمال، وفيه:

- الجمال ووسائل إدراكه
- القرآن كلام الله
- الذات العلية وآثار ذكرها في النص القرآني

النفس الإلهية وجمال النص القرآني

الجمال

الجمال " الجيم والميم واللام أصلان: أحدهما تجمع، وعظم الخلق، والآخر حسن. فالأول قولك أجملت الشيء، وهذه جملة الشيء. وأجملته: حصلته، قال الله تعالى: ﴿وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة﴾ (الفرقان: 32). ويجوز أن يكون الجمل من هذا؛ لعظم خلقه... والأصل الآخر، الجمال. وهو ضد القبح. ورجل جميل وجمال. قال ابن قتيبة: أصله من الجميل، وهو ودك الشحم المذاب. يراد أن ماء السمن يجري في وجهه " (1).

مما سبق يتبين للباحث أن الجمال آية عظيمة، والجمل سمي جملا؛ لأنه آية جمال في الخلق والإبداع؛ لذلك كان مضرب مثل، وموعظة تدبر في القرآن. فتسميته لم تكن لعظم خلقته فحسب وإلا لكان الفيل أولى منه بها، وإنما لبديع الصنع الخلق، فقد جمع الله -تعالى- فيه صورة خلق كثيرين. إن الجمال آية الحسن التي تضفي على النواظر والأرواح عبقا وسحرا لا يوصف، لذلك لما وصف به نبي الله يوسف -عليه السلام- قطعت النسوة أيديهن من سحر جماله.

وإنما يكون الجمال في كل شيء، في المحسوسات التي نراها، ونلمسها، ونذكرها بإحدى حواسنا. وهو في غير المحسوسات أيضا، يقال هذا خلق جميل، وهذه سمعة جميلة، وسيرة جميلة... إلخ. والجمال غير المحسوس لا يدرك بالحواس الخمس، بل بالعقل. ولذا جاء القرآن معجزة غير محسوسة على غير ما جاء به الأنبياء السابقون، لذا فجماليته تدرك بالعقل.

إن الجمال يشمل كل ما تستلذ النفس له، وتتعم الروح به، وإن له آثارا، يشعر بها الإنسان روحا تفيض به على مشاعره، وسعادة تطفو على أحاسيسه. وليس الأمر غريبا أن يكون القرآن معجزة جمالية، والذي تكلم به جميل، يحب الجمال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله جميل يحب الجمال) (2) ولما كان الجمال حبيبه فإنه -الجمال- حظي بأن يكون سمة كلامه، وصفة خلقه، وعلامة آلائه.

الجمال والنفس

إن الجمال له بالغ الأثر في النفس، فإنه إذا استمكن منها، واستجمع صورته داخلها، وانسجم مع متطلباتها، لم يكن للنفس من بد إلا الشعور بالراحة، والإحساس بالطمأنينة، فتمتلئ فرحا وسرورا. أما ما لا يجمل عندها، فإنها منه تأنف، وعنه تبتعد، فتمجه مجا، وما يزيد لها إلا نفورا وإعراضا.

(1) ابن فارس؛ أبو الحسين أحمد، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، ط1، بيروت، دار عالم الكتاب، ودار الجيل، 1999م، 1: 481.

(2) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب: قص الشارب، رقم الحديث، 5550.

أما القرآن فإنه أجمل البيان نظاما، وأحكم الكلام تبيانا، وأسهل الألفاظ نطقا، يستتفر العقل؛ ليتأمل في صور الكون الحسية، ولما كان القرآن كذلك، بدا الجمال منه يتقطر، والحسن يتدلى ويتبخر، وأخذ له في القلب مكانا. وكان في الروح والوجدان من جماله وحسنه جنان، فلا تشبع نفس منه كلاما، ولا يستحسن الذواق عليه نظاما.

وسائل إدراك الجمال في القرآن الكريم

أولا: الحس الصادق

إن الحس الصادق يعرف الجمال ويتأثر به ، والذي أداته الفكر والتأمل، لهو وسيلة إدراك الجمال التي قلما تخطئ. وإنما تدرك كثير من الأشياء من خلال الحس الصادق النابع من طول الفكر، وإدامة التأمل، قال تعالى: ﴿هَلْ تَحْسَ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ (مريم: 98). ولا يتوفر الحس الصادق إلا فيمن وهب العقل الراجح، وربط السابق باللاحق، والقديم بالجديد. ولا يوجد إلا في القلب الخالي من العلل، والنفس التي تتحلى بالأناة في تأمل الأشياء، وتستجمع صورة الشيء في الخيال، فسرى في النفس جماله، فرغبت به وأحبته، وأقبلت عليه. ولفظت الخبيث منه ونبذته ولم تلتفت إليه. ويقدر ما يكون حس الإنسان صادقا، يعطي نتيجة صادقة - بلا شك - لما يراه، أو يحس به. وأمارة هذا الحس، خلو النفس من العلل التي تعترضها، كعلة الجهل، وعلة الحمق، وعلة التسرع، والتتقيب لمعرفة الحقيقة، وذلك يحصل بالتأمل، وطول التدبر، والمتابعة، والبحث الذي يجريه العقل، وتحسه العاطفة، قال تعالى: ﴿يَا بَنِي إِدْرِيكَ إِذْ هَبُوا فِتْحَسِبُوا مِنْ يَوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ (يوسف: 87).

ثانيا: الذوق

هو أداة العقل والوجدان، لا يصقل إلا بالعلم، ولا يكمل إلا به، ولا يوفق إلا بكثرة مران الحس والعقل على رؤية الجميل تلو الجميل. فإذا ما تحقق ذلك، رق الشعور، ورهف الإحساس، وحصل إدراك الفروق بين جمال وجمال، وتقدير موقعه ومستواه، وطفقت سعادة النفس تظهر عندما تشعر بوجوده، وكلما كان الجمال في الدرجة أعظم كانت النفس منه أدهش وأبهج. وبالذوق يتميز الحسن من القبيح، والصحيح من السقيم، والأعلى رتبة من الأدنى. بل ويرقى الذوق للتفريق بين دقائق الأمور مما لا يخطر على بال، ولا يقع في الخيال. إنه اشتراك الفكر، والانفعال، والشعور. ولذة الجمال تؤخذ من ذلك التناسب بين أجزاء الهيئات، وإدراك الفوارق الدقيقة بينها، فما كان الوجه جميلا إلا للتناسب بين أجزائه، ويفرق بين وجهين جميلين بملاحظة تلك الفوارق الدقيقة بينها، ومقدار تناسب أجزاء الأولى فيما بينها، ومقارنتها مع الثانية بعد تقدير التناسب بين أجزائها. إن " الصورة الحسنة تكون جميلة بقدر ما يكون بين أجزائها من تناسق، أي على قدر ما يكون بين أجزائها من تكافل: فيكون الشعور الساذج بالجمال الذي يولده الإعجاب بشيء، هو حقيقته شعور

بالتكافل العضوي في ذلك الشيء " (1). ولا بد أن تتحرر النفس من سطوة التحريض، والميل بالمحاباة. وثمة تلاحم في آيات القرآن بين الجمال والنفع، إنه جميل؛ لأنه يعجب مباشرة وبذاته، وتتحقق لذته أثناء تلاوته وتلقيه لكل واحد. ونافع؛ لأنه وسيلة الحصول على اللذة، والمصالح المتعددة.

ثالثاً: الفطرة

قال تعالى: ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ (الروم: 30). إنها الحالة الطبيعية الأولية التي يجبل عليها الإنسان، لا تلبث بالتغير بفعل العوامل المختلفة التي تحيط به، فيبدأ صراع نوازع النفس المتعددة، مع متطلبات الروح والفطرة، وإدراك الجمال والانتفاع به هو أداة انتصار الفطرة على كثير من نوازع النفس، لذا فإن " إحساسنا بالجمال في الفنون إنما يرجع إلى أنها تحدث في دوافعنا النفسية، وما يطوى فيها من مشاعر وذكريات، ونوازع ورغبات ضرباً من النظام أو التوازن والانسجام. فالإنسان مركب في داخله من دوافع مختلطة لا ضابط لها، وهي دوافع تتباين وتتصارع.. فإذا ما أبصرنا أو سمعنا تجربة فنية، ضبطت هذه الدوافع فينا ضبطاً، وانتظمت انتظاماً. وهذا هو مبعث إعجابنا بنماذج الفن وتأثيره " (2). ولا ينكر دور القرآن في ضبط الجوانح، والغرائز، والدوافع إلا جاحد. لقد أحدث القرآن توازناً بين رغبات النفس، وحاجات الجسم، ومتطلبات الروح. كما وتضمنت سوره جمالات لا حصر لها، ولا طوق لحدودها. إنها جمالات في الأسلوب، والنظم والتأليف، والصورة، والطبيعة، والأخلاق، وأنظمة الحياة المختلفة. أنى أبحر فيه المتلقي وجد فيه من الجمال ما يغنيه، ويشبع نهمه، إن نظر إليه بذوق، وحس صادق، وعلم، وثقافة.

رابعاً: العلم والثقافة الفنية

إن من حاز شيئاً من العلم، وشيئاً من الثقافة الفنية، مع الذوق الرفيع، والحس الصادق، والفطرة الصافية، أمكنه أن يشعر بجمال الشيء، وإدراك قيمته، وإعطائه تقديراً لمستواه، وتمييزه عن غيره من الجمالات. لذلك فالعلم أداة الحكم على الأشياء، فعالم الطب قادر على استظهار العلل ومكامل المرض، وتوصيفها من بين الأعضاء الصحيحة السليمة. وعالم الفقه قادر على الحكم في مسائل الفقه، عظيمها وسهلها. وعالم الأدب يميز جميل الآداب من قبيحها، وجيدها من رديئها، وقويها من ضعيفها.. إلخ. كل ذلك لأن العقول تؤيد ما ذهب إليه العلم، بقواعده وضوابطه، وترغب فيما يؤيده، قال تعالى: ﴿فما اختلفوا حتى جاءهم العلم﴾ (يونس: 93).

(1) عبد الفتاح؛ سيد صديق، الجمال كما يراه الفلاسفة والأدباء، ط1، دار الهدى، 1994م، 35.

(2) ضيف؛ شوقي، في النقد الأدبي، ط8، القاهرة، دار المعارف، 1993م، 84-85.

فلا يتم الإحساس بدقائق الجمال وقيّمته إلا بعد اكتمال وسائل الإدراك التي ذكرت آنفاً. ويكمل الجمال إذا حضرت جميع المحاسن والمزايا وتناسقت، وتوافقت مع الحس والذوق، وفسرها العلم. يقول الشيخ أبو حامد الغزالي: " كل شيء جماله وحسنه في أن يحضر كماله اللائق به، الممكن له، فإذا كان جميع كمالاته الممكنة حاضرة، فهو في غاية الجمال، وإن كان الحاضر بعضه؛ فله من الحسن والجمال بقدر ما حضر " (1). فمن عنده علم اللغة أقدر على إدراك جمالات علوم اللغة من غيره، ومن اجتمع فيه العلم مع الذوق والفطرة والحس الصادق لهو أقدر على معرفة دقائق الجمالات فيها. وكشف ما كمن فيها من أسرار.

القرآن كلام الله تعالى

لا ريب ولا شك أن القرآن كلام الله - تعالى - ليس لمجرد أن الباحث أراد ذلك، أو أن الدين لا يسمح بغير ذلك؛ بل لأن فيه من السمات التي لا يستطيع إنس ولا جان مجاراتها، أو الإتيان بمثلها مهما اختلفت عليهما الدهور والأيام. وسعى بعضهم لمجاراته فما أفلح، بل " إن الشاعر أو الخطيب أو الكاتب يبلغه أن بأقصى الإقليم الذي هو فيه من يبأى (يفخر) بنفسه، ويدل بشعر يقوله، أو خطبة يقوم بها، أو رسالة يعملها، فيدخله من الأنفة والحمية ما يدعوه إلى معارضته، وإلى أن يظهر ما عنده من الفضل " (2). وإذا به يعود منكس الرأس، أو معتذرا عن أنه لا سبيل إلى ركوب مثله. لذلك جاء القرآن " مقرعا لهم بضعا وعشرين عاما على رؤوس الملائم أجمعين، قال تعالى: ﴿أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة من مثله﴾ (يونس: 38)، وقال تعالى: ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله﴾ (الإسراء: 88). وقال تعالى: ﴿قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات﴾ (هود: 13) ولم يزل يقرعهم، ويشنت نظامهم، ويذم آلهتهم وآباءهم، ويستبيح أرضهم وديارهم وأموالهم، وهم في كل هذا ناكصون عن معارضته محجمون عن مماثلته، مخادعون أنفسهم بالتشعيب بالتكذيب والاعتراء والافتراء. وقولهم: إن هذا إله سحر يؤثر، وسحر مستمر، وإفك افتراه، وأساطير الأولين، والمباهة، والرضا بالدينة، كقولهم: ﴿قلوبنا غلف﴾ (البقرة: 33)، وقوله تعالى: ﴿في أكنة مما يدعوننا إليه﴾ (فصلت: 5) وقال تعالى: ﴿في آذاننا وقر﴾ (فصلت: 5)، وقال تعالى: ﴿من بيننا وبينك حجاب﴾ (فصلت: 5)، وقال تعالى: ﴿لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون﴾ (فصلت: 26)، والإذعان مع العجز بقولهم: ﴿لو نشاء لقلنا مثل هذا﴾ (الأنفال: 31)، وقد قال لهم الله تعالى: ﴿ولن تفعلوا﴾ (البقرة: 24) فما فعلوا وما قدروا " (3).

(1) عبد الفتاح، الجمال كما يراه الفلاسفة والأدباء، 9.

(2) الجرجاني؛ عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد، دلائل الإعجاز، ط3، القاهرة، مطبعة المدني، 1992م،

(3) العامري؛ أبو زكريا عماد الدين يحيى، بهجة المحافل وبغية الأمثال في تلخيص المعجزات والسير والشمائل، شرح: جمال الدين محمد المعروف بابن الأشخر، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1996م، 2: 223.

وكلما تجول العقل المتوازن الرشيد في آثار العلم المختلفة فيه، وجدها تتلأأ في الآيات والسور. فتشهد له آثار التاريخ وحقايقه التي ذكرها، والأفلاك بأجرامها، والخلائق بأطوارها، والحقايق بدلالاتها، والتربية بأنواعها، والجماليات بألوانها وبدائعها.

ولقد بدأ القرآن ينزل منجما على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فشد قلوب قومه فضلا عن آذانهم، ووقع في نفوسهم موقع المهابة من نظمه وأسلوبه، فبدعوا وقد أغرتهم شياطين أنفسهم على مناهضته واتهامه. فحاروا في أمره على عظمة علمهم بالعربية وصروفها عاليها وسافلها، فمنهم من قال ضرب من ضروب الكهانة، حتى وجدوا أن ليس على ضرب كلام الكهان، ولا شيء منه. ورأى آخرون أنه سحر، لكن سرعان ما استخف بهذا الرأي، فلا يقول مثل هذا الكلام الساحرون. وقيل شعر وهم مقرون بأنه على غير ميزان الشعر أتى. وإن تضارب ما ذهب إليه هؤلاء، وهم بالعربية والسحر والشعر أخبر؛ لدليل على ضعف رأيهم وبطلانه. إذ لو كان شيء مما قالوه صدقا ما اختلفوا على صدقه؛ لعلمهم أنه ليس مما زعموا في شيء " ولو كان القرآن من كلامه -صلى الله عليه وسلم- لكان البون بين كلامه وبينه مثل ما بين خطبة وخطبة ينشئها رجل واحد، وكانوا يعارضونه، لأننا علمنا أن القدر الذي بين كلامهم وبين كلام النبي -صلى الله عليه وسلم- لا يخرج إلى حد الإعجاز، ولا يتفاوت التفاوت الكثير، ولا يخفى كلامه من جنس أوزان كلامهم، وليس كذلك نظم القرآن؛ لأنه خارج من جميع ذلك " (1). ولا يريد الباحث الخوض في كثير من الأدلة، فهذا في كتب الإعجاز مستوفى حقه يمكن الرجوع إليها.

وإن القرآن الكريم نزل منجما مفرقا، ولما كان الأمر كذلك، اقتضى أن يكون الإعجاز في نظم وتأليف ما نزل، رغم عدم اكتمال النزول. وإن لم يكن ما نزل هو جميع القرآن؛ فإن ما يجري على جزء منه يجرى على أجزائه التي نزلت فيما بعد. وهذا -حتمًا- يقرر حقيقة أخرى، أن الإعجاز الأكبر الذي تحداهم به ربههم على لسان رسوله، لم يكن تشريعيًا، أو علميًا، أو تاريخيًا في المقام الأول. إنما الإعجاز الأكبر الذي تحدى به الأوائل حسب ما اشتهروا به، إنما هو في الفصاحة والبلاغة، وما يتضمنه ذلك التأليف والنظم. فنظمهم على سماقته وعلو شأنه، لم يكن في مرتبة كلام القرآن، وهذا ظاهر لكل واحد، وهو من أعجب العجب.

يقول الجرجاني: " ثبت أنه -الإعجاز- في النظم والتأليف، وكنا قد علمنا أن ليس النظم شيئًا غير توخي معاني النحو وأحكامه فيما بين الكلم " (2). لذا كان منه الإعجاز. هذا مع ما يكون من سبك الكلام، ونظمه، وتأليفه المعجز الذي لا يقدر على مضاهاته البشر، مع تلك البيانات، والدلالات، والمعاني، والكلمات المتألفة المتناسقة، والحركات المتوافقة المنسجمة، والفواصل المتناسبة. فإنه قد

(1) أبو علي؛ محمد بركات، مناهج وآراء في لغة القرآن، ط1، عمان، دار الفكر، 1984م، 29.

(2) الجرجاني، دلائل الإعجاز، 397.

احتوى مع ذلك كله. عجائب من التشريع التي يهذب بها الطباع، وتحقق مصالح الإنسان، مع آيات علمية دل عليها من خلال الظواهر التي تدبر فيها أرباب التخصصات، فوجدوها في ثنايا هذا التأليف مثبتة قبل آلات العلم الحديث، فضلا عن سياق التاريخ الماضي والمستقبل، فقد جاء بحقائق التاريخ كأنها رأي العين، الأمر الذي ثبت من خلال الاكتشافات لآثار الحضارات المختلفة. وبشر بحوادث المستقبل وقد وقع كثير منها أثناء نزوله، وبعده. هذا كله يشهد أن معالم الإعجاز فيه ظهرت رأي العين من داخل لآلئ هذا النظم الفريد. والإعجاز مع ذلك إن بدا للعرب في ذلك القرن الذي استوت فيه فصاحة ألسنتهم، فلم يستطيعوا مضاهاته، وكان عجبا ما سمعوه، ووقفوا أمام تحديه، عاجزة ألسنتهم، تدرك عقولهم أنه ليس بمنطوق البشر، أو منظومهم، أو تأليفهم. مع أن "العرب كان لهم سبق فضل على الأمم كلها في الخطابة، والبلاغة، والقصيد، والأرجاز، والمنثور، والأسجاع، والمزدوج، وما لا يزدوج" (1). إلا أنهم "لم يشكوا في عجزهم عن معارضته والإتيان بمثله، ولم تحدثهم أنفسهم بأن لهم إلى ذلك سبيلا على وجه من الوجوه" (2)، ولو فعلوا ما قدروا. ولقد انتظمت مصالح العباد بهذا الكتاب، فلم يدع شأننا من شؤون الإنسان إلا نظمها، وضع منظومة اجتماعية، تكفل له أمنه واستقراره، ومنظومة اقتصادية محكمة، تضمن له عيشا كريما، ومنظومة أخلاقية راقية، تضبط سلوكه وعلاقته مع غيره، ومنظومة تاريخية، تطلعه على أخبار الغابرين الذين سلفوا؛ لأخذ العبرة من سيرهم، ومنظومة كونية، حدد فيها دور الإنسان مع الكون، وواجباته نحوه. وهو آية في كل ذلك، عرضها عرضا واضحا جليا، بأسلوب فصيح بليغ.

ويعتبر القرآن "معجزة، ليس هو من جهة فصاحته، وبلاغته فقط، أو نظمه وأسلوبه فقط، ولا من جهة إخباره بالغيب فقط، ولا من جهة صرف الدواعي عن معارضته فقط، ولا من جهة سلب قدرتهم عن معارضته. بل هو آية بينة معجزة من وجوه متعددة، من جهة اللفظ، ومن جهة النظم، ومن جهة البلاغة في دلالة اللفظ على المعنى، ومن جهة معانيه التي أمر بها، ومعانيه التي أخبر بها عن الله - تعالى - وأسمائه، وصفاته، وملائكته، وغير ذلك. ومن جهة معانيه التي أخبر بها عن الغيب الماضي، وعن الغيب المستقبل، ومن جهة ما أخبر به عن المعاد، ومن جهة ما بين فيه من الدلائل اليقينية، والأقيسة العقلية، التي هي الأمثال المضروبة... وكل ما ذكره الناس من الوجوه في إعجاز القرآن، هو حجة على إعجازه، ولا يناقض ذلك، بل كل قوم تنبهوا لما تنبهوا له" (3). فالقرآن استوعب مصالح العباد جميعا، وأكد هذا القول الإمام ابن تيمية، يقول رحمه الله: "فيه من ضرب الأمثال، وبيان الآيات، على تفضيل ما جاء به الرسول، ما لو جمع إليه علوم

(1) الجاحظ؛ عمرو بن بحر، البيان والتبيين، ط5، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1985م، 3: 29.

(2) الجرجاني، دلائل الإعجاز، 577.

(3) العواجي؛ محمد بن عبد العزيز، إعجاز القرآن الكريم عند شيخ الإسلام، تقديم: حكمت بن بشير بن ياسين، وآخرون، ط1، الرياض، مكتبة دار المنهاج، 1427هـ، 185.

جميع العلماء، لم يكن عندهم إلا بعض ما في القرآن، ومن تأمل ما تكلم به الأولون والآخرون في أصول الدين، والعلوم الإلهية، وأمور المعاد، والنبوات، والأخلاق، والسياسات، والعبادات، وسائر ما فيه كمال النفوس، وصلاحها، وسعادتها، ونجاتها، لم يجد عند الأولين والآخرين من أهل النبوات، ومن أهل الرأي كالمفلسة، وغيرهم إلا بعض ما جاء به القرآن " (1). وعرف ذلك الجمال كل واحد، فلم ينكر كل ذي ذوق ما فيه من حلاوة المنطق، وجمال الأساليب، وروائع المعاني، وبدائع الإحياءات، يقول الجرجاني: " وما من حرف أو حركة في الآية إلا وأنت مصيب من كل ذلك عجا في موقعه والقصد به، حتى ما تشك أن الجهة واحدة في نظم الجملة والكلمة والحرف والحركة... إنما تلك طريقة في النظم قد انفرد بها القرآن، وليس من بليغ يعرف هذا الباب إلا وهو يتحاشى أن يلم به من تلك الجهة أو يجعل طريقه عليها، فإن اتفق له شيء منه كان إلهاما " (2).

القرآن ليس قابلا لإعادة الإنتاج:

لما كان القرآن وفيه بمعانيه، كاملا بمغازيه، محيطا بمنافع العباد، وتلبية مصالحهم في كل شأن من شؤون حياتهم وآخرتهم، جميلا من كل وجه، لا تنبو أفاضه، ولا تسقم دلالاته، صالح لكل زمان ومكان. حوى في سناه العلوم النافعة الجامعة، فهو أنفع الكتب، وأجدرها، وأشملها، وأبدعها، وأرقاها في حفظ مصالح العباد والبلاد إنسانيا، وأديبا، وسلوكيا، واجتماعيا، وعلميا، وثقافيا، وتاريخيا. فمن كانت هذه صفاته وأحواله، فهو لا يحتاج لإعادة صياغة، بذريعة كونه نسا أدبيا. لا أن يعبث به جاهل، فلا يدري ما هو فاعل فيه بجعله، ولا عالم يمحو منه معالم جماله بقليل علمه، فيعدم روحه التي تنفث في النفوس الحياة، ويواري حقائقه التي انحنت لصدقها العقول والأحاجي. وكان للمنافحين عنه حق أن يقولوا: " واعلم أنه ليس لغير العالم بحقائق اللغة وموضوعاتها تفسير شيء من كلام الله " (3). فكان هذا الضابط، ضابط الاشتغال بكلام الله -تعالى- فهو ليس لأي أحد شاء أن يتكلم فيه؛ لأنه اشتمل على دقائق لا يعلمها إلا قليل الناس من أهل العلم والإيمان، فهم من يستطيع سبر أغواره واكتشاف المزيد من درره، ومعرفة مكانة اللفظة، ومكانة الكلمة، ومكانة الجملة، ومكانة الآية في مواقعها، لذلك كان كبار من عاصروا نزوله، يهابون الكلام فيه؛ خشية من تلبس الحق بالباطل من جهة، ومن عدم فهم المراد الحقيقي من جهة أخرى. فقد " سئل أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - عن " الأب " فقال: أي سماء تظلني، و أي أرض تقلني، إذا قلت في كلام الله ما لا أعلم " (4). فما كان لأحد أن يتزعم في حق القرآن شأننا يفضي إلى كونه نسا

(1) العواجي؛ إعجاز القرآن الكريم عند شيخ الإسلام ابن تيمية، 125.

(2) الجرجاني، دلائل الإعجاز، 474.

(3) الزركشي؛ محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: أبي الفضل الدمياطي، ط1، القاهرة، دار الحديث، 2006م، 207.

(4) الزركشي، البرهان، 207.

أديبا. والنصوص الأدبية دون كلام الله-سبحانه- ودون كلام نبيه- صلى الله عليه وسلم- خرقاء، يمكن لأي أحد أن يتزلف بها بإعادة إنتاجها. ولن يجبر خرقها على التمام والكمال؛ لأن لكل إنسان نظرتة ودرجته في العلم، يختلف بها عن غيره. فهؤلاء أهل الفصاحة والبلاغة كان الواحد منهم ينظم الشعر ثم يستحسن ألفاظا ومعان، فيغير ويبدل فيها طيلة حول من الزمن أمثال زهير بن أبي سلمى. فالإنتاج عندئذ يمكن؛ لأن بعض كلامهم في نظر النقاد لم يستو على سواه الكمال، مع ما فيه من البهاء والجمال، وليس ذلك في القرآن. ولو كان كذلك لوجد العرب سبيلا إلى معارضته، وطرقا لمجاراته، لكنه الأكمل والأتم من كل وجه. "ومن العجيب في هذا، ما روي عن أمير المؤمنين علي-رضي الله عنه- قال: ما سمعت كلمة عربية من العرب إلا وسمعتها من رسول الله - صلى الله عليه وسلم- وسمعتة يقول: مات حتف أنفه، وما سمعتها من عربي قبله. فلا شبهة في أن وصف اللفظ بالعربي في مثل هذا يكون في معنى الوصف بأنه فصيح" (1). ومن هذا يستنبط أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- قد أحاط بالعربية. فحق للقرآن أن يكون منزلا على رجل من العرب يحمل الفصاحة وبلاغة الكلم، ويعلم من العربية ما يعلمون؛ ليؤكد بعلمه فيها-العربية- أنه يأتي بكلام من كلامهم وليس ككلامهم، وينظم منه ليس كنظمهم.

حاجة الإنسان إلى القرآن

إن حاجة الإنسان للقرآن ملحة وضرورية، فكما يكون الطعام والشراب غذاء الجسم، فإن القرآن الكريم هو غذاء الروح. ولو استغنى الإنسان عن هذا الزاد؛ لما قوي على الاستمرار في الحياة جسده، ولو استغنى هو عن غذاء الروح، ولصار رعاعا بل أضل سبيلا. ذلك أن قيمة الإنسان الحقيقية تكمن في تلك الروح الطيبة التي بين جوانحه، والتي يحتاج إلى تغذيتها، ورعايتها، وتعهد ذلك منها. ولما كان القرآن حاويا وجامعا لكل ما يصلح له-الإنسان- في معاشه ومعاده، كانت حاجة الإنسان إليه أكد. لذلك لقد أتم الله - تعالى- على الإنسان غذاء روحه بالقرآن، ولم يحوجه لغذاء آخر؛ لأنه اشتمل على كل ما ينفعه، ويصلح له. كذلك فإن القرآن لا يفسد مع تقادم الزمن، ولا مع اختلاف الأمكنة. إنه منهاج جامع وصادق في عرض كل ما الإنسان بحاجة إليه. لم يتغير ولم يتبدل. فصلاحه لكل زمان ومكان. كما إنه صالح للبشر-جميعا- على اختلاف مشاربهم، كل يجد فيه حاجته، وضالته التي تشبع روحه، وتغذي فؤاده.

(1) الجرجاني، دلائل الإعجاز، 404.

الذات "النفس" العلية وأثرها في النص القرآني

أولاً: النفس والذات

قد جرى القول عند المتأخرين أن لفظة " ذات " تعني: نفسه وعينه، وهي تطلق على الجسم وغيره، ولا يخلو عن عرض؛ فلفظ ذات الله - عز وجل - عندهم تعني: عينه ونفسه... أما عند السلف الصالح. قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - :
" إن لفظ "الذات" في لغتهم لم يكن كلفظ الذات في اصطلاح المتأخرين، بل يراد به: ما يضاف إلى الله؛ كما قال خبيب - رضي الله عنه - :

وذلك في ذات الإله وإن يشأ يبارك على أوصال شلو ممزع

ومنه الحديث: " لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات، كلها في ذات الله " (1).

أما النفس فهي ثابتة لله - تعالى - في القرآن بأكثر من موضع، قال تعالى: ﴿كتب ربكم على نفسه الرحمة ليجمعنكم﴾ (الأنعام: 54)، و " بعض العلماء يعتبر النفس صفة لله - تعالى - وبعضهم يقول بأن النفس هي الذات نفسها المتصفة بصفاتهما ولا يعني ذلك ذاتا مستقلة عنه " (2). ومن الآيات التي تظهر أن الله تعالى نفسا، قال تعالى، حكاية على لسان عيسى عليه السلام: ﴿تعلم ما في نفسي، ولا أعلم ما في نفسك﴾ (المائدة: 116)، ووجه ذلك بأنه على سبيل المشاكلة مراداً به الغيب؛ لأنه مستتر كالنفس، وقوله تعالى: ﴿ويحذركم الله نفسه﴾ (آل عمران: 30) أي: عقوبته. وقيل: إياه. وقال السهيلي: النفس عبارة عن حقيقة الوجود دون معنى زائد، وقد استعمل من لفظة النفاسة والشيء النفس، فصلحت للتعبير عنه - سبحانه وتعالى - وقال ابن اللبان: أولها العلماء بتأويلات، منها: أن النفس عبر بها عن الذات، قال: وهذا وإن كان سائغاً في اللغة، ولكن تعدي الفعل عليها بـ"في" المفيدة للظرفية محال عليه تعالى. وقد أولها بعضهم بالغيب، أي: ولا أعلم ما في غيبك وسرك، قال: وهذا حسن لقوله في آخر الآية: ﴿إنك أنت علام الغيوب﴾ (المائدة: 116) (3). يتبين مما سبق أن لفظ الذات والنفس بمعنى واحد عند بعض العلماء، ومن اختلف مع هذا الرأي، فقد اعتبر النفس صفة من صفات الله - تعالى - وعلى ذلك لا بأس في استخدام اللفظين في حق الله سبحانه. وقد أضيفت إلى اسمه - سبحانه - صفات وأعيان، وهي كما قال صاحب كتاب "الروح" : " ينبغي أن يعلم أن المضاف إلى الله - سبحانه وتعالى - نوعان:

(1) بازمول؛ محمد بن عمر، الحقيقة الشرعية في تفسير القرآن العظيم والسنة النبوية، ط1، القاهرة، دار الإمام أحمد، 2005م، 99. والحديث: رواه البخاري برقم/ 3358.

(2) فالج؛ عامر عبد الله، معجم ألفاظ العقيدة، ط1، الرياض، مكتبة العبيكان، 1997م، 418.

(3) السيوطي؛ جلال الدين عبد الرحمن بن محمد، الإتيان في علوم القرآن، تدقيق: سعيد المنردة، ط1، بيروت، دار الفكر، 1996م، 3-17.

الأول: صفات لا تقوم بأنفسها، كالعلم، والقدرة، والكلام، والسمع، والبصر، فهذه إضافة صفة إلى الموصوف بها. فعلمه، وكلامه، وإرادته، وقدرته، وحياته، صفات له غير مخلوقة، وكذلك وجهه، ويده سبحانه.

الثاني: إضافة أعيان منفصلة عنه، كالبيت، والناقة، والعبد، والرسول، والروح، فهذه إضافة مخلوق إلى خالقه، ومصنوع إلى صانعه، لكنها إضافة تقتضي تخصيصا وتشريفاً، يتميز به المضاف عن غيره، كبيت الله، وإن كانت البيوت كلها ملكا له. وكذلك ناقة الله، والنوق كلها ملكه وخلقه، ولكن هذه الإضافة إلى إلهيته تقتضي محبته لها، وتكريمه، وتشريفه " (1).

هذه بعض أسماء وصفات ذاته - سبحانه - كما جاءت في القرآن. فقد " استعمل لفظ: الرحمة، والغضب، والرضا، والحب، والمقت في أوصاف الله - تعالى - مع أنه لا يوصف بها حقيقة؛ لأنه لو عبر عن ذلك بألفاظ الحقيقة لطال الكلام، كأن يقال: يعامله معاملة المحب والمقيت، فالمجاز في مثل هذا أفضل من الحقيقة؛ لخفته واختصاره، وابتناؤه على التشبيه البليغ، فإن قوله تعالى: ﴿فلما آسفونا انتقمنا منهم﴾ (الزخرف: 55) أحسن من: فلما عاملونا معاملة المغضب، أو فلما أتوا إلينا بما يأتيه المغضب " (2). وما يريد البحث توضيحه أن ثمة استحالة لإدراك أو تصور أو تخيل ذات الله - تعالى - وذلك؛ لأن الله - تبارك وتعالى - ليس كمثله شيء، ولم يكن له كفوا أحد، ولا تدركه الأبصار، ولا تكتنه كنهه العقول. ولعل أسباب ذلك كثيرة، كما يتضح من مجموع الآيات، ومن تلك الأسباب التي يستحيل بها معرفة الذات الإلهية:

أولاً: إن مدى ما تصل إليه العقول، وتدركه من الأشياء، هو ما كان من جنس المادة المحيطة بها، والرب - تبارك وتعالى - ليس منها، لأن المادة شيء معلوم التكوين، والله ليس كشيء مما خلق.

ثانياً: إن الله - تعالى - هو الخالق، وليس من المعقول أن يكون الخالق كالمخلوق.

ثالثاً: إن آيات الكون عظيمة، لا يستطيع الإنسان إدراك جميع أسرارها، وما زال الكثير أمامه لتفسيرها، ويعجز عن الكثير للتعرف على تفاصيل كنهها في الغالب، فتتقاصر الأفهام أمام عظمتها، فكيف بإدراك كنه خالقها - سبحانه - الذي كملت صفاته، وجلت عظمته.

رابعاً: إن إدراك الإنسان محدود، وحواسه التي أعطاها الله - تعالى - إياها قاصرة، فثمة أمور لم يكتشفها بعد؛ لأنها فوق قدرته وطاقته، ولما كان هذا حاله، كان عن إدراك ذات الخالق - سبحانه - أعجز وأقصر.

(1) ابن قيم الجوزية؛ محمد، الروح، ط1، القاهرة، دار الحديث، 1994م، 210.

(2) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، 3: 329.

ثانياً: أسماء الله وصفاته في النص القرآني

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في الفتاوى الكبرى: " الأسماء المترادفة والمتباينة، كلفظ الصارم، والمهتد، والسيف، فإنها تشترك في دلالتها على الذات، فهي من هذا الوجه كالمتواطئة، ويمتاز كل منها بدلالاتها على معنى خاص، فتشبه المتباينة. وأسماء الله -تعالى- وأسماء رسوله، وكتابه من هذا الباب " (1).

ولقد تزينت جميع سور القرآن في استهلالاتها بأسماء الله -تعالى- وصفاته، ولا أدل على ذلك من أن بعضاً من أهل العلم نص على أن البسملة ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ هي الآية الأولى من كل سورة، وقد احتوت على اسم "الله" الذي يراه بعضهم الاسم الأعظم من أسماء الرب سبحانه و " اسم "الله" إذا قيل: الحمد لله، أو قيل: بسم الله، يتناول ذاته وصفاته. لا يتناول ذاتاً مجردة عن الصفات، ولا صفات مجردة عن الذات " (2).

كما تضمنت البسملة صفتي "الرحمن" و"الرحيم" فكانت من أجمل المداخل والمسارب للسور القرآنية. وقد أكثرت بعض السور من ذكر أسماء الله -تعالى- وصفاته. فسورة المجادلة تحتوي على اثنتين وعشرين آية، وقد ذكر اسم الله -تعالى- في جميع آياتها.

ولقد " صور القرآن الله المثل الأعلى في جميع صفات الكمال، فهو السميع الخبير، على كل شيء قدير، غفور، رحيم، عزيز، حكيم، حي، قيوم، واسع، عليم، بصير بالعباد، يحب المحسنين والصابرين، ولا يحب الظالمين، ويمحق الكافرين، غني، حميد، واحد، قهار، نور السماوات والأرض، قوي، شديد العقاب، خالق كل شيء، لا إله إلا هو، على كل شيء شهيد، عالم الغيب والشهادة، وهو الرحمن، الرحيم، الملك، القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، الخالق، البارئ، المصور، له الأسماء الحسنى، يسبح له ما في السماوات والأرض، وهو العزيز، الحكيم، الأول، الآخر، الظاهر، والباطن، والصمد، لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، سريع الحساب، غني عن العالمين، عليم بذات الصدور، بكل شيء محيط، علي، كبير، عفو، غفور، شاکر، حلیم، ليس بظلام للعبيد، يجزي المتصدقين، لا يهدي كيد الخائنين، لا يخلف الميعاد، عزيز ذو انتقام، خير الرازقين، لطيف خبير، ذو القوة المتين. أو ليس من يتصف بهذه الصفات المثالية، جديراً بالعبادة، والتقديس، وألا يتخذ أحد له شريكاً، ولا من دونه إلهاً " (3). فما أكملها وأتمها من صفات تستوجب أن يكون كلام صاحبها كاملاً لا عيب ولا نقص فيه.

(1) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم، الفتاوى الكبرى (الفتاوى المصرية) تقديم: حسنين مخلوف، ط1، بيروت، دار المعرفة، 20: 994.

(2) فالج، معجم ألفاظ العقيدة، 181.

(3) أبو علي، مناهج وأراء في لغة القرآن، 87.

آثار أسماء الله تعالى وصفاته في فواتح السور

المثال الأول: الاستفتاح بالتسبيح والثناء

لقد كثر الاستفتاح بأسماء الله -تعالى- وصفاته في القرآن الكريم، من تلك الصفات له - سبحانه- التي أثبتنا لنفسه دون تشبيهه، أو تمثيل، أو تعطيل، بمعنى أن صفاته - سبحانه- لا تشبه صفات المخلوقات، فقد ذكر اسم الله - تعالى- في القرآن كثيرا ، واستهلكت وانتهت به سور كثيرة. قال صاحب البرهان " الثناء قسمان: إثبات لصفات المدح، ونفي وتنزيه عن صفات النقص. والإثبات نحو "الحمد لله" جاء في خمس سور. و"تبارك" جاء في سورتين هما: "الفرقان والملك". والتنزيه نحو، قوله تعالى: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده﴾ (الإسراء: 1)، وقوله تعالى: ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ (الأعلى: 1)، وقوله تعالى: ﴿سبح لله ما في السموات وما في الأرض﴾ (الحديد: 1، الصف: 1، الحشر: 1)، وقوله تعالى: ﴿يسبح لله﴾ كلاهما في سبع سور، فهذه أربع عشرة سورة استفتحت بالثناء على الله " (1).

وكلمة "سبحان الله" استأثر الله بها، فبدأ بالمصدر منها في سورة الإسراء؛ لأنه الأصل، ثم الماضي "سبح لله" في الحديد والحشر والصف؛ لأنه أسبق الزمانين، ثم المستقبل في "الجمعة والتغابن" ثم بالأمر في سورة "الأعلى" استيعابا لهذه الكلمة من جميع جهاتها، وهي أربع: المصدر، والماضي، والمستقبل، والأمر، والمخاطب.

المثال الثاني: الاستفتاح بإظهار القدرة المطلقة

قال تعالى: ﴿إنا فتحنا لك فتحا مبينا* ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما* وينصرك الله نصرا عزيزا* هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم والله جنود السماوات والأرض وكان الله عليما حكيما﴾ (الفتح: 1-4).

إنها قوة الله -تعالى- التي أنزلت على رسول الله، كانت سببا في تمايز الفريقين، بالفتح العظيم، فتح القلة المؤمنة لجحافل الكفر الظالمة، وانتصارهم عليهم. وكان النصر إتماما للنعمة، والهدية، والعزة، وطمأنة المؤمنين، وإضفاء السكينة على قلوبهم. كما جاء باستظهار القوة ليعطي الفريق الآخر درسا كبيرا. إنها المخلوقات مجندة بأمره - سبحانه- سواء في السماوات أو في الأرض، كلهم جنود له. وقد تقدم اسم الجلالة "الله" على المبتدأ؛ للتأكيد على عظمته وسيطرته، وقوته على مخلوقاته جميعا. وناسب هذا الاستفتاح فاصلة الآيات المنتهية بالألف المطلقة، التي تعرب أن المستقبل المفتوح إنما يكون لهذا الدين. ولما كان انعكاس الأمر في النصر محل عجب، ختم الآية بقوله تعالى: ﴿وكان الله عليما حكيما﴾ (الفتح: 4) أي من نصر القليل على الكثير، وعكسه، وغير ذلك من جميع الأمور (عليما) فكان ختمها بذلك كاشفا للسر، مزيلا للعجب، ومبيناً أن ما فعل هو

(1) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 118.

الجاري على سنن سنته المطرد في قديم عادته عند من يعلم أيامه الماضية في جميع الأعصر الخالية، وحكيم باتخاذ أمور تكون سببا في تحقيق مصالح العباد. وقد تأكدت قوته سبحانه في السياق عند ذكره "جنود" و"السكينة" فالجنود هو المسيطر عليهم، وهم أجساد وعقول وقلوب، والسكينة هو من أنزلها عليهم، وهي دواء الروح، وبهذا استجمعت قوته السيطرة المادية والوجدانية عليهم.

المثال الثالث: الاستفتاح بـ "صفة الإرادة والتقدير"

" والإرادة لا تتعلق إلا بالمستقبل... وتكون لما يتراخى وقته، ولما لا يتراخى " (1). فالله -تعالى- يأبى، قال الله تعالى: ﴿تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا﴾ الذي له ملك السماوات والأرض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء فقدره تقديرا﴾ (الفرقان: 1-2) فتقدير الله -تعالى- محكمة جاءت وفق ما وضع الله -تعالى- للكون من قوانين، ولتحقيق مصالح العباد ومنافعهم. ولا يقع التقدير من أحد لكل شيء إلا إذا كان عالما بكل تلك الأشياء، حكيمًا في إعطاء كل ما يناسبه، وما يتفق مع وجوده. فتقدير أحوال الناس على اختلاف مشاربهم، وعقولهم، وأماكنهم، يتطلب أن يكون في المقدر إحاطة بصفات عديدة، منها: الحكمة، والعلم، والقوة.. إلخ. وجاءت الفاصلة بألفها الأخيرة متوافقة في الآيتين؛ للدلالة في الأولى على الإنذار الذي قدر له الله -تعالى- أن يبلغ الآفاق، فناسبته الألف المطلقة. وفي الثانية للدلالة على أن التقدير تقدير مطلق، مفتوح لكل شيء، لا تحده حدود، ولا تمنعه سدود.

المثال الرابع: الاستفتاح بنفي العلة عنه سبحانه

قال تعالى: ﴿إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين﴾ فيها يفرق كل أمر حكيم* أمرا من عندنا إنا كنا مرسلين* رحمة من ربك إنه هو السميع العليم﴾ (الدخان: 3-6) " في تلك الليلة الفارقة، يتميز طريق الهداية عن الضلال، وينتزل أمر الله " القرآن " على رسول الله، فإذا هو الرحمة، وقد أجرى -سبحانه- سنته الإلهية من رحمته، لتمام علمه، وكمال قدرته، وإحاطته بجميع صفات الكمال بأنه (من ربك) أي: وبسبب أن (الله) أي: الذي له الكمال كله (سميع) للمؤمنين، ولغيرهم، أي: لما يكذبون به الرسل ولأقوامهم: إن ما يظهرونه وصفهم الحقيقي (عليم) أي: بما تكن ضمائرهم من غيره " (2) وما في قلوب المؤمنين من الحب له والإقبال عليه.

(1) العسكري؛ أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل، الفروق في اللغة، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، ط5، بيروت، دار الآفاق الجديدة، 1983، 117.

(2) البقاعي، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ط3، بيروت، دار الكتب العلمية، 2006م، 3: 230.

آثار أسماء الله-تعالى- وصفاته في الفواصل القرآنية

كثير من الآيات الكريمة ختمت بذكر أسماء الله -عز وجل- وصفة من صفاته. والمتدبر لهذه الآيات الكريمة يلمس فيها أسرار الإعجاز، ولطائف البيان، ظاهرة بينة. وكثير من هذه الآيات تجمع بين اسمين أو صفتين لله - تبارك وتعالى- و" إن بعض هذه الأسماء يطرد تقديم بعضها على بعض، فالكثير من الآيات ختمت بقوله سبحانه "عزيز حكيم" و"سميع بصير" و"قوي عزيز" و"عليم خبير" ولا توجد منها آية خرجت عن النظم البديع، ليست هناك آية قدمت فيها الحكمة على العزة، فلم نقرأ "إن الله حكيم عزيز" أو العزة على القوة "عزيز قوي" كما لم نجد آية قدم فيها البصر على السمع "بصير سميع" ولا نجد آية كذلك قدم فيها خبير على عليم؛ ذلك لأن الترتيب الطبيعي والمنطق البياني يستلزم ما جاء عليه النظم القرآني " (1)، فإن تلك النهايات بأسماء الله-تعالى- وصفاته تتناسب تمام التناسب مع ما قبلها لإتمام الدلالة، وإكمال المعنى.

المثال الأول: فاصلة "غفور رحيم"

قال تعالى: ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار﴾ (إبراهيم: 34)، وقال تعالى: ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم﴾ (النحل: 18)، قال القاضي ناصر الدين بن المنيرة في تفسيره الكبير: " كأنه - سبحانه- إذا حصلت النعم الكثيرة فأنت أخذها وأنا معطيها، فحصل لك عند أخذها وصفان: كونك ظلوماً، وكونك كفاراً. ولي عند إعطائها وصفان: وهما أني غفور رحيم أقابل ظلمك بغفراني وكفرك برحمتي، فلا أقابل تقصيرك إلا بالتوفير، ولا أجازي جفاءك إلا بالوفاء، وسيقت "آية النحل" في وصف الله تعالى، وإثبات ألوهيته، وتحقيق صفاته، فناسب ذكر وصفه سبحانه، فتأمل هذه التراكيب ما أرقاها في درجة البلاغة " (2).

المثال الثاني: فاصلة "تواب حكيم"

قوله تعالى: ﴿والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين* ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب حكيم﴾ (النور: 9-10). فإن الذي يظهر في أول النظر تتناسب الفاصلة مع السياق، وتتناسب التوبة الرحمة، فلو جاءت الفاصلة "تواب رحيم" لأن الرحمة مناسبة للتوبة، وخصوصاً من هذا الذنب العظيم "الزنا"، ولكن ها هنا معنى أدق وأجل، لذلك قال "حكيم" وهو " أن ينبه على فائدة مشروعية اللعان، وهي الستر عن هذه الفاحشة العظيمة، وذلك من عظيم الحكم، فلهذا كان "حكيم" بليغاً في هذا المقام دون "رحيم" (3).

(1) عباس؛ فضل حسن، بالاشتراك، إعجاز القرآن الكريم، د.ط، عمان، المكتبة الوطنية، 1991م، 216- 217.

(2) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 70.

(3) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 74.

المثال الثالث: فاصلة "صفة الرحمة"

قال تعالى: ﴿فإن كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة﴾ (الأنعام: 147)، مع أن ظاهر الخطاب "ذو عقوبة شديدة". وإنما قال ذلك؛ نفيًا للاغترار بسعة رحمة الله - تعالى - في الاجترار على معصيته، وذلك أبلغ في التهديد ومعناه: لا تغتروا بسعة رحمة الله - تعالى - في الاجترار على معصيته، فإنه مع ذلك لا يرد عذابه عنكم " (1).

المثال الرابع: فاصلة "صفة المقيت"

" إن المقيت على ما قال بعض العلماء يجمع معنى القدرة على الشيء والعلم به، والشاهد قول الشاعر:

ألي الفضل أم علي إذا حو سبت أتي على الحساب مقيت

ولا يمكن المحاسبة لهما مع القدرة عليهما، والعلم بها. وفي القرآن: ﴿وكان الله على كل شيء مقيتاً﴾ (النساء: 85) أي: مقتدرا على كل شيء عالما به.

وقال غيره: المقيت على الشيء الموقوف عليه، وقيل: هو المقتدر، وأنشد:

وذي ضغن كفت الضغن عنه وكنت على إساءته مقيتاً

وقيل: هو المجازي، كأنه يجعل لكل فعل قدرة من الجزاء. والقدرة والقوت متقاربان، وقال ابن عباس: مقيتاً حفيظاً، وقال مجاهد: شهيداً وحفيظاً حسيباً، وقال الخليل: المقيت الحافظ والحفيظ أشبه الوجوه؛ لأنه مشتق من القوت، والقوت يحفظ النفس، فكان المقيت الذي يعطي الشيء قدر حاجته من الحفظ " (2).

آثار أسماء الله - تعالى - وصفاته في الأحداث داخل النص القرآني

المثال الأول: القدرة والمعية لله والرب

الرب: " السيد، يقال: رب الدار، ورب الفرس، ولا يقال: الرب بالألف واللام إلا الله - تعالى - وأصله من ربيته إذا قمت بأمره، ومنه قيل للعالم: رباني؛ لأنه يقوم بأمر الأمة " (3). وجاء في القرآن مضافاً، رب آبائكم الأولين، ورب الأرض، ورب السماء والأرض، ورب السماوات والأرض، ورب السماوات السبع، ورب الشعري، ورب العالمين، ورب العرش، ورب العزة، ورب الفلق، ورب كل شيء، ورب المشارق، ورب المشرق، ورب المشرقين، ورب المغربين، ورب موسى وهارون، ورب الناس، ورب البيت، ورب البلدة. إذن مما سبق يتبين أنه رب الخلق كله، زماناً ومكاناً وما في فلكهما. و" يدرك كل واحد ما لله - سبحانه - من صفات، حتى وإن أنكرها بلسانه أو اعترف بها

(1) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 74.

(2) العسكري، الفروق في اللغة، 99.

(3) ابن فضال؛ علي، النكت في القرآن، تحقيق: عبد الله الطويل، ط1، مصر، دار بدر للنشر والتوزيع، 2005م،

بجنانه، وتظهر صفاته سبحانه من خلال آيات الكون الباهرة، ومعجزة القرآن الخالدة. فاسمه "الله" من دلالاته أنه واحد لا ثاني له، قال تعالى: ﴿ثاني اثنين إذ هما في الغار﴾ (التوبة: 40) معناه: " أنه ثاني اثنين في التناصر. وقال تعالى: ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة﴾ (المائدة: 73)؛ لأنهم أوجبوا مشاركته فيما ينفرد به من القدم والإلهية. فأما قوله تعالى: ﴿إلا هو ربهم﴾ (المجادلة: 4) فمعناه: أنه يشاهدهم، كما تقول للغلام: اذهب حيث شئت، فأنا معك، تريد: أن خبره لا يخفى عليك" (1).

المثال الثاني: إظهار العظمة الإلهية

وفي ذلك مواضع كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلاً﴾ (الإنسان: 23)، أي: على ما لنا من العظمة التي لا نهاية لها، أي لا عظمة مطلقة لغيرنا، (نزلنا عليك) وأنت أعظم الخلق يا محمد إنزالاً. استعلى حتى صار المنزل عظيماً القرآن، وهو الجامع لكل هدى، الحافظ من الزرع، كما يحفظ الطب للصحيح صحة المزاج، الشافي لما عساه يحصل من الأدوية بما يهدي إليه من العلم والعمل، وزاد في التأكيد لعظيم إنكارهم، فقال: (تنزيلاً) أي على التدرج بالحكمة جواباً للسائل، ورفقا بالعباد، فدرجهم في وظائف الدين تدرجاً موافقاً للحكمة، ولم يدع لهم شبهة إلا أجاب عنها، وعلمهم جميع الأحكام " وثمة عظيم ثالث عظمه الله -تعالى- هو المنزل عليه محمد - صلى الله عليه وسلم- قد استقبل الرسالة، وعمل بها، وأخلص لها. فلولا تهيئة الله - تعالى- له، وأن صنعه على عينه، واصطفاه من خلقه، لما قدر على حمل الرسالة العظيمة من العظيم" (2).

المثال الثالث: إحاطة الله - تعالى- علماً وقدرة

قال تعالى: ﴿ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم﴾ (التوبة: 15)، " والله، أي الذي له الإحاطة بكل شيء علماً وقدرة (عليم) أي: بكل شيء، وبمن يصلح للتوبة ومن لا يصلح، وما في قلوبكم من الإقدام والإحجام لو برز إلى الخارج كيف كان يكون (حكيم) أي: أحكم جميع أموره، ولم يعلق الأحكام الشرعية من أفعالكم الكسبية إلا بما تعلق العلم به في حال ظهوره" (3). وقد جاء اسمه "الحكيم" في بعض المواضع و"رحيم" في مواضع أخرى ملحقين به.

(1) العسكري، الفروق في اللغة، 134.

(2) البقاعي، نظم الدرر، 8: 274.

(3) البقاعي، نظم الدرر، 3: 280.

والحكيم على ثلاثة أوجه:

أحدهما: بمعنى المَحْكَم، مثل البديع بمعنى المبدع. والسميع بمعنى المسمع.
ثانيهما: بمعنى محْكَم، وفي القرآن الكريم: ﴿فِيهَا يَفْرُقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ (الدخان: 4) أي: محكم. وإذا وصف الله-تعالى- بالحكمة من هذا الوجه، كان ذلك من صفات فعله.
ثالثهما: الحكيم، بمعنى العالم بأحكام الأمور، فالصفة به أخص من الصفة بعالم، وإذا وصف الله به على هذا الوجه فهو من صفات ذاته " (1).

وشملت رحمة الله-تعالى- المخلوقين جميعاً، قال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ (الفتحة: 2).
وإن " مجيء اسم "الرحمن" في الآية دون سائر أسماء الله الحسنى في قوله تعالى: ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ﴾ (تبارك: 19) إشارة إلى رحمة الله-تعالى- بهذه الطيور، حيث خلقها على هيئة تمكنها من السلامة من الأذى بالطيران، والبعد عن مواطن الخطر " (2).

أسماء وصفات الذات الإلهية وأثرها في القصة القرآنية

إن ذكر اسم الله - تعالى- في القصة يأتي ضمن محاور يمكن إجمالها في الأمور التالية:
أولاً: إنه يخاطب ويحاور بعضاً من الشخصيات، كما جرى خطاب الله-تعالى- للملائكة، يكشف من خلال خطابه عظمة قدرته، وعلمه المطلق لكل شيء بما فيه علمه بالغيبيات.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّنْ صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ (الحجر: 28)، وقال تعالى بضمير الجمع للتعظيم: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ (البقرة: 34). وقال: ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ (البقرة: 33). كما أنه خاطب آدم- عليه السلام- ليعلمه الله-تعالى- بقدرته على خلق الأشياء، وأنه سبحانه يحب ويكره، يحب من أطاعه فيقره، ويبغض من عصاه فيبعده ويطرده، كما إن له - سبحانه- الأمر والنهي، قال تعالى: ﴿قُلْنَا يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ﴾ (البقرة: 33)، وقال: ﴿قُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ (البقرة: 35)، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ (الأعراف: 19)، وقال تعالى: ﴿قَالَ اهْبِطْ مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ (طه: 123)، كما جاء الخطاب بفعل المجهول، قال تعالى: ﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا﴾ (هود: 48). دلالة على جند له يرسلهم بأمر منه إلى من يشاء من خلقه؛ لإنفاذ ما به يؤمرون.

(1) العسكري، الفروق في اللغة، 98.

(2) العايد؛ صالح بن حسين، نظرات لغوية في القرآن الكريم، ط2، الرياض، دار اشبيليا، 2002م، 258.

أما هود-عليه السلام- فقد جاءه خطاب ربه له عندما حقق دعاءه، واستجاب لمطلبه بعد ما توجه هود إليه - سبحانه وتعالى- فطمأنه، وهدأ من روعه، وأعلمه أن عذابه سيحل بهم، ويقع عليهم، قال تعالى: ﴿قال عما قليل ليصبحن نادمين﴾ (المؤمنون: 40).

وإبراهيم -عليه السلام- قد أمده وآتاه الله-سبحانه- الرشد، قال تعالى: ﴿ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل﴾ (الأنبياء: 51)، كما أراه آيات ملكه، قال تعالى: ﴿وكذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض﴾ (الأنعام: 75)، وأعطاه الله-تعالى- الحجة؛ كي يقارع بها عدو الله وعدوه، قال سبحانه: ﴿وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم﴾ (الأنعام: 83)، كما منع عنه ما كاده له أبوه وقومه، من زجه في النار، قال تعالى: ﴿قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم﴾ (الأنبياء: 66).

ثانياً: بعض الشخصيات في القصص القرآني كشخصيات الأنبياء، كان همها وهدف دعوتها من إيلاخ الدين للناس، وإعانتهم على أداء العبادة الصحيحة لله- تعالى- ولما كان هذا مقصدهم وسعيهم، كانوا يلوذون إلى الله - تعالى- الذي أرسلهم، في السعادة والهناء، والشكاية والعناء، فهو ملجؤهم -سبحانه- لكونهم يعتقدون ربوبيته وألوهيته على الخلائق كلهم.

أما نوح - عليه السلام- فلاذ إلى ربه -سبحانه- عندما كذبه قومه، وسخروا منه، ولم يبق فيهم من رجاء حتى يؤمنوا، عندها لجأ لربه من أجل الفصل فيهم، قال تعالى: ﴿قال رب إن قومي كذبون فافتح بيني وبينهم فتحاً ونجني ومن معي من المؤمنين﴾ (الشعراء: 117-118)، وقال تعالى: ﴿ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون﴾ (الصفافات: 75)، ولجأ لربه شاكياً من طول المكث بين قومه واستنفاده كل أساليب الدعوة معهم، قال تعالى: ﴿قال رب إنني دعوت قومي ليلاً ونهاراً﴾ (نوح: 5)، وبدأ يصف له - سبحانه- وهو أعلم بما هم عليه من معصية وعناد، قال تعالى: ﴿قال نوح رب إنهم عصوني واتبعوا من لم يزدده ماله إلا خساراً﴾ (نوح: 21)، ثم لجأ إليه داعياً عليهم؛ لأنه يعلم أن القدرة المطلقة بيده، قال تعالى: ﴿وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً﴾ (نوح: 26)، وجاء دعاؤه لنفسه، ولوالديه، وللمؤمنين، والمؤمنات بالمغفرة، قال تعالى: ﴿رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمناً وللمؤمنين والمؤمنات﴾ (نوح: 28).

أما هود -عليه السلام- فقد جعل الله -تعالى- شهيداً على أفعال قومه، وعلى براءته من شركهم وكفرهم، قال تعالى: ﴿قال إنني أشهد الله واشهدوا أني بريء مما تشركون﴾ (هود: 45). وأبرز توكله على الله- تعالى- في أمر دعوتهم، قال تعالى: ﴿إنني توكلت على الله ربي وربكم﴾ (هود: 56)، ولما وعدهم بسوء العاقبة، وطلبوا منه كشف موعدها، سخرية منه، واستخفافاً بما جاءهم به، نسب علمها

لله سبحانه؛ لأنه يعلم قصور قدرة نفسه، وأنه لا يعلم من الغيب إلا بقدر ما أطلعه الله - تعالى - عليه، قال تعالى: ﴿قال إنما العلم عند الله﴾ (الأحقاف: 23)، ثم دعا لدعوته ورسالته بالنصر، نصر على كفرهم وتكذيبهم؛ لعلمه بحقيقتها التي لا تكذب، قال تعالى: ﴿قال رب انصرنى بما كذبون﴾ (المؤمنون: 39).

وقد أشار إبراهيم - عليه السلام - إلى إحاطة علم الله - تعالى - بكل شيء، قال تعالى: ﴿وسع ربي كل شيء علماً أفلا تتذكرون﴾ (الأنعام: 80)، ولجأ إلى ربه محمداً وجهته الحنيفية، قال تعالى: ﴿إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً﴾ (الأنعام: 79)، كما اعترف عليه السلام أمامهم بنكران شركهم بآلهتهم التي لا تتفعل ولا تضر، وصرح بإيمانه بالله - سبحانه - بأفعاله وصفاته، مشيراً إليه أنه الذي يخلق ويهدي، ويطعم ويسقي، ويمرض ويشفي، ويميت ويحيي، ويغفر، ويهب، ويمنع (1). كما أكد على ربوبية الله - تعالى - عليهم وعلى العالمين، قال تعالى: ﴿قال ربكم رب السماوات والأرض الذي فطرهن﴾ (الأنبياء: 56). كما إنه لجأ إلى الله - تعالى - لهدايته، طالبا منه الذرية الصالحة، راغبا في مساعدته على نشر ما جاء به، قال تعالى: ﴿وقال إني ذاهب إلى ربي سيهدين﴾* رب هب لي من الصالحين﴾ (الصافات: 99-100). ولجأ إلى ربه - سبحانه - ليجعل البلد الحرام آمناً، وطلب منه الرزق لأهله من ثمرات الأرض، ورغب في هداية ربه لنفسه وذريته، وأن يبقيه ويحييه حتى يتم معهم المناسك، وتتحقق توبة الله - سبحانه - عليه، وأن يبعث الرسالة في الأرض، ويزود أهله بالعلم والحكمة، ويحليهم ويزكي نفوسهم؛ ليكونوا قدوة خير يأملون بالمعروف، وينهون عن المنكر (2).

ثالثاً: تدخلت القدرة الإلهية في حسم نهايات القصص بين قوة الخير وقوى الشر.

فقصة إبليس تدخلت فيها القدرة الإلهية. فالله - سبحانه - منحه ما أراد من الاستظهار إلى يوم الوعيد بعد أن أخرجه من الجنة، وفق طلبه منه، وكان هذا الاستظهار على عباد الله - تعالى - كجزء من عقابه على تكبره أمام عظمة ربه - سبحانه - قال تعالى: ﴿قال فاخرج منها فإنك رجيم﴾* وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين﴾* قال رب فأنظرنى إلى يوم يبعثون﴾* قال فإنك من المنظرين﴾* إلى يوم الوقت المعلوم﴾ (الحجر: 34-38)، فقد حدد الله - تعالى - نهايته المفزعة مع من تبعوه، كاستشراف واستباق

(1) ينظر، الشعراء: 77-83.

(2) ينظر، البقرة: 126-129.

لما سيكون من أمر هذا المغرور، قال تعالى: ﴿وإن جهنم لموعدهم أجمعين* لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم﴾ (الحجر: 43-44).

وأما قصة " قابيل وهابيل " في سورة المائدة، فإن قابيل لما أخذته الحيرة كيف يفعل في جثة أخيه الذي قتلته يداه؟ تدخلت قدرة الله -سبحانه- في إعطائه درسا من غراب يبحث في الأرض؛ ليريه كيف يوارى سوء أخيه، وليكون عبرة لمن بعده، قال تعالى: ﴿فبعث الله غراباً يبحث في الأرض ليريه كيف يوارى سوء أخيه﴾ (المائدة: 31).

وقد تدخلت القدرة الإلهية لحسم الأحداث في قصة نوح. بدأت بنجاة نوح- عليه السلام-، ونجاة المؤمنين معه من الطوفان، وفي المقابل أغرق بالطوفان قومه، قال تعالى: ﴿فأنجينا ومن معه في الفلك المشحون ثم أغرقنا بعد الباقين﴾ (الشعراء: 119-120).

كما أن الله - تعالى- أخرج ذرية نوح -عليه السلام- عن اللحاق به؛ لأنهم شاركوا قومه في الكفر والشرك، فوحد الله-تعالى- الحكم فيهم، قال تعالى: ﴿وجعلنا ذريته هم الباقين﴾ (الصافات: 77).

ونجا الله-تعالى- نبيه هوداً-عليه السلام- في حين أمر بعذاب قومه، قال تعالى: ﴿ولما جاء أمرنا نجينا هوداً والذين آمنوا معه برحمة منا، ونجيناهم من عذاب غليظ﴾ (هود: 58). كما إن الله - تعالى- أهلكت قومه، وجعلهم لمن خلفهم آية، قال تعالى: ﴿فكذبوه فأهلكناهم إن في ذلك

لآية﴾ (الشعراء: 139)، وقد فصل الله-تعالى- في وقوع هلاكهم، فقال تعالى: ﴿فأرسلنا عليهم ريحاً صرصراً في أيام نحسات﴾ (فصلت: 16)، وقال تعالى: ﴿وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم* ما تذر من شيء أنت عليه إلا جعلته كالرميم﴾ (الذاريات: 21-42). وأما النبي صالح- عليه السلام- لما وقع أمر العذاب على قومه، صدر في المقابل أمر منه- سبحانه- بنجاة النبي ومن معه، قال تعالى: ﴿فلما جاء أمرنا نجينا صالحاً والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ﴾ (هود: 66).

ونسب الله- تعالى- لنفسه تدمير قوم صالح، قال سبحانه: ﴿فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين﴾ (النمل: 51)، وكان التدمير بأن الله - تعالى- أمر بإرسال الصيحة الواحدة عليهم، فقال سبحانه: ﴿إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر﴾ (القمر: 31).

بينما نجا الله-تعالى- إبراهيم-عليه السلام- من النار، فكانت عليه برداً وسلاماً، وأبطل كيد الكافرين، وكانت هذه النجاة بمثابة التأييد من الله-تعالى- له، وخاتمة لموقفه مع قومه، وإعلان التوحيد جهرة أمامهم.

رابعاً: كانت الشخصيات على اختلافها لا ينفكون عن ذكر الله - تعالى - بأسمائه وصفاته. فلقد ذكرت الملائكة من أسمائه وصفاته ما يشير بكمال ذاته كمالاً لا يشابهه أو يكافئه أو يماثله كمال، فوصفوه بإحاطة العلم، وبالألوهية، والوحدانية (1)، وسبحوا بربوبيته، وقاموا بين يديه بالاستغفار منه لمن في الأرض، كما وصفوه بالرحمة والمغفرة، معترفين أن بيده ملكوت السماوات والأرض، وإدخال الجنة من يستحقها، وكذلك النار، كما وصفوه بالعزيم والحكيم(2)، ونزهوه عن النقص(3).

وهذا الشيطان قد اعترف بألوهيته-سبحانه-لأنه شاهد آيات قدرته التي لا إحصاء لها، قال تعالى: ﴿وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق﴾ (إبراهيم: 22)، كما اعترف بربوبية الله - تعالى - فوجه إليه دعاءه، وهو يعلم به، قال سبحانه: ﴿قال رب فأنظرني إلى يوم يبعثون﴾ (الحجر: 36)، وقال تعالى: ﴿قال رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض﴾ (الحجر: 39)، واعترف بعزة الله - تعالى - فأقسم بها، قال تعالى: ﴿قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين﴾ (ص: 82).

أما هابيل فقد آمن بألوهيته وربوبيته، قال تعالى: ﴿إني أخاف الله رب العالمين﴾ (المائدة: 28)، كما أنه أظهر إيمانه بالغيب، ويوم الحساب، وما يكون فيه من الجزاء، سواءً عاقبة الجنة أو النار، قال تعالى: ﴿إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار﴾ (المائدة: 29).

ونوح - عليه السلام - قد دعا قومه للتوحيد وعبادة الله، قال تعالى: ﴿فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾ (الأعراف: 59)، وأقر أنه رسول من الله - تعالى - ربه، قال تعالى: ﴿ولكني رسول من رب العالمين﴾ (الأعراف: 61)، كما أنه اعترف بتوكله على الله - سبحانه - في دعوتهم، ورجا أجره منه - سبحانه - مسلماً وجهته له(4).

سبق الحديث عن الذات الإلهية، ولأن موضوعها هنا له رابطة وشيجة بما سيتناوله الباحث، فيتم الإشارة إلى أن الذات الإلهية تتصف من خلال ما سيق من قصص بصفات الكمال والجلال المطلقة، والتي تظهر من بدء الرسالة " أرسلنا " و " أوحينا " في أول سرد القصص، حتى حسم النهاية، ومن تلك الصفات المطلقة صفة القدرة، والإرادة، والحكمة، والعزة... إلخ. وتظهر القدرة الإلهية في النص القرآني عندما تحرك الأحداث المختلفة، والشخصيات المتعددة، بإرسال الرسل،

(1) ينظر، الأنبياء: 26-29.

(2) ينظر، غافر: 7-8.

(3) ينظر، مريم: 64.

(4) ينظر، يونس: 71-72.

وإمدادهم بالمعجزات الحسية وغيرها، وتسيير الأمور لهم جميعا، كما تتدخل القدرة في تهيئة الرسول لأداء الرسالة، وتدلهم على الطريق، وترشدهم إلى الجهات.

خامسا: لقد بلغ حضور أسماء وصفات الله -تعالى- في النص القرآني حضورا كبيرا، لم تبلغه أي من الشخصيات المذكورة فيه، وذلك للتأكيد على استمرارية العلاقة وديمومتها بين الرسول محمد - صلى الله عليه وسلم - وربّه، وكذلك لأن القرآن نزل لربط الإنسان بخالقه.

الفصل الأول:

بناء الزمان في النص القرآني، وفيه:

أولاً: تعريف الزمان

ثانياً: أنواع الزمان

ثالثاً: الزمان في القرآن الكريم، وفيه الزمن الغيبي، وطوي الزمن، وعلاقة الزمان بالشخصية، وأثار الزمان.

رابعاً: تقانات الزمان في النص القرآني

خامساً: ألفاظ الزمان في النص القرآني ودلالاتها

الفصل الأول

بناء الزمان وجمالياته

تعريف الزمان

الزمن " اسم لقليل الوقت وكثيره. وفي المحكم: الزمن والزمان العصر، والجمع أ زمن، وأزمان وأزمنة... قال شمر: الدهر والزمان واحد. قال أبو الهيثم: أخطأ شمر، الزمان زمان الرطب والفاكهة، وزمان الحر والبرد، قال: ويكون الزمان شهرين إلى ستة أشهر، قال: والدهر لا ينقطع، قال منصور: الدهر عمد العرب يقع على وقت الزمان من الأزمنة وعلى مدة الدنيا كلها... والزمان يقع على الفصل من فصول السنة، وعلى مدة ولاية الرجل وما أشبهه... وفي الحديث... كانت تأتينا أزمان عائشة؛ أراد حياتها " (1). والزمن: " الزاء والميم والنون أصل واحد يدل على وقت من الوقت. من ذلك الزمان، وهو الحين، قليله وكثيره. يقال: زمان وزمن، والجمع أزمان وأزمنة... ويقولون: لقيته ذات الزمين، يراد بذلك تراخي المدة " (2). ومن هنا يتبين أن الزمن يطلق على العصر، والدهر، والفصل - شتاء أو صيفا - أو لعدة من الأشهر، أو مدة الحياة كلها، وهو اللفظ الأعم في معناه حسبما يرى الباحث. لقد تعدد مفهوم الزمن " الزمان " ففهمه كل حسب وجهته التي نظر إليه من خلالها. فالقدماء والفلاسفة يختلف تفسير الزمن عندهم عن علماء النفس، أو علماء الفلك، أو الأدباء، وغيرهم، ومع هذه المفاهيم المختلفة، والمشارب المتعددة له، يمكن الاستدلال على قيمته، ويتم التعرف على أبعاده ومغازيه، ولما كان الزمن واحدا من أهم عناصر الحياة، كان أيضا واحدا من أهم العناصر الداخلة في الأجناس الأدبية، وإذا نظر إلى القرآن أيضا وجد هذا العنصر قد أخذ قسطا كبيرا من القدسية، فقد أقسم الله بألفاظه في أكثر من موضع، وإن الله إذا أقسم لا يقسم إلا في عظيم كما أجمع أهل التفسير. لذا كان له مع هذا العنصر جولة؛ في الكشف عن أبعاده وأنواعه، واستدرار قيمه في أرجاء النص القرآني، مع بيان آثاره فيه، واستكناه جمالاته.

(1) ابن منظور؛ جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، ط 1، بيروت، دار الكتب العلمية، 2003 م، 13: 242.

(2) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 3: 23.

الزمن الصرفي والزمن النحوي:

قال الكسائي: " الفعل ما دل على زمان "(1). وهو وظيفة صيغة الفعل مفردة خارج السياق على النحو الآتي:

- فعل ماض: صيغة فَعَل وقبيلها، تفيد وقوع الحدث في الزمن الماضي.

- فعل مضارع: صيغة يفعل وقبيلها، تفيد وقوع الحدث في الحال أو الاستقبال.

- فعل أمر: صيغة افعل وقبيلها، تفيد وقوع الحدث في الحال أو الاستقبال(2).

والزمن النحوي: وظيفة في السياق يؤديها الفعل، أو الصفة، أو ما نقل إلى الفعل من الأقسام الأخرى للكلم كالمصادر والخوالف. وإذا كان النحو هو نظام العلاقات في السياق، فمجال النظر في الزمن النحوي هو السياق، ووظيفة الزمن النحوي تتحدد بالضمائم والقرائن في السياق(3)، وذلك عندما تدخل على بعض الألفاظ قرائن كقول القائل: داينتك إلى أجل سنة، أو لأجل، ففي الأول تحدد الأجل بسنة، وفي الثانية ترك التحديد فلم يقتصر على مدة محددة.

زمان الأوقات في القرآن الكريم:

هو الاستفادة من الأسماء التي تنتقل إلى معنى الظروف، وتستعمل استعمالها، فيكون ذلك لها من باب تعدد المعنى للمبنى الواحد ومن هذه الأسماء:

- المصادر المسوقة لبيان الأوقات نحو: " أتيتك قدوم الحاج " .
- صيغة اسم الزمان نحو: " أتيتك مقدم الحاج " .
- بعض الأسماء المبهمة الدالة على أوقات، أو ما أضيف إليها كأسماء المقادير. وذلك مثل: كم ساعة بقيت هناك؟ وأسماء الأعداد، نحو: خمسة أيام، وثلاث ليال، وأسماء الأوقات: كحين، ووقت، وساعة، ويوم... إلخ. وكذلك، قبل، وبعد، ودون، ولدن، وعند، وبين، ووسط.

(1) ابن فارس؛ أبو الحسن أحمد بن زكريا، الصاحبى فى فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب فى كلامهم، تعليق: أحمد حسن، بيروت، دار الكتب العلمية، 1997م، 50.

(2) ينظر، حسان؛ تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، ط3، القاهرة، عالم الكتب، 1998م، 240-241.

(3) ينظر، حسان، اللغة العربية معناها ومبناها 241-242.

• بعض أسماء الأزمنة المعيشة مثل: " الآن، وأمس، وسحر، ومساء، وصحوة، وعشية، وغدوة "(1). وعند النظر إلى الجملة الخبرية المثبتة والمؤكددة؛ يلاحظ أن المضارع له دلالات الحاضر فقط مثل: يؤلف العالم مؤلفاً، ولم ينجز كتابه.

أما عند النظر إلى الجملة الإنشائية يلاحظ أن صيغة الفعل " فَعَلَ " ، وقيلها الماضية تفيد الاستقبال في التخصيص، والدعاء، والشرط، مثل: جزاك الله خيراً، بوركت، عمت مساءً، إن شئت ذهبت معي، قال تعالى: ﴿والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم﴾ (الرعد: 21 - 22). يقول أبو حيان التوحيدي: " وجاءت الصلة هنا بلفظ الماضي في الموصولين في قوله: "أقاموا، أنفقوا" ولفظ المضارع في قوله: "يصلون، يخشون" على سبيل التقنن في الفصاحة ويبرز هذا التغيير في الصيغتين لما في الآيتين السابقتين من معنى الشرط "(2)، حيث أن أسماء الشرط -غالباً- ما تقلب صيغة "فعل" إلى المستقبل. و" تأتي تعبيرات الجهة التي تنفرع الأزمنة على أساسها بواسطة إضافة الأدوات الحرفية والنواسخ إلى الأفعال، وذلك مثل: السين، سوف، اللام، نون التوكيد، ما، لا، لما، لن، إن وأخواتها، كان وأخواتها، وكاد وأخواتها، فهذه كلها عناصر لإفادة الجهة المحددة لمعنى الزمن "(3). ومثال ذلك، الفعل " يجعل " يفيد الحاضر، فتحول إلى المستقبل بدخول السين عليه، قال تعالى: ﴿سيجعل لهم الرحمن ودا﴾ (مريم: 96). وانتهاء الفعل " ينبذن " الذي يفيد الحاضر وبلاد التوكيد، ونون التوكيد تحول لزمن المستقبل، قال تعالى: ﴿كلا لينبذن في الحطمة﴾ (الهمزة: 4) وكذلك مثل: قد يأتي، سيأتي، سوف يأتي، ليأتين، فقد دخلت هذه الأدوات على الفعل المضارع الذي يفيد الحاضر، فغيرت زمانه؛ ليدل على الاستقبال، وهذا في القرآن كثير.

(1) ينظر، حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، 241.

(2) الأندلسي؛ محمد بن يوسف، البحر المحيط، بيروت، دار الفكر، 1978م: 8: 386.

(3) ينظر، حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، 256.

الزمن الطبيعي "الفيزيائي":

الزمن الفيزيائي عند القدماء كما قال المرزوقي: "تقدير الحوادث بعضها ببعض" (1). والزمن الفيزيائي كما يقول المعري هو: "حركة الفلك" (2). وقد سماه الزركشي بالزمن الحقيقي، واعتبره أنه مرور الليل والنهار أو مقدار حركة الفلك على ما قيل فيه. ومنه، قوله تعالى: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ (الرحمن: 17)، وقوله تعالى: ﴿مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا﴾ (الأعراف: 137). ولذلك لما استغنى عن أحدهما ذكر المشرق فقط. فقال: ﴿وَرَبُّ الْمَشَارِقِ﴾ (المعارج: 40).. (3). وظل هذا المفهوم قائماً؛ لأن الكون لم يتغير نظامه فهو "زمن خطي غير متناه، يقيسه الفرد حسب إحساساته، وهو يعني اختلاف الليل والنهار، وما ينشأ عنهما من أيام، وشهور، وفصول، وسنين، وأعوام، وعقود، ودهور" (4).

الزمن الحدتي الموضوعي:

الزمن حقيقة ذات بعد موضوعي وشكل من أشكال الحس، وحاجة ضرورية لترتيب الحياة الإنسانية في الوجود، وطرف حيوي متحقق في كل تجربة حسية. وما يقصده الفلاسفة من موضوعية الزمان، إنه واقعي وليس خيالا، أو من نتاج الخيال، ويحمل معنى روحيا للتاريخ. فضلا عن كونه يرتبط بالمكان. وإن أيا منهما يعكس حقيقة الآخر، ويشكل نسيج الواقع (5). وهو "زمن الأحداث التي تغطي حياتنا كمتتالية من الوقائع" (6). وإن "الطبيعة نفسها محكومة بزمن موضوعي له طبيعة تراكمية، يمكننا من مراقبتها وحسابها بدقة، ويشكل العلاقة بين الفرد ومحيطه، وهو صالح لقياس الظواهر الكونية والحقائق العملية، كونه ذا طبيعة تراكمية، فهو مستمر؛ متواصل؛ وممتد من الماضي عبر الحاضر وإلى المستقبل" (7). واعتبره الزركشي زمنا تقديريا فرضيا، قال: "هو ما قبل ذلك، وما بعده. كما في قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ (مريم: 62). ولا بكرة هنا ولا عشياً، وإنما هو زمان تقديري فرضي، وكذلك قوله تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا

(1) المرزوقي؛ أحمد محمد، الأزمنة والأمكنة، د ط، الهند، حيدر آباد الدكن، 1332 هـ، 1: 139.

(2) المعري؛ أبو العلاء أحمد، رسالة الغفران، تحقيق: علي شلق، د ط، بيروت، د د، 1975 م، 211.

(3) ينظر، البرهان في علوم القرآن، 995.

(4) أيوب، الزمن والسد القصصي في الرواية الفلسطينية المعاصرة، 97.

(5) ينظر؛ زايد، عبد الصمد، مفهوم الزمن ودلالاته، ط 1، تونس، دار الثقافة، 1988 م، 7 - 14.

(6) أيوب، محمد، الزمن والسرد القصصي، 103.

(7) السويركي؛ محمد صبحي، من أسرار البناء الداخلي في القرآن الكريم، ط 1، د.ب، د.د، د.ت، 165.

فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴿الفرقان: 59﴾ مع أن الأيام الحقيقية لا توجد إلا بوجود السموات والأرض، والشمس والقمر، وإنما الإشارة إلى أيام تقديرية (1).

الزمن البيولوجي

إنه زمن النمو لكل حي حتى ينتهي. ولكن لا يقف الامتداد الزمني في القرآن الكريم عند حدود الفهم الجاهلي بموت الإنسان، بل يمتد الزمن ليشمل الحياة ذات الزمن الممتد إلى ما لا نهاية، فينتقل من حياة الدنيا إلى حياة البرزخ تلك التي يشعر فيها باللذة أو بالعذاب، بالفرح أو بالنكد، يرى مقعده من الجنة أو النار، يجلسه الملكان.. إلخ، ثم ينتقل إلى حياة الآخرة حيث يخرج من قبره، إلى حشره، ثم حسابها، فالجنة أو النار الأبديتين، وقد صور القرآن ذلك، قال تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾ (الفرقان: 3)، فقد بينت الآية القرآنية الأزمنة الثلاثة التي تمثل أنواع الحياة الإنسانية على اختلاف طبيعة كل منها، الحياة الدنيا، والبرزخ، والبعث "يوم القيامة"، وقد بينت السنة أن الإنسان يحس ويبصر في حياة البرزخ، فإنه يشعر بالرضا عند الإحسان، وبالغضب عند وخزات العذاب، كما أنه يرى مقعده من النار أو الجنة، ويتكلم عند سؤال الملكين. وجاءت آيات قرآنية تؤكد تلك الحيوانات الثلاث، التي يخلقها خالق عظيم مقدر، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى﴾ (الحج: 6)، إنها آية تظهر قدرته على الإحياء والإماتة. أما مرحلة البرزخ التي امتد الزمن الإنساني نحوها كمرحلة انتقالية إلى العالم الأبدي، قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ* قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ (يس: 52). والزمن الثالث هو زمن الأبدية التي تمتد فيها حياة الإنسان إلى ما لا نهاية، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُومِنُدُ يَخْسِرُ الْمُبْتَطِلُونَ* وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (الجاثية: 28) وعندئذ يتحدد المصير النهائي؛ فيرتبط الزمان الأبدي بالمكان الممتد الواسع، سواء أكان جنة أو ناراً، قال تعالى: ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ (الفتح: 5)، وقال تعالى: ﴿نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ (البينة: 4).

الزمن النفسي "سيكولوجي"

إنه الزمن الذي "يعتمد على مدى إحساس الشخصية به، لا يخضع لمقياس محدد، تارة تحس الشخصية أن الزمان يمر بسرعة، وطورا ببطء، تارة يعي كل ثانية بعمق، وطورا لا يشعر

(1) ينظر، البرهان في علوم القرآن، 995.

بمروره" (1). ويبدو في الخبرة الإنسانية كما تحسه وتراه الشخصيات، في ضوء الظرف الذي تحياه هذه الشخصيات، وهو الزمن الأكثر أهمية في الأدب عموماً، وفي الرواية خصوصاً. وقد تطرق إخوان الصفا إلى ذكر الزمن النفسي حين قالوا: إن المتماضي في النظر يبعد عن ذهنه الزمن. وبالعكس، والمغتم يستطيل معه الزمان؛ لبقاء أثر الحركة في ذهنه. وإن الأزمنة تتعدد بتعدد النفوس التي تدرك الزمن. وأنه لا يوجد زمن تشترك فيه نفسان. والزمن النفسي زمن نسبي يقدر بقيم متغيرة باستمرار، بعكس الزمن الخارجي الذي يقاس بمعايير ثابتة، فليس من الضروري أن تمثل ساعة واحدة قدرًا متساويًا من النشاط الواعي كساعة، فهناك من يمضي معهم الزمن بطيئًا، وآخرون يعدو معهم، وغيرهم يقف معهم الزمن ساكنًا. وقد بدا ذلك في القرآن كقوله تعالى: ﴿فَأَسْرَ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتُ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ (هود: 81). إن تلك الآية تكشف عن الحالة الشعورية التي يعيشها نبي الله لوط -عليه السلام- التي دعي إزاءها بالانطلاق ساريا في الليل، إنها لحظات الحسم مع قومه والرهبنة مما سيقع بهم والخوف مما سيكون بعد لحظات، وفي الوقت نفسه تسرية وتخفيفا لآلامه وعذابات ضميره لاقترب الفرج، وتحقيق الوعد المرتقب بالنجاة، فهو مع هذا وذاك يرى الزمن أمامه يتسارع ويتقدم. أما قومه فقد ألمهم طول المكث، وملالة الانتظار إزاء ترقبهم للعذاب الموعودين به، فإنهم يشعرون بطأه وتأنيه والزمن يمر عليهم وهم في ترقب إلى إثبات كذب النبي، وإبطال وعده لهم.

الزمن التاريخي:

ويتناول ترتيب الحوادث وارتباطها حسب مقتضيات التاريخ (2). وهو الزمن الذي تقع فيه الأحداث، وقد تذكر فيه الأحداث، وقد يذكر فيه العام والشهر واليوم والساعة. والزمن التاريخي له اتجاه وزاوية، فهو يتجه إلى الأمام أولاً، فيمثل خطاً أفقياً تتطرق عليه حيوات الشخصيات في اتجاه واحد لا رجعة فيه، وهذا ما يعرف بالطبيعة العكسية للزمن، فالزمن يسير نحو المستقبل، مؤكداً حتمية مصير البشرية (3)، ولم يغفل القرآن ذكر هذا النوع من الأزمنة فقد ذكر مكث نوح -عليه السلام- ألف سنة إلا خمسين عاماً وهو ماضٍ في دعوة قومه، وطفولة يوسف -عليه السلام- عند أبيه، وشبته في بيت العزيز، وقضائه بضع سنوات من عمره في السجن.. الخ. وذكر تاريخ موسى -عليه

(1) ميرهوف؛ هانز، الزمن في الأدب، ترجمة: أسعد رزوق، د ط، القاهرة، مؤسسة سجل العرب، 1972م، 18.

(2) أبو علي، مناهج وآراء في لغة القرآن 15.

(3) أيوب، محمد، الزمن والسرد القصصي، 103.

السلام- الذي بدأ القرآن عرضه من لحظة ولادته، مروراً ببلوغه واشتداد عوده، إلى قضاء عشر حجج، إلى رحلة عمره الطويلة في الدعوة مع فرعون، ثم مع بني إسرائيل.

زمن القصة:

إن " القصص هو أكثر الأنواع الأدبية التصاقاً بالزمن " (1). " فالزمن ضابط الفعل، وبه يتم، وعلى نبضاته يسجل الحدث وقائعه، ونحن وإن كنا لا نستطيع أن نفرق بين الحدث والزمن إلا أننا نتبين أثر الزمن عاملاً فعالاً في كثير من القصص الطويلة والروايات " (2). وزمن القصص هو زمن خارجي موضوعي مرتبط بالزمن التاريخي، وبالأحداث الخارجية، ويعمل على التأثير فيها. إذ تتحرك داخله الكائنات، وتقع في فضاءه الوقائع، ويلتزم التتابع المنطقي للأحداث (3).

وإن التغيير الترتيبي أو التلاعب " بالأزمنة داخل القصة... عمل جمالي بحت، لا يؤثر على الأحداث من حيث الماهية والجوهر، وإنما من حيث الصيغة والترتيب " (4). ويقصد بذلك، أن التلاعب بالترتيب الزمني أو المنطقي لأحداث القصة من حيث التقديم والتأخير للحدث، أو إبدال حدث بحدث أو قطعه، إنما يحدث من ذلك تأثير فعال، ومباشر في نفس القارئ، أو المستمع، مع خلق عنصر التشويق من خلال دراميته، وسيأتي بيان الزمن في القصص القرآني.

الزمن في القرآن الكريم

لقد جاءت بعض سور القرآن الكريم بأسماء أزمنة مختلفة، للتأكيد على تلك القدسية التي منحها الله -تعالى- للزمن كمخلوق من خلقه، ومن تلك السور: سورة "الجمعة" وهو يوم مقدس عند المسلمين، وله العديد من الميزات عندهم. وسورة "الفجر" وهو اسم لبداية اليوم الجديد في كل المشارق والمغارب. و"الشمس" في سورة "الشمس" وهي التي ينشأ بحركتها تعاقب الليل والنهار، مع الإشارة إلى معاش الخلق والسعي له، والذي يكون تحت لوائها. و"الليل" في سورة الليل الذي يرخي سدوله على الخلق؛ ليهجعوا ويرقدوا بعد سعي النهار، وسورة "الضحى" وسورة "الدهر" وسورة

(1) أيوب؛ محمد، الزمن والسرد القصصي في الرواية الفلسطينية المعاصرة، ط1، الدقي، دار سندباد، 2001م، 103.

(2) سلام؛ محمد زغول: دراسات في القصة العربية الحديثة، د.ط، الإسكندرية، منشأة المعارف، د.ت، 14.

(3) ينظر؛ قاسم، سيزا أحمد، بناء الرواية دراسة لثلاثية نجيب محفوظ، د.ط، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1984م، 46.

(4) أبو ناظر، موريس؛ الألسنية والنقد الأدبي في النظرية والممارسة، د.ط، بيروت، دار النهار للنشر، 1979م، 85.

"العصر". ويجمع القرآن الكريم في عرضه لمادة الزمن بين المعاني الدقيقة، والأساليب الواضحة، وبين الدلالات العلمية، والتعبير الأدبية. فلا يمكن ألبنة الفصل بينها. إن القرآن ينفرد عن جميع ما ألف في تاريخ البشرية. فالزمن المذكور فيه يغوص في كل جزئيات الكون، ويحسه كل مخلوق، فيتأثر به ويؤثر فيه، وهو لا ينفصل عن الطبيعة، ولا الكواكب، ولا الأحجار، ولا الأشجار... ولا عن الذرة، ولا الخلية... وهو حاضر في كل ذلك حضوراً أكيداً. وهو من جهة أخرى يسري في جميع سور القرآن وآياته وحروفه، تتذوقه أبسط العقول فهماً، وتتملاه أعمق العقول إدراكاً، وما ذلك إلا للاتساق بين القرآن وبين الكون، شكلاً ومضموناً. فهما من تأليف مؤلف واحد هو الخالق-جلّ علاه- الذي من حكمته سمى كلّ واحد منهما آية، قال تعالى: ﴿وَأَيَّةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ﴾ (يس: 37)، ويقول جل وعلا: ﴿سُنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (فصلت: 53).

أولاً: الزمان من آيات الله -تعالى- العظيمة

لقد وردت في القرآن الكريم عدة آيات يقسم فيها الله-تعالى- بالزمن ومكوناته. الأمر الذي يشير إلى الأهمية الكبيرة التي أولاها الله -سبحانه- للزمن، ولأجزائه، وأنه من القضايا المحترمة والمقدسة في الحياة، والتي يجب النظر إليها نظرة واعية متفهمة. باعتبار أن الله -تعالى- اتخذها عنواناً يقسم به في بداية الكلام الذي يقرر فيه- تعالى- الحقائق التي يريدنا، وفي معظم هذه الآيات الكريمة، لا يأتي القسم مفرداً إنما متعدد -أيضاً- بذكر عدة أجزاء من الوقت في سياق الآية الواحدة أو الآيات المتتالية، قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ* إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ (العصر: 1-2)، وقال تعالى: ﴿وَالضُّحَىٰ* وَاللَّيْلُ إِذَا سَجَىٰ* مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ (الضحى: 1-3)، وقال تعالى: ﴿وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَىٰ* وَالنَّهَارُ إِذَا تَجَلَّىٰ* وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ* إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَىٰ﴾ (الليل: 1-4)، وقال تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا* وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَاها* وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّاهَا* وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَاهَا* وَالسَّمَاءُ وَمَا بَنَاهَا* وَالْأَرْضُ وَمَا طَحَاهَا* وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ (الشمس: 1-7). ولعل سورة الشمس هي أكثر سورة تحتوي على أقسام متتالية لله -تعالى- في ظواهر الكون والزمان والمكان والنفس البشرية وما تنطوي عليه من عوامل الخير والشر. قال تعالى: ﴿وَالفَجْرِ* وَلَيَالٍ عَشْرٍ* وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ* وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ* هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ﴾ (الفجر: 1-5). وقال تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ* الْجَوَارِ الْكُنَّسِ* وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ* وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ* إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ* ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ (التكوير: 15-20). وقال تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ* وَالْقَمَرِ إِذَا

اتسق* لتركبن طبقاً عن طبق ﴿﴾ (الانشقاق: 16-19). إن هذا القسم الإلهي بعناصر الزمن، وتكراره في مواضع عديدة، يشير إلى الأهمية التي أولاها الله -تعالى- له؛ من أجل أن يقف الإنسان المسلم على هذه الحقيقة؛ ليتأمل حركة الزمن بدقة، ويستثمر الوقت بجدية، على اعتبار أن القسم الإلهي به يثير في الذهن عوامل الدراسة والتقصي.

الزمن والإنسان

في قسم آخر من الآيات القرآنية، نلتقي مع الزمن في بعده المسيطر على الإنسان والحياة، حيث لا يكون بمقدور البشر التأثير على حركته والتحكم في وحدته، إنما يمضي حسب القانون الكوني الذي وضعه الله -تعالى- وبذلك سيطرت الوحدات الزمنية على الأشياء والكائنات، حتى أصبح الزمان هو الإطار الذي لا يمكن للإنسان أن يتحداه أو يخترق قوانينه. وحين يقرأ هذا القسم من الآيات، يلاحظ أن القرآن الكريم، جعل من الزمن مادة تأمل للإنسان من أجل أن يكتشف عظمة الله -تعالى- وقدرته كأساس؛ لتثبيت إيمانه به -سبحانه- هذا بالنسبة للزمن الدنيوي. أما الزمن الأخروي في ما يعتقد بالنسبة إلى عالم الآخرة، فإن القرآن -أيضاً- كشف عن أبعاد الزمان فيه. وإن كانت الأبعاد غيبية تقرب أو تبعد عن أبعاد الأزمنة الدنيوية، إلا أنها تلامس المعقول، وستأتي الشواهد مع التفصيل عن ذلك في موضعه إن شاء الله. إن الزمان يؤثر بلا شك في تكوين الإنسان وبناء شخصيته، خاصة أن الأحداث التي يمر بها ويحدثها تتصل بشخصيته بها في الماضي والحالي أو المستقبل. لذا فإن هذا كله يخلق إنساناً أكثر ثقافة، وأعمق تجربة في الحياة، وأجدر على مواجهة التحديات، وأقدر على السير في ظل التعقيدات الفكرية، والاجتماعية، والاقتصادية من خلال ما يجني من تجارب وخبرات. لذا كانت نظرة الإسلام إلى الزمان تدخل في إطار تنظيم الإنسان له، وإدراك أبعاده، على أن تكون واضحة دقيقة. وتعتبر هذه النظرة مفروضة عليه فرضاً، ولعلها التي شملت الحياة الإنسانية منذ آدم -عليه السلام- فصورت واقع زمانه في لوحة جمالية، وفتحت أمام ناظره أزمنة غيبية بدت معالمها في الكثير من القرائن والإشارات. " إن فكرة الزمان كانت قد هيمنت منذ البداية على مجمل أنماط النشاط الثقافي التي مارسها الإنسان في القديم، وظهرت موضوعاً أساسياً يتداخل في مختلف الأجناس الأدبية، والأعمال الفنية، والبحوث النفسية، والدراسات الفلسفية والنقدية في الوقت الحالي " (1). ويعتبر أحد أهم عناصر التجربة الإنسانية، فيعكس ملامح

(1) مطلق؛ حيدر لازم، الزمان والمكان في شعر أبي الطيب المتنبي، ط1، عمان، دار صفاء للنشر والتوزيع، 2010م، 21.

العصر وحدود الأحداث. وقد حرص الإسلام من خلال سور القرآن الكريم وقصصه، إظهار الأزمنة الماضية، معطياً صورة معاينة ومشاهدة لمن يمعن بعقله في بنائها. فيمر بنا القرآن في قصصه تلك بأنبياء ورسول، مصوراً واقعهم وحياتهم، فيأتي بقصص لبعضهم -عليهم السلام- ليجسد زماناً طغت فيه الأفكار الظالمة، وعبدت الطبيعة "الأوثان والنجوم والكواكب" فجاء بمشاهد تصورت فيها الحياة الاجتماعية ومن تلك القصص قصة قوم نبي الله لوط - عليه السلام - وما حلّ بهم، مصوراً بشاعة طباعهم، ودناءة أخلاقهم. وهكذا تتوالى القصص مع مكوك الزمن الذي تتابع فيه، لرسم لوحة عن الماضي، عن تاريخ البشرية، وأهم المحطات التي وقعت فيها أحداث الماضين، التي تعتبر للعاقلين تجارب يستفاد منها، وعبراً تؤخذ عنها. لم يكتف القرآن برسم صور الماضي في مشاهد تعد الأكثر جمالاً بنائياً، حيث رسم صور الواقع الذي نزلت فيه الأحداث المختلفة على مر الدهور، وكانت مترامية في كثير من سور القرآن، وقد أعطي لكل حدث ثوبه الزماني، فرسمت أجزائه وواقعته بدقة متجلية باهرة تسحر الأفهام. ولا عجب أيضاً عندما يتألق القرآن في رسم - بعض سور - لخوارق في زمن المستقبل، لا شك في ثبوت صحتها، حيث أكد ذكر خوارق علمية مستقبلية مبسطة في مظانها، وأنه من قبل عرض مشاهد قد غفلت عنها كل الأذهان المحوسبة للتاريخ من قصص الماضين، كما وذكر قصصاً لا يمكن لعربي أمي أن يدلي بها من دلاء البشرية، وإن كان موهوب الخصال، حتى أتى القرآن بها، مكتسبة بلباس بهي ناصع في الظاهر، بديع في الباطن؛ ليؤكد النبوة، وصدق الرسالة، وحقيقة وجود الخالق.

طي الزمان في القرآن

الزمان عنصر من العناصر التي خلقت لتحقيق مصالح العباد، وتختلف هذه المصالح من فرد لآخر، ومن مخلوق لآخر. فالزمان يحس به الشخص المكروب بطيئاً، بينما يحسه الشخص السعيد يسير سريعا. ويحس به المشغول بشكل يختلف فيه عن إحساس المتفرغ. وإحساس الطفل به لا يماثل إحساس الكبير، فالطفل قد لا يشعر بالزمن يمر، أما الكبير فيحسب دقائقه وثوانيه.. إلخ. والقرآن لم يقف عند هذا الحد من رسم معالم الزمان، إنما رسم صورة معجزة له، تدل على قدرة الله - تعالى - المطلقة، إنها صورة طي الزمن على الحقيقة لا الخيال، السمة التي لا تحس فقط، إنما هي واقع حقيقي، وذلك عندما جعل الزمن الطويل الذي تحدث فيه آلاف الأحداث يطوي الأحداث معه بشكل يختلف عن شكلي التلخيص والحذف؛ لأنه يبقي الشخصية كما هي، لا يتغير منها شيء، ويطوي الأحداث الكثيرة محافظاً على استقرار الشخصية، ويعرض أحداثاً لا يمكن أن تحدث من

شخصية بشكل طبيعي إلا بعد أن يمر الزمن مروراً طبيعياً. وبالمثال يتضح المقال، فقد طوى الله- تعالى- السنوات الطوال بأحداثها، فجعل عيسى-عليه السلام- يتكلم في المهدي، وكان جسمه جسم طفل، فقد طوى له الزمن بأحداثه؛ إذ إن مثله لا يقدر على الكلام. وطوى الزمن لأصحاب الكهف، فعاشوا ثلاث مائة سنة وازدادوا تسعاً، قال تعالى: ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ (الكهف: 25) بينما كانت شخوصهم ثابتة، ولم يكونوا يشعرون بما مر بهم من تلك السنوات، حتى إن الباحث لا يرى صحة ما جاء في روايات ما تصف طول شعورهم، وأظفارهم؛ لأنها لو كانت كذلك لأحسوا بعامل الزمن الذي استغرقوه في نومهم، ولكنهم قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم، قال تعالى: ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ (الكهف: 19)، كما أنهم أرسلوا أحدهم بنقودهم لشراء بعض ما ينفعهم، ولو أنهم أدركوا مدتهم لما أرسلوه؛ لأنهم متأكدون أن ورقهم "تقودهم" قد مر عليها الزمن الطويل فحتماً لن تكون منها فائدة. إذن هذا طي للزمن بأحداثه مع ثبات شخوصهم. وكذلك تلك القوة التي منحها الله-تعالى- للرسول عندما أسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، قال تعالى: ﴿سَبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى﴾ (الإسراء: 1) فقد طوى له الزمان والمكان معاً، تماماً كما طواه لعفريت الجن صاحب نبي الله سليمان، قال تعالى: ﴿قَالَ عَفْرَيْتُ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِي أَمِينٌ﴾ قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيتك به قبل أن يرتد إليك طرفك﴾ (النمل: 39-40).

الزمن الغيبي في القرآن

الزمن الغيبي هو " ما انطوى عليه من الأخبار بالمغيبات ما لم يكن، وما لم يقع، فوجد كما ورد على الوجه الذي أخبر الله به؛ كإخباره عن الفتح، وعن غلبة الروم، واستخلاف الله المؤمنين في الأرض، كقوله تعالى: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ (القمر: 45)، وقوله تعالى: ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾ (التوبة: 14)، وغير ذلك من كشف أسرار المنافقين واليهود " (1). وما تضمن من أخبار قصص الأولين والمتقدمين في الزمن الماضي الغيبي، قال تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾ (هود: 49) ومنه قوله تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ﴾ (الفتح: 27)، وقوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ (النور: 55)، وقوله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ﴾ (الفتح: 16). وفي

(1) العامري، بهجة المحافل وبغية الأمائل، 2: 226.

الزمن الغيبي " لا مجال للعقل البشري في معرفة الحياة الثانية وإدراكها، ولا في بدء نشأتها وكيفيه وجودها... إن نشأة الحياة الثانية مرد معرفتها إلى إخبار الله-تعالى- في كتبه، وأخبار رسله عليهم الصلاة والسلام "(1). وتبدأ الحياة الثانية بعد مضي أربعين سنة، لا ندري هل أيامها وشهورها مقدرة بأيام حياتنا هذه، أو بأيام وشهور أخرى لا تخضع للنظام الشمسي. بعد مضي هذا الزمن ينزل من السماء ماء فتنبت الأجسام تحت الأرض كما ينبت البقل، وذلك بواسطة تفاعل الماء مع بذرة الحياة، التي هي عبارة عن عظيم صغير يوجد في آخر فقرات الظهر من كل إنسان... فإذا تم الخلق، واكتمل النمو يرسل الله-تعالى- الأرواح التي قبضها ملك الموت، فتدخل الأجساد كما خرجت منها، ثم يقوم الناس للعرض والحساب(2). كل ما سبق جادت به ألفاظ وآيات قرآنية، كيوم القيامة وأسمائه، والخلود، والأبدية، وزمن البرزخ... إلخ.

علاقة الزمان بالمكان في القرآن

لقد أشار المولى- سبحانه- إلى " سبق المكان للزمان، قال سبحانه: ﴿خُلِقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ (الأنعام: 1)، والمقصود بالظلمات والنور: "الليل والنهار"(3). يقول الزركشي: " وهذه مسألة مهمة لكل من تعرض لها، أعني سبق المكان على الزمان " (4). كما إن الله-تعالى- أقسم بهما، لعظم مكانتهما عنده، فهما آيتان من آياته، حيث أقسم بالعصر، والفجر، والصبح، والنهار، والليل، والشمس، والقمر، وقد قرن قسمه ببعض تلك الأزمنة مع قسمه بالمكان، فأقسم بالأرض، والسماء، والجبال، وغيرها. ودلالة ذلك إكسابهما تعظيماً، وتشريفاً، فضلاً أن كل المخلوقات تحظى بهما نعمتين من أنعمه. كما إن الله-تعالى- قرن بعض ألفاظ المكان بالزمان، قال تعالى: ﴿تَعْرَجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ (المعارج: 4)، والعروج بمعنى "الصعود" نحو جهة الأعلى، والذي يستغرق زمناً بحساب فلكي أو خارج عن الإدراك. وقال تعالى: ﴿تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأْبًا﴾ (يوسف: 47)، ولما كان الزرع من الأرض، فقد ارتبط به زمن السنين السبع. إن لهذا الارتباط مغاز ودلالات، منها أن تلك الحركة للكون لا تحسب إلا إذا بدأ الإحساس بالأحداث في إطار من الزمان والمكان، فليس من حدث يخلو من أحدهما،

(1) الجزائري؛ أبو بكر جابر، عقيدة المؤمن، د ط، المنصورة، مكتبة الإيمان، 1418هـ، 271.

(2) ينظر، الجزائري؛ عقيدة المؤمن، 272.

(3) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 776.

(4) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 776.

لكي يسجل من خلال الإحساس والإدراك. كما إن القرآن ربط المكان بالزمان في شؤون العبادات، فما من عبادة شرعها إلا وحدد المكان أو وصفه، والزمان الذي توجب به أو تستحب أو تكره أو تحرم. الصلاة أقت وقتها، قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ (النساء: 103)، وحدد مكانها أيضا بالمساجد، وكل مكان طاهر. والزكاة أوجبها وحدد موعد أدائها، قال تعالى: ﴿وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ (الأنعام: 141)، وحدد مكان أدائها، للمسكين الذي ضاق حاله وسكنه، ولذي مترية الذي افتقرش التراب، ولابن السبيل "الطريق" والحج أوجب في ذي الحجة، وحدد ابتداءه وانتهاءه، وحدد المكان الذي يؤدي فيه، قال تعالى: ﴿الحج أشهر معلومات﴾ (البقرة: 197)، وقال تعالى: ﴿وَلِيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ (الحج: 29). وأماكن استحبت العبادة فيها بأوقات مخصوصة كالعمرة، وخطبة الجمعة للإمام على المنبر بعيد الأذان، وصلاة تحية المسجد، فور دخوله. كما أنه سبحانه استحب أو كره عبادات في أزمنة أحيانا حدد وأحيانا لم يحدد مكانها، ككراهة الصلاة بعد الفجر، واستحباب الدعاء والتسبيح، بعد الصلاة وحين الغدو والأصال، دونما تحديد مكان. واستحبت عبادات في أمكنة لم يحدد زمانها كاستحباب زيارة قبره - صلى الله عليه وسلم - مكان فتح زمان الزيارة فيه.

الزمن والشخصية في القرآن الكريم

بحركة الزمن تسجل حركة الإنسان، والأحداث التي يقوم بها، أو يمر فيها، ولذا فإن الإنسان متلقيا كان أو غير ذلك يتأثر به، وعندئذ يبدأ الزمن زمنا نفسيا، يسجل غضبه، وفرحه، وانتظاره، وإقدامه، فيتسارع الزمن في نفسه-حيناً- ويتباطأ-أحيانا- فتمر اللحظة كأنها الدهر كله، أو تمضي سريعة كهبوب الريح. فإن المشهد الذي عاشه نوح -عليه السلام- ألف سنة إلا خمسين عاما، وهو في خضم الدعوة، تتوالى عليه الأيام والشهور والسنون، في تكرار عجيب لطرق الدعوة، حيث استغرق كل أساليب الدعوة، فكانت الأيام تمر عليه عصبية شديدة، إلا أنه صبر واستحق أن يكون من أولي العزم من الرسل. فإن نوحا أكد أن عجلة الزمن لن تعالج مشكلة قومه المنكرين، لذلك استبعد على من يولد أن يتبعه ويؤمن بالله - تعالى- وهنا ترسم الآية معاناة نوح -عليه السلام- على مر السنين الطويلة، قال تعالى: ﴿وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا*إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا﴾ (نوح: 26-27). ويعبر الزمن عن معرفة نوح -عليه السلام- بقومه معرفة جلية، فقد بلغ بطباعهم أنها لا تقبل أبدا بدعوته، وما جاءهم به. وكان الزمن في حالة كهذه متوقف عن أن يكون علاجاً لمشكلته معهم، فبادئ أمره معهم كنهايته، لم يتغير فيهم شيء.

وظهرت الشخصية مع الزمن في رابط وشائج قوي، سجل قمة الإعجاز، عندما جاءت مريم العذراء-عليها السلام- تحمل وليدها، الذي لم يتجاوز سن الحكيم، أو حتى المناغاة، فافتحم بقدرته التي أعطاه الله -تعالى- إياها من النطق بعيد الولادة سجل الزمن؛ ليتقدم سنين طويلة، ويظهر من السياق أن عجلة الزمن مع الحدث بيد الله - تعالى- فلما أشارت إليه بدأ حديثه، كأنه أحد الرجال، فنطق بالحق، وكشف عن مظهر من مظاهر القدرة الإلهية. إن هذا زاد القصة ولوعا، وجمالا في الترقب الذي حصل من مجيء مريم إليهم، تحمله بين حناياها، والكل يحدق بصره، ويرخي سمعه، ويجمع قوى عقله، لتدبر المشهد. إنه سبق الزمن، الذي طوى نفسه إليه متجاوزا كل الحوادث التنموية للشخصية. فعجبا عجا لمن لا يدرك!. هذا وإن الترتيب المتعاقب للزمن في الخطاب " لا يهدف بناء حكاية تقليدية، إنما يهدف إلى تكوين حالة متوترة، لا تولي للترتيب الزمني أهمية كبيرة، إنما تجمع المشاهد والمواقف؛ لتكشف الحالة النفسية للشخصية الرئيسية " (1)، وذلك كقوله تعالى: ﴿اقتربت الساعة﴾ (القمر: 1). إن هذا الحديث بتلك الصورة عن الساعة، واقترب موعدها، والإخبار بقدمها، يمنح النفس إثارة تجاهها، لترقبها، والعمل للفوز بما بعدها. إنه أسلوب الإخبار المحفز والمرعب في الآن ذاته. محفز نحو المبادرة بما يمنحه لنفسه من النجاة مما بعد وقوعها. ورعب وخوف ينتابه مما قد اقتربت يدها؛ لأن ذلك سيجر عليه بعد وقوعها حسرة وندامة وعذابا.

والزمن في القرآن لا يسجل حدثا تاريخيا فحسب من خلال القصص، إنما يعرض أحداثا تتكرر، لذا كان في استخدام المضارع حظوة كبيرة في التعبير القصصي، فإن " استعمال الفعل المضارع بدلا من الماضي في السرد، يعطي دفعة قوية لعامل التوتر، الذي يبقى مهيمنا على الرواية بشكل يجعل القارئ مشدودا إلى قراءتها " (2). ولم يعد البناء القصصي مكتفيا بالسرد، والحوار، والتعليق، والتفسير... بل هو تعبير فني، يوحي بالدلالة الفكرية (3). وكثيرة هي الأفعال الدالة على الاستمرار في القصص القرآني مما يوحي بتلك الديمومة والحيوية للأحداث.

ولقد ربط القرآن الكريم في مواضع عديدة بين الزمن وبين حياة الإنسان في الدنيا، ومصيره في الآخرة، على ضوء ما يتيح له فهم طريقه من بدايته، وإلام ينتهي. حيث وضح القرآن الكريم أن

(1) إبراهيم؛ عبد الله، البنية السردية في رواية أنت منذ اليوم، الأعلام، العدد 5، د د، 1993 م، 86.

(2) هادي؛ ميسلون، اقتفاء الشك أم ارتكابه، صراخ النورس، العدد ألف باء، 1997 م، 26.

(3) العالم، محمود، تأملات في عالم نجيب محفوظ، د ط، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر،

1970م، 49 .

الناس يوم الحساب ينظرون إلى حياتهم التي عاشوها في الدنيا. كلحظات سريعة خاطفة، وأن العمر الطويل الذي قضوه على الأرض لم يكن سوى فترة قصيرة ضئيلة، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ (الأنعام: 140)، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (المؤمنون: 114) وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾ وقال الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (الروم: 55-56). ورغم أن هذه النظرة واقعية من الزاوية العلمية على أساس أن الزمن الأرضي قليل جداً مقارنة بالزمن الكوني، إلا أن الذي يفهم - أيضاً - من السياق القرآني بهذا الخصوص هو آثار قيمة الوقت الحركية عند الإنسان، ووضعه أمام حقيقة الزمن ومفرداته؛ ليتحسس أهميته وحركته بدقة، فيشعر أنه لا يملك وقتاً فائضاً ليضيعه، إنما أيامه قليلة في الحياة الدنيا، وعليه أن يحرص كل الحرص لاغتنام كل ساعة من ساعات عمره. وهذا واضح في القرآن الكريم من الآيات التي تضع الإنسان أمام حقيقة صارخة بشأن حركة الزمن... حقيقة تشير الفرع في نفسه، وتحرك في داخله شعور القلق على مصيره، إذا لم يستثمر عمره لفعل الخير وبناء الحياة الطيبة، قال تعالى: ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ﴾ * قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِينَ * قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ (المؤمنون: 112-114). مما تقدم يتكشف بوضوح أن القرآن الكريم، أعطى للوقت أهمية كبيرة، وعالج حقيقة الزمن من أبعاد مختلفة، تلتقي كلها في قاسم مشترك واحد، هو دور وأثر الزمن في حياة الإنسان. وقد نجحت الآيات القرآنية أن تحرك عند الإنسان إحساسه الواعي.

آثار الزمان في النص القرآني

- إن الزمن في القرآن جاء جزءاً لا يتجزأ من معتقد الإنسان وشريعته، فقد كثرت الأحداث في القرآن الكريم التي طولب الإنسان بالإيمان فيها، وهي في دروب الغيبات التي جعلت ثلة ليست بالقليلة من الناس تحارب أخرى لأجلها، كعودة الإنسان بعد الموت. والإسراء والمعراج، وكلام المسيح في المهدي. فقد أثبت القرآن بدلائل القدرة الإلهية المتعددة، وجود زمن غيبي آخر، فوق التصور والإدراك. وعندئذ إذا أنكر الإنسان حدوث هذا الزمن، فإنه يكون على غير الجادة من أمره، ولعل هذا الأمر أحد أكبر أساس مراكز الصراع بين الإيمان والكفر.

وجاء الزمن في القرآن، ليجعل القصة حيوية، وليعطيها القدرة على الولوج للنفس دونما مشقة، وإن كان الباحث ينكر استخدام الحيلة الفنية في القصة القرآنية؛ لأنها صفة لا تليق بالله - سبحانه- لكنه يؤكد على أن كسر التراتيبية فيها هو أحد المزايا التي أكسبت القصة فعاليتها وديمومتها وجمالها، ولا نسمي هذه حيلة، ربما هي حكمة اقتضتها القصة، أو تراتيبية لها أهداف ومغاز. أما في غير القصة القرآنية فيمكن القول فيها أن " ليس العيب في الزمن وتكسير تراتيبه سوى حيلة من أهم الحيل الفنية في الرواية " (1).

- الأحداث في عالم الآخرة وإن كانت مبثوثة في آيات القرآن وسوره، إلا أنها تتشكل وتتكامل؛ لتعطي صورة جلية متسلسلة متتابعة تتمرلج لتبدأ من اللحظة الأولى لحظة التهيئة لذلك اليوم عند المرور بأحداث الأرض المضطربة. فالسمااء تنفطر، والأرض تتشقق، والجبال تنسف، والنجوم تتناثر. وتليها أحداث فناء الكون ثم قيامة الخلائق ثم العرض والحساب.. إلخ. كل ذلك ببداعة وبراعة وتصوير مبهر، وكأن تلك الأحداث بمشاهدها معرض يتراءى أمام القارئ، والسامع.

- إن الأحداث والأفعال ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالزمان والمكان، فهي بالزمان محدودة على حيز المكان موجودة. كما إن الزمان في القرآن الكريم إذا ما جاء في الأخبار أو المعتقدات إنما يكون حقيقياً لا خيالياً، مثل الخبر نفسه أو المعتقد تماماً. فلما كانت القصة فيه حقيقية الأحداث، فالزمان فيها حقيقي أيضاً.

وثمة فرق بين حقيقية الزمان من حيث ماهيته وواقعيته في الأخبار أو المعتقدات، وبين تراتيبيته. فترتيب أزمنة الأحداث استرجاعاً، واستباقاً، وحذفاً، وتلخيصاً، ووقفه، ومشهداً، إنما هدف إلى الإثارة والتشويق وإحداث الانسجام، وتحقيق الفائدة. وهي ليست مرتبطة بالتخيل، وإن كانت استرجاعاً، أو استشرافاً، أو اقتضاباً، وإسهاباً. إنما تكون مرتبطة بالحكمة المتحققة منها؛ لأن القصة بحد ذاتها تعتبر استرجاعاً خارجياً في سياقها الذي أنتت به. فقد سيقنت القصص؛ لتثبيت قلب محمد-صلى الله عليه وسلم- ولأهداف أخرى، ولم يكن المقصود منها الإمتاع فقط.

(1) النعيمي؛ أحمد حمد، إيقاع الزمن في الرواية العربية المعاصرة، ط1، عمان، المؤسسة العربية للدراسات، 2004م، 36.

- الزمان في القرآن الكريم دالة حقيقية، تدل على معرفة الخالق -سبحانه- بأحوال العوالم وأحداثها؛ وعنده علم كل ما في الوجود حاضرا، وغائبا، وماضيا، ومستقبلا.

أما علمه بالوجود الحاضر، فإنه يعلم حاضرا الآن، وحاضر كل شيء، وعلمه بالوجود الغائب؛ فإنه يعلم الموجودات الغائبة عنا الآن، فثمة أمور موجودة وقائمة في تلك اللحظة، وفي أماكن أخرى هي غائبة عنا، كحاضر ما يفعله بنونا أو إخواننا الآن من حيث لا نراهم، ولكنه هو يعلم أفعالهم، وحدود أزمنة تلك الأفعال، وهذا يؤكد علمه المطلق بحركة الزمن منذ بدأ وحيثما ينتهي، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ (الأحقاف: 23)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ (لقمان: 34). ومن أمثلة الزمان المجهول الغائب، علمه بالخلائق المجهولة عنا، مثل: علمه بالملائكة، والجن، وأحوال الموتى بأزمنتها، وهي بالنسبة لنا مجهولة وغائبة.

أما المجهول الغائب الماضي، فإنه يعلم ما الأفعال والأحداث التي حصلت في الماضي القريب، والماضي البعيد، رغم غيبة الأحداث والأفعال عنا، فقد مرت في الزمن الماضي ولم نعش معها إلا أنه يعلمها، وكذلك الأحداث الحالية الغائبة والمجهولة عنا مما لا نعلمها، إنما يعلمها الله - سبحانه - مثل: علمه بالملائكة الذين يطوفون حول البيت المعمور كل يوم، فإنه يعلم عددهم، ومن أين يأتون؟ وماذا يفعلون؟ وإلام يتوجهون؟ وعالم الجن الذي نجهله، ويغيب عنا إدراكه، والإحساس به، وهو بيننا قائم. والأمر نفسه على الأحداث المستقبلية فإنه يعلمها بأزمنتها، ويقدرها بأوقاتها، وهو بها خبير، وهي عنا غائبة مجهولة أيضا، كالأحداث والأفعال التي ستكون بعد اللحظة الآتية.

- إن الزمان في القرآن الكريم ارتقى من تصوير الحالة الواقعية المحدودة بقدرات الإنسان، إلى تصوير حالة واقعية خارقة السعة، وخارجة عن قدرات الإنسان. لتستوعب جميع الخلائق بأفعالها في عالمي الدنيا والآخرة. فالحياة والموت، والبعث، والمصير الأبدي، والحركة، والسكون، والأفراح، والأتراح، كل ذلك داخل نطاق علمه سواء في عالم الحياة الدنيا، أو عالم الموتى، أو عالم الآخرة.

- الزمان في القرآن الكريم إشارة للعظة والتدبر والاعتبار، وذلك عندما سيقف فيه قصص الماضين من الأمم الخالية، وبما فيه من آيات معجزات حاضرة، وما يحتوى من تنبؤات مستقبلية باهرة كل ذلك سيق؛ ليجد له في قلب الواحد منا مسلكا نحو الإيمان بالخالق سبحانه وتعالى.

- الزمان في القرآن الكريم دليل القدرة الإلهية على استحضار السابق والحاضر والمستقبل، ودليل الإحاطة العلمية بالموجودات، قال تعالى: ﴿فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا﴾ (الفتح: 18).

- الزمان في القرآن الكريم نسيج من التصوير البديع الذي يساعد على تقريب المفاهيم للنفس، فتزيد من نسبة الإثارة والدافعية فيها، والأخذ والانتفاع منها. فتتابع الأحداث ومجرياتها بنظام معين مجاله الاسترجاعات الماضية، والاستباقات المستقبلية، والوقفات، والمشاهد، والخبر، والحوار، والسرد، وكلها عوامل تهدف لتحقيق الدافعية عند المتلقي.

- الزمان يمثل خلقاً من خلق الله - **تعالى** - دالاً على قدرته وعلمه - **سبحانه وتعالى** - وهو في القرآن - **الزمان** - صورة تحكي هذا الخلق بالكشف عن مظاهر العوالم الدنيوية والأخروية، وما يدور في فلكهما من أحداث صنعتها قدرته - **سبحانه وتعالى** - فذكر مظاهر الحيات عند المؤمنين، وعند الكافرين في الدنيا والآخرة، والكشف عن ديمومة بدأت من الدنيا للخلق جميعاً، وأبدية محتومة لهم في الآخرة، كما أشار بعلمه عن أوقات الدنيا بأيامها، وشهورها، وسنيها، وليلها، ونهارها، وغير ذلك. وأوقات الآخرة، بأيامها والإشارة إلى أبديتها. **فالشَّمْسُ** أقسم الله العظيم بها، لأنها عظيمة الخلق، تحصل منها فوائد جمة، وقيم تترأ، تأملية، وجمالية. لذا عبدها المجوس، وحُق لإبراهيم - **عليه السلام** - التدبر بها. فالنظر إلى أشعتها وضياؤها التي بهما نفع للإنسان، وهو لها صاحب حاجة، والنبات التي لا تثبت بصنوفها حتى تطلع عليها، فتبسط حرارتها بقدر عليها، وصنوف لا تثبت حتى تغيب زيارتها عنها. طلوعها يؤذن بولادة النهار، وأقولها بانتهائه، في حين سمح لليل أن يدخل عباءته. وحرارتها التي لها تأثير على بشرة الإنسان، وجلد الحيوان. وهي تلك التي تنقسم منها أزمنة السنين إلى شهور، ثم لأيام، ثم لأوقات، منها: الفجر، والضحى، والظهر، والعصر، والمغرب، والعشاء، والهجرة، والزوال؛ لتبدأ تراتبية الحياة بأحداثها وأنماطها. وكذلك مكنت للأرض أن تنقسم إلى مشارق ومغارب **"شرق وغرب وشمال وجنوب"** وميلها وخسوفها، وكسوفها، واصفرارها، واحمرارها، وألوان القزح التي تتبع من شعاعها. والصبح ونوره، والمساء وغمته، والغدوة وبهجتها، والروحة وكحلتها. كل هذه وغيرها، تجتمع تحت لواء الشمس، فكان لها الجدارة أن تكون آية من آيات الله تستحق قسمه سبحانه.

تقانات الزمان في النص القرآني

هناك العديد من تقانات الزمن برزت في القصة القرآنية، وتنقسم تقانات السرد الزمني إلى ثلاثة أقسام هي: الترتيب، والديمومة، والتواتر.

أولاً: تقانة الترتيب، وفيه: الاسترجاع والاستباق

الاسترجاع

تعددت مصطلحات العودة للماضي، فهناك من يستخدم مصطلح "سابقة زمنية" مثل "مراد مبروك" في كتابه "بناء الزمن في الرواية العربية المعاصرة" بينما يسميها "سمير المرزوقي" و"جميل شاكر" باللاحقة والاستذكار (1). والباحث يرى أن أنسب المصطلحات السابقة إنما هو الاسترجاع، لأنه يحمل معنى العودة لسرد الماضي دون أن ينعت بالنقص. إذ إن اللاحق والاستذكار مصطلحان يحملان صفة الغفلة والنسيان. فالملحق "المستدرك" إنما يقع في حال غفلة. والاستذكار يقع في حال نسيان، وليس هذا ما يراد عندما يستعرض القاص في عمله القصصي أو الروائي الأحداث الماضية. فكيف بالقرآن المبرأ عن كل عيب ونقص.

تعريف الاسترجاع:

"يتمثل في إيقاف الراوي مجرى تطور أحداثه، والعودة... إلى الماضي؛ ليحيلنا إلى أحداث سابقة للنقطة التي وصل إليها، وتختلف مستويات العودة بالذاكرة إلى الوراء، بين الماضي القريب والبعيد للنص القصصي" (2). و"يعتمد الاسترجاع بأنواعه المختلفة على الاستدعاء" (3) أي: استدعاء الصور الماضية لغرض أو أغراض تكون للقصة بمثابة الجزء الذي لا يستغنى عنه -غالباً- إذا كان يرتبط بالأحداث المختلفة والمهمة ارتباطاً جوهرياً. و"إن الانحراف بزمن الخطاب (المبنى) لكي يختلف عن زمن القصة (المتن) يفضي إلي خلق حالة من الترقب والتأكد. كما أن الانطباع الذي يتركه ترتيب الأحداث حسب تسلسلها الزمني، يختلف عن الانطباع الذي يتركه في نفس القارئ فيما لو غيرت هذه الأحداث، وامتلكت تقديماً وتأخيراً. والأهمية القصوى تعطى عادة لترتيب

(1) النعيمي، إيقاع الزمن، 33.

(2) بوطيب؛ عبد العالي، إشكالية الزمن في النص السردى، مجلة فصول، العدد 2، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1992م، 134.

(3) الشوابكة؛ محمد على، السرد المؤطر في رواية النهايات، البنية والدلالة، د ط، عمان، مطبعة الروزنا، 2006م، 71.

الأحداث داخل السرد، أي آلية ترتيبها داخل الخطاب دون اعتناء بترتيبها على وفق واقعها التاريخي الذي وقعت فيه " (1).

أبعاد الاسترجاع:

" إن "استرجاع" الأحداث، أو الوقائع الماضية، يأخذ أكثر من بعد، فقد يكون الماضي على شكل وخزات ضمير، وقد يكون على شكل اعتزاز بالنفس لما حققته الشخصية من إنجازات، بمعنى أنه قد يكون لذلك الماضي علاقته بمحاولة استشراف المستقبل، وقد يكون أحد الحوافز التي تدفع الشخصية لمحاولة تجاوز واقعها، وصنع مستقبل جديد... وكثيراً ما يعود الإنسان إلى الماضي؛ لأنه أضحى مكشوفاً لا خوف منه، كما هو حال المستقبل " (2). ومن استرجاعات القصة القرآنية التي أخذت شكل وخزات الضمير، مراجعة ملكة سبأ " بلقيس " لنفسها، واستنكارها أيام شركها التي مضت، وذلك لما وصلت سليمان -عليه السلام- ورأت الصرح وأيقنت أنه خلق عجيب، وأسلمت حينها، قال تعالى: ﴿قِيل ادخلي الصرح فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها قال إنه صرح ممرد من قوارير قالت رب إنني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان الله رب العالمين﴾ (النمل: 44) وكان لما رأته أثر بالغ في استرجاع ما كانت عليه من الشرك، والأسف على ما سلف من الماضي، والاعتذار منه لله - تعالى - والإسلام مع سليمان. وكذلك استرجاع موسى -عليه السلام- لذنبه، قال تعالى: ﴿قال رب إنني ظلمت نفسي﴾ (القصص: 16)... إلخ.

أشكال الاسترجاع:

الاسترجاع المؤلم: فيه تتذكر الشخصية -أو تعيد علينا- ما هو مؤلم في حياتها، أو حياة غيرها. ومثله ما استرجعه نبي الله - تعالى - نوح -عليه السلام- من عصيان قومه لربه، رغم دعوته لهم من كل وجه وسبيل، ورسم هذا الاسترجاع ملامح الجحود الذي كانوا عليه، واستمروا به، قال تعالى: ﴿قال نوح رب إنهم عصوني واتبعوا من لم يزد ماله وولده إلا خساراً﴾ (نوح: 21)، إنه الألم النفسي الذي عاشه نوح -عليه السلام- بعدما أدرك أن نفوسهم لن تصلح، وقلوبهم لن تدعن، فهو يعيش هذه اللحظة المؤلمة لأنه يعلم ما سيعقب ذلك من عقابهم في الدنيا والآخرة.

الاسترجاع السار: حيث تتذكر الشخصية - أو تعيد علينا- ما هو سار في حياتها أو حياة غيرها. ولقد كانت رؤيا نبي الله يوسف -عليه السلام- خيراً من بداية القصة أثناء طفولته، واسترجع تلك

(1) الشوابكة، السرد المؤطر في رواية النهايات البنوية والدلالة، 73.

(2) النعيمي، إيقاع الزمن في الرواية العربية المعاصرة، 32.

الرؤيا بعدما رجع إلى أبيه وإخوته في نهاية القصة؛ ليكون بذلك قد حقق بشري الفرح، ورؤيا النبوة، قال تعالى: ﴿هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلِ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾ (يوسف: 100).

الاسترجاع المحايد

فيه عودة إلى أحداث ماضية، لا يستطيع المتلقي الجزم بمدى تأثيرها إلا في مراحل لاحقة من السرد(1). وذلك عندما لجأ يوسف إلى ربه مناجيا إياه، مسترجعا في حضرته مشاهد فتن النساء التي تلاحقه، من امرأة العزيز إلى نسوة المدينة، قال تعالى: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ﴾ (يوسف: 100). ولم يستطع المتلقي في البداية اكتشاف السر من السجن إلا في مراحل لاحقة من القصة، وذلك عندما كان لصاحبيه في السجن رؤيا ساهمت مساهمة كبيرة في إحداث تطور عجيب في حياة النبي، إنه تطور شخصيته من تبعية العزيز إلى القائم على خزائن مصر.

وظائف الاسترجاع

إنه لما كانت قصص الأنبياء في القرآن تهدف إلى التسرية عن رسول الله، والتخفيف عنه، وكانت دروسا وعظات وعبرا لأتباعه، عندئذ يرى الباحث أنها جميعا تعد لذلك استرجاعا داخل النص القرآني حيث إنها أنت في سياق الإنباء والإخبار للرسول محمد- صلى الله عليه وسلم- وعلى ذلك فالاسترجاع يمثل مساحة ليست قليلة في النص القرآني. وأهم فوائد الاسترجاع:

- 1- إعطاء معلومات عن ماضي عنصر من عناصر الحكاية " شخصية - إطار - عقدة "
- 2- سد ثغرة حصلت في النص القصصي.
- 3- ترجيع أحداث ماضية وقع إيرادها فيما سبق مع السرد(2).

أنواع الاسترجاع:

أولاً: استرجاع خارجي: يعود إلى ما قبل بداية القصة.

ولقد استرجعت قصة إبراهيم على مسمع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إذ إن الله - تعالى- سلى قلب نبيه بذكر السابقين من الأنبياء، وثبت فؤاده بما مر بهم، وهذه القصة من تلك القصص التي تدفع عنه الحيرة، وتنتهياً لمواساته- صلى الله عليه وسلم- قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾ (الأنبياء: 51)، وهذا استرجاع للماضي في سياق خطاب الله - تعالى- لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم. وتم استرجاع حالة الآباء التي ورثها الأبناء عنهم، والتي ساهمت في

(1) ينظر، النعيمي، إيقاع الزمن، 35.

(2) النعيمي، إيقاع الزمن، 34.

تعزير نكرانهم لرسالة نبيهم، والإيمان بدعوته، قال تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ﴾ (الأنبياء: 53) وهنا يؤكد ما ورثه الآباء عن أجدادهم من عبادة الأصنام والعكوف عليها. وهذا الاسترجاع ساهم في تشدد قوم إبراهيم بنكران ما جاء به، والتمرد عليه، وتأجيج الموقف بينهم وبينه. وجاء الاسترجاع الخارجي في قصة هود-عليه السلام- عندما رجعوا إلى الورا، وتذكروا ما كان يعبد آباؤهم، قال تعالى: ﴿أَتْنَهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدَ آبَاؤُنَا﴾ (هود: 62).

وجاء الاسترجاع الخارجي بعد أن شهد رسول الله- صلى الله عليه وسلم- المكر من المشركين، حيث جاء الاعتبار بالاسترجاع الخارجي في قصة صالح- عليه السلام- عندما مكر قومه عليه، قال تعالى: ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مُكْرِمِهِمْ أَنَا دَمَرْنَا لَهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (النمل: 50-51).

وفي قصة "قارون" التي كانت تسلية لقلب النبي- صلى الله عليه وسلم- وتسرية عنه، وتخفيفاً من وطأة المشركين، كما كانت عبرة وعظة عندما اغتر الكافرون على رسول الله محمد- صلى الله عليه وسلم- بأموالهم، فبين لهم القرآن عبر تلك القصة أن أموالهم بجانب أموال قارون ليست بشيء. وإن بقي الحال منهم على هذا السوء فعندئذ ينتظرهم جزاء مشئوم، فكانت صورة قارون وضعفاء قومه نذيراً، منعهم من الاستمرار في اغترارهم. قال تعالى: ﴿وَأَتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ﴾ (القصص: 76) تذكر القصة هنا قارون وجهود استثماره، وإدارته لماله، واغتراره بهما. مع حالة الصلف والكبر في نفسه، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً﴾ (القصص: 78).

ثانياً: استرجاع داخلي

يعود إلى ماضي لاحق لبداية القصة قد تأخر تقديمه في النص. ومن صور الاسترجاع الداخلي في قصة نوح - عليه السلام- ذلك المشهد الذي يصور حال نفسه عندما كان داعياً، وكشف عن أسلوبه في الدعوة عبر سنوات طويلة سبقت، شاكياً لله- تعالى- أن دعوته لم تؤت معهم نفعاً، ولم تحقق هدفاً إلا في فئة قليلة منهم. وقد استعرض في هذا الاسترجاع صورة مؤلمة من صور الإنكار، والمعاندة، والمحاربة منهم له، قال تعالى: ﴿رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا* فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا* وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَعْصَمُوا وَاسْتَكْبَرُوا* وَاسْتَجَارُوا* وَإِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهَارًا* ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا* فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا* يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا* وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَبْنِيَنَّ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ (نوح: 5-12).

إن المتأمل في النص القرآني يدرك جلياً هذا الاسترجاع السريع الأليم الذي عرض بالصورة والحركة حالهم، والنبى يدعوهم في الليل والنهار، والسر والإعلان، لدرجة أنهم مع كثرة الدعوة والإلحاح عليهم بدعوا يسورون رؤوسهم بأغشيتهم لئلا يسمعو. والباحث يزعم أن هذا الاسترجاع فيما اطلع عليه أطول الاسترجاعات الداخلية في القرآن.

أما استرجاعات قصة موسى -عليه السلام- الداخلية، فقد كشف السرد في بداية القصة عن استضعاف فرعون للناس، وتمزيق حالاتهم الاجتماعية، وإشاعة القتل والإفساد، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ مِنْهُم طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ﴾ (القصص: 4). وقال تعالى: ﴿لَوْلَا أَنْ رِيطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لَتُكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (القصص: 10) فقد جاء السرد؛ ليذكر المتلقي بإمداد من الله - تعالى - لها بالعزم ورباطة الجأش، وهي تتهيأ لتنفيذ الوعد الإلهي بإلقاء ابنها في اليم وتركه في الصندوق. وفي قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ﴾ (القصص: 25) أعاد عليه أحداثاً سابقة، وجاءت كلمة "القصص" جمعاً؛ لتدل على أنه سرد عليه كثيراً من الأحداث التي تتسج منها مجموعة من القصص. ومن الاسترجاعات أيضاً، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾ (القصص: 33)، وهنا استظهر حدثاً سابقاً "القتل" ثم استغفر ربه منه. ثم عادوا لاستنكار ما عليه آباؤهم فلم يجدوا مثل الذي جاء به موسى - عليه السلام - من المعجزات شيئاً ﴿وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأُولِينَ﴾ (القصص: 36).

وفي قصة إبراهيم - عليه السلام - قال تعالى: ﴿مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾ (الأنبياء: 52) فتأخير كلمة "عاكفون" يشير إلى أن الشرك ديدن القوم، فهم عكوف على عبادة الأصنام التي كانت منذ زمن طويل. وجاء استرجاع آخر في قوله تعالى: ﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتَى يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾ (الأنبياء: 60) فقد تذكر بعضهم فعل إبراهيم الذي رآه أو تهديده بهدم الأصنام. وأيضاً، قال تعالى: ﴿قَالُوا أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِالْهَيْتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ فهم يعلمون حقيقة أن إبراهيم هو من هدم أصنامهم وأزالها، ومع ذلك سألوه سؤال مجادلة، واستخفاف السواد بالقلّة، وأمامهم مشهد أصنامهم المحطمة. قال تعالى: ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾ (الأنبياء: 66)، فاسترجع حال عبادتهم لأصنامهم قبل هدمها، ووصفه حالها بعدم النفع والضرر لهم.

استرجاع مزجي:

ما يجمع بين النوعين (1)، حيث يجمع بين الاسترجاع الداخلي والخارجي، ففي قصة هود - عليه السلام- وفي حوار ساخن بينه وبين قومه، فذكرهم فيما ذكرهم به بنبي الله - تعالى- نوح - عليه السلام- الذي كان قريبا من عهدهم، وما كان بينه وبين قومه، ف جاء استرجاعا خارجيا تمازج مع تذكيرهم بنعم الله - تعالى- عليهم من أن منح أجسادهم القوة، وأخرجه من بينهم نبيا، فساهم هذا التمازج في استعراض أبلغ الصور التذكيرية أمامهم ليعودوا إلى رشدهم، ويؤوبوا إلى حلمهم، قال تعالى: ﴿وَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذَكَرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصِطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ﴾ (الأعراف: 69).

وفي قصة يوسف- عليه السلام- امتزج ذكره لأبائه وأجداده والتوحيد الذي كانوا عليه مع حالة التوحيد الذي تمسك به متبعا لهم، وفيه تجسدت صورة التوحيد عبر سلسلة أشراف من الناس كإبراهيم، وإسحاق، ويعقوب يحملونها، قال تعالى: ﴿وَاتَّبَعَتْ مَلَأَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ (يوسف: 37-38).

(1) قاسم، بناء الرواية دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ، 40.

الاستباق

تعريف الاستباق: وهو " التلميح لواقعة مستقبلية أو الولوج إلى المستقبل، أو هي رؤية الهدف أو ملامحه قبل الوصول الفعلي إليه، أو الإشارة إلى الغاية قبل وضع اليد عليها(1). أي أن يتقدم النص بوثبة زمنية تتقلنا لأحداث لن يبلغها النص إلا بعد صفحات أو فصول(2). وفيه " يقوم الراوي من خلاله بعرض أحداث لم تتحقق بعد، ولكنها ستتحقق حتما في امتداد البنية السردية للنص القصصي "(3) و" إن الاستباقيات تظل أقل ترددا من الاسترجاع "(4).

وظائف الاستباق

- 1- يرد مسبقاً؛ ليسد ثغرة لاحقة.
 - 2- يلعب دور إنباء، ويظهر عظمة القدرة الإلهية المطلقة من خلال التباشير المستقبلية اليقينة.
 - 3- دلالة على قدرة مطلقة لله تعالى بمعرفة المستقبل وما فيه معرفة يقين لا ريب فيه، ومحيط علمه بكل ما في المستقبل سواء في عالم الدنيا أو العالمين الآخرين.
 - 4- وضع المتلقي في صورة تحدي من خلال الإنباء الحقيقي عن أحداث حقيقية واقعية.
- أنواع الاستباق:** ينقسم الاستباق إلى ثلاثة أنواع:

أولاً: الاستباق الداخلي

جاء الاستباق الداخلي على هيئة التحذير من شر الشيطان، واعتباره عدواً، وذلك بأسلوب النهي لآدم، قال تعالى: ﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ (طه: 117)، وبالفعل تحقق هذا التنبؤ، فقد خرجا من الجنة بعدما تحققت وسوسته لهما، قال تعالى: ﴿فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى﴾ (طه: 120)، وقال تعالى: ﴿قال اهبطا منها جميعاً﴾ (طه: 123)، وأكد الخروج في موضع آخر من سورة أخرى، قال تعالى: ﴿يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة﴾ (الأعراف: 27).

(1) ينظر، النعيمي، إيقاع الزمن، 37 - 38.

(2) ينظر، قسومة؛ الصادق، النزعة الذهبية في رواية الشحاذ، لنجيب محفوظ، تونس، دار الجنوب، 1992م، 52.

(3) موسى؛ إبراهيم نمر، جماليات الشكل الزماني والمكاني، مجلة فصول، مجلد 12، العدد2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1993م، 312.

(4) النعيمي، إيقاع الزمن، 36.

وجاء الاستباق المؤكد بوعيد قتل الأخ لأخيه، لإنفاذ ما في نفسه، قال تعالى: ﴿قال لأقتلنك﴾ (المائدة: 27) وبعد جزء من السياق تم وقوع الوعيد بحدث القتل، قال تعالى: ﴿فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله﴾ (المائدة: 30). وجاء الاستباق الداخلي للتأكيد على حرص الدعوة على دخول الناس في دين الأنبياء، قبل حلول العذاب عليهم. ففي قصة هود - عليه السلام - عندما أذّر قومه بالعذاب، قال تعالى: ﴿إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم﴾ (الشعراء: 135). وقد أنكروا عليه هذا الإنذار وعدوه من التنبؤ، ولكنه الاستباق المحتوم، قال تعالى: ﴿وما نحن بمعذبين﴾ (الشعراء: 138)، ولكن الاستباق قد جاء وقت وقوعه فحل بهم -جميعاً- عذاب واقع، قال تعالى: ﴿وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية*سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً ففترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية*فهل ترى لهم من باقية﴾ (الحاقة: 6-8).

وفي قصة إبراهيم - عليه السلام - جاء الاستباق دلالة توقع من النبي إبراهيم - عليه السلام - في قوله تعالى: ﴿فجعلهم جذاً إذا إلا كبيراً لهم لعلمهم إليه يرجعون﴾ (الأنبياء: 58) فقد ذكر رجوعهم تنبؤاً بما يمكن أن يكون، وبالفعل بعد عودتهم إلى مكان عبادتهم، ولما رأوها حطاماً سألوا عن الفاعل. ﴿قالوا من فعل هذا بألهتنا إنه لمن الظالمين﴾ (الأنبياء: 59)، فقولهم: إنه لمن الظالمين فيه إشارة على نيتهم معاقبته ومحاسبته، فبمجرد أن رءوا الفعل أصدروا الاتهام له بأنه ظالم. وهذا اتهام مسبق قبل سماع أقواله. وأصدروا أوامرهم مصورين المشهد المرتقب من تجميع الناس ليشهدوا عقوبة حرقه، قال تعالى: ﴿قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلمهم يشهدون﴾ (الأنبياء: 61) فأمروا بقدمه إليهم حيث كان الناس مجموعين، ثم حكموا عليه بالحرق.

ومن الاستباق الداخلي تلك البشريات التي بشر الله -تعالى- بها أنبياءه، وعباده الصالحين مثلما بشر إبراهيم - عليه السلام - بولديه، قال تعالى: ﴿ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى﴾ (هود: 69)، وقال تعالى: ﴿وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين﴾ (الصافات: 112) وعن بشرى إسماعيل، قال تعالى: ﴿فبشرناه بغلام حلیم﴾ (الصافات: 101)، وهي نفس البشارة التي جاءت بها الملائكة للسيدة سارة، قال تعالى: ﴿فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق ويعقوب﴾ (هود: 71)، وقد تحققت كل البشريات، فولد له إسماعيل وإسحاق عليهما السلام.

وفي قصة موسى - عليه السلام - جاءت استباقات داخلية تبشر بالتمكين في الأرض لفئة ضعيفة، لم تكن بعد من القوة بمكان كي تتخيل مثل تلك البشريات، من مثل قوله تعالى: ﴿نمکن لهم في

الأرض ﴿القصص: 6﴾، وقد حصل التمكين لموسى -عليه السلام- ومن معه بعد أن أغرق الله - تعالى- فرعون وجنوده، وبهذا تحقق هذا الاستشراق، الذي أبلغت به القصة من بدايتها. وجاء السرد باستباق ما سيقع لفرعون، وأتباعه، رغم ما هم عليه من الحذر ممن سيأتي محارباً لفرعون، مدمراً لملكه، وسيعطي المؤمنين المن والنصر للمستضعفين، وجعلهم أئمة وورثة في الأرض وهذا لم يحصل إلا في نهايات القصة، قال تعالى: ﴿نريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين﴾ (القصص: 5)، وقال تعالى: ﴿ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون﴾ (القصص: 6).

ومن الاستباقات الإنبياء عن موسى - عليه السلام - أنه سيكون عدواً لفرعون، وهذا لم يحصل إلا عند بلوغه الرشد، بينما جاءت العدوانية في مرحلة طفولته، قال تعالى: ﴿فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً﴾ (القصص: 8).

وجاء الاستباق للدلالة على الاستعداد في خوض أول مراحل الدعوة، وذلك بطلب موسى -عليه السلام- من ربه مساندة هارون له. وبدأت تتبلور الفكرة قبل الحدث، قال تعالى: ﴿وأخي هارون هو أفصح مني لساناً فأرسله معي ردءاً يصدقني﴾ (القصص: 3)، وقال تعالى: ﴿قال سنشد عضدك بأخيك﴾ (القصص: 35). حتى رافقه، وانطلقا معاً، قال تعالى: ﴿قال فمن ربكما يا موسى﴾ (طه: 49) والضمير يعود على موسى وهارون عليهما السلام. كما جاء الاستباق في قوله تعالى: ﴿نجعل لكما سلطاناً﴾ (القصص: 35) بشارة قبل الأحداث بأن يجعل لكليهما العلو والسلطان.

وفي قصة "قارون" جاء الاستباق بأسلوب النفي الذي جاء سلفاً؛ لينذر بالإشارة على قدوم العقوبة على المتكبر المتعالي على قومه "قارون" ولفساده في الأرض، وفرحه بنفسه، واغتراره بملكه، وذلك في موضعين قبل حلول العقوبة، قال تعالى: ﴿إن الله لا يحب الفرحين﴾ (القصص: 76)، وقال تعالى: ﴿إن الله لا يحب المفسدين﴾ (القصص: 77). وفي موضع آخر، قال تعالى: ﴿فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز﴾ (القصص: 76)، فإن التكبر يحصل بعد الامتلاك والتكثير، لكن الاستباق جاء للتأكيد على عدوانيته، وعلى تكبره على قومه، وعدم حب الله - تعالى- يعني غضبه. وغضبه -تعالى- يعني العذاب، وبالفعل نزل العذاب.

ثانياً: الاستباق الخارجي

جاء الاستباق الخارجي في مشهد بين الله -تعالى- وملائكته، وذلك عندما أخبر الله -تعالى- الملائكة بخلق آدم - عليه السلام- قال تعالى: ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض

خليفة ﴿البقرة: 30﴾، وكذلك عندما تنبأت الملائكة أحداث الخلق من الإفساد وسفك الدماء، وردوا مستفهمين استفهاماً خالياً من الاعتراض، قال تعالى: ﴿قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء﴾ ﴿البقرة: 30﴾، وفي هذين الموضوعين استباق وتنبؤ، فقد تحقق وجود الخليفة، وكذلك الإفساد في الأرض.

ثم جاء استباق آخر، تم إخبار الملائكة به، قال تعالى: ﴿إني خالق بشراً من طين* فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين﴾ (ص: 71-72). وقد جاء الاستباق في الحدث الأكبر بخلق آدم، وخلقه من طين، ثم التهيؤ للحدث بعد الخلق، والنفخ في روحه، والسجود له، وجاء الإخبار بأن هذا الخلق سيخلق من طين، مع أمر الملائكة بالتهيؤ للسجود له سجود تكريم بعد نفخ الروح فيه، وقد تحقق هذا الإخبار ووقع في نهاية القصة.

ثالثاً: الاستباق المزجي

جاء الاستباق الخارجي ممزوجاً مع الداخلي، لحمت بين السلالة، الجد، والابن، والحفيد، والذرية، والأتباع، وذلك في قصة إبراهيم - عليه السلام - قال تعالى: ﴿ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين* وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين* ولوطاً آتيناها حكماً وعلماً ونجيناها من القرية التي كانت تعمل الخبائث﴾ (الأنبياء: 72-74)، وقد تتابعت الأحداث؛ ليتأكد الاستباق الذي ذكر أيضاً من نجات نبي الله - تعالى - لوط عليه السلام.

وفي قصة لوط - عليه السلام - مزجت الآيات بين العذاب الواقع عليهم، وحالة التدبير لمن سيأتي بعدهم من (الذين يخافون العذاب الأليم)، قال تعالى: ﴿لنرسل عليهم حجارة من طين* مسومة عند ربك للمسرفين* فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين* فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين* وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الأليم﴾ (الذاريات: 33-37).

رابعاً: الاستباق الخارج عن المؤلف ونواميس الكون

ويتمثل مثل هذا الاستباق في قصص الخيال العلمي التي تستطيع تدمير الأرض (1). لكنها في القرآن ليست خيالاً بل حقائق، والقرآن أشار لذلك في كثير من المواضع، وإن دل هذا فإنما يدل على الإعجاز العلمي الذي تضمنته سور القرآن.

(1) ينظر، النعيمي، إيقاع الزمن، 40.

الشاهد الأول: ذلك في العهد المكي، حيث رسخ القرآن في الأذهان أن الإسلام سينتشر في الآفاق بعد مطاردة ومحاربة، وأن النصر سيكون حليفا للمؤمنين، فإنه كتب لهم الغلبة والتمكين والعلو في الأرض بعد الضعف والفقر الذي أصابهم به أعداؤهم، قال تعالى: ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾ (التوبة-33)، وقال تعالى: ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون﴾ (النور: 55)، وقد تحقق هذا الوعد، فنصر الله-تعالى-دينه، وهزم عدوه، ونشر رسالته ودعوته، ومكن للمؤمنين في الأرض، حتى جابوا المشارق والمغارب.

الشاهد الثاني: صرح القرآن الكريم أن المؤمنين في غزوة بدر سينتصرون على أعدائهم من المشركين، مع أن وجهتهم كانت تحصيل العير والغنيمة من قافلة أبي سفيان، إلا أن الله أراد لهم كسر شوكة قريش؛ لإعلاء كلمة الدين، وتمهيد النفوذ للمؤمنين، فكتب الله-تعالى- القتال بينهم وبين أعدائهم، قال تعالى: ﴿وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين﴾ (الأنفال: 7). وقد حقق الله وعده، فنصرهم، ومحق الكافرين في هزيمة نكراء، أخذت عالية القوم فيهم. وقد صور الله -تعالى- لهم هذا بعد ذلك، فقال لهم: ﴿ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون﴾ (آل عمران-123). وفي قصة لوط-عليه السلام-تم إخبار النبي بما لا يتوقع قومه، فهم منكرون، ويستبعدون صدق نبيهم، فكيف يصدقون ما يعدهم به من العذاب الذي يروونه مستحيلا؛ لأنهم اعتبروا كلام نبيهم ضربا من السفه. وتحقق وعد الله -تعالى- فيهم، فنزل العذاب، ووقع العقاب، قال تعالى: ﴿لنرسل عليهم حجارة من طين*مسومة عند ربك للمسرفين*فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين*فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين*وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الأليم﴾ (الذاريات: 33-37). وكذا ترك إخبار الاستباق لما لم يتوقعوه آثاره الدالة على حالهم، والشاهدة على واقعهم.

ثانيا: تقانة الديمومة، وفيها: الحذف، التلخيص، المشهد، الوقفة.

وهي: " ثبات القيمة الجمالية واستمرارها عبر العصور... ومعناها الأصلي المدى بين البدء والنهاية"(1). أو " هي دراسة الحيز الذي استغرقتة الوقائع في الحكاية، والحيز الذي امتدت عليه الأحداث في النص، والأول زمني، والثاني مكاني يقاس بالجمل والفقرات "(2). وفي القرآن يتشكل نوع سرد من خلال سرعة الأحداث وبطنها. وفي ذلك مظهران، وإن كان لأحدهما الغلبة على الآخر، فالتسريع يتبدى في تقاننتين هما: التلخيص والحذف. أما الإبطاء في تقاننتين هما: المشهد والوقفة. وورودهما أقل من التلخيص والحذف. أما المشهد فحضوره غلب الوقفة.

التلخيص "الخلاصة"

وتسمى بالإيجاز، وهو " جعل زمن القصة زمناً أقصر من زمن الوقائع. وعليه فإن هذه الحركة تعني أن الراوي يقص في بضعة أسطر أو في عدة مقاطع ما مدته سنوات عدة، أو أشهر عدة، أو أيام عدة، أي أنه لا يتطرق إلى التفاصيل"(3). أو إنه " وحدة زمن القصة تقابل وحدة أصغر من زمن الكتابة، تلخص لنا الرواية مرحلة طويلة من الحياة المعروضة "(4).

هذا و" لا يختلف مصطلح الخلاصة عن النص الملخص أو التلخيص، حيث يتم سرد وقائع، أو أحداث يفترض أنها جرت في مدة زمنية طويلة من خلال الاختزال، بحيث تكون المساحة النصية قصيرة "(5). و" يسمى أيضا المجمل summary، وهو سرد أيام عديدة أو شهور أو سنوات من حياة الشخصية دونما تفصيل للأفعال أو الأقوال، وذلك في بضعة أسطر أو فقرات قليلة "(6). وفيه " يكثف السارد أحداثا كثيرة بجمل أو عبارات قصيرة "(7). أي إنه يعني " تلخيص حوادث عدة أيام، أو شهور، أو سنوات في مقاطع معدودة، أو صفحات قليلة، دون خوض في تفاصيل الأشياء

(1) التونجي؛ محمد، المعجم المفصل في الأدب، 2: 457.

(2) الشوابكة، السرد المؤطر، 87.

(3) المرزوق؛ جهاد، بناء الخطاب الروائي عند أحمد الزعبي، ط1، عمان، دائرة المكتبة الوطنية، وزارة الثقافة، 2005م، 164.

(4) بحراوي؛ حسن، بنية الشكل الدائري، الفضاء الزمن، الشخصية، ط1، بيروت، المركز الثقافي العربي، 1990م، 145.

(5) الشوابكة، السرد المؤطر، 87.

(6) الشوابكة، السرد المؤطر، 87.

(7) الشوابكة، السرد المؤطر، 73.

والأمور (1). ويرى "بوتور" أن الخلاصة هي: "العلاقة بين ثلاثة أزمنة: زمن الكتابة، وزمن المغامرة، وزمن القراءة. يقدم الكاتب خلاصة نقرأها بدقيقتين، وربما تكون كتابتها استغرقت ساعتين" (2)، ويسميه البعض الملخص وهو: "سرد بانورامي ينأى بنفسه عن الوقفات الطويلة عند الأشياء والأماكن والنفوس، ويكتفي بالإشارات أو الأحاديث المختصرة (3). وإن اختلفت المصطلحات فإن في جعبتها مضمونا واحدا اتفقت -جميعا- عليه.

صور التلخيص في القرآن:

إن المتدبر في أسلوب القرآن العجيب، يرى مثل هذه التقانات في أبهى حللها، فقد استطاع القرآن أن يلخص أخبارا، وعلوما، دونما أن يترك خلا لمتربص، أو انتقادا لفيلسوف، أو ريبية في صدر سامع معقل. ومن الشواهد التي يمكن سوقها على ذلك، وهي في القرآن كثيرة:

الشاهد الأول: قال تعالى: ﴿يا بني آدم لا يفتنكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم﴾ (الأعراف: 27) لقد لخصت الآية أحداثاً لاحقة وماضية وحاضرة، وهنا جاء تلخيص أحداث لاحقة بلفظ الفتنة التي يقتضي معناها كل ما يحرف السمع، والبصر، والحس عن الحق. واسترجعت أحداثاً بتلخيص وإيجاز منها، حادثة إخراج آدم وحواء من الجنة، وما حدث فيها من ملاحقة الشيطان لهما، ووسوسته إليهما، وتوعده بتتبع ذريتهما. كما لخصت ما يدور في الحاضر، واللاحق من تتبع الناس، وأخذهم على حين غرة وغفلة، ووسوسته لهم، إن الزمن الذي لخصته الآية قد احتوى الماضي، والحاضر، واللاحق.

الشاهد الثاني: جاء التلخيص في قوله تعالى: ﴿فأوحينا إليه أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا فإذا جاء أمرنا وفار التنور فاسلك فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول منهم ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون﴾ (المؤمنون: 72).

إن مجموعة من الأحداث استغرق كل حدث منها زمناً ليس قليلاً، يختلف استغرق كل حدث عن الحدث الذي يليه في معياره الزمني، فصناعة السفينة بطرق بدائية، وبجهد الفرد الواحد استغرق زمناً

(1) الفراعين؛ سليمان سالم، القصة القصيرة عند عبد الإله عبد القادر، د.ط، المغرب، منشورات المركز الأكاديمي للثقافة، 2005م، 125.

(2) الشوابكة، السرد المؤطر، 88.

(3) الشوابكة، السرد المؤطر، 88.

طويلاً، لكن طول فترة دعوة نوح -عليه السلام- كانت أطول بكثير، ثم التنادي لدخول السفينة، ومجيء العذاب عليهم بمظاهره المختلفة بدءاً بالريح العاتية، ثم الطوفان، فخلع الخيام، وهدم البيوت، ونزول المطر، قد استغرق يوماً أو عدة أيام. لقد ساهم هذا الاختلاف في معيار الزمن مع تلخيص الأحداث التي لم يختف فيها أيضاً معيار الزمن على تأكيد واقعية تلك الأحداث، ورسما رسماً دقيقاً يتلقاه المتلقي بالقبول والفهم وأخذ المراد.

الشاهد الثالث: تلخصت صورة العذاب الذي وقع على قوم هود -عليه السلام- الذي استغرق عدة من الأيام والليالي، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا عاد فاهلكوا بريح صرصر عاتية* سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية* فهل ترى لهم من باقية﴾ (الحاقة: 7-8)، فإن الريح التي خيمت فوق قراهم بعض أيام تنذرهم فما أنذروا، حتى إذا انقضت أيام الإنذار، بدأت جولة العذاب لعدة أيام آخر حتى انتهت، ثم جاء المشهد المبكي، وهم في الطرقات صرعى متناثرين.

الشاهد الرابع: لعل من أبلغ التلخيصات في قصة أيوب -عليه السلام- ذلك الضر الذي أصابه، وقد طال عليه، حتى رفع أكفه إلى الله -تعالى- داعياً، قال تعالى: ﴿وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين﴾ (الأنبياء: 83)، وبعد طول صبر، ومناجاة، فرج الله -تعالى- كربه، وأزال همه وغمه.

الشاهد الخامس: في قصة يونس -عليه السلام- جاء التلخيص إشارة إلى الفترة التي مكثها في بطن الحوت دون تحديد لها، أو التعرض لتفاصيلها، أو ذكر شيء منها، قال تعالى: ﴿فلولا أنه كان من المسبحين* للبت في بطنه إلى يوم يبعثون﴾ (الصفوات: 143-144).

الشاهد السادس: وقد جاء التلخيص بارزاً في قصة سليمان -عليه السلام- عندما غاب الهدد عنه زمناً، ثم أخبره عن بلقيس ومملكتها، ثم أرسله سليمان -عليه السلام- مع كتاب إليها، ثم رجع إلى سليمان -عليه السلام- بالرد، بعد أن ألقى الكتاب بين يديها، ثم شاورت حاشيتها بأمر الكتاب، ثم أرسلت إلى سليمان -عليه السلام- هدية، ثم انتظرت رده عليها، ثم أرسل إليها مرة أخرى، وأراد تجييش الجنود لمحاربتها، ثم أرسل من يأتيه بعرشها، ثم استنظرها فقدمت إليه. إن تلك

الأحداث الكثيرة تحتاج الأيام، وبعضها يحتاج الشهور، لكن كل ذلك جاء ضمن تلخيص لم يستغرق إلا أسطر معدودة(1).

الشاهد السابع: وكذلك تلخصت أحداث مهمة في قصة نبي الله-تعالى- سليمان-عليه السلام- عندما أرسل الله -تعالى- إليه وهو على كرسيه الذي يجلس عليه دويبة، فقرضت عصاه التي يتكئ عليها، فخر على الأرض، وانكشف أمر موته -عليه السلام- فإن هذه الدويبة في التقدير البشري قد استغرقت زمناً ليس قصيراً، حتى أكلت عصاه وقرضتها. فكم هي الأحداث التي مرت في تلك الحقة ! فجاءت في القصة ملخصة في سطر واحد(2).

الشاهد الثامن: كما تلخصت مراحل الأطوار الإنسانية في الخلق بمكوناته في غير القصص القرآني عبر مشهد علمي مثير، حاكت التجارب الحديثة صدقه ودقته التي جاء بها القرآن منذ قرون من الزمان فمراحل الخلق لم يختلف أهل العلم في حدوثها بهذا الترتيب الذي ذكر في آي القرآن. وإن القرآن كشف عن ذلك العلم قبل عقود من الزمن. قال سبحانه وتعالى: ﴿يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإننا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة﴾(الحج: 5).

الشاهد التاسع: وفي قصة موسى-عليه السلام- تلخصت مظاهر الفساد في بداية القصة، وأجملتها في العلو على المستضعفين، وذبح الأطفال، ولخصت أحداث إلقاءه باليم، والنقاط آل فرعون له، واحتواء امرأة فرعون له، ومتابعة أمره، وعرضه على المراضع، وكفالتة، وإعادته إلي أمه، ولخصت فترة شبابه بكل ما فيها من استواء، وحكمة، وعلم، واشتداد عود، وترويض الوحي له، وجعله من المحسنين، كما لخصت المؤامرة التي تحاك ضده، فلم تظهر الآيات تفصيلها، ولا الشخصيات التي تحيكها، واكتفت بالتحذير له، وأمر الساعي له بالخروج، ولخصت حياة أهل مدين القائمة على الرعي والزراعة، كما لخصت المدة التي عمل فيها مستأجراً عند الشيخ- والد الفتاتين- وقدرها عشر سنوات، دونما أن يذكر أي تفاصيل ﴿فلما قضى موسى الأجل﴾(القصص: 29).

الشاهد العاشر: قصة "قارون" لخصت تلخيصاً بديعاً، واستطاعت أن تحتوي مجموعة من الأحداث المركزية، وتعالج كل حدث مع سلامة في العرض. فقد أعطت القصة صورة مختزلة عن الأوضاع الاجتماعية من خلال كلمات موحية، دلت على عمق التطبيقية، وانقسام المجتمع آنذاك إلى فئات.

(1) ينظر، سورة النمل: 20-44.

(2) ينظر، سبأ: 14.

كما أعطت صورة موجزة عن مظاهر الغرور، وافتتان الناس بالمغرورين، ومقارعة فريقين لبعضهم، ومصائر المغترين. ذلك كله حصل في أقل من صفحتين في آخر سورة القصص.

ثانياً: الحذف

يلعب الحذف إلى جانب الخلاصة دوراً حاسماً في اقتصاد السرد، وتسريع وتيرته (1). ويسمى أيضاً **الثغرة؛ أو الإسقاط، أو الإضمار، أو القطع**، ويقصد به المرور على فترات زمنية ممتدة أو قصيرة، دون سرد ما وقع فيها من أحداث. وقد يلجأ السارد عند تجاوز مرحلة من المراحل إلى الإشارة للزمن أو المدة، كأن يقال على سبيل المثال: ومضت خمس سنوات، أو وبعد إحدى عشرة سنة، وهكذا (2). أو " هو أقصى سرعة يتخذها السرد من خلال تجاوزه لحظات حكاية بأكملها، وتجنب ما حدث فيها، وكأنها ليست جزءاً من المتن الحكائي " (3). ويسمى **كذلك بالقفز** " وهو تقنية زمنية تقضي بإسقاط فترة طويلة أو قصيرة من زمن القصة، وعدم التطرق لما جرى فيها من وقائع وأحداث " (4). أما **"تودوروف"** فيسميه **"الإخفاء"** والأمر عنده يتعلق بعدم وجود وحدة من زمن القصة تقابلها وحدة من زمن الكتابة، بمعنى أن جزءاً من القصة يكون مسكوتاً عنه في السرد الكلية، أو مشاراً إليه بعبارة زمنية تدل على موضوع الفراغ الحكائي، مثل: ومرت بضعة أسابيع، أو مضت سنتان " (5). إن **"القفز المسكوت عنه في سرد الكلية دون الإشارة إلى زمن أو مدة معينة...** يمكن أن يكون ناتجاً عن استخدام تقنية السينما... ويتضح ذلك عندما يقوم السرد بتقطيع وتكسير الزمن إذ تتداخل مجموعة من القفزات مع مونولوج طويل " (6). ويسمى **بـ "القص"** وفيه **" يكتفي الراوي بإخبارنا أن سنوات أو أشهر مرت، دون أن يحكي عن أمور وقعت في هذه السنوات أو تلك الأشهر (7).** ويحدث ذلك في القصة القرآنية؛ لأنها أرادت إيصال دروس ما من العظات والعبر عبر

(1) بحراوي، بنية الشكل الروائي، 156.

(2) ينظر، الحمداني؛ حميد، بنية النص السردية من منظور النقد الأدبي، د ط، بيروت، المركز الثقافي العربي، 1993م، 77.

(3) بوطيب، إشكالية الزمن في النص السردية، 138.

(4) المرزوق، بناء الخطاب الروائي عند أحمد الزعبي، 161.

(5) بحراوي، بنية الشكل الدائري، الفضاء الزمن، الشخصية، 156.

(6) المرزوق، بناء الخطاب الروائي، 161.

(7) المرزوق، بناء الخطاب الروائي، 163.

صور لأحداث واقعية موجزة، وهذا يستدعي حذف جميع المبالغات، فيكون هذا أبلغ للنص عند المتلقى.

أنواع الحذف:

إن تقانة الحذف قد لعبت دوراً فاعلاً في اقتصاد السرد، وتسريع وتيرته، والمرور على سنين دون تعرض للأحداث وتفاصيلها. وللحذف أنواع، منها:

الحذف المعلن أو المحدد:

هو " إعلان الفترة الزمنية المحذوفة على نحو صريح " (1) و" يشار إلي الفترة الزمنية المحذوفة بالسنوات أو الأيام أو الشهور " (2). ومن هذا النوع من الحذوفات:

الشاهد الأول: جاء ذكر التيه الذي وقع فيه بنو إسرائيل أربعين سنة، دونما أن يأتي بتلخيص أو تفصيل للأحداث التي مرت بهم، فمرت أربعون سنة دون إخبار عن أي مضمون فيها، **قال تعالى:**

﴿قال فإنها محرمة عليها أربعين سنة يتيهون في الأرض﴾ (المائدة: 26).

الشاهد الثاني: إن الحذف طال جميع الأحداث التي تمر بها الأم من آلام الحمل، وظروفه، وتفاصيله، من آلام وضع، وخروج الجنين، وفترة الرضاعة وما فيها، ومرحلة المناغاة، والمراحل الأولى من الولادة. فقد مرت مراحل ذكر الحمل والفصال دون ذلك كله، أو لمجرد ذكر إشارة عامة، **قال تعالى:** ﴿وحمله وفصاله ثلاثون شهراً﴾ (الأحقاف: 15).

الشاهد الثالث: والحذف هدف إلى عدم النظر إلى نوعية الحياة التي يطلبها اليهود، تمشياً مع رغبتهم في الحياة، وحبا لها، لاستمرار حياتهم، فإن ألف سنة تمر، وهم مع ذلك يودون الزيادة دون الالتفاف إلى نوعية الحياة. المهم أن تبقى أنفاسهم حية⁽³⁾.

الشاهد الرابع: قد مرت سنون العمر على نوح- عليه السلام- قضاها في الدعوة، دونما أن تتعرض الآيات إلى تفاصيل أو حتى تلخيص للأحداث، ولو أراد شخص تلخيص ذلك لما كفاه مثل القرآن في عدد صفحاته قرائن كثيرة، **قال تعالى:** ﴿قلب فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً﴾ (العنكبوت: 14).

(1) بحراوي، بنية الشكل الروائي، 158

(2) الشوابكة، السرد المؤطر، 91.

(3) سورة البقرة: 96.

الشاهد الخامس: كما أن مدة الأجلين التي قضاها موسى -عليه السلام- بالتمام والكمال عند الرجل الصالح، خلت من أي أحداث، بغية تسريع السرد الذي لم يكشف شيئاً مهماً في تلك المدة. قال تعالى: ﴿ذلك بيني وبينك أيما الأجلين قضيت فلا عدوان علي والله على ما نقول وكيل* فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله﴾ (القصص: 28-29). وقال تعالى: ﴿فلبثت سنين في أهل مدين﴾ (طه: 40).

الشاهد السادس: كما جاء الحذف لظروف المحنة وتفصيلها التي لاقاها نبي الله يوسف - عليه السلام - أثناء سجنه، قال تعالى: ﴿فلبثت في السجن بضع سنين﴾ (يوسف: 42).

الشاهد السابع: أما أحوال أهل الكهف بعد ما أخذهم النوم، وغطوا في سباتهم، فقد حذفت أحداث ومجريات من حولهم، فتغير العباد والبلاد، وجاء ما يشير إلى ذلك اللبث في الكهف سنين طويلاً، دونما تفاصيل، قال تعالى: ﴿ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعاً﴾ (الكهف: 25)، وقال تعالى: ﴿فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عدداً﴾ (الكهف: 11).

الشاهد الثامن: حذف دال على القدرة الإلهية، والذي تمثل في حذف جميع الأحداث التي مرت بالرجل الذي أماته الله - تعالى - مائة عام ثم بعثه، إنها أحداث معالم الطبيعة التي تغيرت في تلك المدة، وأحوال الناس من حوله، فلم يذكر منها شيئاً إلا بعد ما أفاق، كمشهد من المشاهد الدالة على قدرة الله - تعالى - قال سبحانه: ﴿أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوماً أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام﴾ (البقرة: 259).

الحذف الضمني:

" حيث تحذف سنوات معاشة دون تحديد للفترة الزمنية " (1). و " لا يظهر الحذف في النص، بالرغم من حدوثه، ولا تتوب عنه أية إشارة زمنية أو مضمونية. وإنما يكون على القارئ أن يهتدي إلى معرفة موضعه باقتضاء أثر الثغرات والانقطاعات الحاصلة في التسلسل الزمني الذي ينتظم القصة " (2). ومن هذا النوع:

الشاهد الأول: قوله تعالى: ﴿ولما بلغ أشده واستوى﴾ (القصص: 14) فكم هي الأحداث التي صارت في طفولته بعد عودته إلى حضن أمه قبل أن يشتد عوده، لكنها كانت أحداثاً يمكن تجاوزها ولم

(1) الشوابكة، السرد المؤطر، 91.

(2) بحرأوي، بنية الشكل الروائي، 162.

يكن من الضرورة ذكرها. فكم هي الأحداث التي حصلت بعد اشتداد عوده حتى دخل المدينة وواجه القبطي وتم حذفها. لأنها أحداث لم تكن من الأهمية بمكان؛ ليتم ذكرها وعرضها. رغم أنها تمثل حياة مشرقة لنبي الله موسى عليه السلام.

الشاهد الثاني: قوله تعالى: ﴿فرددناه إلى أمه كي تقر عينها ولا تحزن﴾ (القصص: 13)، وقد حذفت تفاصيل كثيرة، دارت في الزمن بين وضعه في الصندوق، وإلقائه في اليم، حتى عودته لأمه.

الشاهد الثالث: قوله تعالى: ﴿فخرج منها خائفاً يترقب﴾ (القصص: 21)، حيث حذف كل تفاصيل الرحلة التي سار فيها موسى -عليه السلام- من مصر إلى مدين أثناء الخروج، وما حدث فيها، وهي التي في الحد الطبيعي يمكن لها أن تستغرق بضعة أيام.

الشاهد الرابع: حذف المدة التي قضى فيها موسى -عليه السلام- الأيام والليالي بعد وصوله لمدين قبل وبعد مقابلة والد الفتاتين.

الشاهد الخامس: إن قصة " قارون " شهدت حذفات كثيرة، فإن احتواء القصة لما ذكر كان كافياً لصناعة جو درامي مؤثر، فقد حذف إنكاره على الناصحين له فلم يجيبهم، وهذا فيه إشارة إلى أن عدم الرد عليهم صورة من صور الكبر وهذا يخدم درامية القصة، كما حذف صور تفاصيل الفساد والخسف.

تعطيل (إبطاء) السرد: ويكون من خلال المشهد والوقفة

أولاً: المشهد

هو " الخطاب الذي يتساوى فيه - نسبيًا - حجم النص مع زمن المتن أو الحكاية، ويأتي على شكل سرد تتوالى فيه الأفعال بحيث يشعر القارئ بتطور الحدث وتناميه، ويشعر أن النص غطى مدة زمنية مناسبة " (1). و" يقوم المشهد أساساً على الحوار المعبر عنه لغويًا، والموزع إلى ردود متناوبة " (2). " فالمشهد يمثل بشكل عام اللحظة التي يكاد يتطابق فيها زمن السرد بزمن القصة من حيث مدة الاستغراق، مع ملاحظة الصمت أو التكرار " (3). وقد سميت الحركة البطيئة بالمشهد " لأنها تخص الحوار، حيث يغيب الراوي، ويقدم الكلام كحوار بين صوتين، وبذلك يتساوى زمن

(1) الحمداني، بنية النص السردى، 78.

(2) بحراري، بنية الشكل الروائي، 166

(3) الحمداني، بنية النص السردى، 78.

القص مع زمن وقوعه " (1). " أما "البحراوي" فيعتبر المشهد هو ذلك السرد " الذي يحقق تقابلا يبين وحدة من زمن القصة ووحدة مشابهة من زمن الكتابة " (2). وقد ذكر هذا المصطلح بمشتقاته في مواضع عديدة من القرآن:

1- شهدنا، قال تعالى: ﴿قالوا تقاسموا بالله لنبيته وأهله ثم لتقولن لوإيه ما شهدنا مهلك أهله وإنا لصادقون﴾ (النمل: 49).

2- يشهدون، قال تعالى: ﴿والذين لا يشهدون الزور﴾ (الفرقان: 72).

3- شهدنا، قال تعالى: ﴿وما شهدنا إلا بما علمنا﴾ (يوسف: 81).

4- مشهد، قال تعالى: ﴿فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم﴾ (مريم: 37).

أغراض المشهد

ويرى "بوتور" أن الحوار هو التلاقي بين مدة القراءة والمدة التي استغرقها الحادث الذي نقرأ عنه، وفي الحوار تلغى المساحة بين زمن المغامرة وزمن القصة... ومما لا شك فيه أن المشهد يضيف على السرد حيوية وحياء تجعل القارئ مشاركا ولو جزءا من النص؛ لأنه إنما يتابع الأحداث خطوة بخطوة، أو يستمع إلى مواقف متعددة من خلال الحوار " (3)، " ويسمى النص مشهدا إذا ما وقع ضمن زمن محدد في مكان محدد... ويقصد من ذلك توالي الأحداث عن طريق الفعل الماضي أو المضارع في مكان وزمن محددين. أما حين يأتي المشهد على شكل حوار فهو حركة القصة في اللحظة الآتية، كما لو تم تقديمها على خشبة المسرح، ويمكن الإعجاب بها في توريثها، كما أنها تصور الصراع " (4). إن المشاهد تضيف على القارئ الإثارة والدافعية؛ للمتابعة وتكسر الرتابة، وتبعث على الحركة التي تخرق السكون، وفيه المحافظة على حرارة الموقف، وتجسيد لتلقائيته وعفويته، وتأكيد لواقعيته في القصة القرآنية. وفيه دلالة على اعتماد فكرة القصة على الشخصيات التي يكون لها دور ما. فشخصيات الأنبياء المتحاورين مع رب العزة والجلال، أو مع أقوامها تبرز من خلال المشاهد الحوارية فكرة الدعوة إلى الله، والسير في طريقه، والتبشير بالجنة، والتحذير من النار. أما المشاهد الحوارية الأخرى، كمشهد الحوار الذي دار بين المؤمنين وأصحاب الأهواء، فقد

(1) العيد؛ يماني، تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنوي، ط 1، عمارة، وزارة الثقافة، 2002 م، 84.

(2) بحراوي، بنية الشكل الروائي، 166 .

(3) الشوابكة، السرد المؤطر، 93.

(4) الشوابكة، السرد المؤطر، 93.

جسد فكرة عدم الركون للهوى والتخلي عن المظاهر. وهكذا يتميز المشهد الحوارى فى القصة القرآنية بقصره حيث لا يتجاوز أكبر مشهد حوارى فىها صفحة واحدة.

أنواع المشاهد القرآنى

إن المشهد القرآنى برز بروزاً واضحاً فى القرآن الكريم، ذلك لعظيم الفوائد التى تتجلى منه، فهو يجعل القارئ والسامع والمتأمل يعيش حالة وعى عقلى وعاطفى، يدرك بهما عظمة الله -تعالى- وقدرته الباهرة، سواء فى محكم كلامه -القرآن الكريم- أو بآلائه ومخلوقاته المبتوثة فى كل مكان. ويرى الباحث أن المشهد فى القرآن ينقسم إلى:

المشهد الوصفى: والوصف السردى " يكون تعليقاً لمسار الزمن، وعرقلة تعاقبه عبر النص السردى، مما يفضى حتماً إلى تمديد الزمن فى الحيز " (1).

الشاهد الأول: مشهد أصحاب الفيل - أبرهة ومن معه- فى سورة الفيل، يمثل صورة عرضها الله - تعالى - أمام ناظر النبى - صلى الله عليه وسلم- ليشاهد فيها عاقبة من يحاربونه فى الدنيا، كيف يبطل كيدهم؟ وكيف يكون تدميرهم؟ وهو مشهد حديث عهد به، فيه بيان لقدرة الله - تعالى- النافذة الغالبة، كما فيه تسلية للنبى -صلى الله عليه وسلم- بأن ما يحصل له من صد قومه عن سبيل الله - تعالى- سيكون له من الله -تعالى- عاقبة، وهذا الحدث وقع فى العام الذى ولد فيه (2)، فكان المشهد تذكيراً للقوم به، وبيانا لقدرة الله -تعالى- الغالبة، وفيه تسلية للنبى - صلى الله عليه وسلم- أن إذا أردت أن يحل بالمشركين مثلاً حل بهم من قبل، فما عليك إلا الطلب، وعلى الله - سبحانه- الإجابة. وهكذا أسهم المشهد وصفاً فى عرض لوحة جمالية بارعة الفواعة، وصورة حية تنبض بالحركة والحيوية، كلما جاء مشهد كانت النفس تتأثر به، وتتوق لما بعده.

الشاهد الثانى: عندما دخل نبى الله - تعالى- موسى -عليه السلام- المدينة، ولم يكن فيها من ينتبه لأحداث جسيمة نتيجة التفكك الذى تبين أثره وتجلت مظاهره، فكان أمامه شكل من أشكاله. إن هذا التمزق وهو رجلان يقتتلان كل رجل من طائفة، والنزاعات الطائفية التى جعلت أحدهما يستغيث بموسى الذى من طينته والمشهد حدد المكان "المدينة" والزمان "حين غفلة من أهلها" والشخصيات

(1) مرتاض؛ عبد الملك، ألف ليلة وليلة - دراسة سيميائية وتفكيكية- لحكاية جمال بغداد، د ط، بغداد، دار

الشؤون الثقافية العامة، 1989م، 108.

(2) ينظر، سورة الفيل.

"موسى - عليه السلام - والخصمان" والحدث "الشجار والقتل والندم" والسرد القائم على الوصف لمجريات الحدث بشيء من العرض السريع والمفارقة التي تبدو من خلال الجرأة والشدة من قتل موسى - عليه السلام - للقبطي ثم الندم عقبها، والصراع الذي تتطور من فور دخول المدينة ثم الغلبة على القبطي وقتله ثم الندم والاستغفار ثم الهرب.

الشاهد الثالث: مشهد الرعاة وهم يسقون، ومشهد الزحام الذي منع فتاتين من السقاء، ومشهد موسى - عليه السلام - وهو يرى تلك الصورة أمامه حتى تدخل لإنقاذ الموقف بمساعدتهما.

المشهد الحوارى

إن المشهد الحوارى كثر فى قصص القرآن إذ شكل الغالب منها حيث غالبت كثرته المشاهد الوصفية.

المشهد الأول: يمكن البدء بذكر الحوار الذى جرى بين ابني آدم - عليه السلام - حوار فى مشهد قصير موجز، يتوعد الأول بقتل الآخر، فيبدي الآخر سماحته، ويبسط له خلقه، مبيناً له أنه لن يمد يده لقتله، وسيتركه يفعل فعلته حسبة الله - تعالى - وخوفاً منه، وحذره من أنه إن أقدم على تلك الفعلة سيلقى من الإثم ما يحتم النار مصيراً له بأمر الله - سبحانه - حتى طغت نفس الأول عليه، فمد يده بطشاً بأخيه فقتله، فأصبح أخوه أمامه جثة هامدة، عجز عن إدراك سبيل للتخلص منها، حتى استكمل المشهد بغراب بدأ يهيب لأخيه حفرة ليدفنه فيها. إنها عبرة المشاهدة(1).

المشهد الثانى: مشهد حوارى آخر، عندما سجد الملائكة جميعاً لآدم - عليه السلام - تكريماً له، وكان إبليس من بين الحاضرين فلم يسجد لنزعة كبر فى نفسه، وبدأ يحاوره رب العزة - سبحانه - لماذا لم تسجد؟ فأجاب قائلاً لم أكن لأسجد لبشر خلقتة من صلصال من حمار مسنون، ثم أمره الله - تعالى - بالخروج من الجنة، وأتبعه باللعنة، فواصل إبليس حواراً طالباً من ربه - سبحانه - أن يستنظره ليوم البعث، فأعطاه الله - تعالى - ما سأل، وواصل إبليس فكشف عن سوء طويته، وما الذى سيكون من أمره إزاء عباد الله - سبحانه - بإغوائهم إلا المخلصين منهم، فرد الله عليه بأن سلطانك لن يطول عبادى، وأن جهنم ستكون موعداً لك ولأتباعك، ووصفها له(2). وإن وفرة عناصر القصة، والتلاحم فى هذا المشهد قد ظهرا وبارنا، وحققا فى النفس أثراً بالغا.

(1) ينظر، المائدة: 27-31.

(2) ينظر، الحجر: 26-44.

المشهد الثالث: مشهد التعاليم السلوكية النبيلة التي أوصى بها لقمان - عليه السلام - ابنه، يحثه على عدم الشرك بالله - تعالى - أولاً، ثم تأتي آية اعتراضية للمشهد من الله - تعالى - يوصي بها الإنسان بوالديه، وهذا الاعتراض وإن كان لا يذكر في السياق ضمن وصايا لقمان لابنه، لكن مضمونه يهدف إلى تقويم سلوك الأبناء تجاه آبائهم وأمهاتهم، الأمر الذي يتناسب ذكره مع وصايا التعاليم السلوكية المذكورة في ذات السياق، ثم تستكمل الآيات المشهد الحوارية، لينهى الأب ابنه عن ظلم الناس ولو بقدر حبة من خردل؛ لأن الله - تعالى - سيسأل عنها، ويحاسب عليها. مشيراً إلى علم الله - تعالى - الدقيق بالأشياء، فلا يخفي عليه شيء مما يفعله و يراه الإنسان، وهو هنا يؤكد سنة المراقبة لله - تعالى - فإنه حتى ورقة النبات إذا سقطت فهي بعلمه مكاناً وزماناً وحدوثاً، ولا تنبت حبة إلا وهو محيط بها علماً. كما أمره بإقامة الصلاة، يعني أداء واجباتها وحدودها ركوعها وسجودها وخشوعها، وما شرع فيها، وما تهدف إليه من نهى صاحبها عن الفحشاء والمنكر، وواصل حواراً آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر طالباً منه الصبر على المصاب والابتلاء، يطمئنه أن الصبر لا يكون إلا من أصحاب العزائم، وتابع إرشاداته السلوكية الاجتماعية، فقد حذره من خصلة الكبر على الناس، والمشى في الأرض مرحاً، مبيناً أن تلك من الصفات التي لا يحبها الله - تعالى - كما أمره بالتواضع في المشية والاقتصاد فيها، لا إفراط ولا تفريط، كما حثه على غض صوته، وعدم رفعه خشية إيذاء الناس برفعه. إنه مشهد رائع اتصف بإلقاء النصائح السلوكية من طرف واحد وهو الأب الأعلى منزلة، والرد عليه معدوم الوجود في النص لفظاً، لكن إحياءات القبول من الطرف الثاني لا تنعدم - لاسيما - وابنه من المؤمنين الذين إذا سمعوا لم يعرضوا (1).

المشهد الرابع: حوار بين فنتين اثنتين، وكيف ينظر كل منهما للدنيا، ومتاعها، وذلك يتجلى في قوله تعالى: ﴿فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم﴾ وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً﴾ (القصص: 79).

المشهد الخامس: قال تعالى: ﴿لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين﴾ إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين﴾ (المائدة: 27-28) " دل على خلق حسن، وخوف من الله - تعالى - وخشية منه، وتورع أن يقابل أخاه بالسوء الذي أراد منه أخوه مثله (2) فامتنع عن القتل، بل عن عدم المبادرة بفعل المثل،

(1) ينظر، لقمان: 12-19.

(2) ابن كثير؛ أبو الفداء إسماعيل، قصص القرآن، جمع وترتيب: أحمد بن شعبان بن محمد، ط1، القاهرة، مكتبة الصفا، 2003م، 45.

واتضح هذا الخلق في علاقة هابيل بالله - **تعالى** - وإيمانه بت وبيوم الحساب ووعيده، وبختمية محاسبة الظالمين، وقد طل بعد نفسي بدفقات ودفعات تنزرت فتحلت النفس بالسماحة والوفاء والصبر والثقة.

المشهد المزجي "وصفي حوارى":

يعتبر هذا النوع من المشاهد هو الأكثر بروزاً في القصص القرآني، ولعل الحكمة من ذلك أنه بتلاحم المشاهد الوصفية مع الحوارية تبدو القصة أكثر تماسكا وجاذبية وتشويقاً، كما تكون أبلغ في إيصال الهدف المرجو منها، خاصة عند غلبة الحوار على السرد، وأمر ثالث يستبعد أن يكون الهدف مجرد تسلية للذوق، وإشباع رغبة النفس. إنما أتى المشهد في بعض القصص مزجياً كما أسلف الباحث؛ لتحقيق هدف بالغ، إذ لو غلب الوصف لما وصلنا إلى كشف ذلك الاحتدام الذي كان بين الحق والباطل من خلال تجاذبان حوارية متعددة بين الرسل ومشارك القرى، ولما وصلت فكرة الدعوة، ووعورة طريقها، بتمثيل واقعهما.

وثمة مشهد مزج بين الوصف والحوار، وقد يتشكل هذا المزج في عدة صور، فحينما يأتي الوصف مدخلاً موجزاً، وحينما آخر يكون في ثنايا الحوار، وحينما تختتم به القصة، ويأتي بشكل رابع عندما يكون مدخلاً، وفي ثنايا القصة، ونهايتها معاً، وسيعرض الباحث بعض النماذج لذلك.

المشهد الأول: وصف حال صاحب الجنتين، وحال جنتيه، هذا الوصف الذي بدأت به قصة صاحب الجنتين، قال **تعالى**: ﴿وجعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعاً﴾ *كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئاً وفجرنا خلالهما نهراً* وكان له ثمر (الكهف: 32-34)، فقد زخر المشهد بوصف لا يحتاج إلى مزيد، ولم ينتقص جانباً، صورة لصاحب جنتين يقف أمامهما، وقد غصا بأشجار العنب، ونفهما سور من النخل، وشق الزرع طريقه خلال الشجر، كما أثقلت الأغصان بالثمار، وسبح نهر متفجر بين الجنتين يروى الشجر، حتى أثمر.

ثم يبدأ المشهد بعد تلك الصورة الوصفية بمشهد حوارى جمع صاحب الجنتين مع جاره الذي قل ماله وعياله فتحاورا، وتجادبا أطراف الحديث، فالأول بدا من حوار، كأنموذج للرجل الثري، تذهله ثروته، وتبطره معيشته، فيجهل دور القدرة الإلهية الواهبة، ويغتر بما عنده، ناسياً فضل الله - **تعالى** - عليه ونعمته، ومتغافلاً أن النعم وأصحابها تفنى وتزول، منكراً قيام الساعة، أخذه الغرور بعيداً، وتقطر بخله من جنب. أما صاحبه المرسوم بالتقوى، والمتحلي بالإيمان، على قلة مال وولد، يأتي بدور المذكر الواعظ، الذي يرى النعم دليلاً على المنعم، موجبة لتوجيه الحمد والشكر إليه - **سبحانه** - لأنه لولا مشيئته ما ظلت جناته على ما كانت عليه، فذكره بنعم الله - **تعالى** - عليه، من مال وبنين، وجنات ونعيم. وفي المقابل فإن الله - **تعالى** - سيؤتيه من فضله لصبره على فقره، وأنذره إن هو واصل جحود النعمة، وإنكارها، فإن ثمة نعمة ستحصل لجنتيه من الله - **سبحانه** - أخذاً للنعمة بعد العطاء، وسحقاً لها وفناء، ثم عادت الآيات للوصف بمشهد مريع، وهو يضرب كفاً

بكف، وقد احترقت أمامه جنتاه، وبدت أمامه خاويتي العروش، محدثاً نفسه: ﴿يا ليتني لم أشرك بربي أحداً﴾ (الكهف: 42) وعندئذ لم ينفع الندم صاحبه (1).

المشهد الثاني: ثمة مشهد آخر مزج بين الوصف والحوار، أو هي مجموعة مشاهد قصيرة مزجت، وحبكت، لتطرز ثوبها القصصي المثير. إنه مشهد أصحاب الجنة، أولئك النفر الذين ترك والدهم لهم إرثاً، فما أدوا حق الله - تعالى - بعده فيه، فقد أقسموا على عدم أداء الواجب، والانطلاق إلى ثمارهم قطعاً منذ أن يفجر الصباح، وألا يتركوا ثمرة إلا وجردوها، وبينما هم كذلك يأتي مشهد وصفي لبستانهم وقد أحاط به الحريق، في الوقت الذي كانوا فيه مشغولين بمؤامرتهم، فطاف في أرجائه، فلم يترك أخضر أو يابساً إلا طاله الحريق وصرمه، ثم عادت الآيات لاستكمال المشهد الأول وهم مجتمعون، يتحاورون، نادى بعضهم بعضاً بعد استراحة مقلقة مزجت بالتفكير والكيد؛ لينقطع المشهد، ويبدأ من اللحظة العملية التي تبدأ فيها الخطوات العملية، والحركة لتنفيذ المهمة، ففي الصباح الذي لم تنم على ما يبدو في ليلته عيونهم، نادى بعضهم البعض الآخر لتجهيز النفس وما هم بحاجة. انطلقوا، وكان الحديث بينهم خفية أثناء الطريق - كانوا يتخافتون - لعله كان يدور في كيفية القسمة بينهم؟ أو إرشاد بعضهم بعضاً على كيفية التعامل مع المفاجآت إذا جاء أحد الفقراء وهم في حال الحصاد، أو إلى من سيبيعون؟ وكيف سينقلون ثمرهم من مكان البستان لمكان البيع؟... ولعل كل هذا جهز سلفاً. تلكم صورة قد فتح السياق التخيل فيها، بينما جاء السياق يساعد في كشف حالهم التي كانوا عليها - بلا ريب - قال تعالى: ﴿فانطلقوا وهم يتخافتون﴾ (القلم: 23)، وبينما هم في حديثهم، إذ وصلوا إليها، فخطأوا أنفسهم، واتهموا أنفسهم بالغفلة، بعد أن وجدوا ما أبهر عيونهم، وفاجأ نفوسهم من محق مكانها، وانتهى المشهد وهم يقرون بجسامة سوء طوبيتهم، وشر سريرتهم (2).

المشهد الثالث: المشهد القرآني - غالباً - ما يبدأ بوصف مقتضب، يتبعه حوار تتلاحم الأحداث بينهما. فالأول وهو الوصف صورة منطقية، ولوحة تصويرية جمالية، تعتبر كمدخل منطقي إلى الثاني، وهو الحوار. ولعل قصة أهل الكهف تؤكد هذين المنطقين، قال تعالى: ﴿نحن نقص عليك نبأهم بالحق إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى* وربطنا على قلوبهم﴾ (الكهف: 13-14)، إنه المشهد الأول، وصف موجز مقتضب لفتية في مقتبل العمر، آمنوا بربهم - سبحانه - وزادهم الله - تعالى - هدى فألهمهم كيف يتدبرون أمرهم؟ ثم ثبت أفئدتهم بالحق، واجتمعوا فيما بينهم للخير. ثم بدأ الحوار بعد اجتماعهم، وكأنهم استفتحوا بما وجده كل منهم منفرداً، دليلاً يدلهم على ربهم - سبحانه - من التدبر في السماوات والأرض والخلق، واتفقوا على عدم الشرك به - تعالى - وذكروا

(1) ينظر، سورة الكهف: 38-41.

(2) ينظر، القلم: 17-33.

لبعضهم حال قومهم من الشرك بالله -تعالى- وكيف يمكن لهم النفاذ إليهم رغبة في هاديتهم. لكنهم انفقوا على اعتزالهم لعدم قدرتهم على التغيير، واستتروا بالكهف، عسى هداية الله -تعالى- أن تنزل عليهم(1)، ثم يأتي مشهد وصفي آخر؛ ليبرهن لهم على قدرة ربهم - سبحانه- فدخل الفتية كهفهم، واستراح كل واحد في ناحية منه، وإذا بهم قد غطوا في سبات عميق، امتد سنوات طوال، إنه مشهد يصور تصويراً حياً، كيف كان حال نومهم، والشمس تعاقب مع القمر فوقهم سنوات طوال، وأجسامهم تتقلب على الأرض حفظاً لهم، وبعد تلك المدة من الاستغراق، استيقظوا، وهم في صورة لا تطيق العيون تحديقاً بها، إنه منظر مرعب "شعورهم، أظفارهم، أشكالهم، ألوان جلودهم" التي تلوّنت بعوامل التعرية، وبألوان الطيف على مدى السنين، ثم انتقلت القصة إلى مشهد حوارى آخر، بعد قدرتهم من نومتهم، فدارت الأسئلة عن مقدار وقت نومهم، ولما اختلفوا في تحديد مدة نومتهم، انتقلوا لشأنهم بعد شعورهم بالجوع، فبعثوا أحدهم بنقود قومهم الذين تركوهم منذ سنين؛ ليأتي لهم بطعام ورزق، طالبين منه الحذر، وإخفاء الأثر. خائفين من إمساك القوم بت، عندها سيعذب، ثم يدل عليهم، ثم يهلكون ولا تفلح دعوتهم(2).

المشهد التأملى:

إنها الآيات التي تضع القارئ والملقى أمام مشهد من مشاهد الكون التي يراها، وتحتاج منه إلى مزيد من التأمل والترقب في انتظامها، وحركتها، ودورانها، وتناسقها، وألوانها، وحجمها، وترتيبها، وأوقات خروجها، وأقولها، وأزمنة بدايتها، ونهايتها، ولمعانها وقوة ضوئها، وشدة حرارتها، وغير ذلك. وكثيرة تلك الآيات التي تبدو صورة جمالية، ولوحة فنية تستدعي التأمل، المشهد الأول: قال تعالى: ﴿والشمس وضحاها* والقمر إذا تلاها* والنهار إذا جلاها* والليل إذا يغشاها* والسماء وما بناها* والأرض وما طحاها* ونفس وما سواها* فألهمها فجورها وتقواها﴾ (الشمس: 1- 8).

المشهد الثاني: قال تعالى: ﴿أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت* وإلى السماء كيف رفعت* وإلى الجبال كيف نصبت* وإلى الأرض كيف سطحت﴾ (الغاشية: 17-20) وهذه المشاهد كلية عامة. المشهد الثالث: من المشاهد التأملية التفصيلية، مشهد الأرض التي فصلت أمام الرائيين بكونها قراراً للمنافع، ففي باطنها كنوز وخيرات، كما أن الأنهار تجري من خلالها، والجبال رواسي على أطرافها، وجعل من اليايس فيها حاجزاً بين البحرين، قال تعالى: ﴿أمن جعل الأرض قراراً وجعل خلالها أنهاراً وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزاً﴾ (النمل: 61).

(1) ينظر، سورة الكهف: 14-16.

(2) ينظر، سورة الكهف: 19-20.

المشهد الرابع: قال تعالى: ﴿وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم﴾ (الأنعام: 38)، إنه مشهد تلك الأمم التي تدب على الأرض، لا تختلف عن الإنسان في براعة خلقها، ولا في معرفتها بربها وخالقها.

المشهد الخامس: كما فصلت بعض الآيات مشهداً تأملياً تبين فيه أنواع الكائنات التي تدب على الأرض، عظة للقلوب والعقول، قال تعالى: ﴿والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع يخلق الله ما يشاء﴾ (النور: 45).
المشهد السادس: هو مشهد حركة السحاب الذي ينشأ منه الماء والبرد، كمشهد تأملي، تفتق من بين جنباته دلائل على قدرة الخالق وعلمه، قال تعالى: ﴿ألم تر أن الله يزجي سحاباً ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاماً فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار﴾ (النور: 43). إن سوق مثل هذه الآيات لم يكن لمجرد الوصف، وإنما الغاية منه دعوة الإنسان إلى التأمل الذي يصل به إلى معرفة عظمة هذه المخلوقات، التي تدل بمعرفتها، والعلم بها على عظمة الخالق - سبحانه - وقدرته، والهيته.

الوقفّة

الوقفّة " تسمى الاستراحة، وفيها يكون الزمن معلقاً، ويتحقق ذلك عندما لا يتطابق أي زمن وظيفي مع زمن الخطاب. وينطبق ذلك على الوصف والخواطر، كما يرى "تودوروف" التوقف يحصل بسبب المرور من سرد الأحداث إلى الوصف الذي ينتج عنه المقطع من النص القصصي، تقابله ديمومة صفر على نطاق الحكاية " (1).

الوقفّات الوصفية: خالية من الزمن، ولا يحتوي سياقها على أي من الأفعال التي توحى بالزمن. وتعرف بالوقفّة الوصفية وهي نقيض القفز. وتظهر في الحالات التي يكون فيها قص الراوي وصفاً. فعندئذ يصبح الزمن على مستوى القول أطول، وربما بما لا نهاية من الزمن على مستوى الوقائع (2). ولم تهتم القصة القرآنية بجانب الوصف كثيراً، ولم يبالغ فيه، ويعلل ذلك د. بحرأوي بقوله عن الوصف: " فلا تنسى بأن الوصف وسيلة وليس هدفاً، أي أنه جزء من الكل وليس أجزاء مكونة للموضوع " (3). وهذا النوع كثير في القصة القرآنية - على حد علم الباحث - لأن القصة جاءت لهدف ما، وجاء فيها الوصف ليؤكد هدفها، ولتزيد من جمالها، وتأنقها، ورفعتها، وأثرها بما نظمت عليه، وهي عن الوصف المبالغ فيه مستغنية، ولا جدوى مع وجود غيره له.

(1) الشوابكة، السرد المؤطر في زاوية النهاية، 99.

(2) المرزوق، جهاد، بناء الخطاب الروائي، 170.

(3) بحرأوي؛ بنية الشكل الروائي، 176.

ثالثاً: تقانة التواتر

هو تكرار بعض الأحداث من المتن الحكائي على مستوى السرد، وذلك ضمن أربع حالات، هي (1):

الحالة الأولى: أن محكياً كيفما كان، يمكن أن يحكي مرة واحدة ما حدث مرة واحدة، ومثال ذلك ذكر موسى - عليه السلام - جميع الأحداث التي مرت معه في مصر للرجل الصالح، وقد مرت معه تباعاً لمرة واحدة، وحكاها له مرة واحدة كما يفهم من السياق (2).

الحالة الثانية: سرد لحدث حصل أكثر من مرة، على أن يكون وقع أكثر من مرة، ومثال ذلك استضعاف فرعون لقوم موسى - عليه السلام - حيث ذكر في موضعين (3). وخوف أم موسى، فقد تكرر في موضعين بآية واحدة، وحصل في مواقف كثيرة (4)، وكذلك حزنها على ما يحدث، وقد ذكر في موضعين (5)، فكلما مر بها حدث يتعلق بابنها، أصابها الحزن والقلق.

الحالة الثالثة: الحكى لحدث عدة مرات، يكون قد حصل مرة واحدة، ومثال ذلك قتل موسى - عليه السلام - للقبطي، فقد ذكرته الآيات في عدة مواضع، وقد حصل القتل مرة واحدة (6).

الحالة الرابعة: حكى الحدث مرة واحدة لما وقع عدة مرات، ومثال ذلك الاتفاق الذي أبرم بين موسى - عليه السلام - والرجل الصالح، من أنه سيقضي عنده في عمل ما عشر سنوات، ويستلزم ذلك تكرار العمل يومياً، ولم يذكر إلا مرة واحدة في القصة (7). وهناك الكثير من الأمثلة فقد توافر توافر في كل قصة مثل هذه الحالات أو بعضها.

(1) ينظر، بوطيب؛ عبد العالي، إشكالية المزمّن في النص السردّي، مجلة فصول، المجلد 12، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، صيف 1993م، 129-143.

(2) سورة القصص: 25.

(3) سورة القصص: 4، 5.

(4) سورة القصص: 7.

(5) سورة القصص: 7، 13.

(6) سورة القصص: 15، 19، 25، 33.

(7) سورة القصص: 28.

ألفاظ الزمان في النص القرآني (دلالات وجماليات)

ويجمل الباحث في هذا المقام ألفاظ الزمان في القرآن الكريم، موضحاً دلالاتها ومعانيها حسب ورودها فيه، وذلك لأهميته، وإضفاء الجماليات من خلفياته في السياق القرآني، ولأن تعظيم الله - سبحانه وتعالى - له ذكر في أكثر من آية، ولأنه لا يستغني عنه الإنسان في ترتيب أولوياته، والقيام بواجباته، سواء الدينية أو العرفية. وستتجلى أمام القارئ صور الجمال من خلال الألفاظ التي سجلتها الآيات بين ثناياها من كلام رب العالمين.

النهار وأجزاؤه

النهار

عدد الورد: وردت كلمة "نهار" في القرآن الكريم "57 مرة" ووردت مضافة إلى أطراف "أطراف النهار" ثلاث مرات.

المعنى اللغوي: النهار " ضياء ما بين طلوع الفجر إلى غروب الشمس، وقيل من طلوع الشمس إلى غروبها، وقال بعضهم: النهار انتشار ضوء البصر واجتماعه، والجمع أنهر ونهر. الجوهري: النهار: ضد الليل... والنهار اسم لكل يوم. والليل اسم لكل ليلة " (1).

الفائدة الجمالية: كثر اقتران النهار بالليل في القرآن كآيات من آيات الله - تعالى - الكونية، وأول مظهر من مظاهر الجمال لهما: هو ذلك الغشيان، أو تداخل أحدهما في الآخر بتدرج بطيء، لا يخطف بصراً، ولا ينقلب فجأة، ليهيئ الناس على تقليب أحوالهم ومصالحهم؛ لأنها لمصلحة الإنسان مخلوقان. وإن كلا منهما كان للإنسان نعمة، فمصالح الخلق في النهار كثيرة، منها بحثه عن رزقه، واختلاطه بغيره لتحقيق المنافع، بالسعي الدعوب، والعمل المتواصل. ثم يأتي الليل، سكون، وراحة، ودعة، واطمئنان. وبانتظامهما ينتظم الكون، بجميع مفرداته ومكوناته، التي يراها الناس أو لا يرونها. وقد جاءت كلمات تبين ذلك التداخل بينهما، مثل: "يولج" و"يكور" و"يقطب" و"يغشى" و"خلفه" و"اختلف" لكن ثمة ما يقتضي التدرج هنا، فلم تأت الكلمات بمعنى واحد، فالاختلاف يبدأ ببعض المظاهر كغروب الشمس، ثم يبدأ التكوير والدوران ببطء، فالغشيان بغلبة أحدهما على الآخر، ثم يحدث القلب والتغيير الذي ينتهي وجود الأول بيد الآخر. ولفظ النهار " إذا أطلق، فالنهار من طلوع الفجر؛ كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وأقم الصلاة طرفي النهار وظلماً من الليل﴾ (هود: 114)... وأما إذا قال... "تصف النهار" فإنما يعني معه النهار المبتدئ من

(1) ابن منظور، لسان العرب، 5: 278.

طلوع الشمس " (1). وقال تعالى: ﴿حين تمسون وحين تصبحون﴾ (الروم: 17)، وهنا قدم -سبحانه- الليل على النهار. ولذلك اختارت العرب التاريخ بالليالي دون الأيام، وإن كانت الليالي مؤنثة والأيام مذكرة، وقاعدتهم تغليب المذكر إلا في التاريخ " (2).

قال تعالى: ﴿قل أريتكم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتكم بضياء أفلا تسمعون* قل أريتكم إن جعل الله عليكم النهار سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون﴾ (القصص: 71، 72). إن المتدبر في الآيتين السابقتين يجد أن " مع الليل يتعذر الإبصار؛ بسبب ادلهام الظلمة، وتقوى حاسة السمع؛ بسبب السكون، فإذا لم يعتبروا فهل فقدوا حاسة السمع- أيضا- تبعا لفقدهم حاسة الإبصار ابتداء؟ وأما مع النهار فتقوى حاسة الإبصار، فإذا لم يعتبروا، فهل فقدوا تلك الحاسة التي هي أوان نفعها؟ " (3). و" ظرف الليل ظرف مظلم لا ينفذ فيه البصر - لاسيما- وقد أضاف الإتيان بالضياء الذي تنفذ فيه الأبصار إلى غيره، وغيره ليس بفاعل على الحقيقة، فصار النهار كأنه معدوم إذ نسب وجوده إلى غير موجد والليل كأنه لا موجود سواه. إذ جعل سرمدا منسوبا إليه- سبحانه- فاقتضت البلاغة أن يقول: "أفلا يسمعون" لمناسبة ما بين السماع والظرف الليلي الذي يصلح للاستماع، ولا يصلح للإبصار. وكذلك قال في الآية التي تليها: ﴿قل أريتكم إن جعل الله عليكم النهار سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون﴾ (القصص: 72)؛ لأنه لما أضاف جعل النهار سرمدا إليه صار النهار كأنه سرمد، وهو ظرف مضيء تنور فيه الأبصار، وأضاف الإتيان إلى غيره، وغيره ليس بفاعل على الحقيقة، فصار الليل كأنه معدوم. إذ نسب وجوده إلى غير موجد، والنهار كأنه لا موجود سواه، إذ جعل وجوده سرمدا منسوبا إليه فاقتضت البلاغة أن يقول: ﴿أفلا تبصرون﴾ إذ الظرف مضيء صالح للإبصار، وهذا من دقيق المناسبة المعنوية" (4). وبناء على هذا الترتيب تتحقق مصالح الخلق. وبعد تدبر الآيات السابقة واستشعارها يبدأ الإنسان بحق في التعرف على قدرة الخالق- سبحانه- فيبدأ بتسيححه، وتمجيده آناء الليل وأطراف النهار. فكيف لما تجتمع تلك المنافع مع ذلك الجمال الذي يتمثل في الوضوح لكل شيء فإنه لا يدرك إلا بأية النهار.

(1) بزمول، الحقيقة الشرعية، 117.

(2) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 775.

(3) العايد، نظرات لغوية في القرآن الكريم، 246.

(4) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 64.

الفجر:

عدد ورود: وردت كلمة "فجر" في القرآن الكريم ست مرات.

المعنى اللغوي: " الفاء والجيم والراء أصل واحد، وهو التفتح في الشيء. ومن ذلك الفجر: انفجار الظلمة عن الصبح " (1).

الفائدة الجمالية: وقت تفجر السكون؛ ليفجر الهدوء؛ ويخلق الحركة، ويبدأ ضجيج الحياة، ويفجر الليل؛ ليبدأ النهار، وخير ما أراد الله - تعالى - لعباده مذ حلول هذا الفجر أن يبدؤوه بالصلاة أو قراءة القرآن، لتكون حركتهم مضبوطة به، وحياتهم متعلقة بما فيه، ونهارهم موصول بتعاليمه، قال تعالى: ﴿وَقَرَّانَ الْفَجْرَ إِنَّ قَرَّانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ (النور: 58)، والفجر علامة فارقة بحلول تباشير النهار، لذلك كان وقت بداية الصيام، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ (البقرة: 187). وكل مواضع كلمة "فجر" في القرآن مخصوصة في العبادة سوى موضع الاستئذان، الذي جعله الله - تعالى - وقتا فارقا، بين الوقت المسموح فيه بالاستئذان لطرق البيوت والدخول فيها، أو عدمه، قال تعالى: ﴿لَيْسَتَأْذَنُكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ﴾ (النور: 58). لأنه وقت خصوصية الإنسان، لذلك لم يسمح بطرق الأبواب حفظا لتلك الخصوصية أيا كان نوعها.

البكرة:

عدد ورود: وردت لفظ "بكرة" سبع مرات، وعطفت عليها كلمة "عشيا" في موضعين، وعطفت عليها كلمة "أصيلا" في أربعة مواضع. أما لفظ "إبكار" فورد أربع مرات.

المعنى اللغوي: الإبكار: " البكرة: الغدوة. قال سيبويه: من العرب من يقول أتيتك بكرة، نكرة منون، وهو يريد في يومه أو غده. وفي التنزيل العزيز: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ (مريم: 62)، التهذيب: البكرة من الغد، ويجمع بكرة وأبكارا... والإبكار: اسم البكرة كالإصباح " (2).

الفائدة الجمالية: لقد جعل الله - تعالى - في الإبكار والعشي دوران رزق الإنسان، لذلك كما جعل الله - تعالى - فيهما الرزق معاشا وهو زاد مادي، جعل فيهما زادا للمعاد -زادا معنويا- وهو ذكره - سبحانه وتعالى - وتسيحجه؛ لتكتمل بذلك إنسانية الإنسان بناء مادي وروحيا، ويمتاز عن خلق آخرين، ويهنا في الدنيا والعقبى، قال تعالى: ﴿أَنْ سَبَحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ (مريم: 11)، وقال تعالى:

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 4: 476.

(2) ابن منظور، لسان العرب، 87: 4.

﴿لهم رزقهم فيها بكرة وعشيا﴾ (مريم: 62)، وقال تعالى: ﴿وسبحوه بكرة وأصيلاً﴾ (الأحزاب: 42).
وقرن المتضادين؛ لتأكيد قدرة الله -تعالى- على الناس، أنه يسمعهم في آن واحد، ومطلع عليهم في
آن واحد. كما إنه أراد إشغال الناس بذكره؛ لأنهم مفتقرون إليه في كل آن.
الشمس:

عدد ورود: وردت كلمة "شمس" في القرآن " 33 مرة " .

المعنى اللغوي: " الشين والميم والسين أصل يدل على تلون، وقلة استقرار... سميت بذلك؛ لأنها
غير مستقرة، هي أبداً متحركة. وقرئ: ﴿والشمس تجري لمستقر لها﴾ (يس: 38)... ورجل شمس،
إذا كان لا يستقر على خلق، وهو إلى العسر ما هو. ويقال شمس لي فلان، إذا أبدى لك
عداوته"(1).

الفائدة الجمالية: دائمة الدوران، متحركة باستمرار، تنبض بالحياة، فيها الضياء والنور، تسقط على
الخلق منافعها، عدم استقرارها سبب رئيس من أسباب ديمومة الحياة، يحتاجها أهل المشرق كحاجة
أهل المغرب، والإنسان كغيره، آية للتدبر والتفكر؛ لكثرة منافعها وفوائدها، تعطي بلا حساب،
وتتحول دونما إذن، عرفت كرتها فدارت عربتها، دونما أن يختلف نظامها، أو أن ينحرف مسارها.
إذا حلت يذهب الليل، وإذا أقبلت فالنهار وليدها. وفي جميع المواضع المذكورة فيها كلمة " شمس "
تدل على أنها آية من آيات الله -تعالى- ذكرها؛ لتقريب الإفهام والعقول نحو الإيمان به، بالتأمل،
وإدراك حركتها المنتظمة. والتدبر بحجمها وبعدها واستقرارها ودورانها، فضلا عن جمالها وأشعتها
وضيائها.

طلوع:

عدد الورد: وردت كلمة "طلع" مرتين بلفظ "طلوع" قال تعالى: ﴿وسبح بحمد ربك قبل طلوع
الشمس وقبل الغروب﴾ (طه: 130، ق: 39)، ووردت بلفظ "مطلع الفجر" ثلاث مرات، إحداها في
سياق "آية القدر".

المعنى اللغوي: " الطاء واللام والعين أصل واحد صحيح، يدل على ظهور وبروز، يقال: طلعت
الشمس طلوعاً ومطلعاً. والمطلع: موضع طلوعها، قال الله تعالى: ﴿سلام هي حتى مطلع
الفجر﴾ (القدر: 5) فمن فتح اللام أراد المصدر، ومن كسر أراد الموضع الذي تطلع فيه " (2).

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 3: 212-213.

(2) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 3: 419 .

الفائدة الجمالية: إنه وقت بروز الحق، وظهور سجل جديد لحياة جديدة تطلع للمؤمن بعد ليلة القدر العظيمة، فتعمه مغفرة من الله - تعالى - فهي مباركة، ومشهودة، فناسبت لفظة "طلع" هذا المقام، وجاءت مضافة إلى "الفجر" ليكمل الجمال ويتم، فإنه تفجر لميلاد مؤمن جديد، في يوم جديد. ويلحظ ذو اللب من نهاية ليلة القدر باللفظتين في الآية ﴿سلام هي حتى مطلع الفجر﴾ (القدر: 5) أعظم مشاهد الإثارة، حيث اقتزان كلمة "مطلع" بكلمة "الفجر" دل على بقاء هذا النور الجميل الذي يعم الأرواح المؤمنة بالسلام، وله وميض أو إشاعات تستمر من نهاية عام إلى بداية عام جديد محفوف بنور فجر الإيمان. فهو مطلع عام جديد محفوف بنور اليقين والإيمان اللذين يصحبان من أقام الله نفسه في تلك الليلة. وتأتي "حتى" التي تفيد الغاية الزمانية؛ لتؤكد على استمرارية مضي هذا الطلوع الجديد نحو المستقبل المشرق بالغفران من الرب تعالى.

الفلق:

عدد ورود: وردت كلمة "الفلق" بلفظها في القرآن مرة واحدة، قال تعالى: ﴿قل أعوذ برب الفلق﴾ (الفلق: 1).

المعنى اللغوي: "الفلق: الصبح؛ لأن الظلام ينفلق عنه" (1).

الفائدة الجمالية: "فلاستعاذة برب الصبح الذي يدفع بالنور شر كل غامض مستور... فالمعنى يتناسق مع ما بعده" (2). وهي مرحلة الانتقال، انتقال الظلام إلى النور أو العكس. وعلى ذلك تكون هذه المرحلة مرحلة الفتن؛ لأن مراحل الانتقال هي مراحل فتن. حتى تثبت على وضع، إما النور أو الظلام، الحق أو الباطل، الإيمان أو الكفر.

الإشراق:

عدد الورد: وردت كلمة "الإشراق" في القرآن الكريم مرة واحدة بلفظها، قال تعالى: ﴿يسبحن بالعشي والإشراق﴾ (ص: 18).

المعنى اللغوي: شرق: "شرقت الشمس تشرق شروفاً وشرقاً: طلعت... وأشرقت إذا أضاءت" (3). **الفائدة الجمالية:** إنه استجماع المتضادات؛ ليشمل التسييح والانشغال مع الرب الأعلى كل الأوقات. استغراق في العلاقة بين العابد والمعبود. وفي الإشراق إشراق النفس التي تبدأ نهارها

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 4: 452.

(2) قطب؛ سيد، في ظلال القرآن، ط17، بيروت، دار الشروق، 1993م، 6: 4007.

(3) ابن منظور، لسان العرب، 280: 10.

بتسبيح خالقها، وذكر باريها وفاطرها، جمال اليوم لا يكتمل إلا إذا ارتشفت الروح بإشراقات من الذكر والابتهال، وأشرق العقل بالتدبر في كل الأحوال التي يدركها، فتبدو له مشرقة في حلتها المعتادة، وجمالها الساحر، تدبرا لكل ما ينبعث منها، وما يتحقق من فوائدها، في ظل هذا الإشراق الذي يشعر النفس بعظمة خالقه.

صباح:

عدد ورود: وردت كلمة "الإصباح" في القرآن مرة واحدة، و"مصبحين" خمس مرات، قال تعالى: ﴿فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ مُصْبِحِينَ﴾ (الحجر: 83)، و"صبح" وردت ست مرات، وأما "أصبح" وردت 22 مرة، و"تصبح" وردت مرة واحدة، و"يصبح" وردت مرتين، و"مصايب" وردت مرتين.

المعنى اللغوي: "الصاد والباء والحاء أصل واحد مطرد. وهو لون من الألوان. قالوا: أصله الحمرة. قالوا: وسمي الصبح صباحاً لحمرته... لذلك يقال: وجه صبيح. والصبح: نور النهار" (1). و"الصبح: أول النهار. والصبح: الفجر. والصبح نقيض المساء، والجمع أصباح، وهو الصبيحة، والصبح، والإصباح، والمصبح، قال عز وجل: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾ (الأنعام: 96). قال الفراء: إذا قيل الإمساء والإصباح، فهو جمع المساء والصبح" (2).

الفائدة الجمالية: الإصباح آية جمال تتفق، فانفلاق الصباح عن الليل، يعني انحساره وانكشافه. وإذا انكشف الصبح يظهر ذلك اللون الأحمر الجميل، ويكتمل نور النهار، ويسفر عن إيهاب جميل يشعر بجمال الطبيعة، ويكشف عن رداء بديع يحس معه ببهجة الألوان، وهو مبعث الراحة، ومذهب الرهبة، ومزيل الخوف. لماذا الصبح؟ إنه الذي يؤذن بميلاد عهد جديد، إنه عهد يأتي على أنقاض عهد الكفر والشرك والإعراض. لون جديد للحياة، ونور الإيمان بعد ظلام الشرك، ومسافة الصبح - كما يراها الكافرون - بالنسبة لتحقيق وعيد الله - تعالى - بعيدة، فهي تدل على ما في نفوسهم تجاه دعوة نبيهم، وتبرهن على شدة الإنكار لدعوته، مع استبعاد التحقق للوعيد بالعذاب، قال تعالى: ﴿إِنْ مَوْعِدُهُمْ الصَّبْحُ أَلَيْسَ الصَّبْحُ بَقَرِيبٍ﴾ (هود: 81)، إنها تمثل بالنسبة لهم مستقبلاً مستحيلاً، إذ كيف يتوعددهم في الصباح، وليست من أمارات وعلامات يرونها أمامهم، فقط مجرد وعيد. لقد تحولوا من الرخاء والدعة إلى الكدر والنكد، ومن العمران إلى الخراب، ومن الغنى إلى الفقر، ومن الزهو والغرور إلى الوضاعة والضياع، ومن الريح إلى الخسارة. إنها خسارة الدنيا

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 3: 328.

(2) ابن منظور، لسان العرب، 2: 592 - 593.

والآخرة. لذلك أصبح الصباح وهم ليسوا هم، قال تعالى: ﴿حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين﴾ (المائدة: 53). كما إنه وقت التحول، من الماضي للحاضر، لقد كان هادئاً، فتحول هادئاً، فتحوّل هادئاً، بعد حدث القتل خوفاً، واطمئنانه رهبة، قال تعالى: ﴿فأصبح في المدينة خائفاً يترقب﴾ (القصص: 18). وهذه مصابيح النجوم، تسبح في فضاء الكون، وتهدي السائرين الحيارى، وتثير دروبهم، وتسقط شهباً لمستلقي السمع. إنها آيات لمن ألقى السمع وهو شهيد. منارات عاليات شاهقات عملاقة، تتوزع في أجمل منظر للرائين، وتتناسق فلا تصطدم. دالة من دوال القدرة الإلهية المطلقة، قال تعالى: ﴿ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين﴾ (الملك: 6).

ضحى:

عدد ورود: وردت كلمة "ضحى" في القرآن الكريم ست مرات.

المعنى اللغوي: " الضاد والحاء والحرف المعتل أصل صحيح واحد يدل على بروز الشيء. فالحاء: امتداد النهار، وذلك هو الوقت البارز المنكشف... وإنما سميت الذبيحة بذلك؛ لأنها لا تكون إلا في وقت إشراق الشمس " (1).

الفائدة الجمالية: قال تعالى: ﴿والضحى والليل إذا سجى﴾ (الضحى: 1). وقت تبرز فيه حركة الخلق، ويظهر فيه سعيهم، وتتضح فيه أرزاقهم وحوائجهم، وتتكشف فيه الأحداث، فالقسم به قسم عظيم " يربط بين ظواهر الكون ومشاعر النفس. ويوحى إلى القلب البشري بالحياة الشاعرة المتجاوبة مع هذا الوجود الجميل الحي، المتعاطف مع كل حي. فيعيش ذلك القلب في أنس من هذا الوجود، غير موحش ولا غريب فيه... وفي هذه السورة بالذات يكون لهذا الأناس وقعه. فظل الأناس هو المراد مده. وكأنما يوحى الله لرسوله صلى الله عليه وسلم - منذ مطلع السورة، أن ربه أفاض من حوله الأناس في هذا الوجود، وأنه من ثم غير مجفو فيه ولا فريد " (2). **وقال تعالى: ﴿كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها﴾ (النازعات: 46)**، إنه استخفاف بحياة الدنيا مقارنة مع حياة الآخرة، أيستبدلون الآخرة الأبديّة التي لا زوال لها بالضحى والعشية الفانيتين!.

غدو:

عدد ورود: وردت في القرآن الكريم بلفظ "غداة" مرتين، ووردت بلفظ "غدوا" مرة واحدة. وقد وردت كلمة "غدو" أربع مرات.

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 3: 391-392 .

(2) قطب، في ظلال القرآن، 6: 3926.

المعنى اللغوي: غدو " الغين والذال والحرف المعتل أصل صحيح يدل على زمان. من ذلك الغدو، يقال: غدا يغدو. والغدوة والغداة، وجمع الغدوة غدو، وجمع الغداة غدوات... والغداء: الطعام بعينه، سمي بذلك؛ لأنه يؤكل في ذلك الزمان " (1).

الفائدة الجمالية: وقت الصباح الممتد، ووقت السعي الحثيث، ووقت العمل، والبحث عن الرزق، ووقت امتداد العذاب من غداة لغداة، لا ينفك أبدا عن أهل النار، قال تعالى: ﴿النار يعرضون عليها غدوا وعشيا﴾ (غافر: 46)، بينما يكون "الغدو" ومقابلته "العشي" شاهدين على المؤمن في تسبيحه، وذكره الله - تعالى - والتضرع إليه، فهما بمثابة الوجبة الروحية التي لا غنى للروح عنها، قال تعالى: ﴿الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي﴾ (الأنعام: 52، الكهف: 28). قال تعالى: ﴿وغدوا على حرد قادرين﴾ (القلم: 25)، وتسامى التعبير عند اجتماع "فتنادوا مصبحين" و"أن اغدوا على حركم" و"غدوا على حرد" ليصدق الحدث بعضه بعضا، ويخلق الحيوية اللحظية له، بالتسارع لإنفاذ الخطة في وقت واحد. إنه وقت نشاطهم، وغفلة المساكين عنهم. إنه وقت أرادوه بخيلا؛ لكن الله - تعالى - فاجأهم بحرب أخذتهم؛ لأنه جعله وقت رزق للغني والفقير، فلما أرادوا حرف المسار جعل جنتهم صريما.

ظهيرة:

عدد ورود: وردت كلمة "ظهيرة" في القرآن مرة واحدة.

المعنى اللغوي: الظهيرة " الهاجرة. يقال أتيته حد الظهيرة، وحين قام قائم الظهيرة... قال ابن الأثير: هو اسم لنصف النهار، سمي معه ظهيرة الشمس، وهو شدة حرها... ابن سيده: الظهيرة حد انتصاف النهار " (2).

الفائدة الجمالية: وقت محدود ومحصور، يرتاح فيه من تعب، ويسكن فيه من أخذت الحركة قوته، واستغرق في نوم من كان له فيه حظوة، فكان الأدب يزف نفسه؛ لتتحلى معه النفوس عبر الاستئذان في هذا الوقت، قال تعالى: ﴿وحيث تضعون ثيابكم من الظهيرة﴾ (النور: 58).

عصر:

عدد ورود: وردت كلمة "عصر" في القرآن الكريم مرة واحدة.

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 4: 415.

(2) ابن منظور، لسان العرب، 606: 4.

المعنى اللغوي: " العين والصاد والراء أصول ثلاثة صحيحة: الأول، دهر وحين. والثاني، ضغط شيء حتى يتحلب. والثالث، تعلق بشيء وتمسك به. فالأول العصر، وهو الدهر. قال تعالى: ﴿وَالعصر إن الإنسان لفي خسر﴾ (العصر: 1)... قال الخليل: والعصران: الليل والنهار... قالوا: وبه سميت صلاة العصر؛ لأنها تعصر، أي تؤخر عن الظهر. والغداة والعشي يسميان العصرين" (1). و" العصر والعصر والعصر والعصر والعصر، الدهر. قال الله تعالى: ﴿وَالعصر إن الإنسان لفي خسر﴾، قال الفراء: العصر الدهر... قال ابن عباس: العصر ما يلي المغرب من النهار، وقال قتادة: هي ساعة من ساعات النهار... والعصران: الليل والنهار. والعصر: الليلة. والعصر: اليوم... وقال ابن السكيت في باب ما جاء مثني: الليل والنهار، يقال لهما العصران، قال: يقال العصران الغداة والعشي... قيل وما العصران؟ قال: صلاة قبل طلوع الشمس، وصلاة قبل غروبها... والعصر الحبس، وسميت عصرًا؛ لأنها تعصر أي تحبس... والعصار: الحين، يقال: فلان على عصار من الدهر أي: حين... قيل: المعصر هي التي راهقت العشرين، وقيل: المعصر ساعة تظمت أي تحيض؛ لأنها تحبس في البيت، يجعل لها عصرًا... قال أبو إسحاق: المعصرات السحائب؛ لأنها تعصر الماء... والإعصار: الريح تثير السحاب" (2).

الفائدة الجمالية: العصر في الآية الزمن، وأقسم الله -تعالى- به لأنه خلق من خلقه عظيم، خلقه منفعة للناس، يسجل حركاتهم وسكناتهم، ويملي أفعالهم وأقوالهم، ويرتب مصالحهم، وينسق أعمالهم. كما أن الله -تعالى- قدر فيه لكل شيء قدرًا، ووهب لكل مخلوق إحساسًا به. فزمن حياة الإنسان يختلف عن الحيوان، والثاني زمنه يختلف عن الطيور والجمادات. فالزمن دالة على تلك القوة الإلهية المطلقة.

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 4: 340-341.

(2) ابن منظور، لسان العرب، 4: 662-664.

ثانيا: الليل وأجزاؤه (دلالات وجماليات)

الليل:

عدد الورد: وردت كلمة "ليل" في القرآن الكريم 88 مرة، و"ليال" أربع مرات، "قطع من الليل" ثلاث مرات، و"ثلاثي الليل" مرة واحدة، و"سبع ليال" مرة واحدة، "ثمانية أيام" مرة واحدة، و"ثلاثون ليلة" مرة واحدة، و"ليال سويا" مرة واحدة.

المعنى اللغوي: " الليل: عقيب النهار ومبدؤه من غروب الشمس. التهذيب: الليل ضد النهار. والليل ظلام والنهار الضياء ، فإذا أفردت أحدهما من الآخر قلت ليلة ويوم... والليل اسم لكل ليلة، ولا يقال نهار ونهاران ولا ليل وليلان، وإنما واحد النهار يوم، وتثنيته يومان، وجمعه أيام، وضد اليوم ليلة، وجمعها ليال، وكان الواحد ليلاة في الأصل، يدل على ذلك جمعهم إياه الليالي، وتصغيرهم إياها لتيلية، قال: وربما وضعت العرب النهار في موضع اليوم فيجمعونه حينئذ نهر" (1). و" قد يطلق بعضهم كلمة "الليل" وفي ذهنه أنه ينتهي إلى طلوع الفجر، ويفسر بهذا النصوص التي ورد فيها هذا اللفظ. وإن لفظة "الليل" إذا أضيف إليها مقدار؛ فليل: ثلث الليل، أو ربع الليل، أو نصف الليل، أو ثلثي الليل، فالمراد الليل الذي نهايته طلوع الشمس لا طلوع الفجر، ومن عكس؛ لم يصب. أما لفظ "الليل" على الإطلاق دون أن يضاف إليها مقدار؛ فإن المراد منه: ما ينتهي بطلوع الفجر " (2).

الفائدة الجمالية: الليل والنهار آيتان عظيمتان أقسم الله -تعالى- بهما مع تفرد الليل بأن سمي باسمه سورة من سوره، وسمى بأجزاء النهار سورا كسورة الفجر، قال تعالى: ﴿والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى﴾ (الليل: 1-2). ف" الليل حين يغشى البسيطة، ويغمرها ويخفيها. والنهار حين يتجلى ويظهر، فيظهر في تجليه كل شيء ويسفر. وهما آنان متقابلان في دورة الفلك، ومتقابلان في الصورة، ومتقابلان في الخصائص، ومتقابلان في الآثار... والليل والنهار ظاهرتان شاملتان، لهما دلالة توحى إichاء يدخل تعظيم الرب القادر على القلب البشري، ولهما دلالة كذلك أخرى عند التدبر والتفكر فيهما وفيما وراءهما. والنفس تتأثر متأثرا تلقائيا بتقلب الليل والنهار. الليل إذ يغشى ويعم، والنهار إذا يتجلى ويسفر. ولهذا القلب حديث وإichاء. حديث عن هذا الكون المجهول الأسرار، وعن الظواهر التي لا يملك البشر من أمرها شيئا. وإichاء هذا القلب دليل على قدرة تدبير

(1) ابن منظور، لسان العرب، 11: 723-724.

(2) بازمول، الحقيقة الشرعية، 165.

الآونة في الكون كما تدار العجلة اليسيرة! وأن هنالك من تغير وتحول لا يثبت أبداً على حال. ودلالتهما عند التدبر والتفكر قاطعة في أن هنالك يداً تدير هذا الفلك، وتبدل الليل والنهار. بهذا الانتظام وهذا الاطراد وهذه الدقة " (1).

غروب

عدد ورود: وردت كلمة "غروب" في القرآن مرتين.

المعنى اللغوي: " الغرب والمغرب: بمعنى واحد. ابن سيده: الغرب خلاف الشرق، وهو المغرب. وقوله تعالى: ﴿رب المشرقين ورب المغربين﴾ (الرحمن: 17) أحد المغربين: أقصى ما تنتهي إليه الشمس في الصيف، الآخر: أقصى ما ينتهي إليه في الشتاء؛ وأحد المشرقين أقصى ما تشرق منه الشمس في الصيف، وأقصى ما تشرق منه الشمس في الشتاء، وبين المغرب الأقصى والمغرب الأدنى مائة وثمانون مغرباً وكذلك بين المشرقين... والغروب: غيوب الشمس. غربت الشمس تغرب غروباً ومغرباناً: غابت في المغرب... ويقال: غرب في الأرض وأغرب إذا أمعن فيها " (2)

الفائدة الجمالية: يبدأ الليل يكتحل، موعد الرجوع إلى المساكن والبيوت، موعد الراحة من أتعاب السعي والجد، ووقت يمتد ويمتد ليسلخ منه النهار نفسه، ويرخي الليل سدوله. قال تعالى: ﴿وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب﴾ (ق: 39) " وطلوع الشمس وغروبها ومشهد الليل الذي يعقب الغروب.. كلها ظواهر مرتبطة بالسموات والأرض. وهو يربط إليها التسبيح والحمد والسجود. ويتحدث في ظلها عن الصبر على ما يقولون من إنكار للبعث ووجود بقدره الله على الإحياء والإعادة. فإذا جو جديد يحيط بتلك اللمسة المكررة. جو الصبر والحمد والتسبيح والسجود موصولاً كل ذلك بصفحة الكون وظواهر الوجود. تثور في الحس كلما نظر إلى السماوات والأرض؛ وكلما رأى مطلع الشمس، أو مقدم الليل، وكلما سجد لله في شروق أو غروب " (3).

إياب

عدد ورود: وردت كلمة "إياب" في القرآن مرة واحدة.

المعنى اللغوي: " قال الخليل: وتقول آبت الشمس إياباً، إذا غابت في مآبها أي مغيبها، قال أمية:

فرأى مغيب الشمس عند إيابها

(1) قطب، في ظلال القرآن، 6: 3921.

(2) ابن منظور، لسان العرب، 1: 747-748.

(3) قطب، في ظلال القرآن، 6: 3367.

قال النضر: المؤبوبة الشمس، وتأويها ما بين المشرق والمغرب... ويقال: جاءوا من كل أوب، أي ناحية ووجه " (1).

الفائدة الجمالية: قال تعالى: ﴿إِن إِلَيْنَا إِيَابُهُمْ ثُمَّ إِنَّا عُلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ (الغاشية: 25، 26)، لم تذكر الآية المكان، هذا الزمن لعب دور المكان وأوحى بدلالته. فإنهم يخرجون من كل مكان، صورة الخلاق وهم يرجعون إلى الله-تعالى- إذ لا مفر لهم منه، ولا مهرب من الحساب والجزاء، فالأوبة محتومة، والرجعة عند الله - تعالى- معلومة. فالمكان عند الله - تعالى- مكان العرض والحساب. وتتكشف كل الأعمال بزمن تم حساب كل شيء فيه، فما فاتت فائتة من أعمالهم وأقوالهم إلا خطها قلم القدر بدقائقها وثوانيتها، وذلك هو الحساب.

الأصيل

عدد ورود: وردت كلمة "أصيل" أربع مرات معطوفة على مقابلها "بكرة" أما كلمة "الأصال" فوردت ثلاث مرات، وعطفت على "الغدو" في المواضع الثلاث.

المعنى اللغوي: "الزمان، فالأصيل بعد العشي، وجمعه أصل وأصال، ويقال: أصيل وأصيلة، والجمع أصائل" (2).

الفائدة الجمالية: جاء هذا الزمن في وضع التكريم والتقديس، لأن الله - تعالى- اختاره؛ ليكون ذكره فيه، وليختم العبد معه يومه على ذكره- سبحانه- بالتسبيح والتمجيد، فتستلذ النفس، ويعذب خاطر، ويفرح القلب، قال تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ (الإنسان: 25). ويستقبل الليل مرقده، الذي فيه هدوء الكائنات. قال تعالى: ﴿يَسْبِحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ (النور: 36)، غذاء الروح، ووجبة النهار في الغدو، والأخرى في وقت الأصيل، مكوناتها ذكر الله- تعالى- وتسبيحه وتمجيده، قال تعالى: ﴿وِظْلَالَهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ (الرعد: 15) " وظلالهم جمع ظل، والمراد معه ظل الإنسان الذي يتبعه، جعل ساجدا بسجوده، حيث صار لازما له لا ينفك عنه. قال الزجاج، وابن الأنباري: ولا يبعد أن يخلق الله للظلال أفهاما تسجد بها لله - سبحانه - كما جعل للجبال أفهاما حتى اشتغلت بتسبيحه، فظل المؤمن يسجد لله طوعا. وظل الكافر يسجد لله كرها، وخص الغدو

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 1: 154.

(2) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 1: 110.

والآصال بالذكر؛ لأنه يزداد ظهور الظلال فيهما، وهما ظرف للسجود المقدر أي: ويسجد ظلالمهم في هذين الوقتين " (1).

الشفق

عدد ورود: وردت كلمة " الشفق " في القرآن الكريم مرتين.

المعنى اللغوي: الشفق " الحمرة تكون في الغيم، والتي ترى في السماء عند غيوب الشمس، وهي الحمرة. وسميت بذلك للونها ودقتها... عن الخليل قال: الشفق؛ الحمرة التي بين غروب الشمس إلى وقت صلاة العشاء الآخرة... قال الزجاج: الشفق هي الحمرة التي ترى في المغرب بعد سقوط الشمس " (2). و " الشفق: بقية ضوء الشمس وحمرتها في أول الليل ترى في المغرب العربي إلى صلاة العشاء. والشفق: النهار أيضاً، عن الزجاج وقد فسر بهما-جميعاً- قوله تعالى: ﴿فلا أقسم بالشفق﴾ (الانشقاق: 16)، وقال الخليل: الشفق: الحمرة من غروب الشمس إلى وقت العشاء والأخيرة، فإذا ذهب قيل غاب الشفق " (3).

الفائدة الجمالية: الشفق زمن الجمال والبهاء والروعة، بتلك الحمرة التي تمتد في السماء بعيد وقت الغروب، تتكرر كل يوم، منتظمة الحضور، ينسحب النهار متسللاً من حضرتها، ويبدأ مشوار الليل. ولولاها آية عظيمة لما أقسم الله - تعالى - بها، علامة التبدل والتغير والانسلاخ الليل عن النهار، وهو منظر فائن في كبد السماء. والآيات بعده تستكمل صورة الجمال الفائن للطبيعة النضرة، إنها صورة الليل وظلمته، والقمر الذي يعشاه فيخفف من حدة غسقه.

المساء

عدد ورود: لم ترد كلمة "المساء" بلفظها في القرآن، بينما جاءت كلمة "أمس" في أربعة مواضع.

المعنى اللغوي: المساء " ضد الصباح. والإمساء: نقيض الإصباح " (4).

الفائدة الجمالية: قال تعالى: ﴿فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس﴾ (يونس: 24) " كأن لم يكن زرعها موجودا فيها بالأمس مخضرا طريا... والمراد بالأمس المكان القريب " (5). قال تعالى: ﴿فإذا

(1) الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، ط3، بيروت، دار المعرفة، 1997 م، 3: 93.

(2) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 3: 198.

(3) ابن منظور، لسان العرب، 10: 215 - 216.

(4) ابن منظور، لسان العرب، 324: 15.

(5) الشوكاني، فتح القدير، 2: 547.

الذي استنصره بالأمس يستصرخه ﴿(القصص: 18)، وفيه استرجاع أسهم الزمن الماضي "أمس" في رسم صورته، إنه وقع فيصلا بين حدث الاستنصار الماضي، والاستصراخ الحاضر.

وقوله تعالى: ﴿وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء﴾ (القصص: 82)، فالحسرة عندهم انعكست على الفعل "أمس" وندمهم على ما حصل فيه انكشاف، وتحول موقف الأمس المساند إلى موقف المعادي الحذر. واقتزن الزمان بالمكان "مكانه" إنه زمن الأمس والأمنية لنيل قصر مثل قصره، أو دور مثل دوره، أو كنوز مثل كنوزه، بدافع الغيرة، أو بدافع شهوة المال والثراء العريض الذي تشرب له نفوس الكثرة من الناس، فدلّت النهاية على تأسفهم من موقف الأمس، ومحاولة وأد الزمان وأمانهم فيه، فظهرت ولولتهم على أسفا على أمانهم المغرورة، وعادوا إلى القناعة الأولى من حالة الأمنيات إلى حالة الواقع، وتذكروا الزمن الذي لا يزول فيه الملك من عند الله -تعالى- واستأنسوا بالرزق المقدر لهم من ربهم والتي عبر عنها بالفعل الدال على الاستمرار "يبسط".

عشاء

عدد ورود: وردت كلمة "عشاء" في القرآن مرتين و"عشي" وردت 10 مرات و"عشية" وردت مرة واحدة.

المعنى اللغوي: العشاء " أول الظلام من الليل، وقيل: هو من صلاة المغرب إلى العتمة... قال أبو الهيثم: إذا زالت الشمس دعي ذلك الوقت العشي، فتحول الظل شرقيا، وتحولت الشمس غربية" (1).

الفائدة الجمالية: اختاروا وقت العشاء؛ للإمعان في إخفاء جريمتهم، فالليل أستر من النهار، وقد استخدموا الليل لإخفاء جريمتهم، لكنهم خذلوا، فيبدو أن فراسة المؤمن، وبقينه بربه، كشفت استخدامهم الليل مطية لتأكيد جريمتهم، قال تعالى: ﴿وجاءوا أباهم عشاء يبكون﴾ (يوسف: 16).

إن الليل ستر وخفاء ليس فقط للجرائم، إنما للعورات، فبحلوله يبدأ الإنسان يدرك خصوصية ذلك الوقت، قال تعالى: ﴿ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم﴾ (النور: 58)، وكان مجيئهما في سياق التأكيد على أنه من الأوقات التي يفضل فيها التسبيح، بل يجب في حق الرسول، قال تعالى: ﴿وسبح بالعشي والإبكار﴾ (آل عمران: 41)، ومن السياق يستدل على أن وقتا العشي والغدو يمثلان بداية السعي وانتهائه، وبداية الحياة واستشراف الموت "النوم" لذا أمر الإنسان أن يكون على صلة بخالقه فيهما. فيحسن معاشه، ومعاده.

(1) ابن منظور، لسان العرب، 68: 15.

عسعس

عدد ورود: وردت كلمة "عسعس" في القرآن الكريم مرة واحدة.

المعنى اللغوي: هي " العين والسين أصلان متقاربان: أحدهما الدنو من الشيء وطلبه، الثاني خفة في الشيء... يقال عسعس الليل، إذا أقبل. وعسعست السحابة، إذا دنت من الأرض ليلاً. ولا يقال ذلك إلا ليلاً في ظلمة... فأما قولهم عسعس الليل، إذا أدبر، فخارج عن هذين الأصلين. والمعنى في ذلك أنه مقلوب من سعسع، إذا مضى " (1).

الفائدة الجمالية: قال تعالى: ﴿والليل إذا عسعس﴾ (الليل: 1). وذكر العسعسة تدل على أن الليل آية عظيمة من آيات الله -تعالى- فإن الليل يدخل لا دبيب له، بخفاء متدرج، تزداد ظلمته، وتحتبك عتمته في إحكام عجيب، وذلك يتوالى في أيام من الشهر، وتلك الدلالة تتفق مع معنى العسعسة. وفي إدبار الليل لطائف، فانسلاخ الليل عنه يأتي بتدرج، ودرجات عتمته من الغروب، للشفق، للعتمة، فالظلمة، ثم الغسق، فالعسعسة، ثم الادلهمام.. إلخ. واختلاف عتمته من أول الشهر عن وسطه، ثم عن آخره. إن هذه الأحوال تقع من أجل مصالح الناس، ونفعهم. فقسم الله -تعالى- بها لذلك، ولغيره. وهذه الأحوال لا يستطيعها إلا مدير أعظم.

غسق

عدد ورود: وردت كلمة "غسق" في القرآن الكريم مرة، و"غاسق" مرة.

المعنى اللغوي: " غسقت عينه تغسق غسقاً وغساقاً: دمعت، وقيل: انصبت، وقيل: أظلمت... وغسق الليل: ظلمته، وقيل: أول ظلمته، وقيل: غسقه إذا غاب الشفق. وأغسق المؤذن أي أخرج المغرب إلى غسق الليل... وقال الفراء في قوله تعالى: ﴿إلى غسق الليل﴾ (الإسراء: 78) هو أول ظلمته، الأخفش: غسق الليل ظلمته... وقوله تعالى: ﴿ومن شر غاسق إذا وقب﴾ (الفرقان: 3)، وقيل: الغاسق هنا الليل إذا دخل في كل شيء " (2).

الفائدة الجمالية: هو " الليل حين يتدفق فيغمر البسيطة، والليل حينئذ مخوف بذاته. فضلاً عما يثيره من توقع للمجهول الخافي من كل شيء، من وحش مفترس يهجم. ومثلصص فأتك يقتحم. وعدو مخادع يتمكن. وحشرة سامة تزحف. ومن وساوس وهواجس وهموم وأشجان تتسرب في الليل، وتخنق المشاعر والوجدان. ومن شيطان تساعده الظلمة على الانطلاق والإيحاء. ومن شهوة

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 4: 42 - 43.

(2) ابن منظور، لسان العرب، 10: 346-347.

تستيقظ في الوحدة والظلام. ومن ظاهر وخفاء يدب ويثب، في الغاسق إذا وقب " (1) إذا بدأ الليل بغسقه، تحاك على خفائه المكائد، وتحبك المصائد. وكلما اشتد ظلامه، اشتد التآمر على الغافلين. وفي المقابل هو زمن اشتداد طلب النوم، والدعة، والراحة، ووضع الأوزار والأحمال والمتاعب على عتبه.

بياتا

عدد ورود: وردت كلمة " بياتا " في القرآن الكريم ثلاث مرات.

المعنى اللغوي: بياتا " أتاهم الأمر بياتا، أي: أتاهم في جوف الليل... وتبييت العدو: هو أن يقصد في الليل من غير أن يعلم، فيؤخذ بغتة، وهو البيات " (2).

الفائدة الجمالية: ذكر في المواضع الثلاثة على أنه وقت عذاب حل بالكافرين. واقترن مرة بـ "قائلون" وأخرى بـ "نائمون" دلالة على قدرة الله -تعالى- الذي يقدر على إحلال العذاب بمن شاء وقتما شاء بأي مكان شاء، دونما استعداد. فالأوقات كلها بيده، ويتحكم بالأزمنة كتحكمه بباقي خلقه. يوجهه، فيمده أو يوجزه. ويطيله أو يقصره، قال تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾ (الأعراف: 4) " أي: فكان منهم من جاءه أمر الله -تعالى- وبأسه ونقمته بياتا أي ليلا، أو هم قائلون من القيلولة، وهي الاستراحة وسط النهار، وكلا الوقتين وقت غفلة ولهو " (3). ويتبين أن حسهم لا ينقطر منه أي ندى من الفطرة، ولو كانت فطرتهم سليمة؛ لأحسوا بمظاهر العذاب، وآيات الإنذار، ودلتهم فطرتهم على صدق نبوة نبيهم، وصحة ما جاء معه.

الأهلة

عدد ورود: وردت كلمة " أهلة " في القرآن مرة واحدة.

المعنى اللغوي: الأهلة " تقول الليلة الهلال، وإنما الهلال في بعض الليلة، وإنما أراد الليلة ليلة الهلال " (4).

الفائدة الجمالية: قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلَةِ* قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ (البقرة: 189). وهي جمع الهلال، وبها قسمة أوقات الناس " جعلها الله مواقيت لصوم المسلمين وإفطارهم وعدة

(1) قطب، في ظلال القرآن، 6: 4007.

(2) ابن منظور، لسان العرب، 18: 2.

(3) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل، تفسير القرآن العظيم، ط2، بيروت، المكتبة العصرية، 1996م، 2: 187.

(4) سيبويه؛ عمرو بن عثمان؛ الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، ط3، بيروت، عالم الكتب، 1983م، 1: 216.

نسائهم ومحل دينهم " (1). وهي من ذلك أعم. فابن كثير- رحمه الله- خصها في تفسيره، بأن جعل منافعها للمسلمين. وهي للناس عامة. فالناس-جميعا- ينتفعون بالأهلة، في حلهم وترحالهم، حركتهم وسكونهم، غدوهم ورجوعهم، يقظتهم ونومهم، معاشهم ورفودهم، عبادتهم ودنياهم، وفي شتى شئون مصالحهم ومنافعهم.

القمر

عدد ورود: تكرر ذكر القمر في القرآن الكريم "29" مرة واحدة.

المعنى اللغوي: القمر " قال ابن سيده: القمر يكون في الليلة الثالثة من الشهر، وهو مشتق من القمر، والجمع أقمار وأقمر... **الجوهري**: القمر بعد ثلاث إلى آخر الشهر يسمى قمرا لبياضه" (2). **الفائدة الجمالية**: إن الشهر القمري يتكون من "29" أو "30" يوما. وقد جاء في معظم المواضع على أنه آية من آيات الله- **تعالى**- تسترعي الانتباه والتدبر. فوائد جمالية ونفعية وتأملية في عظمة الخالق تلك التي يرسلها لنا منظر القمر كلما سار ودار، إنه ذلك المخلوق الذي يثير في النفس أحاسيس ومشاعر غدقة، أبسطها الإحساس بالجمال، من خلال حركته، تكويرته، تهليلته، محاقه، اكتماله، نقصانه، ونوره وبهائه. كما إن كل تلك التحولات، لها دلالات جمالية يحسها الإنسان. فلها -أيضا- دلالات نفعية ينتفع من حدوثها. فهي علامات لتقسيم الأيام في الشهر، وتفرق بين الشهر والشهر، وبين السنة والسنة. فضلا عن ذلك الجمال الذي يتبدى ببهائه في لحظة اكتماله بدرًا، ليضرب معه المثل في الجمال والسحر والكمال، وإذا كان ضامراً محاقاً دلّ على انتهاء الشهر ليأتي الهلال علامة التغيير شهراً بشهر. هذه التقلبات والتحويلات التي تدور معه مع الشمس يتبادلان الإشراف من خلالها على الحياة، فيكون من الشمس تحديد أوقات اليوم (**النهار**) كما سلف الذكر. ومن القمر الذي هو آية الليل، وفيه تحديد الشهور والسنوات؛ لينتظم الكون، وتكتمل دورة الحياة. وقد تكررت تلك الصور الطبيعية للتأمل والتدبر لكل مفردات النظام الكوني، كما أنها ناسبت الحياة في كل العصور والأجيال؛ لأنه أولاً نظام لا يتغير إلا بانتهاء الكون. وثانياً إن الإنسان ديدنه الترحل والسفر من مكان لمكان، فتصحبه هذه الآيات الباهرات أينما كان. لذلك كان التكرار لها؛ لغزارة الدلالة، وقوة التأثير.

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 1: 197.

(2) ابن منظور، لسان العرب، 133: 5.

النجم

عدد ورود: وردت كلمة "نجم" في القرآن الكريم أربع مرات، وكلمة "تجوم" وردت تسع مرات. وجاءت مضافة إلى الإدبار مرتين "إدبار النجوم".

المعنى اللغوي: النجم "نجم الشيء ينجم، بالضم، نجومًا: طلع وظهر... وفي التنزيل العزيز: ﴿وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَىٰ﴾، قال أبو إسحاق: أقسم الله - تعالى - بالنجم، وجاء في التفسير: إنه الثريا، وكذلك سميتها العرب. ومنه قول ساجعهم: طلع النجم غديه، وابتغى الراعي شكيه... النجم في الأصل: اسم لكل واحد من كواكب السماء، وهو بالثريا أخص (1).

الفائدة الجمالية: أقسم الله - تعالى - معه؛ تعظيماً له على أنه آية من آيات ملكه الظاهرة للخلق. وزيادة في ذلك التعظيم جاءت سورة باسمه. وجاءت كلمة "نجم ونجوم" مفردة وجمعا في معظم المواضع باعتبارها خلقاً يستدعي الإنسان؛ ليقف وقفة المتأمل أمامه. كما وقف إبراهيم - عليه السلام - فأدرك عظمتها ووصل منها إلى استيقان عظمة الخالق - سبحانه - ولا تخلو الآيات التي ذكرت النجوم من القيم التأملية والجمالية. أما التأملية، فتتمثل في تلك اللحظات الليلية الساكنة التي لا ستار يحجز الإنسان من أن يراها متأملاً تتابع أجرام السماء تتابعاً منتظماً. يبعثه على الملاحظة، والتفكير، والانتباه العميق في هذا البناء الهائل، والضخم المتناسق. منارات هداية للسالكين، وأمارات للطرق، وسعة الحجم، وتوزيع دقيق ومتناسق، وميعاد في الخروج لا يخطئ، وانتظام حكيم في السير والحركة وانبعاث النور. والقيم الجمالية كثيرة واضحة، ارتفاعها الساحق، ووميضها المتألق، لونها الساطع الذي يدرك بالعين فيثير في النفس متعة ورقة، وتعجب لها النفوس فتتولد فيها لذة وانبهار، من نورها، وشعاعها، وخفوقها، واجتماعها، وتناثرها، وتناسقها البديع على شاشة السماء الزرقاء، وتتابعها، ودورانها نتيجة لدوران الأرض المتواصل، فهي تبدو كأن الواحد منها يلاحق الآخر دونما خلل أو انحراف، مصابيح في السماء تتلألأ. عظيمة هي النجوم أمام المخلوقات لذلك أقسم الرب - تعالى - بها.

(1) ابن منظور، لسان العرب، 675: 12.

الكوكب

عدد ورود: وردت كلمة "كوكب" في القرآن مفردة ثلاث مرات و"كواكب" وردت مرتين.

المعنى اللغوي: الكوكب " قال ابن سيده وغيره: الكوكب والكوكبة: النجم " (1).

الفائدة الجمالية: رمز الجمال، وبأكورة البهاء، لها من التقديس والمكانة الجمالية ما جعل نبي الله - تعالى - يوسف - عليه السلام - يستغرق في رؤية إخوته متمثلة بصورة كواكب، قال تعالى: ﴿يا أبت إنني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين﴾ (يوسف: 4). وأفرد الشمس والقمر الذين هما من نفس الجنس بالذكر، لأن منافعهما أظهر وأبلغ وأشمل، فخص أبويه بهما؛ لأن لأبوين إجلالا رفيعا عاليا، وظاهرا باديا، وقريبا دانيا، يشمل نفعهما جميع من تحتها من الذرية - تماما - كانتفاع جميع من تحت الشمس والقمر.

الأسحار

عدد ورود: ووردت كلمة "الأسحار" جمعا؛ وذلك في موضعين فقط، ولم ترد مفردة أو مثناة.

المعنى اللغوي: " فالسحر والسحرة، الوقت قبل الصبح. وجمع السحر أسحار. ويقولون: أتيتك سحر، إذا كان ليوم بعينه. فإن أراد بكرة وسحراً من الأسحار قال: أتيتك سحراً " (2).

الفائدة الجمالية: قال تعالى: ﴿والمنفقين والمستغفرين بالأسحار﴾ (آل عمران: 17)، وقال تعالى: ﴿وبالأسحار هم يستغفرون﴾ (الذاريات: 18). إنه وقت الولوع في المضجع، الدفاء، والهدوء، والسكينة، لذلك تم اختياره وقتا للخلوة مع الرب - سبحانه - إنه وقت الخصوصية، خصوصية الأنس، مع الله - تعالى - وقد ربط هذا الوقت بعبادة الاستغفار، وذلك لقدسية أعطيت له. فهو وقت نزول الرب ليسمع عباده، وهو وقت التميز، يميز فيه بين عبد ربط جأشه، ودفع عنه كسله، وقام من دفئه، وآخر استهوته اللذة، فخارت همته عن الاستفادة من هذا الوقت. إنه موعد خلوة الحبيب بحبيبه، كما إنه وقت الدعة والاسترخاء وقمة اللذة. وهنا يتميز من رغب بذلك عن رغب فيما هنالك أي عند الله تعالى.

أفل:

عدد ورود: وردت كلمة "أفل" في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع.

(1) ابن منظور، لسان العرب، 846: 1.

(2) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 3: 138.

المعنى اللغوي: " الغيبة، يقال أفلت الشمس غابت " (1).

الفائدة الجمالية: كلها في تأمل نبي الله - تعالى - إبراهيم - عليه السلام - في الكون، الشمس والقمر، والكواكب، قال تعالى: ﴿فلما أفل قال لا أحب الآفلين﴾ (الأنعام: 76) والأقول وقت انغلاق الأفكار الوثنية البائسة، ومحاولة إنهاء للأفكار البالية، وترشيد للضمير بأن الخالق أعظم من مخلوقه، وإحياء للعقل وتوعيته بكمال الخالق ونقص المخلوق، واستفاقة للإحساس والوجدان بديمومة الخالق، وأقول المخلوق. وأمارة بشرى برحيل الكفر، وقدوم الإيمان. وهذا ما ثبت في الآيات بعدها من وصول إبراهيم لحقائق التوحيد، والإيمان بالله - تعالى - ومعرفته، وانتصار الحق على الباطل.

ثالثا: اليوم وأجزاؤه

اليوم:

عدد ورود: وردت كلمة "يوم" في القرآن الكريم مفردة 384 مرة، و"يومين" ثلاث مرات، و"أيام" 27 مرة، و"ثلاثة أيام" خمس مرات، و"ستة أيام" سبع مرات، و"يومئذ" 70 مرة، وذكر يوم "الجمعة" وسميت باسمه سورة من سور القرآن، ويوم "السبت" من أيام الأسبوع.

المعنى اللغوي: يوم " اليوم معروف مقداره من طلوع الشمس إلى غروبها، والجمع أيام، لا يكسر إلا على ذلك، وأصله أيوم فأدغم، ولم يستعملوا فيه جمع الكثرة. وقوله تعالى: ﴿وذكرهم بأيام الله﴾ (إبراهيم: 5)، المعنى: ذكرهم بنعم الله التي أنعم فيها عليهم، وبنقم الله التي انتقم فيها من نوح وعاد وثمود " (2).

الفائدة الجمالية: ذلك الوقت المحدود الذي يبدأ بالشروق، وينتهي عنده، ليبدأ يوم جديد. أو يبدأ بالغروب، وينتهي عنده. وكلما مر جزء من اليوم فإنه لا يعود. وكانت معظم المواضع المذكور فيها تشير إلى يوم القيامة بأسماء كثيرة؛ ذلك لأن الإكثار من ذكر الدار الباقية أولى من ذكر الفانية من وجوه:

أولا: التأكيد على المكذبين والمشككين فيه، بأنه حاصل لا محالة.

ثانيا: لتبيان حقائق هذا اليوم بدءا بالعرض وانتهاء بالمستقر.

ثالثا: زجر المعرضين بذكر أحداث هذا اليوم المفزعة المرعبة.

رابعا: معرفة الإنسان بيوم الحساب تمنحه الفرصة بالجد في الخير، وترك الشر.

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 1: 119.

(2) ابن منظور، لسان العرب، 774: 12.

وجاءت كلمة "يوم" تحمل دلالات مختلفة، منها دلالات لغوية، ودلالات نفسية، ودلالات تأملية. فمن الدلالات اللغوية، جاء اليوم والمقصود فيه عالم الآخرة، وأضاف الله -تعالى- إليه ما يمر فيه من أحداث، مثل يوم البعث، ويوم القيامة، ويوم النشور، ويوم النفخ، ويوم الصاخة، ويوم التمايز، ويوم عسير، ويوم بياض الوجوه...إلخ. وربما كان هذا اليوم طويلا، سواء كأيام الدنيا، أو خارج إدراك أهل الدنيا ووعيهم.

ومن الدلالات النفسية تلك المعاني التي تتولد من سماع وصف هذا اليوم. إنه وصف مرعب ومقلق فقله تعالى: ﴿هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ وَلَا يُؤْنَسُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ (المرسلات: 35) إنه وصف يبعث القلق في الوجدان، وينتفض بسماعه الجنان، لا نطق، ولا قبول لعذر، صرامة موقف، وحزم لا لين فيه، لا يسمح فيه بالكلام. وكذلك في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتَكْوَى بِتَابِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُلُودُهُمْ﴾ (التوبة: 35)، يوم رهيب مخيف، وقت يمضي بطيئا، ليرز حالتهم الشعورية المفزعة، وهم يصطرخون، والنار قبلتهم، يحمى عليها، فيؤتى بالنار فتكوي الجباه والجلود، وقد أتت الآية بألفاظ رعب تخيم على النفوس مثل الفعل المضارع "يحمى" الدالة على الاستقبال وتواصل الإحراق. ولفظ "تار" وإضافة "جهنم" إليها، يزيد في تخويف النفس، وزجر الوجدان. ولفظ "تكوي" للدلالة على مزيد من الإحراق في مناطق الحس "الجلود" ومناطق الوسم "الجباه" ليمزج بين العذاب المادي والمعنوي. وجاءت كلمة اليوم والمقصود بها الزمن المحدود في الدنيا المبدوء بالإشراق والمنتهي معه، قال تعالى: ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ﴾ (طه: 59) وأضاف الزينة لليوم؛ ليتناسب ذكر الزينة مع تمسك فرعون بالدنيا، وشعوره بالفرح المظنون بأنه سينتصر بسحر سحرته على نبي الله -تعالى- موسى -عليه السلام- فزينة المكان أسقطت على ذلك اليوم. قال تعالى: ﴿وَأَتَوْا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا﴾ (الأنعام: 141) ذلك اليوم المرتقب، يرتقبه أصحاب الزرع ففيه رزقهم، مأكلمهم ومشربهم ومعاشهم. ويرتقبه أصحاب الحوائج؛ لأنه يوم تفريج كرباتهم. فيه حصاد الخير، خير الزرع وخير الإنفاق. وفيه استقبال الخير، وشكر المنعم والمنفق. وجاءت كلمة "يوم" نكرة في كثير من الآيات؛ لجهل العالمين بموعد يوم الآخرة.

السبت

عدد ورود: وردت كلمة "السبت" في القرآن الكريم ست مرات.

المعنى اللغوي: "السين والباء والتاء أصلٌ واحد يدل على راحة وسكون. يقال للسير السهل اللين:

سبت. قال: ومطوية الأقراب أما نهارها فسبت. وأما ليلها فذميل

... وأما السبت بعد الجمعة، فيقال أنه سُمي بذلك؛ لأن الخلق فُرع منه يوم الجمعة وأكمل، فلم يكن اليوم الذي بعد الجمعة يوماً خلق فيه شيء " (1). و " السبت، والسبات: الدهر، وابنا سبات: الليل والنهار... وأقمت سبتاً، وسبتة، وسبتاً، وسنبتة، أي برهة. والسبت: الراحة. وسبت يسبت سبتاً: استراح وسكن. والسبات: نوم خفي، كالغشية... والسبات: نوم المريض، والشيخ المسن، وهو النوم الخفيفة، وأصله من السبت، الراحة والسكون، أو من القطع ترك الأعمال... ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ (النبا: 9) أي قطعاً، والسبت: القطع، فكأنه إذا نام، فقد انقطع عن الناس... والسبت: من أيام الأسبوع. وإنما سمي السابع من أيام الأسبوع سبتاً؛ لأن الله -تعالى- ابتدأ الخلق فيه، وقطع فيه بعض خلق الأرض... وفي المحكم: وإنما سمي سبتاً؛ لأن الخلق كان من يوم الأحد إلى يوم الجمعة، ولم يكن السبت شيء من الخلق، قالوا: فأصبحت يوم السبت منسبته أي قد تمت، وانقطع العمل فيها " (2).

الفائدة الجمالية: قال تعالى: ﴿وجعلنا نومكم سباتا﴾ (النبا: 9)، حيث " كان من تدبير الله للبشر أن جعل النوم سباتا يدركهم فيقطعهم عن الإدراك والنشاط، ويجعلهم في حاجة لا هي موت ولا هي حياة، تتكفل بإراحة أجسادهم وأعصابهم، وتعويضها عن الجهد الذي بذلته في حالة الصحو والإجهاد والانشغال بأمور الحياة. كل هذا يتم بطريقة عجيبة لا يدرك الإنسان كنهها، ولا نصيب لإرادته فيها، ولا يمكن أن يعرف كيف تتم في كيانه. فهو في حالة الصحو لا يعرف كيف يكون في حالة النوم. وهو في حالة النوم لا يدرك هذه الحالة ولا يقدر على ملاحظتها! هي سر من أسرار تكوين الحي لا يعلمه إلا من خلق هذا الحي وأودعه ذلك السر، وجعل حياته متوقفة عليه. وما من حي يطيق أن يظل من غير نوم إلا فترة محدودة... إن هذا السبات أي الانقطاع عن الإدراك والنشاط بالنوم ضرورة من ضرورات تكوين الحي، وسر من أسرار القدرة الخالقة، ونعمة من نعم الله لا يملك إعطاءها إلا إياه " (3). قال تعالى: ﴿إنما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه﴾ (النحل: 124). إن بني إسرائيل " اختاروا السبت؛ لأنه اليوم الذي لم يخلق فيه الرب شيئاً من المخلوقات

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 3: 125.

(2) ابن منظور، لسان العرب، 2: 40 - 42.

(3) قطب، في ظلال القرآن، 6: 3805.

الذي كمل خلقها يوم الجمعة. فألزمهم **تعالى** معه في شريعة التوراة، وأوصاهم أن يتمسكوا معه، وأن يحافظوا عليه " (1).

ساعة

عدد الورود:

المعنى اللغوي: سوع: " الساعة: جزء من أجزاء الليل والنهار، والجمع ساعات وساع... وتصغيره سويعة. والليل والنهار أربع وعشرون ساعة، وإذا اعتدلا فكل واحد منهما ثنتا عشرة ساعة... والساعة: الوقت الحاضر. وقوله **تعالى:** ﴿ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون﴾ (الروم: 55)، يعني بالساعة الوقت الذي تقوم فيه القيامة، لذلك ترك أن يعرف أي ساعة هي... والساعة: القيامة. وقال **الزجاج:** الساعة اسم للوقت الذي تصعق فيه العباد... سميت ساعة؛ لأنها تفاجئ الناس في ساعة فيموت الخلق كلهم عند الصيحة الأولى... والساعة في الأصل تطلق بمعنيين: أحدهما أن تكون عبارة عن جزء من أربعة وعشرين جزءاً. وهي مجموع اليوم واللييلة، والثاني أن تكون عبارة عن جزء قليل من النهار أو الليل. **يقال:** جلست عندك ساعة من النهار أي وقتاً قليلاً منه، ثم استعير لاسم يوم القيامة. **قال الزجاج:** معنى الساعة في كل القرآن الوقت الذي تقوم فيه القيامة، يريد أنها ساعة خفيفة يحدث فيها أمر عظيم فقللة الوقت الذي تقوم فيه سماها ساعة... والساعُ والساعة: المشقة. والساعة: البعد " (2).

الفائدة الجمالية: قال **تعالى:** ﴿فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار فهل يهلك إلا القوم الفاسقون﴾ (الأحقاف: 35) و" خصت الساعة بكونها من ساعات النهار، لا من ساعات الليل؛ لأن النهار يقصر بسبب التشاغل فيه، ويشبه حينئذ بالهام القطاة، أو بسالفة الذباب، أو بظل الودد. **قال جرير:**

ويوم كإبهاام القطاة تخايلت ضحاه، وطابت بالعشي أصائله (3)

وقد أخفى الله **تعالى** - علم الساعة (يوم القيامة) ليستمر اختباره للإنسان أيؤمن أم يكفر، وليزيد من وثبة المؤمنين نحوه، وليسعوا إليه مسارعين مبادرين.

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 2: 542.

(2) ابن منظور، لسان العرب، 8: 201-202.

(3) العايد، نظرات لغوية في القرآن الكريم، 264.

لمح البصر " ارتداد الطرف":

عدد ورود: وردت كلمة "لمح البصر" في القرآن مرتين.

المعنى اللغوي: لمح " يلمح لمحا وألمح: اختلس النظر... قال الفراء في قوله تعالى: ﴿كلمح البصر﴾، كخطفة بالبصر... ولمح البرق والنجم يلمح لمحا ولمحانا: كلمع "(1).

الفائدة الجمالية: قال تعالى: ﴿وما أمر الساعة إلا كلمح البصر﴾ (النحل: 77)، وقال تعالى: ﴿وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر﴾ (القمر: 50) " فهي إشارة واحدة. أو كلمة واحدة، يتم بها كل أمر: الجليل والصغير سواء. وليس هنالك جليل ولا صغير. إنما ذلك تقدير للبشر للأشياء. وليس هنالك زمن ولا ما يعادل لمح البصر. إنما هو تشبيه لتقريب الأمر. إلى حس البشر. فالزمن إن هو إلا تصور بشري ناشئ من دورة أرضهم الصغيرة، ولا وجود له في حساب الله المطلق من هذه التصورات المحدودة! "(2). وهذا يؤكد ما عاينه أتباع سليمان من القدرة التي منحها الله - تعالى - لبعض الجان، فمنهم الذي بادر إلى إحضار عرش بلقيس قبل القيام من المقام، أي: بدقائق معدودة، وآخر هو أسرع من ذلك بكثير، إنه أراد إحضاره بزمن لا يستغرق ارتداد البصر. إنه الزمن الذي طواه الله - تعالى - لبعض خلقه، فأعطاهم ميزات خلقية، ويختلف إحساسهم بالزمن عن خلق آخرين، قال تعالى: ﴿قال عفريت من الجن أنا آتيك معه قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقوي أمين* قال الذي عنده علم الكتاب أنا آتيك معه قبل أن يرتد إليك طرفك فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربي﴾ (النمل: 39-40).

الآن:

عدد ورود: وردت كلمة "الآن" في القرآن الكريم ثمان مرات، و"آن" وردت مرة واحدة، و"آناء" ثلاث مرات، و"إناء" مرة واحدة. و"أنى" 28 مرة.

المعنى اللغوي: قال الزجاج " الآن " عند الخليل وسيبويه مبني على الفتح، تقول: " نحن من الآن نعيد إليك ففتحت "(3). و" أصل الآن إنما كان أوان، حذف منها الألف وغيرت واؤها إلى الألف"(4). و" ساعة من الزمان، وظرف من الظروف... قال تعالى: ﴿لم يأن للذين

(1) ابن منظور، لسان العرب، 2: 269.

(2) قطب، في ظلال القرآن، 6: 3441.

(3) ابن فارس، الصحابي، 102.

(4) ابن فارس، الصحابي، 102.

آمنوا﴾ (الحديد: 16) أي لم يحن " (1). و " الآن " تطلق على الحدث الذي يتولد في اللحظة الحالية. وآن " أين: أن الشيء، أنياً: حان... وقالوا: أن أينك، وإينك، وآن، وأنك، أي: حان حينك... وقالوا: الآن فجعلوه اسماً لزمان الحال، ثم وصفوه للتوسع، فقالوا: أنا الآن أفعل كذا وكذا... قال ابن سيده: قال ابن جني في قوله عز وجل: ﴿قالوا الآن جئت بالحق﴾ (البقرة: 71) الذي يدل على أن اللام في الآن زائدة، وأنها لا تخلوا من أن تكون للتعريف كما يظن مخالفنا... والآن تقع على كل وقت حاضر لا يخص بعض ذلك دون بعض... في حديث أبي ذر: أما أن للرجل أن يعرف منزله، أي: حان وقرب... الأين: الإعياء والتعب... وقيل: الأين الحية مثل الأيم" (2).

الفائدة الجمالية: قال تعالى: ﴿الآن وقد عصيت قبل﴾ (يونس: 91)، وقال أيضاً: ﴿الآن وقد كنتم معه تستعجلون﴾ (يونس: 51)، أي: في هذا الأوان نتوب وقد عصيت قبل.

رابعاً: الدهر وأجزاؤه (دلالات وجماليات)

الدهر:

عدد ورود: وردت كلمة "الدهر" في القرآن الكريم مرتين.

المعنى اللغوي: " الأمد الممدود، وقيل الدهر ألف سنة... والدهر: الزمان الطويل ومدة الحياة الدنيا، قال النبي -صلى الله عليه وسلم- " لا تسبوا الدهر " على تأويل: لا تسبوا الذي يفعل بكم هذه الأشياء، فإنكم إذا سببتم فاعلها فإنما يقع السب على الله - تعالى - لأنه الفاعل لها لا الدهر... قال تعالى: ﴿وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر﴾ (الجمانية: 24)... الجوهرية: الدهر الزمان. وقولهم: دهر داهر كقولهم أبدأً أبيد... ورجل دهري: قديم مسن نسب إلى الدهر (3). هو " الذي لا يوقف عليه لطول التقادم " (4)، والدهر " الآن الدائم الذي هو امتداد الحضرة الإلهية، وهو باطن الزمان، وبه يتحد الأزل والأبد " (5).

الفائدة الجمالية: قال تعالى: ﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكوراً﴾ (الإنسان: 1)، إنه الزمن المجهول الذي لا يقدر الإنسان على حسابه، ولا يمكنه إدراكه؛ لأنه

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 1: 141.

(2) ابن منظور، لسان العرب، 13: 47 - 51.

(3) ابن منظور، لسان العرب، 4: 338 - 340.

(4) الهنائي، المنتخب، 1: 386.

(5) التونجي، المعجم المفصل في الأدب، 2: 445.

كان خارج حيز وجود الإنسان. فلقد خلق الله -تعالى- الكون، ولم يكن للإنسان حينها أي ذكر " الإنسان مخلوق مغرور في نفسه وفي قيمته، حتى لينسى أن هذا الكون كان وعاش قبل أن يوجد هو بأدهار وأزمان طوال. ولعل الكون لم يكن يتوقع خلق شيء يسمى الإنسان.. حتى انبثق هذا الخلق من إرادة الله فكان " (1). والدهر الزمن الممدود والمفتوح حيث اللانهاية. والإنسان يجهل امتداده؛ لضعف قدراته. ويمتد من الأزل إلى المستقبل المفتوح الذي لا يدركه الإنسان. ولما كانت صروف الدهر كثيرة لا تنتهي. حسب الجهال أن الزمن لا يفنى في الدنيا، وأن عجلته مستمرة على المنوال الذي تصوره، من أن الحياة تنتهي بالموت، وليس ثمة ما يدرك من وجود يوم بعث. وخفي عنهم، أن الذي بدأ خلقهم فجعلهم يدركون شيئاً من صروف الدهر، لقادر على إنهاء حياتهم، وإعادتهم وابتعائهم دون أن يحسوا بذلك أو يشعروا به.

الحول:

عدد ورود: وردت كلمة "الحول" في القرآن الكريم 16 مرة.

المعنى اللغوي: الحول " سنة بأسرها، والجمع أحوال، حوول، وحوؤل، حكاها سيبيويه. وحال عليه الحول حولا وحوؤلا: أتى. وأحال الشيء واحتيال: أتى عليه حول كامل " (2).

الفائدة الجمالية: كل ألفاظها الواردة في القرآن للدلالة على المكان إلا موضع واحد. قال تعالى: ﴿ولتندر أم القرى ومن حولها﴾ (الأنعام: 92)، وليس هذا هو المقصود في هذا المقام. والمراد الحول الدال على الزمن، ولم يرد إلا في موضع واحد بلفظ "حولين"، قال تعالى: ﴿يرضعن أولادهن حولين كاملين﴾ (البقرة: 233)، نعمة للوالدة وللمولود. حيث جعل الله -تعالى- شغل الأم بالرضاع، وتقبلها لوليدها، وارتياحها معها، وارتياحها معه، حالة فطرية تستمر لمدة عامين كاملين دونما تدمير أو ضيق من أحدهما. وهياً الله -تعالى- لها من ظروف القدرة ما يقويها على ذلك، وهياً له من ظروف الراحة معها ما يغنيه عن غيرها. وهي مدة زمنية يستكمل فيها المولود بنيته؛ ليغدوا قويا قابلا للنمو النفسي والبدني.

العام:

عدد ورود: وردت كلمة "عام" مفردة في القرآن الكريم ثمان مرات. ولفظ المثني "عامين" ورد مرة واحدة، ولفظ عام المضاف للعدد "مائة عام" وردت مرتين.

(1) قطب، في ظلال القرآن، 6: 3779.

(2) ابن منظور، لسان العرب، 221: 11.

المعنى اللغوي: عوم " العام: الحول يأتي على شتوة وصيفة، والجمع أعوام، لا يكسر على غير ذلك، وعام وأعوام على المبالغة. قال ابن سيده: وأراه في الجذب كأنه طال عليهم لجذبه، وامتناع خصبه... ويقال: عاومت النخلة إذا حملت سنة ولم تحمل أخرى" (1).

الفائدة الجمالية: العام كلمة احتوت وشملت ظروف الخير والشر، الجذب والخضر، المنع والعطاء، قال تعالى: ﴿أولا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة﴾ (التوبة: 126)، وهنا تجمعت في العام الفتن، والفتن ليست في مدار الخير. أما دلالة الخير فجاء معه قوله تعالى: ﴿ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون﴾ (يوسف: 49)، إنه عام الخير والإغاثة والرحمة والجبران، عام يزخر بالغيث، وينبت فيه الزرع. ومن الآيات الدالة على عموم الدلالة لكلمة "عام" قوله تعالى: ﴿قالبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما﴾ (العنكبوت: 14)، فالسنة دلالة قحط وشر ومحل، ويأتي العام للدلالة على كونه في مدار الخير لما انصرف نوح عن قومه إلى ربه، أو بسبب أن الخمسين عاما كانت فترة تأهله للدعوة ولم يلق فيها بين قومه شدة.

السنة:

عدد ورود: وردت كلمة "سنة" مفردة 7 مرة، وبلفظ " سنين " جمعا وردت 12 مرة، منها مضافة للعدد "عدد وبضع وسبع سنين" ووردت مرة واحدة و "ثلاث مائة سنين" وردت مرة واحدة و " ألف سنة" وردت خمس مرات.

المعنى اللغوي: والسنة " السين والنون والهاء أصل واحد يدل على زمان. فالسنة معروفة، وقد سقطت منها هاء. ألا ترى أنك تقول سُنْيهة. ويقال سنهت النخلة، إذا أتت عليها الأعوام" (2). و"السنة: واحدة السنين. قال ابن سيده: السنة العام منقوصة، والذاهب منها يجوز أن يكون هاءً وواواً بدليل قولهم في جمعها سنهات وسنوات... والسنة مطلقة: السنة المجدبة، أوقعوا ذلك عليها إكباراً وتشنيعاً واستطالة. يقال: أصابتهم السنة، والجمع من كل ذلك سنهات وسنون.. وقوله عز وجل: ﴿ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين﴾ (الأعراف: 130) أي: بالقحوط. والسنة: الأزمة، وأصل السنة سنهة... فحذفت لامها ونقلت حركتها إلى النون فبقيت سنة... وفي القرآن: "لم يتسنه" لم تغيّره السنون" (3).

(1) ابن منظور، لسان العرب، 12: 502.

(2) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 3: 103.

(3) ابن منظور، لسان العرب، 13: 619-621.

الفائدة الجمالية: قال تعالى: ﴿حتى إذا بلغ أربعين سنة قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي﴾ (الأحقاف: 15). زمن الحكمة واكتمال الرشد وتمام الرجولة. إن ذكر هذا الزمن يشعر صاحبه بدنو أجله وقرب عودته لربه. زمن الاستقرار والتدبر والتفكير والتعقل. يبدأ فيه الحضيف بعد ساعاته ساعة فساعة اشتغالا بالعبادة، والتلهف نحو الأبدية.

قال تعالى: ﴿فلبث في السجن بضع سنين﴾ (يوسف: 42)، إنها سنين العذاب والابتلاء والعسرة. فالسجن على مر السنين هو بيت الألفة مع الجدران، ومع التخيلات والتصورات والذكريات. وقت المحن ألوان محدودة أمام العين، وأصوات ضجيج الأبواب وقرعها المدوي مع دوي الخطو والمشى، حراس شداد غلاظ، وطعام كله غصص، وحرية لها النفس تتشد وتتمنى. هو الزمن البطيء. أشد بظاً من تعرية الصخور بريح لا هبوب لها.

الحجج:

عدد ورود: وردت كلمة "ثمانى حجج" في القرآن الكريم مرة واحدة.

المعنى اللغوي: " الحجة: السنة، والجمع حجج. ذو الحجة: شهر الحج، سمي بذلك للحج فيه، والجمع ذوات الحجة، وذوات القعدة، ولم يقولوا: ذوو على واحده... وحجج: من زجر الغنم " (1).
الفائدة الجمالية: قال تعالى: ﴿على أن تأجرني ثمانى حجج﴾ (القصص: 27). ولعل هذا يرجح قول الباحث من أن كلمة حجج وافقت المقام الذي كان عليه نبي الله - تعالى - موسى - عليه السلام - من اشتغاله برعي الغنم عند الرجل الصالح. وأدعى لتكشف شيئاً من شخصيته العصبية ما دامت كلمة حجج تحمل معنى زجر الغنم. وهي أنسب لموافقة الاتفاق على الإيجار وتبادل المنافع، فالأول يريد منحه جهداً ووقتاً وعملاً، والآخر يريد أن يقابل منفعته بتزويجه ابنته، فناسبت كلمة الحجج التي تشعر بإقامة كل منهما الحجة على صاحبه بإنفاذ ما اتفقا عليه. لذا كانت كلمة "حجج" أنسب من عام وسنة وحول. والله - تعالى - أعلم.

(1) ابن منظور، لسان العرب، 2: 260.

الأحقاب:

عدد ورود: وردت كلمة "أحقابا وحقبا" في القرآن الكريم مرتين.

المعنى اللغوي: " قال ابن جرير - رحمه الله - : ذكر بعض أهل العلم من كلام العرب أن الحقب في لغة قيس سنة؛ ثم روي عن عبد الله بن عمر أنه قال: الحقب ثمانون سنة. قال مجاهد: سبعون خريفاً... وعن ابن عباس قال: دهرًا، وقال قتادة، وابن زيد مثل ذلك " (1).

الفائدة الجمالية: قال تعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا لِلطَّاغِينَ مَآبًا لِابْتِئَانِهِمْ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ (النبا: 23)، أي " إن جهنم خلقت ووجدت وكانت مرصاد للطاغين تنتظرهم وتترقبهم وينتهون إليها فإذا هي معدة لهم، مهياً لاستقبالهم. وكأنما كانوا في رحلة في الأرض ثم أبوا إلى مأواهم الأصيل! وهم يردون هذا المآب للإقامة الطويلة المتجددة أحقابا بعد أحقاب " (2). قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهِ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ (الكهف: 60) أي: " ولو أي أسير حقبا من الزمان " (3).

الصيف:

عدد ورود: وردت كلمة "صيف" في القرآن الكريم مرة واحدة مقرونة بالشتاء.

المعنى اللغوي: " الصاد والياء والفاء أصلان: أحدها يدل على زمان، والآخر يدل على ميل وعدول. فالأول الصيف، وهو الزمان بعد الربيع الآخر. ويقال للمطر الذي يأتي فيه: الصيف. وهذا يوم صائف، وليلة صائفة. وعاملته مصايفة، أي زمان الصيف " (4).

الفائدة الجمالية: رحلة قريش التي أنعم الله - تعالى - عليهم بها، فانتفعوا من الصيف ومن الشتاء في الترحال فتحققت مصالحهم. إنها " منة إيلافهم رحلتي الشتاء والصيف، ومنه الرزق الذي أفاضه عليهم بهاتين الرحلتين، وبلادهم قفرة جفرة، وهم طاعمون هانئون من فضل الله " (5). وقد نشطت تجارتهم مما يدل على وجود رافد اقتصادي أنعش مكة، بتلك الرحلة، ويمكن أن يشار من خلال تلك الرحلة إلى طولها الذي يستغرق الصيف كله، أو الكثير منه. وتمنح الآية إشارة أخرى على هذا الاستغراق من الوقت للرحلة بأنه كان بوسائل نقل كالجمال وغيرها.

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 3: 87.

(2) قطب، في ظلال القرآن، 6: 3807.

(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 3: 87.

(4) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 3: 326.

(5) قطب، في ظلال القرآن، 6: 3982.

الشتاء:

عدد ورود: لم ترد كلمة "الشتاء" في القرآن إلا مرة واحدة.

المعنى اللغوي: " شتا: ابن السكيت: السنة عند العرب اسم لاثني عشر شهرا؛ ثم قسموا السنة فجعلوها نصفين: ستة أشهر وستة أشهر، فبدؤوا بأول السنة أول الشتاء؛ لأنه ذكر والصيف أنتى، ثم جعلوا الشتاء نصفين: فالشتوي أوله والربيع آخره، فصار الشتوي ثلاثة أشهر والربيع ثلاثة أشهر، وجعلوا الصيف ثلاثة أشهر والقيظ ثلاثة أشهر، فذلك اثنا عشر شهرا. غيره: الشتاء معروف أحد أرباع السنة، وهي الشتوة، وقيل الشتاء جمع شتوة (1).

الفائدة الجمالية: قال تعالى: ﴿لَيْلَاف قَرِيْشٍ إِيْلَافِهِمْ﴾ (قريش: 1). وهو زمن الخير، والرزق، والبركة، والعطاء، والرحمة، والحركة، والنشاط، إنها تلك الصورة التي تتملأها النفس من كلمة "الشتاء" وهي نفسها التي برزت منها ما أنعمه الله - تعالى - على الإنسان. وصرح الله - تعالى - بتلك النعمة على أهل قريش. وهي -تلك النعم- ليست مقصورة عليهم، إنما أنعم الله - تعالى - بها على أهل المشرق والمغرب، وفي ذلك دلالتان:

أولا: تذكير لأهل قريش بنعم الله - تعالى - عليهم.

ثانيا: إنها تدل على قدرة الله - تعالى - المطلقة على الهبة والعطاء لقريش وللعالمين جميعا.

ثالثا: دلالة أن خزائن الله - تعالى - لا تنفذ، فهي على مدار العام مسخرة، وينعم بها على جميع الخلق، إنسهم وجنهم، نبات وحيوان.

الشهر

عدد ورود: وردت كلمة "شهر" في القرآن الكريم 12 مرة بلفظ المفرد. ومرتين بلفظ المتنى. و﴿ثلاثون شهرا﴾ وردت مرة واحدة، وكذلك ﴿ألف شهر﴾ وردت مرة واحدة. وفي القرآن ذكر شهر "رمضان" و"الأشهر الحرم"، وجاءت مقرونة بالعدد "ألف شهر" مرة واحدة.

المعنى اللغوي: " الشين والهاء والراء أصل صحيح يدل على وضوح في الأمر وإضاءة. من ذلك الشهر، وهي في كلام العرب الهلال، ثم سمي كل ثلاثين يوماً باسم الهلال، فقيل شهر (2). و"الشهر: القمر، سمي بذلك لشهرته وظهوره، وقيل: إذا ظهر قارب الكمال... ابن سيده: والشهر العدد المعروف من الأيام، سمي بذلك لأنه يُشهر بالقمر، وفيه علامة ابتدائه وانتهائه... وقال أبو

(1) ابن منظور، لسان العرب، 14: 518.

(2) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 3: 222.

العباس: إنما سمي شهراً لشهرته، وذلك أن الناس يشهدون دخوله وخروجه... قال الله عز وجل: ﴿الحج أشهر معلومات﴾ (البقرة: 197)، قال الزجاج، معناه: وقت الحج أشهر معلومات. وقال الفراء: الأشهر المعلومات من الحج شوال، وذو القعدة، وعشر من ذي الحجة... وقوله عز وجل: ﴿فإذا انسلخ الأشهر الحرم﴾ (التوبة: 5)، يقال: الأربعة أشهر كانت عشرين من ذي الحجة، والمحرم، وصفر، وشهر ربيع الأول، وعشراً من ربيع الآخر " (1). و " جمعه في القلة أشهر، وفي الكثرة شهور. وأصله من الاشتهار " (2). و " أصل رمضان الرمض، وهو شدة وقع الشمس على الرمل وغيره. كذلك قال ابن دريد: واشتقاق رمضان من هذا؛ لأنهم سموا الشهور بالأزمنة التي وقعت فيها، فوافق أيام رمض الحر، وقالوا في جمعه: رمضان، وأنشد صاحب العين:

إن شهراً مباركا قد أتانا مثل ما بعد قبله رمضان (3)

الفائدة الجمالية: يقول سيد-رحمه الله- عن العدد المقرون بالزمان مثل "ألف شهر" والعدد لا يفيد التحديد في مثل هذه المواضع من القرآن. إنما هو يفيد التكثر. والليلة خير من آلاف الشهور في حياة البشر " (4).

القرء:

عدد الورود: وردت كلمة "قروء" في القرآن الكريم مرة واحدة، قال تعالى: ﴿يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء﴾ (البقرة: 228).

المعنى اللغوي: القرء " الوقت. قال الشاعر:

إذا ما السماء لم تغم، ثم أخلفت قروء الثريا أن يكون لها قطر

يريد وقت نوئها الذي يمطر فيه الناس. ويقال للحمى: قرء، وللغائب: قرء، وللبعيد: قرء. والقرء والقرء: الحيض " (5).

الفائدة الجمالية: زمن حساب المرأة، تحسب فيه حيضتها، وتقدر فيه أيام سلامتها، وترعى بحسابه مصالحها من فرح وغيره. كما إنه وقت التقلبات والتحويلات، تحولات نفسية ومزاجية، وتحولات

(1) ابن منظور، لسان العرب، 4: 499 - 500.

(2) ابن فضال، النكت في القرآن، 172.

(3) ابن فضال، النكت في القرآن، 172.

(4) ينظر، قطب، في ظلال القرآن، 6-3945.

(5) ابن منظور، لسان العرب، 159: 1.

السلامة للمرض، والقوة للضعف. والقرآن أشار إلى تقدير تلك المدة بالعدد ثلاثة "ثلاثة قروء".

خامسا: ألفاظ الزمن المفتوح

الأول:

عدد الورد: وردت كلمة "أول" في القرآن الكريم 23 مرة. قال تعالى: ﴿كما بدأنا أول خلق نعيده﴾ (الأنبياء: 104)، وقال تعالى: ﴿إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا﴾ (آل عمران: 96).
المعنى اللغوي: "ابتداء الأمر، وانتهائه" (1).

الفائدة الجمالية: "والأول والآخر مستغرقا كل حقيقة الزمان، والظاهر والباطن مستغرقا كل حقيقة المكان. وهما مطلقتان. وينقلب القلب البشري فلا يجد كينونة لشيء إلا لله. وهذه كل مقومات الكينونة الثابتة له دونما سواه. حتى وجود هذا القلب ذاته لا يتحقق إلا مستمدا من وجود الله. فهذا الوجود الإلهي هو الوجود الحقيقي الذي يستمد منه كل شيء وجوده. وهذه الحقيقة هي الحقيقة الأولى التي يستمد منها كل شيء حقيقته. وليس وراءها حقيقة ذاتية ولا وجود ذاتي لشيء في هذا الوجود" (2). قال تعالى: ﴿هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم﴾ (الحديد: 3) وقال تعالى: ﴿كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة﴾ (البقرة: 219-220)، أي: "تفكرون فيما يتعلق بالدارين. فتأخذون بما هو أصلح لكم، وتفكرون في الدارين، فتؤثرون بأبقيهما، وأكثرهما منافع. فصار المعنى العام: كما فصل لكم هذه الأحكام، وبينها، وأوضحها، كذلك يبين لكم سائر الآيات في أحكامه، ووعدده، ووعدده، لعلكم تتفكرون في شأن الدنيا، وفنائها. وأنها دار بلاء، ثم دار فناء. وإقبال الآخرة، وبقيائها. وأنها دار جزاء، ثم دار بقاء فتعلمون فضل الآخرة على الدنيا، وتؤثرون الآخرة عليها... ومن لم يثير القرآن تفكيره في أمر الدنيا والآخرة، فإنه لا يكون قد حقق الحكمة من هذا البيان الواضح في القرآن" (3).

الآخر:

عدد الورد: وردت كلمة "الآخر" في القرآن الكريم 155 مرة.
المعنى اللغوي: "بعثك بيعة بأخرة أي: نظرة، وما عرفته إلا بأخرة. قال الخليل: فعل الله بالآخر أي الأبعد. قال:

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 1: 161.

(2) قطب، في ظلال القرآن، 6: 3479.

(3) حوى؛ سعيد، الأساس في التفسير، ط5، القاهرة، دار السلام، 1999م، 1: 509.

أنا الذي ولدت في أخرى الإبل

وابن دريد يقول: الآخر تال للأول " (1).

الفائدة الجمالية: يرجع إلى لفظة "الأول".

الحين:

عدد ورود: وردت كلمة "الحين" في القرآن الكريم 34 مرة، و"حينئذ" وردت مرة واحدة.

المعنى اللغوي: الحين " من المشتبه الذي لا يقال فيه اليوم إلا بالتقريب والاحتمال، وما هو بغريب اللفظ، لكن الوقوف على كنهه معاصر، قولنا: "الحين" و"الزمان" و"الدهر" و"الأوان". إذا قال القائل أو حلف الحالف: "والله لا كلمته حيناً ولا كلمته زماناً أو دهرًا" وكذلك قولنا: "بضع سنين" مشتبه وأكثر هذا مشكل لا يقصر بشيء منه على حد معلوم " (2).

الفائدة الجمالية: لكلمة "الحين" مجموعة من المعاني والدلالات منها:

أولاً: الحين بمعنى " الدهر، وقيل: وقت من الدهر مبهم يصلح لجميع الأزمان كلها، طالت أو قصرت، يكون سنة أو أكثر من ذلك، وخص بعضهم به أربعين سنة، أو سبع سنين، أو سنتين، أو ستة أشهر، أو شهرين. والحين: الوقت، يقال حينئذ؛ قال خويلد:

كأبي الرماد عظيم القدر جفنته حين الشتاء كحوض المنهل اللقف (3)

ثانياً: الحين بمعنى " المدة، ومنه قوله تعالى: ﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر﴾ (الإنسان:1). التهذيب: الحين وقت من الزمان... ويجمع على الأحيان، ثم تجمع الأحيان الأحيين " (4).

ثالثاً: الحين بمعنى الآن، وذلك " إذا باعدوا بين الوقتين بك " إذ " فقالوا: حينئذ... وحان له أن يفعل كذا يحين حيناً أي آن. وقوله تعالى: ﴿توتى أكلها كل حين بإذن ربها﴾ (إبراهيم: 25)، قيل: كل سنة، وقيل: كل سنة أشهر، وقيل: كل غدوة وعشية " (5).

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 1: 70.

(2) ابن فارس، الصحابي، 38.

(3) ابن منظور، لسان العرب، 13: 161 - 163.

(4) ابن منظور، لسان العرب، 13: 161 - 163.

(5) ابن منظور، لسان العرب، 13: 161 - 163.

رابعاً: **الحين**، وقت يصلح لكل زمان قال الأزهري: وجميع من شاهده من أهل اللغة يذهب إلى أن الحين اسم كالوقت يصلح لجميع الأزمان(1). قال تعالى: ﴿تَوْتِي أكلها كل حين﴾ (إبراهيم: 25)، أنه ينتفع بها في كل وقت فلا ينقطع نفعها البتة، وجاءت قرينة " كل " للدلالة على استغراق وشمول الوقت كله في منفعة الناس.

خامساً: **الحين** بمعنى يوم القيامة، والزمن الغيبي المجهول المدة، وذلك كقوله عز وجل: ﴿ولتعلمن نبأه بعد حين﴾ (ص: 88)، أي: " بعد قيام القيامة " (2). عندما أجل الله -تعالى- إعلامهم وإخبارهم عن مصيرهم وما سيحصل لهم فيه، إنما أراد ترهيباً لنفوسهم، وإثارة لعقولهم، وإشغالا لضمائرهم.

سادساً: **الحين** بمعنى الوقت المحدد المحسوب، كقوله تعالى: ﴿فتول عنهم حتى حين﴾ (الصافات: 174)، أي حتى تنقضي المدة التي أمهلوا فيها " (3).

الأمد:

عدد الورود: وردت كلمة "أمد" في القرآن الكريم 4 مرات.

المعنى اللغوي: " ظرف من الزمان والمكان، فالزمان مثل قوله تعالى: ﴿فطال عليهم الأمد﴾ (الحديد: 16). والمكان، قوله تعالى: ﴿تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا﴾ (آل عمران: 30)، والأمد حقيقي، وليس استعارة " (4).

الفائدة الجمالية: زمن ممتد، وصف في القرآن بالطول، والبعد، قال تعالى: ﴿تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا ويحذركم الله نفسه﴾ (آل عمران: 30)، ويحمل ذلك على طول المسافة وطول الزمن. كأن تتمنى النفس أن لو لم تتعرف على الشيطان، ولو أن بينهما مسافة مكانية تحول دون معرفته، أو زمن يحول بين معرفتهم ومعرفته، فخلقوا في زمان غير زمانه، وأوان غير أوانه؛ استبعاداً لأرواحهم من أن تمس بشرره.

أسلفت:

عدد الورود: وردت كلمة "أسلف" في القرآن الكريم مرتين. قال تعالى: ﴿هنالك تبلوا كل نفس ما أسلفت﴾ (يونس: 30)، وقال تعالى: ﴿هنئنا بما أسلفتم في الأيام الخالية﴾ (الحاقة: 24).

(1) ينظر، ابن منظور، لسان العرب 13: 161 - 163.

(2) ابن منظور، لسان العرب، 13: 161 - 163.

(3) ابن منظور، لسان العرب، 13: 161 - 163.

(4) ينظر، العسكري، الفروق في اللغة، 289.

المعنى اللغوي: " السنين واللام والفاء أصلٌ يدل على تقديم وسبق. من ذلك السلف: الذين مضوا. والقوم السُلف: المتقدمون... والسلفة: المعجل من الطعام قبل الغداء "(1).

الفائدة الجمالية: إنه زمن الماضي الذي انقضى، وزمن الذكريات الحاضرة في الأذهان صورتها، فكل ماض سيكون في حساب فريق المؤمنين جميلاً؛ لأنه ساقهم إلى هذه الأبدية التي كانوا يتمنونها، ويتشوقون للعيش بظلمها. وسيكون في حساب المشركين قبيحاً؛ لأنه ساقهم إلى تلك الأبدية التي كانوا يستبعدون وقوعها، وينكرون وجودها.

عمر:

عدد الورد: وردت كلمة "عمر" في القرآن الكريم 7 مرات.

المعنى اللغوي: " العين والميم والراء أصلان صحيحان، أحدهما: يدل على بقاء وامتداد الزمان، والآخر: على شيء يعلو، من صوت أو غيره. فالأول العمر وهو الحياة، وهو العمر أيضاً. وقول العرب: لعمرك، يحلف بعمره أي حياته. فأما قولهم: عمرك الله، فمعناه أعمرك الله أن تفعل كذا، أي أذكرك الله، تحلفه بالله وتسأله طول عمره، ويقال: عمر الناس: طالت أعمارهم "(2).

الفائدة الجمالية: قال تعالى: ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يَرِدُ إِلَى أَرْدَلِ الْعَمْرِ﴾ (الحج: 5)، وهو وقت " الشيخوخة، والهرم، وضعف القوة والعقل والفهم، وتناقص الأحوال من الخرف، وضعف الفكر "(3). والعمر مدة حياة المخلوق، وسنين عمره التي يعيشها، حلوها ومرها، جميلها وقبيحها، بطؤها وجريانها. والمتعارف عليه أنه إذا انتزعت الروح من الجسد فمعنى ذلك انتهاء العمر. وإن حياة المخلوق سميت عمراً، لعمارة الروح للجسد.

عيش:

عدد الورد: وردت كلمة "عيشة" بلفظها مرتين في القرآن الكريم.

المعنى اللغوي: " العين والياء والشين أصل صحيح يدل على حياة وبقاء. قال الخليل: العيش الحياة. والمعيشة: الذي يعيش بها الإنسان، من مطعم ومشرب وما تكون به الحياة. والمعيشة: اسم لما يعاش به "(4).

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 3: 95.

(2) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 4: 140.

(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 3: 196.

(4) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 4: 194.

الفائدة الجمالية: وجاء العيش في القرآن الكريم بمعنى حياة الآخرة في آيات، وحياة الدنيا في آيات أخرى. وإذا قصدت حياة الآخرة؛ فمعنى ذلك حياة الأبدية، قال تعالى: ﴿فهو في عيشة راضية﴾ (الحاقة: 21، القارعة: 7). وإذا قصد الدنيا فمعاش مؤقت بعلم الله، مجهول للإنسان، وهي مجموع المنافع التي يحس بها، ويتفاعل معها، ويستفيد منها، قال تعالى: ﴿وجعلنا لكم فيها معاش﴾ (الأعراف: 10).

الدوام:

عدد ورود: وردت كلمة "دائم" في القرآن الكريم مرتين.

المعنى اللغوي: "استمرار البقاء في جميع الأوقات، ولا يقتضي أن يكون في وقت دون وقت. ألا ترى أنه يقال: أن الله لم يزل دائما، ولا يزال دائما" (1).

الفائدة الجمالية: قال تعالى: ﴿تجري من تحتها الأنهار أكلها دائم﴾ (الرعد: 35). مكان بهي جميل، جنات، أنهار تجري تحتها، وأشجارها لا ينقطع ثمرها، توحى بالخضرة، والألوان. إن أكلها مستمر لا نفاد له، يصلح ثمرها للأكل إذا ما انتهى في كل وقت. وهي تتناسب مع حياة الأبد الأخروية الدائمة. قال تعالى: ﴿الذين هم على صلاتهم دائمون﴾ (المعارج: 23)، إنها تجسيد للعلاقة التي لا تنقطع بين الله-تعالى- وعباده المؤمنين. فهم مستمرين في صلاتهم وديانتهم، تربطهم بربهم علاقة لا انقطاع فيها، موصولون معه على الدوام وذلك؛ لافتقارهم له، وحاجتهم إليه أولا، ولاستحقاقه عليهم طاعته وعبادته ثانيا.

السرمد:

عدد ورود: وردت كلمة "سرمدًا" في القرآن الكريم مرتين.

المعنى اللغوي: سرمد "دوام الزمان من ليل أو نهار. وليل سرمد: طويل. وفي التنزيل العزيز: ﴿قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمدًا﴾ (القصص: 72)، قال الزجاج: السرمد الدائم في اللغة" (2).

الفائدة الجمالية: قال تعالى: ﴿إن جعل الله عليكم الليل سرمدًا﴾ (القصص: 71)، يمكن الرجوع للفظتي النهار والليل.

(1) العسكري، الفروق في اللغة، 111.

(2) ابن منظور، لسان العرب، 278: 5.

الخلود:

عدد الورد: ووردت كلمة "خلد" في القرآن الكريم ست مرات، و"يخلد" وردت مرة واحدة، و"مخلدون" وردت مرتين، و"خالد" وردت أربع مرات، و"خالدين" وردت 44 مرة، ولفظ المثني مرة، و"خالدون" وردت 25 مرة، و"خلود" وردت مرة واحدة.

المعنى اللغوي: الخلود "استمرار البقاء من وقت مبتدأ. ولهذا لا يقال: إنه خالد كما أنه دائم" (1). و"الخلد: دوام البقاء في دار لا يخرج منها. خلد يخلد خلداً وخلوداً: بقي وأقام. ودار الخلد: الآخرة لبقاء أهلها فيها... وقوله تعالى: ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾ (الهمزة: 3). ، أي: يعمل عمل من لا يظن مع يساره أنه يموت... وخذ إلى الأرض، وأخذ: أقام فيها، وفي التنزيل العزيز: ﴿وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ (الأعراف: 176). أي: ركن إليها وسكن" (2).

الفائدة الجمالية: قال تعالى: ﴿كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ﴾ (محمد: 15). وقال تعالى: ﴿فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا﴾ (النساء: 93). إنه ميراث الزمن، واستمرار البقاء في ضنك وعذاب، يمنح الله -تعالى- أجسادهم شدة في الإحساس، وقدرة على وقوعه عليها. صراخ وعويل، طلب النجاة والخلص، موت بطيء، وزمن لا يكاد يمضي للأمام، كأنه لا حراك له.

أما خلود الجنة، فهو ميراث الزمن الأبدي الذي لا ينتهي، ولا تنتهي معه اللذة، قال تعالى: ﴿يَرْتَوْنَ الْفَرْدوسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (المؤمنون: 11)، إنه النعيم المستمر، واللذة الدائمة، والمتعة الباقية. خلود لا فناء فيه. ونعيمهم فيها يعني حركتهم، وفرحهم وسرورهم، وتنقلهم وتجوّلهم وسياحتهم، هناء عيشهم، ورغد نفوسهم، جمالا لا ينفد يتجلى لنواظرهم، واستبقاء اللذة قائمة في ضمائرهم وأرواحهم. أبدا:

عدد الورد: وردت كلمة "أبد" في القرآن الكريم 29 مرة.

المعنى اللغوي: الأبد "طول المدة، وعلى التوحش قالوا الدهر، وجمعه آباد. والعرب تقول: أبد وأببد، كما يقولون دهر ودهير... وتأبد المنزل خلا. قال لبيد:

بمنى تأبد غولها فرجامها (3)

عفت الديار محلها فمقامها

(1) العسكري، الفروق في اللغة، 111.

(2) ابن منظور، لسان العرب، 3: 202 - 203.

(3) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 1: 34.

والأبد: " الدهر، والجمع آباد وأبود، وفي حديث الحج ، قال سراقه بن مالك: رأيت متعتنا هذه، ألعامنا أم للأبد؟ فقال: بل هي للأبد... أي: هي لأخر الدهر... والأبد: الدائم. والتأبيد: التخليد، وأبد بالمكان يأبد، بالكسر، أبوداً: أقام بت ولم يبرحه " (1).

الفائدة الجمالية: للخلود الأبدي معان متعددة، منها:

أولاً: الخلود الأبدي في العيش في الجنة قال تعالى: ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً﴾ (النساء: 57). تأتي الأبدية بمعنى الخلود في الجنة، قال تعالى: ﴿سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً﴾ (النساء: 57) " هذا إخبار عن حال السعداء في جنات عدن التي تجري فيها الأنهار في جميع فجاجها، ومحالها وأرجائها حيث شاءوا، وأين أرادوا، وهم خالدون فيها أبداً لا يحولون، ولا يزولون، ولا يبعثون عنها حولا " (2).

ثانياً: الخلود يعني الزمن المستمر الذي لا ينتهي حتى بالموت. أي: ديمومة العيش في الدنيا. قال تعالى: ﴿ولا يتمنونه أبداً﴾ (الجمعة: 7). فطموحهم أن يعطوا إطالة الأعمار، فلا يهدد حياتهم فيها موت وفناء. وهذه أمنية تخالف السنن الكونية المؤقتة للأجل.
الآزفة:

عدد ورود: وردت كلمة "آزفة" في القرآن الكريم مرتين.

المعنى اللغوي: " يَأْزِفُ أَزْفاً وَأَزْفَ وَأَزَوْفاً: اقْتَرَبَ. وَكُلُّ شَيْءٍ اقْتَرَبَ: فَقَدْ أَزَقَ أَزْقاً، أَي: دَنَا. وَأَفَدَ. وَالْأَزْفَةُ الْقِيَامَةُ لِقَرِيبِهَا، وَإِنْ اسْتَبَعَدَ النَّاسَ مَدَاهَا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَزْفَتِ الْآزْفَةَ﴾ (النجم: 57)، يَعْنِي الْقِيَامَةَ، أَي: دَنَتِ الْقِيَامَةُ " (3).

الفائدة الجمالية: قال تعالى: ﴿وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْآزْفَةِ﴾ (غافر: 18)، وقال تعالى: ﴿أَزْفَتِ الْآزْفَةَ﴾ (النجم: 57). وفي الموضعين تعني: يوم القيامة. " وقد أزفت الأزفة. واقتربت كاسحة جارفة. وهي الطامة والقارعة التي جاء النذير يحذرهم إياها أو هول العذاب الذي لا يعلم إلا الله نوعه وموعده " (4). انه المصير القريب، والموعود المحدد، والزمن الذي يسمع المؤمنون قرع نعليه يدب على الأرض، وأشار

(1) ابن منظور، لسان العرب، 3: 81.

(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 1: 456.

(3) ابن منظور، لسان العرب، 9: 4.

(4) قطب، في ظلال القرآن، 6: 3418.

له رسول الله لقره بسبابته والوسطى، بعثت أنا والساعة كهاتين. وتأكيد الأزوف والاقتراب ليوم القيامة أتى للقلوب القاسية، والعقول المتحجرة، والنفوس التائهة، والضمائر الخربة. عله ينبهها جميعا؛ لتبدأ مشوارا جديدا مع الحياة.

سادسا: أفاظ الزمن المحدود

أقتت:

عدد الورود: وردت كلمة "أقتت" في القرآن الكريم مرة واحدة. و"ميقات" 7 مرات.

المعنى اللغوي: الوقت " مقدار من الزمان، وكل شيء قدرت له حيناً، فهو مؤقت، وكذلك ما قدرت غايته، فهو مؤقت. ابن سيده: الوقت مقدار من الدهر معروف، وأكثر ما يستعمل في الماضي... ميقات أهل الشام، للموضع الذي يحرمون منه... وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا الرِّسْلُ أَقْتَّتْ﴾. قال الزجاج: جعل لها وقت واحد للفصل في القضاء بين الأمة " (1).

الفائدة الجمالية: قال تعالى: ﴿وَإِذَا الرِّسْلُ أَقْتَّتْ﴾ (المرسلات: 11). وجاءت لدلالات مكانية وأخرى زمانية.

الأول: مكان اللقاء الذي واعد الله- تعالى- نبيه موسى عنده، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا﴾ (الأعراف: 143).

الثاني: الميقات موعد يوم القيامة، فهو عند الله- تعالى- معلوم، قال تعالى: ﴿لِمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾ (الواقعة: 50)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفِصْلِ كَانَ مِيقَاتِنَا﴾ (النبأ: 17). إنه زمن الترقب، يترقبه الكافر ليتحقق من صحة الإنباء معه. ويترقبه المؤمن ليرى ما أعده الله فيه له. الثالث: الميقات زمن استغراق موسى- عليه السلام- تمام أربعين سنة، قال تعالى: ﴿فَتَمَّ مِيقَاتِ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ (الأعراف: 142).

موعد:

عدد الورود: وردت كلمة "موعد" في القرآن الكريم 13 مرة. ووردت بلفظ "ميعاد" 6 مرات. المعنى اللغوي: " المعاودة: الرجوع إلى الأمر الأول... والمعاد: المصير والمرجع، والآخرة: معاد الخلق. قال ابن سيده: والمعاد الآخرة والحج. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادِكَ

(1) ابن منظور، لسان العرب، 121: 2.

إلى معاد ﴿القصص: 85﴾، يعني إلى مكة، عدة للنبي - صلى الله عليه وسلم - أن يفتحها له. وقال الفراء: إلى معاد حيث ولدت، وقال ثعلب: معناه يردك إلى وطنك وبلدك " (1).

الفائدة الجمالية: كل مواضع "موعد" في القرآن الكريم يقصد بتا يوم القيامة حيث المصير والمرجع، قال تعالى: ﴿قل لكم ميعد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون﴾ (سبأ: 30). وقال تعالى: ﴿إن الله لا يخلف الميعاد﴾ (الرعد: 31)، قال تعالى: ﴿بل لهم موعد لن يجدوا من دونه مؤثلاً﴾ (الكهف: 58). كما يقصد معه وقت معلوم محدد في الدنيا، قال تعالى: ﴿قال موعدكم يوم الزينة﴾ (طه: 59). هو موعد الفصل والتمايز بين تيارين وحزبين، حزب الله -تعالى- بقيادة موسى -عليه السلام- ومعه ثلة المؤمنين، وحزب الشيطان بقيادة فرعون ومعه السواد الأعظم. موعد حدده الكافر؛ لأنه الأظهر من حيث العدد والأتباع والأنصار، ومن حيث القوة، ومن حيث السلطان. والوقت هنا يشير إلى ذلك البعد النفسي السلطوي في نفس فرعون.

بغثة:

عدد ورود: وردت كلمة "بغثة" في القرآن الكريم 13 مرة.

المعنى اللغوي: البغثة " الفجأة، وهو أن يفجأك الشيء. وفي التنزيل العزيز: ﴿ولياتينهم بغثة﴾ (العنكبوت: 53)، أي: فجأة " (2).

الفائدة الجمالية: إنها لحظة المفاجأة جاءت في القرآن لأمر ثلاثة، الساعة "يوم القيامة"، والموت، والعذاب. والأمر الثلاثة جاءت مقرونة بلفظ بغثة؛ لأنها مجهولة الحدوث، وعلمها عند الله -تعالى- فناسبتها لفظة الزمان هذه.

قال تعالى: ﴿حتى إذا جاءتهم الساعة بغثة﴾ (الأنعام: 31)؛ لأنه وقت أخفى الله -تعالى- العلم به. أما الموت، فهو مجهول الحدوث، فحصوله للمخلوق يأتي دون علم مسبق منه به، فكم من سقيم عاش طويلاً من الدهر وطيبه مات، وكم صغير مؤمل رحل قبل كهل يتربص الموت. وقال تعالى: ﴿فيأتيهم بغثة وهم لا يشعرون﴾ (الشعراء: 202). والخاتمة التي يختم الله -تعالى- بها حياة المشركين هي لحظة فجائية، وكانت فجأتها؛ لأنهم ينكرون وقوعها، ويجحدون حدوثها، فأوهم معتقدهم الذي يظنون أن الموت يأتي الضعفاء والمرضى، ولكنه يأتي لانتهاؤ الأجل الذي قدره

(1) ابن منظور، لسان العرب، 3: 389.

(2) ابن منظور، لسان العرب، 11: 2.

الله-تعالى- سواء كان المخلوق صحيحاً أم سقيماً، قال تعالى: ﴿أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ
بَغْتَةً﴾ (الزمر: 55).

عقب:

عدد الورود: وردت كلمة "عقب" بمشتقاتها في القرآن الكريم 32 مرة.

المعنى اللغوي: " العين والقاف والباء أصلان صحيحان. أحدهما يدل على تأخير شيء، وإتيانه بعد غيره. والأصل الآخر يدل على ارتفاع وشدة وصعوبة. فالأول قال الخليل: كل شيء يعقب شيئاً فهو عقيب، كقولك خلف يخلف، بمنزله الليل والنهار إذا مضى أحدهما عقب الآخر. وهما عقيبان، كل واحد منها عقيب صاحبه. ويعقبان، إذا جاء الليل وذهب النهار، فيقال عقب الليل النهار وعقب النهار الليل. وذكر ناس من أهل التفسير في قوله تعالى: ﴿لَهُ مَعْقِبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ﴾ (الرعد: 11)، قال: يعني ملائكة الليل والنهار، لأنهم يتعاقبون " (1).

الفائدة الجمالية: وكلمة "معقبات" ناسبت علم الله-تعالى- الذي أحاط بكل شيء، منذ بداية الخلق، ثم بتعاقب الأحداث تلو بعضها، كلها بين يديه شأنها. والمعقبات دالة على القدرة المطلقة في التصرف. فإن قدرة التصرف بتحويل الليل إلى النهار والعكس، بتراتبية دائمة لا تخالف أمر الله-تعالى- لهي دليل على مطلق تلك الإرادة.

أنفا:

عدد الورود: وردت كلمة "أنفا" في القرآن الكريم مرة واحدة.

المعنى اللغوي: " فعل كذا أنفاً، كأنه ابتدأه. قال تعالى: ﴿قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ أَنْفَا﴾ (محمد: 16) ... (2).

الفائدة الجمالية: إنه وقت الإعادة من حيث البداية، استهجاناً واستنكاراً لما سمعوه، وتلك الكلمة تلقي بظلالها لتكشف الحالة النفسية المتمردة على الحق التي يتمتع بها هؤلاء المعرضون.

الأجل:

عدد الورود: وردت كلمة "أجل" في القرآن الكريم 35 مرة. وجاءت كلمة "الأجل" مقرونة بكلمة "مسمى" في معظم مواضعها، واتصفت بقريب في ثلاثة مواضع.

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 4: 77-78.

(2) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 1: 146.

المعنى اللغوي: " غاية الوقت في محل الدين وغيره... والاسم الآجل نقيض العاجل. والآجل المرجأ، أي المؤخر إلى الوقت " (1).

الفائدة الجمالية: تتقلب كلمة " آجل " بين عدة معان:

أولاً: الحياة والبعث، قال تعالى: ﴿هو الذي خلقكم من طين ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده ثم أنتم تمترون﴾ (الأنعام: 2) " وقد اختلف السلف ومن بعدهم في تفسير الأجلين، فقيل: " قضى أجلا " يعني الموت. وقال تعالى: ﴿أجل مسمى عنده﴾ يعني القيامة... قيل الأول: ما بين أن يخلق إلى أن يموت، والثاني: ما بين أن يموت إلى أن يبعث، وهو قريب من الأول. وقيل: الأول مدة الدنيا، والثاني: عمر الإنسان إلى حين موته... وقيل: الأول قبض الأرواح في النوم، والثاني " قبض الروح عند الموت. وقيل: الأول ما يعرف من أوقات الأهلة والبروج وما يشبه ذلك، والثاني: أجل الموت. وقيل: الأول لمن مضى، والثاني: لمن بقي ولمن يأتي. وقيل: الأول الأجل الذي هو محتوم، والثاني: الزيادة في العمر لمن وصل رحمه، فإن كان برا تقيا وصولا لرحمه زيد في عمره، وإن كان قاطعا للرحم لم يزد له " (2). ويرى الباحث أن الأول: حياة الإنسان في الدنيا حتى موته، والثاني: من موته حتى بعثه، ويدل على ذلك قوله تعالى بعدهما: ﴿ثم أنتم تمترون﴾ أي تشكون، فالتماري يرجع للشك في مذكور قبله، وكان شك المشركين عندئذ في بعثهم وقيامتهم بعد الموت.

ثانياً: المدة المؤقتة " المعلومة " قال تعالى: ﴿فلما قضى موسى الأجل﴾ (القصص: 29)، وقال تعالى: ﴿تدأينتم إلى أجل مسمى﴾ (البقرة: 282)، والأجل هنا كما أجمع المفسرون حيث " اشترطوا توقيته بالأيام، أو الأشهر، أو السنين، قالوا: ولا يجوز إلى الحصاد، أو الدياس، أو رجوع القافلة، أو نحو ذلك " (3). وعلم ذلك الأجل - حتما - عند الله - تعالى - ثم عند الإنسان.

ثالثاً: المدة المفتوحة " المعلومة " قال تعالى: ﴿لكل أجل كتاب﴾ (الرعد: 38) " أي لكل أمر مما قضاه الله، أو لكل وقت من الأوقات التي قضى الله بوقوع أمر فيها كتاب " زمن محدد " عند الله يكتبه على عباده، وهذا الوقت في علم الله - تعالى - معلوم، لكنه للإنسان مفتوح لا علم له بنهايته. وقال الفراء: فيه تقديم وتأخير. والمعنى: لكل كتاب أجل، أي: لكل أمر كتبه الله أجل مؤجل ووقت معلوم " (4).

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 1: 64.

(2) الشوكاني، فتح القدير، 2: 124.

(3) الشوكاني، فتح القدير، 1: 381.

(4) الشوكاني، فتح القدير، 3: 110.

ويرى الباحث أن الآية معناها - والله أعلم- أن لكل وقت وزمن مبتدأ ومنتهى عند الله- تعالى- علمهما. ولو قدم وأخر- كما قال الفراء- لاقتضى من وراء ذلك حكمة، ولا يعقل أن يخصص "الأجل" دون أن يخصص "كتاب" الدال على علمه. فالأولى تخصيص "كتاب". لذا لا تقديم ولا تأخير هنا.

سابعاً: الظروف الزمانية

أَيان:

عدد ورود: وردت كلمة "أَيان" في القرآن الكريم ست مرات.

المعنى اللغوي: تأتي كلمة "أَيان" بمعنى "متى، أي، حين" وقال بعض العلماء: نرى أصلها: أي أوان(1). أين: "قرب الشيء" (2).

الفائدة الجمالية: كل مواضعها التي جاءت في القرآن للدلالة على حياة الآخرة. قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ (الأعراف: 187)، وقال تعالى: ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يَبْعَثُونَ﴾ (النمل: 65). وهي "سؤال عن مكان، وهي مغنية عن الكلام الكثير والتطويل، وذلك أنك إذا قلت: أين بيتك؟ أغناك ذلك عن ذكر الأماكن كلها... الليث: الأين وقتٌ من الأمكنة... وأَيان: معناه أي حين، وهو سؤالٌ عن زمان مثل متى. وفي التنزيل العزيز: ﴿أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ (الأعراف: 187). ابن سيده: أَيان بمعنى متى، فينبغي أن تكون شرطاً... وفي التنزيل العزيز: ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ (النمل: 65) أي لا يعلمون متى البعث... وقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمَ الدِّينِ﴾ (الذاريات: 12) لا يكون إلا استفهاماً عن الوقت الذي لم يجيء " (3) وهو الزمن الغيبي. قبل:

عدد ورود: وردت كلمة "قبل" في القرآن الكريم 256 مرة.

الدلالة الجمالية: تأتي للزمان، أو المكان، ومن دلالة الزمن الماضي، إن النبي هنا يقر بأن ضابط الزمن بيد الخالق سبحانه، فبيده موعد إهلاكهم، قال تعالى: ﴿قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل﴾ (الأعراف: 101). وتأتي "قبل" لتشي بحالة الاعتبار من الزمن الغابر، قال تعالى: ﴿سنة الله في الذين خلوا من قبل﴾ (الأحزاب: 62).

(1) ينظر، ابن فارس، الصحابي، 102.

(2) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 1: 167.

(3) ابن منظور، لسان العرب، 13: 51 - 53.

بعد:

عدد ورود: وردت كلمة "بعد" في القرآن الكريم 22 مرة.

المعنى اللغوي: " يدل على أن يعقب شيء شيئاً: "جاء زيد بعد عمرو" ويقولون: " إنها تكون بمعنى "مع" يقال: هو كريم وهو بعد هذا فقيه، أي: "مع هذا" ويتأولون قول الله جل ثناؤه: ﴿وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ (النازعات: 30) على هذا، بمعنى " مع ذلك " (1).

الفائدة الجمالية: زمانان يسبق أحدهما الآخر، تميز بينهما "بعد" فقد خلق الله - تعالى - الأرض في زمن متقدم بهيئة ما، ثم سوى هيئتها فدحاهها، وبسطها.. إلخ.

إذ:

عدد ورود: وردت كلمة "إذ" في القرآن الكريم 239 مرة.

الدلالة النحوية: "إذ" : تكون للماضي... قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا﴾ (الأنعام: 27)... وإنما كان كذا؛ لأن الشيء كان، وإن لم يكن بعد، وذلك عند الله جل ثناؤه قد كان؛ لأن علمه معه سابق وقضائه معه نافذ، فهو كائن لا محالة. والعرب تقول مثل ذا، وإن لم تعرف العواقب، قال:

ستندم إذ يأتي عليك رعيننا بأرعن جرار كثير حواهله (2)

"إذا" و"إذ" : " كلمة تدل على ما مضى من الزمان، وهو اسم مبني على السكون، وحقه أن يكون مضافاً إلى جملة، تقول: جئتك إذ قام زيد ، وإذ زيد قائم، وإذ زيد يقوم... وقوله عز وجل: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (البقرة: 30)، قال أبو عبيدة: إذ هنا زائدة، قال أبو إسحاق: هذا إقدام من أبي عبيدة؛ لأن القرآن العزيز ينبغي أن لا يتكلم فيه إلا بغاية تحري الحق، وإذ: معناها الوقت ، فكيف تكون لغواً ومعناها الوقت. والحجة في "إذ" أن الله - تعالى - خلق الناس وغيرهم، فكأنه قال ابتداء خلقكم: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (البقرة: 30) أي في ذلك الوقت " (3). و" يذهب أغلب النحاة إلى أن "إذا" الشرطية تكون ظرفاً لما يستقبل من الزمان... وإن أغلب الآيات التي جاءت فيها "إذا" الشرطية جاءت دالة على المستقبل غير أننا وجدنا أن هناك آيات جاءت فيها "إذا" لغير الاستقبال، وكل الآيات التي جاءت

(1) ابن فارس، الصحابي، 105.

(2) ابن فارس، الصحابي، 99.

(3) ابن منظور، لسان العرب، 3: 581.

فيها "إذا" الشرطية مع الفعل جاءت متلوة بالفعل الماضي " فعل " ولم تقترن بالفعل المضارع "يفعل" إلا مرة واحدة هي، قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بآيَةً قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا﴾ (الأعراف: 97). ومن دلالات "إذا" على المستقبل، قوله تعالى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ لَيْسَ لَوْقَعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾ (الواقعة: 1) إذا الشرطية في الآية قلبت معنى الفعل إلى الاستقبال البعيد. إذ ينصرف الفعل إلى زمن يوم القيامة" (1).

حيث:

عدد ورود: وردت كلمة "حيث" في القرآن الكريم 31 مرة.

الدلالة النحوية: تدل على الزمان والمكان، قال تعالى: ﴿وَكَلَّا مِنْهَا رَغْدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ (البقرة: 35). وقال تعالى: ﴿وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (النحل: 26).
متى:

عدد ورود: وردت كلمة "متى" في القرآن الكريم 9 مرات.

الدلالة النحوية: يسأل بها عن الزمن ماضيا كان أو مستقبلا، وقد تم السؤال بـ "متى" من زمن النصر المستقبلي، قال تعالى: ﴿حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصَرَ اللَّهُ﴾ (البقرة: 214). وعن زمن تحقق الوعد "يوم القيامة" قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾ (الأنبياء: 38)، وعن زمن الفتح، قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ﴾ (السجدة: 28).

ثم:

عدد ورود: وردت كلمة "ثم" في القرآن الكريم 338 مرة.

المعنى اللغوي: تكون بمعنى "واو العطف" قال الله - جل ذكره-: ﴿فَالْيُنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾ (يونس: 46) أي: وهو شهيد. وتكون بمعنى التعجب كقوله جل ثناؤه: ﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ﴾ (المدثر: 15). وقال تعالى: ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ (الأنعام: 1)... فأما قوله جل وعز: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾ (الأعراف: 11)، فقال قوم: معناها، وصورناكم. وقال آخرون: المعنى "ابتدأنا خلقكم" لأنه جل ثناؤه ابتدأ خلق آدم عليه السلام من تراب، ثم صوره وابتدأ خلق الإنسان من نطفة ثم صوره. وابتدأ خلق الإنسان من نطفة ثم صوره. قالوا: "ثم" على بابها. قال الله جل ثناؤه: ﴿يُولُوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ (آل عمران: 111)... وتكون زائدة. قال الله جل ثناؤه: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا، حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ (التوبة: 25)، إلى قوله جل ثناؤه: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ معناه: حتى إذا ضاقت عليهم الأرض تاب عليهم وقوله جل ثناؤه: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا﴾ (الأنعام: 2)، وقد كان قضى الأجل، فمعناه: "أخبركم أنني خلقته

(1) عبد الكريم، بكرى، الزمن في القرآن الكريم، ط1، مصر، دار الفجر، 1997 م، 270.

من طين، ثم أخبركم أنى قضيت الأجل... وهذا يكون في الجمل، فأما في عطف الاسم على الاسم،
والفعل على الفعل فلا يكون إلا مرتبا أحدهما بعد الآخر (1). و**ثم**: بمعنى "هنالك" قال الله **جل**
ثناؤه: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَ رَأَيْتَ نَعِيمًا﴾ (الإنسان: 20). و**قرئ**: ﴿إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثَمَ اللَّهُ شَهِيدٌ﴾ (يونس: 46)،
أي: هنالك الله شهيد (2).

(1) ابن فارس، الصحابي، 106.

(2) ابن فارس، الصحابي، 107.

الفصل الثاني:

بناء المكان في النص القرآني، وفيه:

أولاً: تعريف المكان

ثانياً: مفهوم المكان ودلالاته في النص القرآني

ثالثاً: أنواع العوالم وأماكنها.

رابعاً: ألفاظ المكان في النص القرآني ودلالاتها

تعريف المكان:

يقول " ابن سيده، المكان: الموضع، والجمع أمكنة، كقذال وأقذلة، وأماكن جمع الجمع " (1). و"المكن: ككتف: بيض الضبة والجرادة، ونحوهما. مكنت كسمع، فهي مكنون، وأمكنت، فهي ممكن. وفي الحديث: "وأقروا الطير على مكنتها"، بكسر الكاف، وضمها، أي: بيضها. والمكانة: التؤدة، كالمكينة، والمنزلة عند ملك. ومكن، ككرم، وتمكن، فهو مكين جمع: مكناء. والاسم: المتمكن: ما يقبل الحركات الثلاث، كزيد. والمكان: الموضع، جمع: أمكنة، وأماكن " (2). وهو "الحاوي للشيء المستقر، كمقعد الإنسان من الأرض، وموضع قيامه، واضجاعه، وهو "فعال" من التمكن، لا "مفعول" من الكون، كالمقال من القول، لأنهم قالوا في جمعه أمكن، وأمكنة، وأماكن وقالوا تمكن، ولو كان من القول لقالوا: تكون " (3). من السابق يخلص الباحث إلى أن المكان في اللغة يعني الموضع، وربما أخذ المكان والكون من اسم البيضة، فإن البيضة كون لما بداخلها، تحيط معه وتحتويه. والكون كذلك يحيط بالمخلوقات جميعا، فسمي بذلك لتلك الإحاطة، والله أعلم.

المكان عند القدماء والمحدثين:

لقد " كانت علاقة الإنسان العربي مع المكان وثيقة منذ البداية، وكان الحنين إلى المكان في النفس العربية حنينا "ميتافيزيقيا" دائما. ومن يقرأ قصائد الجاهليين يلاحظ هذا الإفراط في الحديث عن أماكن الأحبة والشوق إليها، وحب العودة إليها والى أيامها السعيدة " (4). حيث كان الترحال الدائم والهجرة المستمرة ديدنهم؛ لاستمرار الحياة والتغلب على البداء. أما قدماء العرب، فقد ذكر أفلاطون أن المكان يعتبر " حاويا وقابلا للشيء " (5). أما أرسطو فاعتبره " نهاية الجسم المحيط، وهو نهاية الجسم المحتوى " (6). وأشار جاستون باشلار لإعطاء المكان مصطلحا فنيا، على نفس ما وظفه قدماء العرب، من أنه يتعدى تلك الجغرافية، ويمتزج بالأحداث والمواقف والشخصيات، يقول: " المكان الممسوك بواسطة الخيال لن يظل مكانا محايدا، خاضعا لقياسات وتقييم مساح الأراضي، لقد عيش فيه لا بشكل وضعي، بل بكل ما للخيال من تحيز، وهو بشكل خاص - في

(1) ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، 13: 510.

(2) الفيروزآبادي؛ مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، ط4، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1994م، 1594.

(3) الكفوي، الكلبيات، إعداد: عدنان درويش، محمد المصري، دمشق، 1976 م، 4: 223.

(4) عودة؛ على محمد، الزمان والمكان في الرواية الفلسطينية 1925-1982 م، ط 2، غزة، مكتبة دار المنارة، دت، 12.

(5) العبيدي؛ حسن، نظرية المكان في فلسفة ابن سينا، راجعه: عبد الأمير الأعسم، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1987م، 16.

(6) أرسطو؛ الطبيعة، ترجمة: إسحاق بن حنين، مع شروح ابن السمع، وابن عدي، ومتى بن يونس، وأبي الفرج بن الطيب، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، الثقافة والإرشاد القومي، 1964 م، 312.

الغالب - مركز اجتذاب دائم، وذلك لأنه يركز الموجود في حدود تحميه " (1). وبالمجمل فقد عد بعض الباحثين المكان عنصراً من عناصر البناء الفني والجمالي في الأعمال الأدبية المتعددة، ولا يعتبرونه مجرد حيز جغرافي له أبعاد، واتجاهات، ومكونات. بل اعتبروه ينبع من فلسفة الأديب، ويحاكي نفسه، ويترجم واقعه، ويفسر علاقاته، ويرسم ملامح نفسه وروحه " وسواء أكان المكان واقعياً أو متخيلاً فهو وسيلة وليس غاية " (2).

وثمة ربط بين ما كان يتصوره العرب القدماء عن المكان، وما حكاه فلاسفة اليونان، وما اعتمده النقاد المعاصرون، وبين المعنى اللغوي لكلمة "المكان" إنه الحيز الجغرافي ذو الأبعاد والمكونات، الحاوي لخصائص ما تحاكي الواقع وتترجم عن النفس. ومن مقتضيات الاحتواء، الشمول الذي يضم كل التفسيرات التي تتشكل من المواقف والأحداث بأزمئتها المختلفة ومنها، أنه يترجم الانطباعات، ويرسم الشخصيات، ويفسر الواقع، ويضع الإنسان في صورة واعية من الأحداث التي يسجلها العمل الأدبي، كما يحدد أو يقارب تواريخها.

مفهوم المكان في القرآن الكريم

لما جاء الإسلام تعمقت علاقة الإنسان في ظلّه مع المكان والزمان، المكان لأنه الحيز الجغرافي الذي يتسع لكل الخلق، والذي قدر للإنسان العيش في رحابه وفضائه، إنه الكون الرحب الذي يتكون من الأرض، وما فيها، وما عليها، وما حولها، وما فوقها، مد الآفاق. كانت له بداية، وستكون له نهاية، وضح القرآن معالمها، وفصل القول فيها. والأمر لا ينتهي بالنسبة للإنسان عند حدود هذا المكان الكوني الدنيوي، بل يمتد بعد الموت لعالم غيبي، بل أشد غيبية - حسب نصوص القرآن - من العالم الذي يليه، والذي يبدأ بالبعث من بعد الرقدة المجهول علمها؛ ليتصل مع مكان بحيز آخر في عالم الغيب نتصوره في عقولنا، ونتخيل مكوناته وأبعاده في أذهاننا. ولقد ورد اسم المكان في القرآن الكريم ثلاثين مرة، ولعل البداية التي عرف فيها الإنسان الكون كانت بعد أمر الله - تعالى - الإنسان بإقامة الخلافة في الأرض؛ وذلك منذ هبوط آدم - عليه السلام - من الجنة إليها، ولعل ذلك يضعنا أمام حقيقة هي أن خلق عالم الآخرة - وإن كان باسم الآخرة - تقدم تاريخياً على معرفة الإنسان للكون، وربما على خلقه أيضاً. وبعد هبوط آدم - عليه السلام - الذي أعلمه الله - تعالى - بأنه مستخلف لعمارتها (3)، فعرف قيمتها، وبدأ الغرس فيها، والانتفاع من خيراتها، بعدما سمى الله - تعالى - له الأشياء. ثم بدأ النسل والذرية منه. وإن أول ما ذكره القرآن من نسل آدم، تلك العلاقة بين الأرض وقابيل بعد قتل أخيه، حيث إنه أدرك المرحلة الانتقالية

(1) باشلار؛ جاستون، جماليات المكان، ترجمة: غالب هلسا، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، 1980 م، 227.

(2) إسماعيل؛ عز الدين، التفسير النفسي للأدب، ط4، القاهرة، دد - 1984م، 77.

(3) سورة البقرة: 30.

الأخرى "عالم البرزخ" بعد أن تعلم من غراب كيف يوارى جسد أخيه الثاوي على الأرض، فنشأت أول علاقة بين الإنسان والأرض بعد آدم(1). إنها علاقة السرية عندما اختفى ذلك الجسد في باطنها، والحفظ لذلك الجسد من أن يؤذي الناس أثناء تحلله، إذن يمكن القول تشكلت في هذه الفترة علاقتان بين الأرض والإنسان، علاقة إحياء له، حيث خلق الإنسان من طين. وإن الإنسان ينعم بالبقاء من خلال أكل الغرس الذي تنبته. وعلاقة الموت وذلك باحتوائه في بطنها بعدما يوارى بداخلها. ولكن ثمة علاقة أخرى هي أسمى من ذلك وأجل، ولعل الأرض إنما خلقت للإنسان لتكون عليها أحداث هذه العلاقة، إنها علاقة الإعمار، وذلك بتوحيد الخالق وعبادته، وذلك مصداق قوله تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ (الذاريات: 56) إنها علاقة خير، وسلام، وإيمان.

وجاء بعده نبيا الله إبراهيم وابنه إسماعيل-عليهما السلام- لبنينا قواعد البيت الحرام مكان التجمع والتوحد على الخير(2). وهكذا ديدن الأنبياء-جميعا- إلى أن جاء الإسلام؛ ليظهر لنا رسول الله محمد -صلى الله عليه وسلم- أن المؤمن مطالب أن يعمر الأرض بالخير حتى لو شارفه الموت، وفي يده فسيلة نبت فعليه غرسها، إنها نظرة خير وإعمار للأرض والحياة. فكان وجوده خليفة خيرا في الأرض، وخيريته تلك تعتبر سببا في نيله مكانا في الجنة، ولو أعرض الإنسان عن الخير والإيمان؛ لكان ذلك سببا في زجه في مكان ما في النار. فثمة روابط بين عالم الدنيا المؤقت، وعالم الآخرة الدائم الأبدي.

إن من مبادئ المؤمن انتماءه للدين، وذلك لا يتنافى مع حقيقة وجوده على الأرض، وحبه لها، والانتفاع منها، والحكم عليها، والتملك لها. فبانتمائه للأمة، ودعوته للإعمار التي لا تسمى أمة إلا بأن يكون له وجوده واستقراره وعمارته على الأرض؛ ليحظى بالخيرية.

لذلك الإنسان مطالب بالتمسك بها، والانتماء إليها انتماء قويا. وسيقف البحث عند حدود المكان بأنواعه، وأبعاده في القرآن؛ لننظر كيف تجلت أهميته، وهل تبدو أماكن الآخرة واقعية بعد تصورنا وتخلينا لها؟ وما سر علاقة كل منهما بالآخرى.

المكان والإعجاز

إن المكان يلعب دورا تعبيريا بالغ الأهمية في القرآن بشكل عام، رغم أنه كثيرا ما يكون خارجا عن نطاق التصورات المجردة، وهذا ما يدعو بالقول، إن خروجه عن جغرافيته إلى عالم العظمة تارة، والجمال أخرى، والتأمل ثالثة، والنفع رابعة لهو سبيل إبهار وإعجاز. وأول ما يمكن الإشارة إليه أن القرآن صور كيف طوت قدرة الله-تعالى- الأماكن والمسافات طويا حقيقيا لا خياليا، فإن رحلة الإسراء التي قال فيها سبحانه: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد

(1) سورة المائدة: 29.

(2) سورة آل عمران: 97.

الأقصى الذي باركنا حوله» (الإسراء: 1)، دلت كيف طوى الله الزمان والمكان، فإن اختراق تلك المسافات الشاسعة، والأماكن الكبيرة، في لحظات قليلة؛ لهو من أكبر الأدلة على سيطرة الخالق على عنصرَي الزمان والمكان، ولم يكن هذا هو الشاهد الأوحد على تلك القدرة، بل إن حركة الوحي المتعاقبة المستمرة طيلة سنوات بين السماء البعيدة والأرض، وعندما كان يأتي آيات القرآن بين الفينة والفينة، وانتهى قدومه في آخر رمضان عندما قرأ على الرسول القرآن مرتين، ليدل على أن اختراق تلك المساحة المكانية في زمن يسير، على تلك القدرة والسيطرة الإلهية على الكون والمخلوقات فيه. فالمكان خلق من خلق الله -تعالى- له السيطرة عليه، فبأمر منه يطوي السماء الفسيحة، قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجْلِ لِلْكِتَابِ﴾، ولقد سميت كثير من سور القرآن بأسماء أماكن دنيوية، وورودها دالة إحاطة علم الله -تعالى- وقدرته بالمخلوقات بما فيهما الزمان والمكان، ودالة تحكم منه لهما. وبرزت في الأماكن المذكورة في القرآن أحداث ووقائع بين الإيمان والشرك، وقد بلغ عددها ثلاث عشرة سورة، هي:

سبأ، والروم، والمائدة، والحج، والكهف، والأحقاف، والحجرات، والطور، والنجم، والقمر، والبروج، والأعلى، والبلد

كما جاءت أماكن أخرى، بلغ عددها خمس سور، هي:

الأعراف، والحشر، والمعارج، والقيامة، والكوثر

إن هذا يؤكد أولاً أن القرآن الكريم جعل للمكان قيمة بالغة، وأعطاه حظوة كبيرة من مساحة سور القرآن، كيف لا ونسبة تلك السور من السور القرآنية الأخرى يقارب 13% من مجملها، كما أن ألفاظ المكان أخذت حيزاً واسعاً من القرآن الكريم، وسيوضح ذلك في موضعه. كما أن الله -سبحانه- طالب الإنسان بعمارة الأرض كمكان يحتوي على كل مصالحه في المرحلة الانتقالية، وإذا ما أطاع الأمر يفوز عنده -سبحانه- بمكان آخر دائماً خالداً هو " الجنة " وقد وعده فيه. وعلى النقيض من ذلك، فإن لمن أساء عمارتها، عنده -سبحانه- مكاناً آخر دائماً خالداً هو " النار " قد توعد به بت.

إن الأماكن المخلوقة التي جعلت مستقراً للإنسان، وملجأً له، قد بينها الله -تعالى- في القرآن الكريم وصورها لنا تمام الصورة، وجلاها للناظرين، فما تحتاج إلا لذي لب، وعقل رشيد، ولذي قلب واع متدبر، وصاحب ذوق وحس؛ ليستكنه آياتها.

إن مظاهر الكون يتحقق فيها الجمال من خلال تلك الأماكن المخلوقة الطبيعية العجيبة المحكمة الصنعة والخلقة، ونجني لأنفسنا أمراً عند رؤيتها، والتدبر فيها، والتفكر بدقيقها وجليلها.

إنه-حتماً- التعرف على المدبر العظيم، والخالق القدير. وإن هذه الأماكن بعظمتها، وجمالها، وبعض منافعها لشيء يسير مما أخبر معه-سبحانه- واستنظره أمام الأبصار.

فإنه بقدرته أعلى السماء ورفعها، ومهد الأرض وبسطها، وأجرى الأنهار ونبعها، وأرسى الجبال وأقراها، فإذا كانت هذه الآيات صنعته، فتكونت بأمره، وستفنى بأمره، فكيف يمكن لذي لب ورشد أن يغفل عنها كدلالات تدل على قدرته، وعظيم شأنه؟ قال تعالى: ﴿ءأنتم أشد خلقاً أم السماء بناها*رفع سمكها فسواها*وأغطش ليلها وأخرج ضحاها*والأرض بعد ذلك دحاًها*أخرج منها ماءها ومرعاها*والجبال أرساها*متاعاً لكم ولأنعامكم﴾(النازعات: 27-33).

وإن القرآن الكريم زاخر نصه بمعالم الأماكن الدنيوية والأخروية، إذ إن نصه صور الحيوانات المختلفة التي يحضرها الإنسان، سواء في عالم الحاضر، أو العالم الغيبي. وقد كشفت لنا الآيات مظاهر متعددة للأماكن في الحياة التي استغرقت كل ما يهيم الإنسان وما يتصل معه من الأرض-مكان العمارة والخلافة-وما يتفرع عنها من أماكن مفتوحة، ومغلقة، ولا محدودة. كالقرى والمدائن، والسبل، والبحار، والجبال، والبيوت، وغيرها. كما صور أماكن الآخرة، وبدأ ذكرها من اللحظة الأولى، لحظة رفع الروح إلى السماء، واستقرار الجسد في باطن الأرض، والتي وظفت كمرحلة انتقالية إلى العالم الغيبي الأبدي الذي يبدأ من لحظة النفخ للبعث، وينتهي بالإنسان في الخلود، إما في الجنة أو في النار. وبين القرآن ما بين تلك الأماكن من محطات، مثل: الحشر، ومكان العرض، والصراط... إلخ.

إن المكان-حقاً- مكتنز لدلالات ذات قيم. فهو يعتبر آية من آيات التأمل. فإذا نظر الإنسان لأي مكان من أماكن هذا الكون، أو تخيل وصفاً لمكان من أماكن الغيب الأخروية، فكأنه بذكرها يحاكي صوراً جمالية رائعة، تدفع الإنسان إلى الانبهار بنسقتها، وفنيتها، وروعيتها، هذا من ناحية. ومن ناحية أخرى هو صورة من صور الدلالة على عظمة الخالق، وقدرته، وجلال قدره. فإذا ما كان المكان طبيعياً في تكوينه الأول، فإنه يتسم بالسعة والامتداد، والارتفاع والعلو، مع ترابط، وتماسك، وتناثر، وتناسق. فعندما يتأمل المتأمل الأرض، والسماء، والجبال، والسهول، والبحار، والأنهار، والفلاة، والظلال. إنها مشاهد فيها من المنافع، ما يصلح لحياة كل حي. وفيها من الجمال ما يبهر كل عقل، تبهره صورة جمالها، وتتسقيها، وبداعة منظرها. كما إنها دلالة قدرة تدل على خالقها، فهي متماسكة قوية، عظيمة شديدة، منسجمة، تزخر باللون والحركة. كما إنها رموز للمجاورة، والمؤانسة، والإمتاع، والتسخير للإنسان، ومن خلال عظمة هذه الأماكن الطبيعية يمكن الاستدلال على عظمة خالقها، وقدرته-سبحانه وتعالى- إذ لم تكن هذه الأماكن الطبيعية مجرد صورة للجمال الحسي فحسب، إنما هي- أيضاً-آية للجمال الروحي الذي يجعل من الإنسان إنساناً ينظر إلى البحار، فيتأثر بسعتها، ويتتابع أمواجها غير المتناهية، ولون مياهها، ودفق ملايين المخلوقات بداخلها، والفلك التي تجري على أمواجها. أما الجبال فإنها رمز الصلابة والمتانة،

والاستعلاء والشموخ، ومثال القوة والرسوخ. أما السماء الزاهية، المرتفعة، تستقر فوق الرؤوس بلا عمد ترى. نموذج يراه الرائي في السعة والارتفاع، وآية في السمو والشموخ. والأرض وما أدراك ما الأرض، فيها السهولة والانبساط، والخيرات النافعات، في باطنها، وعلى ظاهرها. ويمكن للإنسان أن يستمد من هذه الأماكن أجمل صفات روحه وشخصيته، ويتحلى بها. وإن الإنسان يضرب الأمثلة بروعتها، وجمال خلقها، ودوران نفعها، وعظيم سطوتها، هذا في الدنيا. فكيف لما ينطلق القرآن على عالم المكان الدائم في الآخرة؟ تصوير وكأنه مشاهد للعيان، ينبهر برؤيته الرائي إذا ما رأى الجنة بـ:

" نعيمها، وقصورها، وأنهارها، وخيامها، ومروجها، ودرجاتها، وسعتها "

كما تحصل الرهبة في نفسه عندما يرى النار بـ:

" دركاتها، وقعرها، وقرارها، وضيقها، وسعيرها، ولظاها "

إنها الحقيقة الحاضرة الغائبة التي تمثل اللامحدودية في المكان والزمان، وتبعث الرهبة في النفوس، وتردع القلوب، وتزجر العقل. إنها صورة لا تقل ضراوة عن الحقيقة، لأنها بأبلغ العبارات نطقت، وبأغزر الدلالات نسجت، فكانت مرآتي ومشاهد لا شك في واقعيتها.

إن الاستخلاف الذي أراده الله -تعالى- للإنسان في الأرض، ما كان ليكون إلا بتلك المكانة المقدسة التي منحها الله -تعالى- للأرض، لذلك كانت مهبط أنبيائه، والخلص من أوليائه، لنشر رسالة الحق، وتعبيد الناس له -سبحانه- وتلك حقيقة يقرها قوله تعالى: ﴿أنتنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أنداداً ذلك رب العالمين* وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين﴾ (فصلت: 9-10). وقد احتوت على نعم تترا، وكنوز زاخرة، ومنافع كثيرة، وجعل الله -تعالى- عليها سعي أنبيائه الأشراف، والمتقين الأخيار. وتجلى من الآية في الوجدان معنى أثر فيه، إنها القدرة على خلق هذا الكون الهائل بما فيه بزمانه ومكانه، والزمان هنا زمان لا يطيق الإنسان إدراك حدوث مثل هذا الحدث الجم -خلق المكان- في أيام معدودات. إذن هو خلق للزمان، وخلق للمكان، وهذا يدل على أن حقيقة خلقها كانت في لحظة واحدة، هي لحظة قول "كن فيكون" من الله للكون بزمانه ومكانه. ثم بدأ بعد هذا الخلق حساب الأيام والسنين. وهذا يدل على عظمة تلك القوة التي لا يستطيع معرفة كنهها الإنسان؛ لأنه خلق الأرض، وقسم فيها الأماكن لتتبعاً لحياة الإنسان. ويلاحظ من خلال سياقات الآيات التي تخص أنبياء الله -تعالى- أنه -سبحانه- أعطى بعض أماكن مميزة؛ ذلك لكونها مسرحاً لدعوتهم، ومحضناً وملجأ لهم، ففيها نشروا الخير، وأبطلوا الشر، أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، فكانت الحظوة الكبرى والأكثر من هذا التشريف لأماكن من الأرض المباركة لديار الشرق الأوسط، يقول الجزائري: " كانت ديارهم في الشرق الأوسط، منها بعثوا، وفيها عاشوا مع أقوامهم، وفيها ماتوا

ودفنوا، فإبراهيم - عليه السلام - بعث بالعراق، وهاجر منها إلى أرض كنعان، فتنقل بين الحجاز والشام وأرض المعاد، حتى توفاه الله - تعالى - وإسماعيل - عليه السلام - ولد بالشام وعاش بمكة المكرمة لم يفارقها، وفيها بعث، وبين القبائل العربية دعا إلى الله - تعالى - حتى توفاه الله - سبحانه - وإسحاق كان بأرض المعاد، وكذا يعقوب ولده - عليهما السلام - إلا أن الأخير هاجر إلى أرض مصر، فعاش بها مع أولاده، ولعله توفي بها. وأرسل من بعده يوسف - عليه السلام - فعاش بمصر حتى هلك بها، ثم أرسل موسى وهارون - عليهما السلام - فعاشا بين مصر وسيناء إلى أن توفاهما الله - تعالى - وجاء داود وسليمان - عليهما السلام - فكانا في أرض القدس، وتوالى أنبياء بني إسرائيل على أرض الشام، وكان آخرهم عيسى - عليه السلام - فولد في بيت لحم، وعاش بأرض المقدس حتى رفعه الله - تعالى - إليه، ثم بعث خاتم الأنبياء محمد - صلى الله عليه وسلم - بمكة، فولد بها وعاش إلى أن هاجر إلى المدينة من أرض الحجاز، فعاش بها عشر سنوات، وبها توفي " (1).

وقد وصفت هذه الأماكن تارة بالمباركة، وأخرى بالمقدسة، قال تعالى: ﴿ونجيناه ولوطا إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين﴾ (الأنبياء: 71)، وقال تعالى: ﴿ولسليمان الريح عاصفة تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها﴾ (الأنبياء: 81)، وقال تعالى: ﴿وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها﴾ (الأعراف: 37)، إنها مباركة بالخير لا ينقطع عنها، ولا ينعدم، في زرعها ونبتها يكون، وفي رزقها النازل على أهلها يكون، وفي الإيمان الذي لا يسلك طريقه إلى القلوب يكون، وفي أعمال أصحابها يكون. وزادها الله - تعالى - شرفاً أن أمن أهلها، ومن يعيش فيها، لذا كانت منبع الأنبياء والمرسلين، ووفادة العلماء والمخلصين، قال تعالى: ﴿وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالي وأياماً آمنين﴾ (سبأ: 18).

وقد اكتست بعض الأماكن قدسية عندما اختارها الله - تعالى - لإقامة بيته الحرام. فجاء المكان محددًا بإطار نعمة القدسية والطهارة للبشرية، قال تعالى: ﴿وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت﴾ (الحج: 26). والمكان في القرآن الكريم جاء دونما تكلف، ومنح النص واقعية الحدوث، ومصداقية الحال، حيث يجئ وصف الأماكن بطريقة منطقية لا تشويش فيها ولا اضطراب (2).

كما جمع التبريك والشرف والقدسية - سبحانه - لأرض فلسطين، وإنه لشرف أي شرف أن يجمع لها الوصفين معاً، فقد أعطاهما وصفين من صفات الذات الإلهية - سبحانه - قال تعالى: ﴿تبارك الذي بيده الملك﴾ (الملك: 1) وقال تعالى: ﴿الملك القدوس السلام﴾ (الحشر: 23). وحرّم من نيل شرف هذا التقدير بني إسرائيل، قال تعالى: ﴿يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا

(1) الجزائري، عقيدة المؤمن، 216.

(2) أبو علي، مناهج وآراء في لغة القرآن، 15.

ترتدوا على أديباركم فتقلبوا خاسرين ﴿المائدة: 21﴾ وقال تعالى: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله﴾ (الإسراء: 1). هذا وقد كان نبي الله هود -عليه السلام- يقطن " الجنوب ما بين حضرموت والشحر، وصالح بالشمال ما بين الحجاز والشام، وشعيب - عليه السلام- بغرب الجزيرة، جنوب الأردن الشرقي بأرض مدين، ولوط-عليه السلام- كان قد هاجر مع عمه إبراهيم الخليل من أرض بابل بالعراق إلى المؤتفكات، وكانت خمس مدن كبيرة أشهرها سدوم، وعمورة (1).

كما جاء المكان نقمة على الكافرين العصاة، وقد حمل عليهم من كل موضع فيه موجاً أغرقهم، قال تعالى: ﴿وجاءهم الموج من كل مكان﴾ (يونس: 22)، إمعانا في عذابهم، فقد مرت سنون كثيرة وهم عن الحق معرضون، وبنبيه مشركون مستهزئون، وللبعث والقيامة منكرون، رغم أن نبيهم ما فتئ يدعوهم للحق، ويذكرهم بمظاهر قدرة الله - تعالى- من حولهم. وفي أنفسهم آية لهم. كما أن المكان يشهد بقدرة الله- تعالى- وسلطانه على النفوس، وعلمه بالعباد، فكما أنهم في مكان ما يولدون، فإنه يرسل إليهم إلى مكان ما مكتوب عنده أمراً آخر لقبض أرواحهم، وإنهاء وجودهم الدنيوي، قال تعالى: ﴿ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت﴾ (إبراهيم: 18)، إنه أمر سمعته الخلائق بـ "كن" فكانت، وأطاعت ولبت.

ويأتي المكان ليضع أمامنا قدرة الخالق على إيجاد التناقضات، فتارة يمدّها بالخير، في مرحلة من مراحل إعطاء الفرصة لأهلها، وتارة أخرى يذيقها بأسه، ويبدل النعمة بالنقم، والرحمة بالعذاب، لأن الفرصة قد نفذ موعده، وانتهى أجلها، كما أن المكان سيكون شاهداً على كفر الكافرين فيها، ومعصية العصاة المتجبرين، قال تعالى: ﴿قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف﴾ (النحل: 112).

وإن المكان نعت بالسحيق في موضع، وبالقصي في موضع، والقريب في موضعين، وبالبعيد في أربعة مواضع. كلها تشير إلى ترتيبات إلهية للمكان، وعلى أن تأثيراً للمكان على الإنسان، فالجنة غير النار، والدرجات نقيض الدرجات، والقبر لا هذه ولا تلك، والأرض فيها من يعيش فوق الجبل فيسعد، ومن يعيش على السهول فيشقى، والعكس، والعلو للقامة فرح وسعادة، والنزول لأسفل تعب وهم وكدر. فجاء المكان معبراً عن ضيق يحاول الكافرون الهروب منه، من النار، ظناً منهم أن العذاب المتصاعد سينتهي عند هذا المكان الضيق، لتظهر حالة الفزع التي تتناوبهم في تلك الحالة. إنها الولوجة التي تنتهي لتبدأ من جديد، قال تعالى: ﴿وإذا ألقوا منها مكانا ضيقاً مقرنين دعوا هنالك ثبورا﴾ (الفرقان: 13)، كما جاء المكان بمثابة المنزلة التي تهيأ عاقبة وخيمة لأولئك الكافرين- لو شاء الله لهم ذلك- قال تعالى: ﴿ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم﴾ (يس: 67).

(1) الجزائري، عقيدة المؤمن، 218.

أما الجبل أو الوادي الذي ينحدر من الجبل، وشرفه الله- تعالى- بتكليم نبيه موسى- عليه السلام- عليه، فأعطاه صفة القدسية، تعظيماً لهذا الموقف، لأنه موقف يشهد لموسى ببدء عمارته للأرض، وتكليفه بنشر الخير، وحمل الدعوة التي خلق الله- تعالى- الناس لعبادتها، قال تعالى: ﴿إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ (طه: 12)، وقال تعالى: ﴿إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ (النازعات: 16)، وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ السَّوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ﴾ (القصص: 30).

وبالنظر إلى قوله تعالى: ﴿انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي﴾ (الأعراف: 143)، إنه الاستقرار المكاني الذي يوحي باستقرار أمر الله- تعالى- في نفس نبي الله موسى- عليه السلام- ويرى الباحث فيها إعجازاً، فإن الآية هنا تشير إلى أن الجبل له مكان يستقر فيه على الأرض من تلك المنظومة الفلكية، وهذا يدل على علم الله- تعالى- بالأرض، وإنها أحد أفلاك الكون الموثقة فيه، والتي يوجد من حولها أفلاك أخرى.

وجاء المكان مؤشراً على النجاة بالبديلة التي أرادها إخوة نبي الله يوسف- عليه السلام- قال تعالى: ﴿إِنَّ لَهُ أبا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدُنَا مَكَانَهُ﴾ (يوسف: 78).

بينما جاء المكان في سياق العبرة عندما كان أمنية أهل الأهواء أن يكون لهم مثل مكان قارون، قال تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ﴾ (القصص: 82).

كما جاء لفظ المكان بمعنى المكانة الحسية، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِنِ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانِ زَوْجٍ﴾ (النساء: 20)، والمكانة المعنوية، قال تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ﴾ (الأعراف: 95)، قال تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ﴾ (النحل: 10). وجاء المكان بمثابة المنزلة التي دعوا إلى الإيمان بها من أجل سعادة أنفسهم، قال تعالى: ﴿يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ (الأنعام: 135، هود: 93). كما إن المكان كان بمثابة منزلة شر لعاقبة وخيمة. كما وجاء للدلالة على رفعة المنزلة، وعظم الرتبة، قال تعالى: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ (مريم: 57).

أنواع المكان في القرآن

أولاً: المكان الحضاري في القرآن

إن دلالات بعض الأماكن في القرآن الكريم لها بعد حضاري، فهي زاخرة بذكر القيم الإنسانية القديمة، والبصمات التاريخية لحياة أقوام سلفوا، وتجسد لواقع كان معاشاً، وما زالت آثاره يحتفظ بتأثيره التاريخي. فالمدن والمدائن، والقرى والقرية، والمسكن والبيوت يؤخذ منها صفات أصحابها بما تبقى منها من آثار أو أخبار. وإن خلق الكون مرتبط ارتباطاً وثيقاً بتكريم الإنسان لحمله الأمانة التي لم تستطع حملها المخلوقات الأخرى قاطبة، وليؤدي فيه عبادة الله -تعالى- التي خلق لأجلها، وسخر الله -تعالى- له كل شيء من أجل تحقيقها، قال تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ (الذاريات: 56) حتى بدأت الأمم والحضارات تتشكل، وتتلاقى نشاطاتها على أرضية فكرية وأخلاقية، تختلف فيها عن أمم المخلوقات الأخرى من الحيوانات والجمادات، قال تعالى: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ (الحجرات: 3)، وكان المكان عندئذ الأرض التي أمر الله -تعالى- هذا المخلوق أن يعمرها بالخير، مستفيداً من كل خيراتها، قال تعالى: ﴿هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها﴾ (الروم: 9). بدأت الحضارات والأمم بالتكون، حتى وصل بعضها إلى القمة، ثم بدأ يتدحرج نحو الهاوية، وإن الأماكن التي ذكرها القرآن لبعض تلك الحضارات خير شاهد على ذلك، كحضارة مصر الفرعونية، تلك الحضارة التي نبعت منها روائح الاستعلاء والجبروت، لما كانوا عليه من القوة، وما أوتوا من النعم، قال تعالى: ﴿وفرعون ذي الأوتاد﴾ (الفجر: 10).

أما قوم هود -عليه السلام- فبلغ بهم المجد ذروته، قال تعالى: ﴿أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون* وإذا بطشتم بطشتم جبارين... أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون﴾ (الشعراء: 124-128). وحضارة عاد لا تضاهى في أبنيتها، ولا تضارع في منشأتها، حتى إن حضارات قامت لم تستطع الوصول إلى ما وصلت إليه، قال تعالى: ﴿ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد﴾ (الفجر: 5-8).

وحضارة ثمود الذين بلغوا من المجد قدراً عالياً، قال تعالى: ﴿وثمود الذين جابوا الصخر بالواد﴾ (الفجر: 9)، وحضارة ثمود التي صورها القرآن بإجمال، يلاحظ من ورائه، ذلك الترف النفسي، والنعيم المادي، الذي حظي معه أهلها، قال تعالى: ﴿أتركون في ما هنا آمنين* في جنات وعيون* وزروع ونخل طلعها هضيم* وتنتحون من الجبال بيوتا فارهين﴾ (الشعراء: 146-149) فالجبال، والبيوت، والعيون المائية، والزرع، كل تلك الأماكن كانت مترعة بالخير على القوم، ودلالة نعيم أسبغ عليهم من الله -تعالى- لهم.

وهذان داود وسليمان -عليهما السلام- كانت الجبال مسخرة لأمرهما مع الطير، ولان لهما الحديد، فشكلا منه كل ما احتاجه عصرهما، وكانت الجن تعمل بين يدي سليمان -عليه السلام- فتصنع المحاريب، والتمائيل، والجفان، والقصور (1).

وحضارة اليمن التي ما زالت آثارها بقراها وجنانها تحتفظ بأسمائها وبعض مآثرها، قال تعالى: ﴿لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور﴾ فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل﴾ (سبأ: 15-16). وعظمت حضارة اليمن بما فيها من نعيم، في المساكن والدور والابتداء، والجنات والبساتين والآبار، حتى ضرب بتا المثل، كأنها آية من الآيات المعجزة، قال تعالى: ﴿لقد كان لسبأ في مسكنهم آية﴾ (سبأ: 15)، وغيرهم من الحضارات التي سلفت، فذكرها القرآن عبرة وعظة للحاضر والقابل من الأمم.

وفي قصة إبراهيم -عليه السلام- تعني كل ما تحتويه الأرض بترابها، ومائها، وحجرها، وبشرها، ورباحها، وكل شيء فيها. وذلك عندما توجه إلى مخاطبا قومه، قال تعالى: ﴿قال بل ربكم رب السماوات والأرض﴾ (الأنبياء: 56) فالمراد منها التفكير والتدبر بآلاء الله سبحانه.

قال تعالى: ﴿فلولا كان من القرون من قبلكم أولوا بقية ينهون عن الفساد في الأرض إلا قليلاً ممن أنجينا منهم... وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون﴾ (هود: 116-117).

وتلك حضارة أهل الجزيرة التي ذكرها الله -تعالى- لمكانتها العظيمة في سورة قريش، والتي خصت لأجل تذكيرهم بنعم الله -تعالى- عليهم، قال تعالى: ﴿إيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف﴾ فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف﴾ (قريش: 1-5)، فقد توفرت لهم سبل التجارة، ومظاهر المطعم، والمأمن على اختلاف أشكالهما.

وهكذا يجمال القرآن الحضارات القديمة في قوله تعالى: ﴿ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم﴾ وأرسلنا السماء عليهم مدرارا وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم فأهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين﴾ (الأنعام: 6)، حضارات كفر أهلها بربهم وخالفهم وإلههم، فجاءهم العذاب والهلاك إلا بقية منها.

إن كل حضارة من الحضارات السابقة قد بلغت أرفع درجات المجد المادي، وبلغت من الرقي والتحضر مبلغا ضارعت فيه حضارات وأما أتت بعدها، ولكنها لما بالله كفرت، أذاقها لباس الجوع، والخوف، وخسرت ما أمامها وخلفها، وكانت عبرة للاحقين، ومما يلاحظ هنا أن تلك الحضارات التي ذكرها القرآن، قد أوتيت حظوة كبيرة من القدرة، والقوة، والنعيم، والخير، ولكن الفساد والإفساد، وإرادتهم في معاداة الله -تعالى- ورسله، وعدم الانتفاع منها؛ لإعمار الأرض،

(1) ينظر، سورة الإنسان: 20-22.

تماما خلافا لكثير من الرسل الذين أشغلتهم دعوتهم عن أن يصلوا لحد الغرق في شهواتهم، والبحث عن مثل هذا العمار المكاني المؤقت، وإن جرى الملك لأحدهم فهو صورة من صور إعمار الكون بالخير. فهذا نبي الله -تعالى- سليمان كم هي النعم التي جرت بين يديه، والأماكن التي يرجع إليه أمرها، ومع ذلك كانت تلك المصالح والمنافع سببا لإعمار الأرض بالإيمان، وتسليم الخلق لربهم وخالقهم.

أما قصة نبي الله يوسف -عليه السلام- فقد جرت أحداث القصة في البادية حيث صعوبة الحياة، وشطف العيش، وقد انتقل الوالدين لمصر بمنحة ربانية من يوسف، قال تعالى: **وجاء بكم من البدو (1)**. وقد تأخر ذلك التحديد المكاني في القصة، وذلك لتساير مفهوم تقسيط الأحداث، والتدرج في رسم الشخصيات والوقائع، مما يمنح المتلقي تشوقا؛ لاستكمال رؤيته من أول النص لآخره، كما إن القصة منحت المتلقي مفردات تنتمي إلى ذلك المكان، وتوحي معه، من ذلك استخدام الآبار بشكل مباشر لشرب المياه، ووجود فجوات جانبية قريبة من سطح الماء فيها، إضافة لوجود القوافل التجارية المسافرة عبر الصحراء. وهذا ينم عن بيئة محفوفة المخاطر، موحشة، مظلمة، فيها من أنواع السباع ما يزيد ذلك الجو رهبة، مثل: الذئب.

وجزء كبير من قصته انتقلت أحداثها للمدينة المترفة، ومن أشكال ترفها: الطبقية، والخدم، والجواري، والمتاجر، كالسقائين والخبازين، وغيرهم. وأنظمة العيش تختلف، وفيها: الدعة، والراحة. وطباع الناس تختلف، وفيها: الفتنة، والنساء، والانفتاح، الفراغ الروحي. وأنواع المصالح تختلف. الزراعية، والتجارية، والنظم الاقتصادية. وطبيعة الحكم تختلف، وفيه: نظام ملكي. تلك هي مفردات العيش في المدينة التي نبعت من قصته (2).

ثانيا: المكان المعنوي في القرآن

لقد أضفى المكان بعدا معنويا، نرى من خلاله صورة نفوس الناس الذين أبرز المكان ما هم عليه من سعادة أو تعاسة، وهناء أو شقاء، وفرح أو حزن، وسعة أو ضيق. ولعل في القرآن من الشواهد ما يكفي للاستشهاد بذلك. فمع فضاء الأرض الرحب، واتساع جهاتها، إلا أنها ضاقت فلم تعد تسع أولئك النفر من الصحابة الذين تخلفوا عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في غزة تبوك، وداروا في إيجاد ملجأ تستريح فيه نفوسهم، قال تعالى: ﴿وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه﴾ (التوبة: 118).

(1) سورة يوسف: 100.

(2) سورة يوسف: 42-66.

كما شكل المسجد الذي هو بيت من بيوت الله - تعالى - حاجزاً بين الإيمان والكفر، فلما انحاز وانساب بانوه إلى الكفر، كان لذلك أثر في نفوس المؤمنين. إنه مكان التفريق بين الجماعة الواحدة، وسيكون مركز المعادة، وانطلاق الفتن، وظهور العدوانية المحاربة للدين وأتباعه، قال تعالى: ﴿والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل﴾ (التوبة: 107). أصبح ذلك البنيان مركز إضرار بالمسلمين، لأنه سيكون مكاناً للمنافقين؛ ليتربصوا بالمؤمنين من خلاله، كما هيئ للتفريق بينهم. في الوقت الذي انحاز مسجد آخر بنته أيد مؤمنة، ونفوس طاهرة، قصدت منه نشر الخير والصلاح، قال تعالى: ﴿لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه﴾ (التوبة: 108). فانعكست هاتان الصورتان للمكانين على الفريقين وأثر كل مكان على الفريق الآخر. فالمنافقون أصابتهم الخشية من توسع الإسلام، وخافوا أن يمتد عمقه فيسلب منهم كل متاع، والمؤمنون خافوا على دعوتهم من أن تكون مثل تلك الأبنية التي بنتها يد النفاق تمزق عضد قوتهم، وتفتت جماعتهم.

كما إن الأرض ضربت مثلاً للنبذ والطرده لمن خالف سنن السلوك الأخلاقي الفاضلة، ولو بالكلمة، قال تعالى: ﴿ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار﴾ (إبراهيم: 26). وفي ذات الوقت كانت الأرض نفسها مكان تثبيت، وتأصيل للخير والفضيلة، قال تعالى: ﴿ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت﴾ (إبراهيم: 24). كما إن مكان الإقامة الجبرية اعتبر رجباً، وذلك إذا ما برزت في المكان الرحب عذابات الضمير، وواخزات المنكر، ومظاهر الانحلال. وقد تجلى هذا المعنى الجمالي في قصة يوسف - عليه السلام - قال تعالى: ﴿رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه﴾ (يوسف: 33). إنه مكان الفرج، ومنتجع الهروب من واقع المرادة الذي يمكن أن يتسبب في حرمان النبي يوسف من علاقته بخالقه، وحرمانه من ملكيته الأبدية في الجنة. لذلك سارع إليه باعتباره مكان خلوة مع نفسه، وأنس بربه، يأنس به من وحشة المعصية التي كادت تلم به.

أنواع العوالم في القرآن الكريم (دلالات وجماليات)

العوالم التي تبنت في القرآن الكريم ثلاثة، ولكل عالم من هذه العوالم شكل من الوجود تحدد زمانا ومكانا وشخصا، وهذه العوالم هي:

أولاً: عالم الدنيا ويسمى "المعاش" هذا وقد تكرر ذكر "الدنيا" في القرآن الكريم "115 مرة" وزمانها: الدنيا حيث بدأت منذ هبوط آدم-عليه السلام- للأرض، وينتهي عمرها ببعض المظاهر، كانشقاق السماء، وتصدع الأرض، وتسجير البحار، ونسف الجبال، وإماتة الناس، وغيرها(1). أما الشخوص فالأحياء جميعا، والذين تنزلت عليهم التكاليف الربانية فئات ثلاث: المؤمنون، وتضم معهم أصحاب اللمم من الصغائر، والمنافقون وتضم معهم أصحاب الكبائر، والكافرون والمشركون، سواء كانوا إنسا، أو جنا. أما المكان فهو الكون، ويضم: السماء وطبقاتها، وما تحت سقفاها، من أرض، وما على ظاهرها، وما في باطنها.

ثانياً: عالم ما بعد الموت، ويسمى "البرزخ". وهو عالم مجهول في القرآن سوى من نص لا نوره لاختلاف العلماء في تفسيره. لكن زمانه يبدأ بموت الحي، وينتهي بالنفخ في الصور للبعث. وشخوص هذا العالم، كل حي على مختلف الأنواع والأجناس. أما مكانه غالبا فهو "القبر" في "الأرض".

ثالثاً: عالم الآخرة ويسمى "المعاد" و"الغيب" وتكررت ذكر "الآخرة" في القرآن بنفس تكراره في الدنيا "115 مرة". والآخرة تبدأ ببعث الناس من القبور إلى مكان الحشر، ولا حدود لنهايتها فهي أبدية خالدة. وشخوص الآخرة، كل الأحياء، بينما المكان في الآخرة، فلكل مرحلة من مراحلها مكان. والأماكن الغيبية، تبدأ بمكان الحشر، ثم العرض، ثم الحساب، فالأعراف، وتنتهي بالجنة أو النار، وللاولى درجات، وللأخرى دركات. ويبدأ الإنسان في زمن الأبدية لملك غائبة مساحته، ومسافته. أما شخوصها: كل من طالتهم الحياة بعد البعث، وهم من كانوا في الدنيا، وجند من عند الله-تعالى- لا يحصى عددهم. واجتمع ذكر الدنيا والآخرة -معاً- في القرآن بحوالي "50 آية".

أماكن عالم الدنيا (دلالات وجماليات)

إنها تمثل كل الأماكن التي يحسها الإنسان، ويشاهدها بناظريه، بأنواعها الثلاثة، اللامحدودة، والمفتوحة، والمغلقة. ولا يستطيع الإحساس بهذه الأماكن إلا الأحياء، على خلاف عالم البرزخ وما فيه، إذ يمكن أن نعتبره عالما خاصا، يمكن أن تكون في الأموات طاقة خاصة، تبعث فيهم الإحساس والشعور، سواء في تحول القبر إلى جنة، أو حفرة، أيكون ضيقا، أم واسعا... إلخ. لذلك يمكن لنا أن نتعرف على معنى الحياة، لأنها الكلمة التي تكون بها إمكانية الإحساس بالمكان، وكلمة "الدنيا" التي تحدد إطار هذا المكان في الكون المعاش في داخله.

(1) سورة التكوير: 1-12.

ف" الحياة: نقيض الموت... وكذلك الحيوان. وفي التنزيل: ﴿وإن الدار الآخرة لهي الحيوان﴾ (الروم: 64)، أي: دار الحياة الدائمة... والحيوان: اسم يقع على كل شيء حي، وسمى الله - عز وجل - الآخرة حيواناً، فقال: ﴿وإن الدار الآخرة لهي حيوان﴾. قال قتادة: هي الحياة. الأزهري: المعنى أن من صار إلى الآخرة لم يموت، ودام حياً فيها لا يموت " (1).

أما الدنيا: " دنا الشيء من الشيء دنواً ودناوة: قُرب... والدناوة: القرابة والقربى... وسميت الدنيا لدنوها، ولأنها دنت وتأخرت الآخرة، وكذلك السماء الدنيا هي القربى إلينا... وقوله تعالى: ﴿ودانية عليهم ظلالها﴾ (الإنسان: 14)... وجزاهم جنة دانية عليهم... ﴿أستبدلون الذي هو أدنى﴾ (البقرة: 61) أي الذي هو أخس... قال الفراء: هو من الدناءة، والعرب تقول أنه الدنيُّ يُدني في الأمور تدنية، غير مهموز، يتبع خسيسها وأصاغرها... وقوله عز وجل: ﴿ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر﴾ (السجدة: 21)، قال الزجاج: كل ما يعذب به في الدنيا فهو عذاب الأدنى، والعذاب الأكبر عذاب الآخرة " (2). وبعد هذا العرض يمكن البدء بعالم الحياة الدنيا " الكون " للتفصيل في ماهيته، وأبعاده، وجهاته، مع بيان دلالاته.

الكون

الكون هو الفضاء الذي يضم منظومة المفردات اللامحدودة الحيز والمساحة والعدد، مما خلق الله - تعالى - وإن " الكون كله قائم على أساس العدل والحق، والنظام والإحكام. ولا يوجد جزء واحد من أجزائه خلوا من فائدة مقصودة فيه، أو حكمة متوخاة منه. وهذه الحقيقة الكونية تظهر بوضوح لكل من تأمل الكون، ونظر في حقائقه. وقد قرر هذه الحقيقة وأكدها كتاب الله - تعالى - القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما لاعبين. ما خلقناهما إلا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ (الدخان: 38-39). ومثل هذه الحقيقة الكونية في وضوحها، وثبوتها بينها قانون العناية الإلهية وهو البرهان العقلي على وجود الله - تعالى - وطريق من طرق معرفته - عز وجل - وقانون العناية هذا يتألف من حقيقتين:

الأولى: خلو الكون كله من أية ظاهرة للعبث والباطل فيه.

الثانية: إن الكون كله، وبجميع أجزائه مسخر لخدمة الإنسان " (3). و" إن هذا الكون جميل. ونوح. وفيه من اللمحات، والومضات، واللحظات، والسبحات، ما يستجيش في القلب البشري أسمى مشاعر الاستجابة والخشوع " (4).

(1) ابن منظور، لسان العرب، 14: 262 - 266.

(2) ابن منظور، لسان العرب، 14: 336 - 339.

(3) الجزائري، عقيدة المؤمن، 43.

(4) قطب، في ظلال القرآن، 6: 3869.

الإنسان والكون:

لقد تعاضدت علاقة الإنسان بالكون، فأصبحت علاقة الكون بت علاقة لا تتفك عنها المصالح، ولا يمكن أن تنتهي إلا بانتهاء الكون نفسه، وما العلم عليه اليوم من تطور في سائر أرجاء الكون أرضاً، وسماً، وفضاءً إلا وليد من تلك العلاقة المصالحية، فضلاً عن أن الإنسان انتفع من الكون انتفاعاً كبيراً واسعاً، كل ذلك يدخل ضمن العمارة التي أكدتها الآيات القرآنية السابقة، ويمكن تلخيص تلك الفوائد في النقاط التالية:

الفائدة الجمالية:

وذلك بالتمتع بمناظر الطبيعة في هذه الكون، فإن في السماء الدنيا كواكب كثيرة، ونجوماً عديدة، وفيها الشمس والقمر. وفي الأرض: البحار، والجبال، والسهول، والوديان، والقرى، والمدن، والحدائق، والبيوت، والمسكن، والغرف، والأسوار، والأسواق، والسجون، والحجر، والشجر، والبشر. فألوان تلك العناصر الطبيعية الملونة، وحركاتها الدوارة، وتحولاتها المتتابعة التي تبدو كتحويلات الليل والنهار، وحركة الشمس والقمر. كل ذلك باعث جمال يقع من العين فيأخذها إليه، ويحدث في نفسه، وشعوره، ووجدانه لذة ومنتعة.

الفائدة الانتفاعية:

إن " الكون - كله - بجميع أجزائه مسخر لخدمة نوع واحد من بين سائر أنواعه، فمن أعظم كائن فيه، إلى أصغر كائن وأحقره. الكل يخدم ذلك النوع، وهي حقيقة مذهلة للغاية، أن يكون هذا الكون الفخم الهائل بكل ما فيه من أجرامه السماوية، ومخلوقاته الأرضية، الجميع مسخر تسخيراً خاصاً؛ لخدمة هذا النوع من بين سائر المخلوقات التي حواها الكون، وانتظمت في هذا الوجود المادي القائم على أساس الحق والعدل، والخالي من جنس اللعب والعبث... هذا النوع المسخر له الكون كله هو الإنسان وحده " (1).

الفائدة الدلالية:

إن الظواهر الكونية كلها " إن لم تدل على وجود خالق للكون ذي إرادة، واختيار، وعلم وقدرة، وقصد وحكمة، وخلق للإنسان، وتسخير الكون كله له، كما هو مشاهد ومحسوس، فإنه لم يبق شيء يدل على آخر في الحياة أبداً، فلا الرماد يدل على النار، ولا النوى تدل على التمر، ولا الكلام يدل على الإنسان، ولا الحركة تدل على الحياة " (2).

(1) الجزائري، عقيدة المؤمن، 43.

(2) الجزائري، أبو بكر جابر، عقيدة المؤمن، 45.

ومع ذلك كله فإن صورة الكون في القرآن تؤذن بانتهائه، ويبدأ هذا الانتهاء بأمر إلهي لملك أن ينفخ في الصور فيصاب الكون كله بخلخلة عنيفة، فتتحل بها كل الروابط التي كانت تربط الكون. فترتج الأرض رجا عنيفا، وتتزلزل زلزالا مروعا، وتتدك معها جبالها دكا، وتصاب السماء بانفطار عظيم يبطل معه قانون الجاذبية، وتتناثر الكواكب، وتتكور الشمس، ويفقد الجميع وجوده، فتنصهر تلك الأجرام السماوية بجميع مجراتها فإذا هي كالنحاس تماما، وإذا العالم كله سديم وبخار، كما كان قبل وجوده(1). وإن الإنسان وهو يرى مظاهر الكون من حوله، آيات باهرات تتجلى في براعة وإحكام من خلق السماوات والأرض، وما فيهما من قدرة فائقة، لا تستطيعها إلا يد أعظم؛ إنها يد الله - تعالى - وقوة أبلغ هي قوة الله - تعالى - لا تضاهي، ولا تجارى. هذا الكون الواسع مع ما فيه من توالدات الطبيعة، لا يمكن أن يوجد محض الصدفة التي تلد العشوائيات، ولو دقق كل ذي لب؛ لأدرك إدراك يقين أن وراء هذا الكون خالقا عظيما، وإلها قويا مقتدرا.

والكون في القرآن مخلوق كبير، يملكه الخالق الذي صنعه، وأمر بكينونته، قال تعالى: ﴿وهو الذي خلق السماوات والأرض﴾ (هود: 7) والبشر لا يدركون إلا شيئا نزرًا، وقليلًا مما فيه، قال تعالى: ﴿ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض﴾ (الكهف: 51). والله - تعالى - المالك له، بيده مفاتيح الكون ومغاليقه، وبدايته ونهايته، وأحداثه بعلمه تتدبر، ومكوناته بقدرته توجد، قال تعالى: ﴿لا إله إلا هو خالق كل شيء﴾ (الأنعام: 102).

أما زمان الكون، فبدايته كانت منذ الأزل الذي لا يعرف الإنسان مولده، قال تعالى: ﴿إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السماوات والأرض منها أربعة حرم﴾ (التوبة: 36). أما نهايته فلا يعلم الإنسان عنها إلا ما أخبر القرآن معه من أمارات وعلامات. وعلاقة الخالق المالك لهذا الزمان، أنه يتدبر شؤون كائناته في هذا الكون كله، ولكل شيء عنده له حساب. يعلم أزمنة حياتهم، وموتهم، وأفعالهم، قال تعالى: ﴿وما كنا عن الخلق غافلين﴾ (المؤمنون: 17). وكل ما في هذا الكون مسخر بأمر الله - تعالى - حسب إرادته، ومنحته له. وحدود التسخير التي يعلمها الإنسان، والتي لا يعلمها إنما هي لأجله مسخرة، السماء وما فيها من

(1) ينظر، سورة المعارج: 8، سورة الحج: 1 - 2، سورة القارة: 1 - 4، سورة المعارج: 8 - 15، سورة الانفطار: 1 - 3، سورة التكوير: 1 - 6، سورة الواقعة: 1 - 6.

كواكب، ونجوم، وشهب، ونيازك، وغير ذلك. والأرض، وما فيها من سهول، وبحار، وأنهار، وجبال... (1).

أما الشخوص في الكون، وما في السماء من جند من الملائكة. والجن والطيور والأنعام في الأرض. فقد خلقهم الله - تعالى - وكلفهم لخدمة الإنسان. أما أماكن هذا الكون فهي محدودة بعلم الله - تعالى - لا تحد بعلم الإنسان فهي مفتوحة. فالله - تعالى - حده للإنسان، وتحده أنه لا يقدر النفاذ من أقطار السماوات والأرض. أما الإنسان فما زال يبحث في ذلك الكون عن أسرار فيه، وفي كل يوم يكتشف الجديد من المعارف عنه، وهو يدرك أن طاقته لا تسمح بالتجول فوق قدراته؛ لأن في ذلك حقه، قال تعالى: ﴿يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان﴾ (الرحمن: 33).

أما أحداث الكون، فصراع الحق مع الباطل، والخير مع الشر. ففي الكون قوتان: قوى الشر المتمثلة في الشياطين، والكافرين، والأشرار. وقوة الخير المتمثلة في الملائكة، والأنبياء، والمؤمنين بالرسالات السماوية. وتدور الأحداث في هذا الكون بين تلك القوتين، ويدور الصراع بينهما على الدوام، صراع لا ينتهي، يبلغ ذروته حيناً، ويهدم حيناً آخر (2). وهكذا تنتظم حكاية الكون.

أجزاء الأماكن الكونية

أولاً: السماء

عدد الورد: وردت كلمة "السماء" مفردة وجمعا "السماوات" في القرآن الكريم 134 مرة. وكلمة "طباقاً" وردت في القرآن الكريم مرتين لنعنت السماء، قال تعالى: ﴿الذي خلق سبع سماوات طباقاً﴾ (الملك: 3)، وقال تعالى: ﴿كيف خلق الله سبع سماوات طباقاً﴾ (نوح: 15). بينما جاءت كلمة "طبق" مرتين، قال تعالى: ﴿لتركبن طبقاً عن طبق﴾ (الانشقاق: 19). أما البروج: وردت كلمة "بروج" جمعا في القرآن الكريم بأربعة مواضع، قال تعالى: ﴿والسماوات ذات البروج﴾ (البروج: 1)، وقال تعالى: ﴿يدركم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة﴾ (النساء: 78)، وقال تعالى: ﴿ولقد جعلنا في السماء بروجاً﴾ (الحجر: 16)، وقال تعالى: ﴿تبارك الذي جعل في السماء بروجاً﴾ (الفرقان: 61). وهي ذات سقف.

(1) سورة الرعد: 2، إبراهيم: 32-33، النحل: 14، الحج: 65، العنكبوت: 61، لقمان: 20، الجاثية: 13.

(2) سورة الفتح: 4، 7.

المعنى اللغوي: سمو " السنين والميم والواو أصلٌ يدل على العلو. يقال: سموت إذا علوت. وسماء بصره: علا. وسماء لي شخص: ارتفع حتى استتبته... والعرب تسمي السحاب سماء، والمطر سماء، فإذا أريد بت المطر جمع على سُمي... والسماء: سقف البيت. وكل عالٍ مطل سماء " (1). والسماء هي التي تظل الأرض. والسماء: السقف. والسماء: السحاب، سمي بذلك لعلوه، والسماء: المطر؛ لأنه نزل من السماء. والسماء: المرعى؛ لأنه بالمطر يكون، قال الشاعر:

إذا سقط السماء بأرض قوم وهبناه، وإن كانوا غضابا (2)

" السنين والميم والكاف أصل واحد يدل على العلو. يقال سمك إذا ارتفع، والمسموكات السماوات" (3). ومعنى طبق: " الطاء والباء والقاف أصل صحيح واحد، وهو يدل على وضع شيء مبسوط على مثله حتى يغطيه. من ذلك الطبق، تقول: أطبقت الشيء، فالأول طبق للثاني؛ وقد تطابقا... ويقال لما علا الأرض حتى غطاها هو طبق الأرض " (4). و " الطبق: غطاء كل شيء، والجمع أطباق، وقد أطبقه وطبقه فانطبق وتطبق: غطاه وجعله مطبقاً... أطباق معناه: أن بعضه طبق لبعض أي مساوٍ له. وقد طابقه مطابقة وطباقاً. وتطابق الشيطان: تساوياً. والمطابقة: الموافقة والتطابق: الاتفاق... والسماوات الطباق: سميت بذلك لمطابقة بعضها بعضاً، أي بعضها فوق بعض... وفي التنزيل: ﴿ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقاً﴾. قال الزجاج: معنى طباقاً مطبق بعضها على بعض... وطبق الغيث الأرض: مألها وعمها " (5). و " الطبق: غطاء كل شيء، والجمع أطباق، وقد أطبقه وطبقه فانطبق وتطبق: غطاه وجعله مطبقاً... أطباق معناه: أن بعضه طبق لبعض أي مساوٍ له. وقد طابقه مطابقة وطباقاً. وتطابق الشيطان: تساوياً. والمطابقة: الموافقة والتطابق: الاتفاق... والسماوات الطباق: سميت بذلك لمطابقة بعضها بعضاً، أي بعضها فوق بعض... وفي التنزيل: ﴿ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقاً﴾. قال الزجاج: معنى طباقاً مطبق بعضها على بعض... وطبق الغيث الأرض: مألها وعمها " (6). و " السقف: عماد البيت، والجمع سقف وسقوف، فأما من قرأ: ﴿لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 3: 98.

(2) ابن فضال، النكت في القرآن، 129.

(3) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 3: 102.

(4) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 3: 439.

(5) ابن منظور، لسان العرب، 10: 251-252.

(6) ابن منظور، لسان العرب، 10: 251-252.

فضة ﴿الزخرف: 33﴾ فهو واحد يدل على الجمع، أي: لجعلنا لبيت كل واحد منهم سقفاً من فضة...
وفي التنزيل: ﴿وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً﴾ (الأنبياء: 32). والسقيفة: كل بناء سقفت به...
والسقف: السماء " (1).

الفائدة الجمالية: " السماء " بصيغة الإفراد جاءت " بمدلول الغلاف الغازي للأرض بما فيه من رياح تصرف، وسحب تتحرك، وكسف تسقط، وأمطار تهطل، ورعد وبرق، وصور مختلفة للطاقة، ونور النهار، وحلقة ظلام الليل وإنارته بنور القمر والنجوم، وأصداء الأصوات، ورجع الماء، والرجع الحراري، ونطق حماية متعددة للحياة الأرضية (2). وصيغ الجمع تشير في غالبيتها إلى السموات السبع، أي إلى كل ما حول الأرض من المكان والزمان، وما فيها من مختلف صور المادة والطاقة، سواء ما تجمع على هيئة أجرام السماء المتباينة في أبعادها وأحجامها، وكثافة المادة فيها، وكتلتها، وهيئاتها، وصفاتها الطبيعية والكيميائية، ودرجات نشاطها أو خمولها، أو ما انتشر منها على هيئة دخانية رقيقة بين تلك الأجرام التي تعرف عادة باسم " المادة بين النجوم والكواكب، كما نرى في الجزء المدرك من السماء الدنيا من حولنا(3). ومن الحقائق العلمية التي جاءت في الآيات التي ذكرت لفظ السماء، والتي سبق القرآن الكريم بتنا كل المعارف البشرية، السماء وهي بناء محكم وليست فراغاً، وأن الكون يتسع ولن يستمر في التوسع، وأن الكون قد بدأ بحالة من الدخان، وأن الله - تعالى - قد خلق من هذا الدخان كلاً من الأرض، وباقي أجرام السماء، وفيها إشارة إلى إحكام نسيج السماء، وشده ترابط مكوناتها بوصفها بأنها ﴿ذات الحبك﴾ هذا ما أثبتته الدراسات المتأخرة في مجالي علم الفلك الفيزياء الفلكية(4). ومن صفات السماء السمك. ومن سماتها أنها ذات طبقات، وذات بروج. وفي السماء، روعة الجمال والبهاء، فالكواكب الدوارة، كثيرة الأنواع، مضيئة بوهاج، والنجوم السيارة، تنتثر بانتظام، وتتوزع بميعاد، لا تصطدم، ولا تتهاوى، يكلهما السقف الواسع الأزرق، ومن تحتها السحاب المستمر، تنزل منها الرحمة بالغيث، فتحيا البلاد والعباد، أو ترسل العذاب بالمطر، فيصير الإنسان خاسر مدمر، كل تلك وما زال العلم يترنح أمام هذه الضخامة لتلك الأماكن، لم يكتشف من حظها إلا القليل. وكم في السماوات من أسرار، وكل علمها

(1) ابن منظور، لسان العرب، 9: 186-187.

(2) ينظر، النجار؛ زغلول، قضية الإعجاز العلمي للقرآن الكريم وضوابط التعامل معها، دط، القاهرة، شركة نهضة مصر، 2005م، 168.

(3) ينظر، النجار، قضية الإعجاز العلمي للقرآن الكريم وضوابط التعامل معها 167.

(4) ينظر، النجار، زغلول، قضية الإعجاز العلمي للقرآن الكريم، 173-174-175.

عند الله - تعالى - قال: ﴿يعلم السر في السماوات والأرض﴾ (الفرقان: 6). والسماوات أمام الخالق كائن له لغته يسمع ويأتمر بأمر ملكه، قال تعالى: ﴿ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره﴾ (الروم: 25). فإن الله - تعالى - لما عرض الأمانة عليها لتحملها لم تطق، فاعترفت بعجزها أمام الله، قال تعالى: ﴿إنا عرضنا الأمانة على السماوات﴾ (الأحزاب: 72).

ثانياً: الأرض

عدد ورود: وردت لفظة الأرض في القرآن الكريم 658 مرة.

المعنى اللغوي: " تأتي الأرض في عدة معان، يقول ابن فضال: " الأرض في الكلام على ثلاثة أوجه:

الأرض العزومة، والأرض: قوائم الدابة، ومنه قول الشاعر:

وأحمر كالدجاج أما سماؤه فريا، وأما أرضه فمحول

والأرض: الرعدة " (1). والأرض " كل شيء يسفل ويقابل السماء، يقال لأعلى الفرس سماء ولقوائمه أرض... وتجمع أرضين، ولم تجئ في كتاب الله مجموعة " (2).

الفائدة الجمالية: مكان واسع، وكبير، وممتد، ومحدود بين أجرام الكون، يمتد لأبعد من أفق الإنسان، يتكون من أجزاء كثيرة. لقد بدأ الإنسان العمارة في الأرض من لدن آدم - عليه السلام - مروراً بالأقوام - جميعاً - إلى أن جاء الإسلام ليمتد إلي ربوع المعمورة ليكون العالم كله تحت سقف واحد حيث أعطى الله - تعالى - الخلافة لعباده الصالحين في الأرض، كما أرسل رسوله محمداً لنشر الدين في ربوع المعمورة، قال تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس﴾ (سبأ: 28). وتلمس هذا الاهتمام من الإسلام للمكان من أرض وديار ووطن في كثير من آي القرآن، من وعد الله - سبحانه - رسوله محمداً - صلى الله عليه وسلم - بالعودة لمكة بعد التهجير الذي قهره عليه أعداء الدين، والذي صرح معه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عندما أخرجه قومه من مكة كما في الحديث الصحيح عندما وقف على تلالها، وقال: (والله إنك لأحب بلاد الله إلي ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت)، فعاد إليها فاتحاً - صلى الله عليه وسلم - وقد لقب أصحابه بالمهاجرين، اعتباراً بأن الهجرة من الوطن شيء عظيم. ولقد انطلق بصر القرآن - أيضاً - إلى أماكن مختلفة الأحجام والأنواع، حيث بدأ يحيي في الناس فكرة الاستعداد إلى الإقامة في الأرض لعمارتها بالخير. ولم

(1) ابن فضال، النكت في القرآن، 128.

(2) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 1: 80.

يكن المكان في نظره هي تلك البقعة الجغرافية من الأرض فحسب، رغم التمسك بتأ، والتحبب إليها، والعمل على عمارتها وبنائها، ولكن نبعت منه أهمية بالغة ظهرت في النص القرآني يمكن تبيانها حسب الآتي:

الأول: امتداد الإنسان لعمارة الأرض واستخلافه فيها، وهذا لا يتحقق إلا بمعرفة قيمتها، وأنها مركز ومحطة الخلافة، قال تعالى: ﴿لِيَسْتَخْلِفَهُمْ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ (النور: 55). **الثاني:** المكان للإنسان بمثابة الماضي، والإرث الذي امتد من آدم -عليه السلام- عبر سلسلة من الأنبياء والرسل، كان آخرهم محمد-عليهم صلوات الله تعالى- ثم الصحابة فمن بعدهم، إلى حاضرنا المعاش ونحو المستقبل بانتهاء الكون المرحلي، ليبدأ الإنسان مرحلة أبدية ثانية تمتد نحو الزمن اللامحدود بأماكن الآخرة، تلك الأماكن التي يستقر فيها الإنسان استقراراً أبدياً، فإنه لما أمر الإنسان بعمارة الأرض بالخير والصلاح حتى انشقاق الأرض، إنما يكون ذلك لاستحقاق الأبدية في جنان الآخرة، وإن لم يكن الخير والصلاح، فهناك في المقابل مكان السعير مستقر ومقام أبدي.

الثالث: الأرض بما فيها من أماكن لا محدودة، وأماكن مفتوحة، ومغلقة، وبما تزخر من جمالات بمكوناتها، وبحدودها، وبأبعادها، وبما تحمل على ظهرها، وما تكتنز في بطنها، تمثل آية من آيات الجمال والإبداع والخلق، التي بالبداية من إدراك العقل لها تدل على الخالق وقوته المطلقة، وقدرته التي لا تضارع. وقد جاءت "السموات" و"الأرض" في كثير من الآيات على أنهما خلق من خلق الله، ولعل ذلك و-الله أعلم- دليل على " أن من قدر على خلق السموات والأرض فهو قادر على خلق أمثالهم من الإنس؛ لأنهم ليسوا بأشد خلقاً منهم " (1).

والأرض في القرآن توزعت استخداماتها على أنها آية من آيات الله العظيمة التي خلقها الله لخدمة الإنسان، بسط أرضها وأقر مستقرها، وأخرج له كنوزها، وجعل آيات على ظهرها وفي قعرها من جبال ومعادن وثروات، قال تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فَرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾ (البقرة: 22). والأرض من دلائل قدرته وعظمته، قال تعالى: ﴿إِنَّ رِجْمَ اللَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ (الأعراف: 54)، وقوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تَنْبَتِ الْأَرْضُ﴾ (يس: 36)، قال تعالى: ﴿فَلَا أَقْسَمُ بِمَا تُبْصِرُونَ* وَمَا لَا تَبْصِرُونَ﴾ (الحاقة: 38-39).

(1) الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، بيروت، دار المعرفة، 1968م، 2: 467.

" يظهر هذا القسم في ثوب آخر، يتناول المكان والزمان جميعاً، ويضم في طياته مواكب الأحياء وهي سائرة إلى مصيرها، تخرج من ظلام الليل؛ لتبرز في وضوح النهار، وتودع حركة النهار؛ لتستقبل هدأة الليل، وتدور بها الأرض؛ لتستقبل صفحات النجوم بعدما سبحت فترة في أشعة الشمس" (1). كما إن الأرض طوع ربها وخالقها- سبحانه- قال تعالى: ﴿ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره﴾ (الروم: 25). وعرض القرآن الأرض على أنها تشهد أهوالاً عظيمة إذا ما انتهى عمر البشرية مثل تشققها، ونسف. كما إن الأرض تمثلت على كونها مسرحاً للدعوة إلى الله-تعالى- قام عليها الأنبياء والمرسلون، والصالحون من عباد الله، ويلاحظ أن الأرض في سياق الدعوة تأتي؛ لتدل على المكان الذي يسكن فيه الإنسان.

علاقة السماء بالأرض

أولاً: علاقة المكان الغيبي بالمعلوم

ولقد صور الله - سبحانه و تعالى- في القرآن الكريم العلاقة بين السماء والأرض ويمكن تلخيصها في الآتي:

أولاً: علاقة مبنية على نفع الإنسان معنويًا وماديًا. معنويًا بتلك الرسالات السماوية التي آخرها القرآن والتي نزلت من السماء، فجاءت بغذاء الروح، وأمرت بالخير والصلاح، وتقويم السلوك لتنهأ الأرواح، تملؤها سلاماً وأماناً. كما إنها منازل الملائكة المطهرين فمنها نزلوا، فحملوا للإنسان منارات الهداية، من تبعها دونما تنطع سعد، ومن سلكها دون تباطؤ استراح وأراح، وفاز بالدارين فوز مرتاح، في دار الدنيا، ودار الخلد والأفراح، قال تعالى: ﴿نزل معه الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين﴾ (الشعراء: 193-194)، وقد نزلوا بالرحمة له.

وماديًا، فإنه لا ينبت نبات إلا من مائها ارتوى، ولا يحيا من حيوان إلا ومن سقائها وقطرها استقى. فالحياة قائمة للإنسان - بأمر الله- منها يهلك لو منع الله منها السقاء، ولا يمكن أن يدوم له - الإنسان- بقاء، قال تعالى: ﴿وجعلنا من الماء كل شيء حي﴾ (الأنبياء: 30).

ثانياً: علاقة مبنية على العطاء والتفضل والإكرام، فمن السماء ينزل الماء فيه رحمة ونعمة، فتتشقق الأرض منه، لتخرج الأرض منها نباتاً خضراً ناضراً.

(1) قنبيي؛ حامد صادق، المشاهد في القرآن الكريم، ط1، الأردن، مكتبة المنار، 1984م، 240.

قال تعالى: ﴿وهو الذي أنزل من السماء ماءً فأخرجنا معه نبات كل شيء فأخرجنا منه خضراً نخرج منه حبا متراكباً ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان﴾ (الأنعام: 99) والآيات في ذلك كثيرة.

ثالثاً: علاقة مبنية على إعطاء الإشارات التحذيرية، والتهديدية للكافرين، فتظهر بمظاهر ما مثل تلك السماء التي يتغير لونها، قال تعالى: ﴿وإن يروا كسفاً من السماء ساقطاً يقولوا سحب مركوم* فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون﴾ (الطور: 44-45).

رابعاً: علاقة مبنية على التكامل بينهما لإهلاك الكافرين المكذبين، قال تعالى: ﴿ففتحننا أبواب السماء بماء منهمر* وفجرنا الأرض عيوناً فالتقى الماء على أمر قد قدر﴾ (القمر: 11-12).

وهنا تلاقت - السماء والأرض - في صورة تكاملية. فالأولى تسقط الماء من الأعلى فتتهمر معه الأرض، والثانية تفجر من باطنها الماء ليغطي مساحتها، فتتجمع قوامها لإهلاك الكافرين.

خامساً: علاقة الإنسان بتلك الأماكن علاقة العاجز الطموح، عاجز عن كشف كل أسرارها، طموح للوصول إلى ما سمحت له قدراته منها. فهي أمامه عظيمة؛ لأن الله - تعالى - أرادها أن تكون كذلك؛ ليصل الإنسان بتدبره وفكره بتا إلى ربه - سبحانه - ويستدل من خلالها على عظمته. ويريه الله - تعالى - بعضاً من قدرته فيها - أحياناً - بمظاهر الخسف، والنسف، والدمار، والخراب. فتقلب الأرض، ويموج البحر، ويطوف المحيط، وتقلع الأشجار، وتطير الخيام، وتصبح المدن والقرى أثراً بعد عين، لعل هذه المناظر تنبه ضميره، وتوقظ روحه، ليرجع إلى تلك الأماكن، فيتحرك العقل ويتدبر، من فعل هذا! إنه الله، فتعالى الله. وإن المكان في القرآن الكريم ليس مادياً مجرداً فحسب، فهو يخرج في كل لفظ لتتشارك فيه عدة دلالات.

سادساً: ولا تنتهي علاقة الإنسان بالأرض والسماء بانتهاء حياته، بل تستمر بعد موته، فإن أعمال العباد ترفع إلى الله - تعالى - منه كل يوم، كما أن روحه تصعد إلى الله - تعالى - من القبر إلى السماء حيث مكانها واستقبالها، قال تعالى: ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾ (فاطر: 10)، وقال تعالى: ﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾ (إبراهيم: 27).

لقد دعا الإنسان إلى إعمار الأرض حتى الرmq الأخير من حياته الدنيوية، لذا أمر ببناء المساجد فيها، وشدد حرصه على التعلق بمساجد التجمع العالمي - المساجد الثلاثة - وحث الناس على الترحال إليها، لأنها الذكريات، ذكريات إبراهيم - عليه السلام - هي الأولى التي انبعثت منها كلمة التوحيد.

ولقد بدأت كثير من سور القرآن بالإشارة إلى المكان، حيث أشارت تلك السور في مقدماتها إلى أماكن مختلفة، كان أبرزها التحرك بالرسالة من مكان غيبي إلى مكان معلوم، وهو ما يجسد علاقة

التواصل والترابط بين عالم الغيب، وعالم الحاضر، حيث رسول الله محمد- صلى الله عليه وسلم- الذي كان يتلقى الآيات والسور في أماكن مختلفة، إن كان في مكة وضواحيها، أو المدينة وما حولها، أو أماكن ما في جزيرة العرب. حيث كان الرسول - صلى الله عليه وسلم- يتواجد فيها. وقد أشارت اللفظتان "نزل" و"أنزل" إلى هذين المكانين.

المكان الأول غيبي من "الله" - تعالى- إلى المكان الثاني المعلوم، حيث "الرسول" - صلى الله عليه وسلم- وظهرت عملية - الإرسال والاستقبال- في كثير من السور، منها:

سورة " البقرة " في الآية الرابعة، و "آل عمران" في الآية الثالثة، وكلتاها جاءتا باللفظتين "نزل" و"أنزل" بينما جاءت اللفظتان في سورة "الأنعام" في الآيتين الثامنة والسابعة. وجاءت "أنزل" في الآيتين الثانية، والثالثة من سورة "الأعراف". أما في سورة "يوسف" فنجد أن الفعل "أنزل" جاء في الآية الثانية منها، وفي سورة "الرعد" جاءت كلمة " أنزل " في الآية الأولى. بينما جاءت كلمة "العرش" كمكان غيبي في الآية الثانية منها. وفي سورة "إبراهيم" جاء الفعل "أنزل" في الآية الأولى منها، متبوعا بـ "السموات والأرض" في الآية الثانية. بينما جاءت كلمة "نزل" في الآية السادسة من سورة "الحجر".

كما وبدأت كثير من سور القرآن بالأماكن الغيبية. فالآية الرابعة من سورة الفاتحة، قال تعالى: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ (الفاتحة: 3) تشير على أن ملكية هذا اليوم الغيبي بما فيه من أحداث هي لله -رب العالمين- وفي الملكية حقيقة لوجود هذا اليوم، إذ لا يعقل أن تكون الملكية لشيء خيالي، أو معدوم، أو لمجرد التصور في آيات القرآن. فالأمر يتعلق بالله- تعالى- الذي أنزل هذا الكتاب؛ لإخبار الناس وإعلامهم بوقوع ذلك اليوم في زمن ما، علمه عند الله - تعالى- وليحاسب الخلائق في مكان الحشر والجمع، فدللت الآية على أن الملكية لهذا اليوم هي ملكية للمكان والزمان.

وسورة "الأنعام" ذكرت "السموات" في الآية الأولى، على أنها مكان نرى الجزء الظاهر لنا، أما باقي الجهات أو الأجزاء فهي غيبية، خلقها الله-تعالى- وذكرت في الآية الثانية لفظ "عنده" وهنا أيضا تبدو لنا فيه غيبة الخالق عنا، وغيبته أشارت إليها كلمة "عنده" وجاء حضور علمه - سبحانه- في الآية الثالثة من السورة في مكانين "السموات والأرض" وذلك في قوله: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾. أما سورة "هود" فقد جاءت كلمة "الأرض" المكان المعلوم في الآية السادسة بينما اجتمعت "السموات والأرض" في السابعة. أما سورة "الأنفال" فكان نصيب كلمة "درجات" أن تكون المكان الغيبي الأول فيها، وتكررت في الآية الرابعة من نفس السورة، وهي كما أشار الباحث مكان

غيبى يتضح أمر غيبيتها من الآية نفسها ﴿لهم درجات عند ربهم﴾، إنها الأماكن من الدرجات التي تشير إلى بعد نفسي مفعم بالسعادة، ومرتج بالعلو.

بينما جاءت كلمة "الأرض" في أول سورة الأنفال، والتي تدل على المكان المعلوم عموماً كآية من آيات الله - تعالى - من قوله تعالى: ﴿فسيحوا في الأرض﴾ دونما أن تظهر الآية مكاناً معلوماً أو محدوداً من الأرض تتناسباً مع السياحة المذكورة فيها. وجاءت "لسماوات" المكان الغيبى في الآية الثالثة من مستهل سورة "يونس" ثم كلمة "العرش" لمكان غيبى آخر دال على استواء الرب -تعالى- عليه.

وبدأت بعض السور بالإيحاء الدال على الانتقال من الموحى الله -تعالى- إلى الموحى إليه محمد -صلى الله عليه وسلم- فالموحى الله -تعالى- غائب عنا مكانه، والموحى إليه -الرسول- مكانه "الأرض" المعلوم، في أماكن وجوده التي استقبل فيها الرسالة.

كما جاءت سورة "يونس" لتؤكد تلك العلاقة بين المكان الغيبى، والمكان المعلوم بكلمة "أوحينا" من قوله تعالى: ﴿أكان للناس عجباً أن أوحينا إلى رجل منهم﴾، وذلك في الآية الثانية من مستهل السورة. وجاءت كلمة "أوحينا" في الآية الثالثة من سورة يوسف بالحيز نفسه. إنها الكلمة التي تشير إلى مكان نزل منه الإيحاء، لمكان نزل إليه. كما جاء الفعل "أسرى" للدلالة على المكان الغيبى الذي خرج منه الأمر الإلهي بالإسراء، وتبعه مكانان معلومان "المسجد الحرام" و"المسجد الأقصى وما حوله" مشيرة كلمة "أسرى" إلى تمام الحادثة في العتمة، وهذا من دقة التعبير، وإعجاز اختيار نسق الكلمات ومناسبتها. وفيما يلي، وبعد تلك الإشارات المكانية واستظهار قيمها، وشيء من جمالها، سيتم الحديث عن العوالم من حيث الأمكنة، بشيء من التفصيل. كما توطدت علاقة الغيبى بالمعلوم في عملية النزول، نزول الرسالات، والوحي، والملائكة، والغيث، والمطر. حصلت علاقة صعود من الأرض للسماء، وتمثل ذلك: في الصعود الحسي، مثل صعود عيسى المسيح -عليه السلام- إلى السماء(1). والصعود المعنوي، مثل: صعود الكلمة الطيبة، والعمل الصالح، قال تعالى: ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾ (فاطر: 10). وإذا كان النزول والصعود بين العالمين، المعلوم لدينا، والغيبى عنا، فذلك يعني أن القدرة التي تسخر ذلك لا تدرك طبيعتها قدرة الإنسان. فهو عاجز حقا عن تحديدها، وهذا يؤكد أنها قدرة مطلقة.

(1) سورة النساء: 158.

أجزاء الأرض:

تنقسم الأرض إلى قسمين رئيسيين وردا في القرآن الكريم هما البر والبحر هذا من حيث المساحة الكلية، والبحر يدخل تحت مسماه المائي كل ما ثبت وجرى في بقعة أو مساحة جغرافية ما كالنهر، والعين، الينابيع، والسيول، وغيرها. أما البر فيتكون من مساحته العديد من الأجزاء، كالمدن، والقرى، وما فيهما من مساكن، وما في المساكن من حجر وغرف... وجبال وما فيها من أجزاء، وحدائق... إلخ، وسيظهر ذلك من خلال العرض الآتي:

أولا: الأماكن المائية في الأرض

البحار

عدد الورد: وردت كلمة "بحر" في القرآن الكريم 33 مرة، و"بحران" وردت مرة واحدة، و"بحرين" وردت أربع مرات، و"بحيرة" وردت مرة واحدة، و"أبحر" وردت مرة واحدة، و"بحار" وردت مرتين. **المعنى اللغوي:** " قال الخليل: سمي البحر بحرا؛ لاستبحاره وهو انبساطه وسعته "(1). والبحر "الماء الكثير، ملحاً كان أو عذبا، وهو خلاف البر، سمي بذلك لعمقه واتساعه، وقد غلب على الملح حتى قل في العذب ، وجمعه أبحر وبحور وبحار. وماء بحرٌ: ملح، قل أو أكثر... وإنما سمي البحر بحرا لسعته وانبساطه... وقد أجمع أهل اللغة أن اليم هو البحر. وجاء في الكتاب العزيز: ﴿فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾ (القصص: 7)، قال أهل التفسير: هو نيل مصر... أما قوله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾ (المائدة: 103)... قيل: البحيرة من الإبل: التي بُحرت أذنفا أي شقت طولاً. ويقال: هي التي خلّيت بلا راع " (2).

الفائدة الجمالية: قال تعالى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ﴾ (البقرة: 50)، البحر نعمة ونقمة، إن هذا التضاد الحاصل في الآية بين "أنجيناكم" و"أغرقنا" تظهر قوة الله - تعالى - وقدرته، كيف يخلق الشيء وفيه نجاة عباد وغرق غيرهم، وذلك في الآن نفسه، فهل يمكن لقوة أن تفعل ذلك إلا قوة محكمة، تحكم أمر الأشياء، إنها قوة الله - تعالى - وقدرته، وكيف أصبح هذا المكان نعمة نجاة لموسى - عليه السلام - ونقمة وعذابا على فرعون. والبحر يعتبر خلقا من خلق الله - تعالى - علم كل ما فيه، قال تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ (الأنعام: 59)، وقد برز البحر جنديا من جنود الله يفعل ما يؤمر معه. بينما جاء البحر في قوله تعالى: ﴿وَالْفَلَكَ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 1: 201 .

(2) ابن منظور، لسان العرب، 4: 47-49.

بما ينفع الناس ﴿الحج: 65﴾ بنعمة أخرى للخلق جميعاً لا تقتصر على نبي أو شخص، فعليه تجري الفلك لتتقارب البلدان، ويستخرج من بطنه منافع عدة. بيد أنه جاء نقمة للقرية التي كانت حاضرة تنتفع من منافعه عندما عصت ربها وتكرت لأمره -سبحانه- قال تعالى: ﴿وأسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر﴾ (الأعراف: 163). وكان البحر آية عون من الله -تعالى- للفقير، قال تعالى: ﴿أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر﴾ (الكهف: 79)، وحق للبحر الشرف عندما ضرب الله -تعالى- معه المثل بعد اكتفاء مداد مثله بكتابة علم الله -سبحانه- ومع هذا جاءت الإشارة العلمية المعجزة أن البحر ستطوله يد المفسدين، لتظهر بعض مظاهر فسادهم عليه، قال تعالى: ﴿ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس﴾ (الروم: 41). وأخيراً صرحت الآيات في سياقات متعددة أنه آية من آيات الله، ودليل من دلائل القدرة الإلهية، قال تعالى: ﴿مرج البحرين يلتقيان﴾ (الرحمن: 19) فتلك قوة الله -تعالى- التي حجزت بين بحرين حلو ومالح. ووردت كلمة " فرات " في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع. والفرات: " أشد الماء عذوبة. وفي التنزيل العزيز: ﴿هذا عذب فرات سائغ شربه* وهذا ملح أجاج﴾ (فاطر: 12)... والفرات: اسم نهر الكوفة " (1). وقال تعالى: ﴿وأسقيناكم ماء فراتا﴾ (المرسلات: 27).

أنهار

عدد ورود: وردت في القرآن الكريم جمعاً "أنهار" باثنين وخمسين موضعاً. كلها في الجنة عدا ثلاثة مواضع. أما المواضع الأخرى، فقد أتت الأنهار فيها منسوبة لجنة النعيم في الآخرة. المعنى اللغوي: " النهر والنهر: واحد من الأنهار، وفي المحكم: النهر والنهر من مجاري المياه، والجمع أنهار ونهر ونهور... أما قوله عز وجل: ﴿إن المتقين في جنات ونهر﴾ (القمر: 54) فقد يجوز أن يعني به الأشعة والضياء، وأن يعني به النهر الذي هو مجرى الماء على وضع الواحد موضع الجميع. وقيل في قوله تعالى: ﴿جنات ونهر﴾ (القمر: 54) أي: ضياء وسعة؛ لأن الجنة ليس فيها ليل. إنما هو نور يتلألاً " (2).

الفائدة الجمالية: دليل من دلائل القدرة الإلهية. والمعجزة الربانية، قال تعالى: ﴿وان من الحجارة لما ينفجر منه الأنهار﴾ (البقرة: 25)، وقال تعالى: ﴿وسخر لكم الأنهار﴾ (إبراهيم: 32)، وفي ادعاء فرعون، عرفت ركافة نسبة الأملاك إليه؛ لأنه يعلم نقصه، وأنه لا يقدر على التسخير والخلق، فقال

(1) ابن منظور، لسان العرب، 74: 2.

(2) ابن منظور، لسان العرب، 278: 5.

تجري من تحتي وليس بأمرى ومشيتي، وبهذا لم ينكر أن الخلق والتسخير ليس من اختصاصاته،
قال تعالى: ﴿وهذه الأنهار تجري من تحتي﴾ (الزخرف: 51)،

أما الآخرة فاحتوت على مجموعة من الأنهار، وكانت اللفظة بصيغة الجمع عند ذكر الآخرة، ولم تأت بصيغة الإفراد، قال تعالى: ﴿جنات تجري من تحتها الأنهار﴾ (البقرة: 25) وهي الأكثر شيوعاً في المواضع. والجنة مفعمة بالمناظر الطبيعية الجذابة، ففيها الأشجار التي دنت من أصحابها ثمارها الكثيرة، المغدقة، متنوعة الصنوف، فيها كل أدوات الحياة المهيأة للراحة، والدوام، والخلود، قال تعالى: ﴿وظل ممدود وماء مسكوب وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة وفرش مرفوعة﴾ (الواقعة: 34-33)، وفي الجنة يتناكح المؤمنون، ويتعمون بكل ما تستطيه الأنفس والأعين " (1) وفيها الأنهار ذات الألوان الصافية، والمذاقات الشهية، قال تعالى: ﴿مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات﴾ (محمد: 15)، وقال تعالى: ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾ (الكوثر: 1).

مجمع البحرين

عدد ورود: وردت كلمة "مجمع" في القرآن الكريم بموضعين، إحداهما مقرونة بالبحرين، قال تعالى: ﴿حتى أبلغ مجمع البحرين﴾ (الكهف: 60)، وقال تعالى: ﴿فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما﴾ (الكهف: 61).

المعنى اللغوي: المجمع: " المجمع يكون اسماً للناس وللموضع الذي يجتمعون فيه " (2).
الفائدة الجمالية: قال تعالى: ﴿وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حقبا﴾ (الكهف: 6)، " قال قتادة وغير واحد: هما بحر فارس مما يليه المشرق، وبحر الروم مما يليه المغرب، وقال محمد بن كعب القرظي: مجمع البحرين عند طنجة، يعني في أقصى بلاد المغرب" (3). ارتبط بالمكان حدث نسيان الحوت، وارتبط به ذلك اللقاء بينهما، وكان نقطة الانطلاق نحو الخضر الذي تعلم منه النبي درسا كبيرا.

(1) ينظر، سورة الزخرف: 68-73.

(2) ابن منظور، لسان العرب، 62: 8.

(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 3: 87 .

الينابيع

عدد الورد: وردت بصيغة الجمع في القرآن الكريم مرة واحدة. قال تعالى: ﴿فسلكه ينابيع في الأرض﴾ (الزمر: 21)، ووردت بصيغة الإفراد مرة واحدة-أيضاً-قال تعالى: ﴿حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً﴾ (الإسراء: 90).

المعنى اللغوي: الينابيع " نبع نبوعاً: تفجر، وقيل: خرج من العين، ولذلك سميت العين ينبوعاً... وجمعه ينابيع... والينبوع: الجدول الكثير الماء، وكذلك العين، ومنه قوله تعالى: ﴿حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً﴾... " (1).

الفائدة الجمالية: قال تعالى: ﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يجعله حطاما إن في ذلك لذكرى لأولي الأبواب﴾ (الزمر: 21). إنها القدرة الخلاقة التي وظفت الكون وما فيه لخدمة الإنسان، فإن نزول الماء من السماء إلى الأرض بتتابع لهو آية يستكمل دورته عندما يجعل في الأرض مسالك وطرقا لحفظ الماء، لتنشأ الينابيع الطبيعية، التي ينتفع الناس بها. فيحيون، وتحيا معهم دوابهم، ومزارعهم. وهكذا تعود الكون على تلك الدورة المتتابعة للحياة.

السيول

عدد الورد: وردت كلمة " السيل " مفردة في القرآن الكريم بموضعين.

المعنى اللغوي: السيل " الماء الكثير السائل، اسم لا مصدر، وجمعه سيول. والسيول: معروف، والجمع السيول " (2).

الفائدة الجمالية: قال تعالى: ﴿فاحتمل السيل زبداً رابياً﴾ (الرعد: 17)، وقال تعالى: ﴿فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم﴾ (سبأ: 32). إنها صورة العذاب الماحق، ومشهد الفيضان الغارق، آية التدبير والبلاء، تدبير الله-تعالى- بإهلاك المعرضين، وبلاء يقرر مصيرهم المحتوم المفزع، وهم صرعى، يطمهم ماء السيل المتدافع.

العيون

عدد الورد: وردت كلمة "عين" مفردة 21 مرة. أما ورودها مثني فجاءت بالمعنى المكاني ثلاث مرات، قال تعالى: ﴿فيهما عينان تجريان﴾ (الرحمن: 50)، وقال تعالى: ﴿فيهما عينان

(1) ابن منظور، لسان العرب، 411: 8.

(2) ابن منظور، لسان العرب، 420: 11.

نضاختان ﴿الرحمن: 66﴾، أما كلمة "عيون" فوردت في تسعة مواضع، كلها في المعنى المكاني، منها في عيون الآخرة، ومنها في عيون الدنيا كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ (الحجر: 45، الذاريات: 15)، وقوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ (الشعراء: 25)، وقوله: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ (الدخان: 25).

المعنى اللغوي: " ينبوع الماء الذي ينبع من الأرض ويجري... والجمع أعين وعيون. ويقال: غارت عين الماء. وعين الركبة: مفجر مائها ومنبعها... وماء معيون: ظاهر، تراه العين جارية على وجه الأرض " (1).

الفائدة الجمالية: ينابيع الماء المسخرة، مكان زاهر بالمنافع. جاءت كلمة "عيون" متعددة المعاني في مواضعها. وكلمة "عين" المكانية حملت معنى الماء المتجمع في قعر الأرض، والذي يظهر على سطحها. وفي الجنة عيون جارية، منافع جمّة، ومناظر خلابة، تتسجم مع حالة أهل الجنة النفسية، فما أجمل العيون وهي تجري بينهم، قال تعالى: ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾ (الغاشية: 12)، وهي عيون للتعيم، بجمال منظرها، وعذوبة مائها، وسهولة شربها، وقال تعالى: ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسْمَى سَلْسَبِيلًا﴾ (الإنسان: 18)، ويكشف المكان عن حالة أهل الجنة النفسية، إنها حالة الشعور بالنشوة، والفرح، والسعادة، والجمال، قال تعالى: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ (الإنسان: 6). أما عيون النار التي تستقي حرها من الجحيم، فقد سخرت عذابا ونقمة على الكافرين، قال تعالى: ﴿تَسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ﴾ (الغاشية: 5). والعيون معجزة نبي الله موسى -عليه السلام- التي انفجر ماؤها من الحجارة، قال تعالى: ﴿فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ (البقرة: 60)، وقال تعالى: ﴿فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ (الأعراف: 160).

الوادي

عدد الورد: وردت في القرآن الكريم في ثمانية مواضع، كلها بصيغة المفرد، وموضع جمع واحد، ومنها: واد الطور، وواد النمل، وواد الزرع، وواد ثمود، قال تعالى: ﴿إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ (طه: 12).

المعنى اللغوي: الوادي " ابن سيده: الوادي كل مفرج بين الجبال والتلال والآكام، سمي بذلك لسيلانه، يكون مسلكا للسيل، ومنفذا... والجمع الأودية " (2).

(1) ابن منظور، لسان العرب، 370: 13.

(2) ابن منظور، لسان العرب، 448: 15.

الفائدة الجمالية: مكان مقدس يعتبر نقطة تحول موسى -عليه السلام- من الحياة البشرية الطبيعية إلى حياة النبوة والتشريف. وهذا المكان كان رمزا وما زال لتلك الحادثة التاريخية بين النبي وربه، عندما كلمه وشرفه. ولقد اختار الله-تعالى- لآدم الأرض الواسعة مهبطا، ولنوح السفينة مكانا مفتوحا منطلقا، واختار لإبراهيم واديا غير ذي زرع، وهو مكان الخلوة مع الرب الأعلى-سبحانه- واختار ليونس بطن الحوت المغلق، وللوط البيت، وليوسف السجن والمدينة، وليعقوب البداوة، ولموسى المدن والقصر والطور والوادي، ومحمد الغار؛ إن نزول الدعوة والرسالة في أماكن مغلقة ومفتوحة، يدل على قدرة الله- تعالى- الذي يخاطب عباده في أي مكان أراد، وبأي وقت شاء. والوادي مكان أخذ خصوصية الخلوة بين الله-تعالى- ونبيه.

ثانيا: الأماكن البرية الطبيعية في الأرض

البر:

عدد الورد: وردت كلمة "البر" 12 مرة في القرآن الكريم

المعنى اللغوي: البر " خلاف البحر... أبر الرجل صار في البر، وأبحر صار في البحر. والبرية الصحراء. والبر نقيض السكن. والعرب تستعمل ذلك نكرة، يقولون خرجت برا وخرجت بحرا " (1). "يراد بالبحر الماء، وبالبر التراب اليابس، قال تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ (الروم: 41)، فإنه بمعنى البرية وال عمران " (2).

الفائدة الجمالية: مكان لا محدود، واسع، شاسع، كبير، من عدة أجزاء، يتكون من جبال، وسهول، وبساط، ومدن وقرى. واجتمع البر مع البحر في جميع الآيات عدا ثلاثة مواضع، الموضع الأول، قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا﴾ (الإسراء: 68)، إلا إنها سبقت بآية ثم ذكر البر والبحر فيهما مقترنتين، قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَهُهُ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾ (الإسراء: 67). والموضع الثاني، قال تعالى: ﴿فَإِذَا رَكبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ (العنكبوت: 65) إلا أنها تضمنت معنى البحر. والموضع الثالث، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ (لقمان: 32). فإنه سبق بقوله تعالى بالآية نفسها ما تضمن معنى البحر، قال تعالى: ﴿وَإِذَا

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 1: 179 .

(2) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 83.

عَشِيهِمْ مَوْجٌ كَالظَّلْلِ دَعَا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾ (لقمان: 32)، لقد جاء ذكرهما مقترنين تارة على إطلاق وعموم الحلال الذي خلقهما الله -تعالى- نعمة للإنسان سوى ما حرمه على المحرم الحاج، وتارة قرنهما الله -تعالى- مع دلالة على علمه المطلق الواسع الذي شمل ما في البر والبحر (1). وأخرى كما في آية المائدة (2) للدلالة على قدرة الله -تعالى- في إنقاذ الإنسان من المحن والكرب والابتلاءات التي تقع له في البر والبحر (3). كما جعل الله -تعالى- لظلمات البر والبحر النجوم منارات هداية للسالكين (4). وهما -البر والبحر- مصدران لرزق الإنسان، ففيهما يسعى، وعليهما يسير، وينتفع من خيراتهما التي خلقها الله -تعالى- فيهما لأجله (5). ومع ذلك فإنهما -أيضا- مهيبان للعذاب والانتقام من الإنسان، بالخسف والنسف من البر، والطوفان والغرق من البحر (6). ورغم هذه النعم المسخرة في البر والبحر للإنسان إلا أن يد إفساده قد طالتهما، ونالت منهما (7).

ومن صفاتها: السطح، والبساط حيث وصفت بلفظ "سطحت" مرة واحدة. ولفظ "بساط" مرة واحدة، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بَسَاطًا﴾ (نوح: 19)، ووردت في معان غير مكانية لا داعي لذكرها. والسطح مكان لا محدود "السين والطاء والحاء أصل يدل على بسط الشيء ومدّه... وسطح كل شيء: أعلاه الممتد معه. ويقال: انسطح الرجل، إذا امتد على قفاه فلم يتحرك" (8). والبسط: "امتداد الشيء في عرض أو غير عرض. فالبساط ما يبسط، والبساط الأرض... والبسطة في كل شيء السعة" (9).

الفائدة الجمالية: قال تعالى: ﴿وَالِي الْأَرْضِ كَيْفَ سَطَحَتْ﴾ (الغاشية: 20). ولولا تلك السطحية، ما استطاعت الخلائق الاستمرار طويلا على الأرض، تخيل دونما تلك السطحية كيف تبدو البحار والمحيطات، أو الجبال والقيعان، أيسطيع الإنسان العيش عليهما، أو حتى الانتفاع منهما، حتما

(1) سورة الأنعام: 59.

(2) سورة المائدة: 96.

(3) سورة الأنعام: 63.

(4) سورة الأنعام: 97.

(5) سورة يونس: 22.

(6) سورة الإسراء: 67-68.

(7) سورة الروم: 41.

(8) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 3: 72.

(9) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 1: 247.

سيكون هلاكه منهما سريعاً. وتشهد على ذلك المآثر والمشاهد، فهناك حتى اليوم جبال يصعب على الإنسان الوصول لقممها إلا بشق الأنفس. والبحار بالطبع ليست مستقراً للإنسان، لأن تكوين خلق الإنسان لا يناسب العيش فوق البحار، ولا في أعماقها. هذه السعة خلقها الله - تعالى - وهو يعلم أن خلقه سينتهي التناسل عندهم على ظهرها عند حد ما، فقدّر فيها أوقاتاً - سبحانه وتعالى - وجعلها من السعة ما يناسب عدد الخلق، وأقواتهم، ومصالحهم، وأطماعهم.

الجبال

عدد الورد: وردت كلمة "الجبال" جمعاً في القرآن "33 مرة" ومفردة "جبل" وردت ست مرات.

المعنى اللغوي: وهي "تجمع الشيء في ارتفاع" (1).

الفائدة الجمالية: الجبال أماكن طبيعية مفتوحة، تجتمع ثلثة من المخلوقات عليها، الإنسان والحيوان والنبات، وهي تلك الأماكن التي أذعنت لخالقها، فهي خلق من خلقه يأمرها فتطيع، قال تعالى: ﴿ألم تر أن الله يسجد له من في السماوات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال﴾ (الحج: 18)، وقال تعالى: ﴿ولقد ءاتينا داود منا فضلاً يا جبال أوبي معه والطير﴾ (سبأ: 10). والجبال اتخذها الناس منذ القدم للإقامة، إقامة البيوت. وفيها صورة للعيش المرفه، وتجسيد للاقتصاد الزاهي، قال تعالى: ﴿تتخذون من سهولها قصوراً وتنحتون الجبال بيوتاً﴾ (الحجر: 82)، وقال تعالى: ﴿وتنحتون من الجبال بيوتاً فارهين﴾ (الشعراء: 149). كما واستخدمت الجبال في صورة صاخبة بالموج المتلاطم الذي أسدل على رؤوس المجرمين، قال تعالى: ﴿وهي تجري بهم في موج كالجبال﴾ (هود: 42). وصورة أخرى للدلالة على عظمتها في القوة التي تزول أمام مكر المجرمين، قال تعالى: ﴿وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال﴾ (إبراهيم: 46). وصورة ثالثة لا تستطيع النفس المغرورة أن تبلغ ما بلغت، قال تعالى: ﴿إنك لن تحرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً﴾ (الإسراء: 37). وما أكثر تلك الصور في آي القرآن والتي جاءت بها الجبال كآية من آيات الله الباهرة التي تدل أحوالها بعظمتها وقوتها وصلابتها ومنافعها على قدرة الخالق الذي خلقها. وجاءت صورتها العظيمة بمشاهد مثيرة عندما تبدأ معالم القيامة بالبزوغ، فتبدو الجبال كما قال سبحانه: ﴿ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفاً﴾ (طه: 105)، وقوله تعالى: ﴿يوم ترجف الأرض والجبال وكانت الجبال كثيباً مهيلاً﴾ (المزمل: 14). وقوله تعالى: ﴿والجبال أوتاداً﴾ (النبا: 7). لقد ذكر الله - تعالى - هذه الحقيقة بأسلوب التشبيه البليغ، فقد حذف أداة التشبيه، ووجه الشبه. وجعل المشبه عين المشبه

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 1: 432.

به. والمعنى: أن الجبال أوتاد على الحقيقة. و" في عصر العلم الحالي اكتشف العلماء أن الجبال ترتفع فوق سطح الأرض عالياً، ولكنها في الوقت نفسه لها جذور تضرب في عمق الأرض، أكثر من ارتفاعها فوق سطح الأرض فنحن لا نرى من الجبل إلا أقل من نصف حجمه، والباقي يضرب في عمق الأرض، وذكرنا أن الجبال كأوتاد تثبت القشرة الأرضية من أن تميد في وشاح الأرض تحتها، كما تثبت الغلاف الجوي. وكذلك اكتشفوا أن الجبال تحفظ توازن الأرض في دورانها في الفضاء الكوني فلا تترنح " (1). ولعل" علو الجبال يناسب علو الرسالات، فاتخذتها منابر لدعوتها، ومراقبي لخطبها ومواعظها، أو لعل حقائق الرسالات راسخة رسوخ الجبال، وقد قضى أن تكون من أبنية الأرض التي رست عليها. أو لعل الجبال لما كانت معالم يهتدي بها السائرون، اتخذتها الشرائع منازل؛ لتكون هي الأخرى معالم يهتدي بها إلى الطريق... وما من قول يشفي في هذا الأمر العجيب، فلأمر ما أهبط آدم على ربوة ، وعرضت الأمانة على الجبال، وأرسيت سفينة نوح على الجودي، وقطعت على الجبال طير إبراهيم، وسخرت الجبال لداود يسبحن، وנתق الجبال لموسى، وكان مأوى أهل الكهف في الرقيم... ولأمر ما كان نسك المسلمين في الحج حول الجبال، يبتدئون الطواف من حجر، ويسعون بين الصفا والمروة، ويجتمعون على عرفات. وإذا زاروا سعوا إلى غار حراء أو غار الهجرة ، وهما غاران في صدور الجبال " (2). ومن الجبال وطرقها المذكورة في القرآن:

جبل الجودي: وردت كلمة "الجودي" في القرآن الكريم مرة واحدة، قال تعالى: ﴿وقضى الأمر واستوت على الجودي﴾ (هود: 44)، تكريم الله - تعالى - لهذا المكان - الجبل - أن جعل نجاة نبيه والمؤمنين عليه، وقد أعطي وسام الذكر مدى الدهر من لدن النبي نوح عليه السلام. وهو " جبل بالجزيرة تشامت الجبال يومئذ من الغرق وتناولت تواضع هو الله - عز وجل - فلم يغرق... قال الضحاك: الجودي جبل بالموصل... وقال بعضهم: هو الطور " (3). وطود: ورد ذكره في القرآن الكريم مشبهاً معه في موضع واحد. و" الطاء والواو والذال أصل صحيح، وفيه كلمة واحدة.

(1) إبراهيم؛ أحمد شوقي، فتح العليم في تفسير القرآن الكريم وبيان أوجه الإعجاز العلمي فيه، جزء عم، د.ط، القاهرة، دار غريب، 2005م، 22.

(2) الأهل؛ عبد العزيز سيد، من إشارات العلوم في القرآن، دط، بيروت، النهضة الحديثة، 1972م، 97.

(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 2: 406.

فالطود: الجبل العظيم. قال الله سبحانه: ﴿فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم﴾ (الشعراء: 163).
يقولون: طود في الجبل، إذا طوف، كأنه فعل مشتق من الطور " (1).

جبل الطور: ووردت كلمة "طور" في القرآن الكريم بعشرة مواضع. كلها في قصة نبي الله - تعالى - موسى - عليه السلام - وبني إسرائيل، ومن هذه المواضع، قال تعالى: ﴿ورفعنا فوقكم الطور﴾ (البقرة: 63)، وقال تعالى: ﴿وناديناه من جانب الطور الأيمن﴾ (مريم: 52)، وقال تعالى: ﴿وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للأكلين﴾ (المؤمنون: 20).

المعنى اللغوي: " الطاء والواو والراء أصل صحيح يدل على معنى واحد، وهو الامتداد في شيء، من مكان أو زمان. من ذلك طوار الدار، وهو الذي يمتد معها من فنائها. وكذلك يقال عدا طوره، أي جاز الحد الذي هو له من داره، ثم استعير ذلك في كل شيء يتعدى. والطور: جبل، فيجوز أن يكون اسماً علماً موضوعاً، ويجوز أن يكون سمي بذلك لما فيه من امتداد طولاً وعرضاً. ومن الباب قولهم: فعل ذلك طوراً بعد طور. فهذا هو الذي ذكرناه من الزمان، كأنه فعله مدة بعد مدة. وقولهم للوحشي من الطير وغيرها طوري وطوراني، فهو من هذا، كأنه توحش فعدا الطور، أي تباعد عن حد الأتيس " (2).

الفائدة الجمالية: الطور " جبل بين مصر ومدین، اسمه زبير، ومعنى الأيمن أنه كان ذلك الجانب عن يمين موسى، فإن الشجرة كانت في ذلك الجانب، والنداء وقع منها، وليس المراد يمين الجبل نفسه، فإن الجبال لا يمين لها، ولا شمال. وقيل معنى الأيمن، الميمون، ومعنى النداء، أنه تمثل له الكلام من ذلك الجانب " (3). واختيار هذا المكان للتكليم يشير إلى استراحة المحارب، بعيداً عن العيون، فقد استراح موسى - عليه السلام - من شقاق بني إسرائيل، ومن وعكة السفر، ليكون له هذا التكليم راحة وطمأننة له، وليتزوج عند بزد التقوى، ليقوى على مشاق الدعوة. ولعل الله - تعالى - اختار لموسى - عليه السلام - جهة اليمين، تناسباً مع وضع خاص له، وهذا يذكرنا باختيار الله - تعالى - أن تكون معجزاته دائماً باليمين، فاليد اليمين على الأغلب هي اليد البيضاء، قال تعالى: ﴿واضمم يدك إلى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى﴾ (طه: 22)، وكانت معجزة العصا التي يضرب بها في يمينه، قال تعالى: ﴿وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصاي أتوكأ عليها

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 3: 430.

(2) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 3: 431.

(3) الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، 3: 423.

وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى* قال ألقها يا موسى* فألقاها فإذا هي حية تسعى﴿(طه: 21-20)، وقال تعالى: ﴿ألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا﴾(طه: 69)، وضربت يمينه الحجر بعصاه، قال تعالى: ﴿فقلنا اضرب بعصاك الحجر﴾(البقرة: 60). وضرب البحر بها-أيضا - قال تعالى: ﴿واترك البحر رهوا﴾(الدخان: 24). كان هذا المكان- الطور- أيضا بيمينه. واليمين سنة الأنبياء، فهذا إبراهيم-عليه السلام- ما هدم أصنام قومه إلا بيمينه، قال تعالى: ﴿فراغ عليهم ضربا باليمين﴾(الصافات: 93)، وكذلك رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حث على التيامن، وهذا في السنة معروف.

طوى:

عدد ورود: وردت كلمة "طوى" في القرآن الكريم في موضعين، قال تعالى: ﴿إنك بالواد المقدس طوى﴾(طه: 12)، وقال تعالى: ﴿إذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى﴾(النازعات: 16).
 المعنى اللغوي: " الطاء والواو والياء أصل صحيح يدل على إدراج شيء حتى يدرج بعضه في بعض... والطوى: البئر المطوية... الطاية: هي كلمة صحيحة تدل على استواء في مكان. قال قوم: الطاية: السطح. وقال آخرون: هي مريد التمر. وقال قوم: هي صخرة عظيمة في أرض ذات رمل "(1).

الفائدة الجمالية: لعل التكليم من جهة اليمين كان قرب تلك الصخرة، أو الواد، ولحظة النداء من هذا المكان لحظة رهيبه جليلة، وتزداد رهبة لكون النداء فيها من الله - تعالى- بصوته، ثم بوحشة المكان الذي وقع فيه التكليم بفضائه البعيد المديد.
 العقبة:

عدد ورود: وردت كلمة "عقبة" في القرآن الكريم مرتين، قال تعالى: ﴿فلا اقتحم العقبة وما أدراك ما العقبة﴾(البلد: 11-12).
 المعنى اللغوي: هي " طريق في الجبل، وجمعها عقاب. ثم رد إلى هذا كل شيء فيه علو أو شدة... وكل طريق يكون بعضه فوق بعض فهي أعقاب... قال الخليل: العُقاب مرقى في عرض جبل، وهو ناشز "(2).

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 3: 430.

(2) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 4: 84.

الفائدة الجمالية: هذه هي العقبة " التي تقف بينه وبين الجنة لو تخطاها لوصل! وتصويرها كذلك حافز قوي، واستجاشة للقلب البشري، وتحريك له ليقتم العقبة وقد وضحت ووضح معها أنها الحائل بينه وبين هذا المكسب الضخم... ففيه تحضيض ودفن وترغيب، ثم تفخيم لهذا الشأن وتعظيم... إنه ليس تضخيم العقبة، ولكنه تعظيم شأنها عند الله ليحفز معه الإنسان إلى اقتحامها وتخطيها، مهما تطلب من جهد ومن كبد. فالكبد واقع واقع، وحين يبذل لاقتحام العقبة يؤتي ثمره، ويعوض المقتحم عما يكابده، ولا يذهب ضياعا وهو واقع واقع، واقع على كل حال! ويبدأ كشف العقبة وبيان طبيعتها بالأمر الذي كانت البيئة الخاصة التي نواجهها الدعوة في أمس الحاجة إليه " (1).

الربوة:

عدد ورود: وردت كلمة " ربوة " في القرآن الكريم بموضعين.

المعنى اللغوي: و" الربو، والربوة، والربوة، والربوة، والربوة، والربوة، والربوة، والربوة، والربوة: كل ما ارتفع من الأرض وربا، قال المثقب العبدى:

علون ربوة وهبطن غيبا **فلم يرجعن قائمة لحين**

... وأرى الرجل إذا قام على رابية... وفي التنزيل العزيز: ﴿كمثل جنة بربوة﴾... وجمع الربوة ربي وربى. قال تعالى: ﴿كمثل جنة بربوة أصابها وابل﴾ (البقرة: 265)، وقال تعالى: ﴿وآويناها إلى ربوة ذات قرار ومعين﴾ (المؤمنون: 50)...⁽²⁾.

الفائدة الجمالية: مكان مفتوح، خصب، جميل، من أصلح الأماكن لعيش الإنسان. لقد اختاره الله -تعالى- ليكون مأوى لأسرة إبراهيم -عليه السلام- بعد تركه لهم، وسفره عنهم. رحمة منه بهم، وعطاء من كرمه لهم. فالربوة سفح الأرض المستوية المرتفعة، دون الجبل، وفوق التل، وعلى ذلك فماء المطر لا يغرقها مهما انهمر بغزارة لاندفاعه بالجاذبية إلى المستويات الأقل في منسوبها من الربوة في المنطقة المحيطة بها ومن مميزاتا إنها إذا نزلت بها الأمطار تضاعف إنتاجها، وإذا تضاعلت الرطوبة من حولها فإنها تعطي ثمارها وافرة. ولهذا النفع الذي يحصل من الربوة في كل وجه، أشارت علينا الآية أن الجنة لا تكون جنة إلا في مثل هذا المكان، استباق علمي أذاعه القرآن منذ قرون خلت.

(1) قطب، في ظلال القرآن، 3: 3912.

(2) ابن منظور، لسان العرب، 12: 234.

المشعر الحرام:

عدد الورد: وردت كلمة "مشعر" مرة واحدة مقرونة بـ "الحرام" (المشعر الحرام).

المعنى اللغوي: قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾ (البقرة: 198). هو "الجبل بمكة" (1).
الفائدة الجمالية: مكان مفتوح يجتمع المؤمنون وهم صنف من الناس للعبادة، وأداء بعض الطقوس الدينية، وهو مكان مقدس اختاره الله تعالى؛ ليكون أحد الأماكن الذي يتسارع الناس إليها لذكر الله، وتسيبته. وهو مكان حوى آثار إبراهيم الخليل، ومحمد عليهما السلام.

الأحفاف:

عدد الورد: وردت كلمة "الأحفاف" في القرآن مرة واحدة.

المعنى اللغوي: "هي جبال الرمل بين عمان وحضرموت وقيل جبل بالشام" (2)، وردت مرة واحدة، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أُنذِرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ﴾ (الأحفاف: 21). وهي "رمال هشة، شديدة النعومة. يقال: إنها تبتلع كل ما يقع فوقها. ويسمونها منطقة الرمال المتحركة بالربع الخالي من المملكة العربية السعودية" (3).

الفائدة الجمالية: تجاوزت تلك اللفظة "الأحفاف" بعدها الجغرافي المعروف فقد وصم بحوادث تلك القصة، وشهد هذا المكان واقعهم بتفاصيله من بداية وجودهم عليه، وقيام نبي الله بدعوتهم، للإيمان بالله -تعالى- وحذرهم إن بقوا في الضلال والشرك من ذلك اليوم الرهيب الذي لم يلبثوا إلا وقد استوصلوا فيه عن بكرتهم.

السهول:

عدد الورد: وردت كلمة السهول مرة واحدة، قال تعالى: ﴿تَتَّخِذُونَ مِنْ سَهُولِهَا قُصُورًا﴾ (الأعراف: 74).

المعنى اللغوي: السهل "تراب كالرمل يجيء بت الماء. وأرض سهلة: كثيرة السهلة، فإذا قلت سهلة فهي نقيض حزنة" (4).

(1) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، 4-377.

(2) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، 4-377.

(3) أبو عزيز؛ سعد يوسف، قصص القرآن الكريم، ط2، القاهرة، دار الفجر للتراث، 2010م، 63.

(4) ابن منظور، لسان العرب، 418: 11.

الفائدة الجمالية: فيها دلالة على قدرة الله - تعالى - فقد جعلها مستقراً للإنسان، يتخذ عليها قصوراً يسكنها، ولولا ذلك لصعب عيشه على ظهور الجبال، وفي القيعان، أو الوديان، أو البحار، فجاءت السهول ملاذ استقرار واطمئنان له.

البقعة:

عدد ورود: وردت كلمة "بقعة" في القرآن الكريم مرة واحدة ، قال تعالى: ﴿الواد الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة﴾ (القصص: 30).

المعنى اللغوي: " قال الخليل: البقعة قطعة من الأرض على غير هيئة... وجمعها بقاع وبقع... قال أبو حنيفة: البقعاء من الأرضين التي يصيب بعضها المطر، ولم يصب البعض. وكذلك مبقعة، يقال أرض مبقعة إذا كان فيها بقع من نبت. وقيل هي الجردة التي لا شيء فيها، والأول أصح... يقال: بقع في الأرض بقوعاً، إذا خفي فذهب أثره " (1).

الفائدة الجمالية: إنه المكان المحدد المفتوح، الذي يرتاده كل واحد، مكان مقدس؛ لأنه شهد واقعة التكليم، تكليم الله - تعالى - لنبيه موسى. فباركها، وقدسها، وجعل ذكرها احتفاء وفرحاً لنبي الله موسى - عليه السلام - وتسلياً له، وتخفيفاً عنه بعد مصائب حلت به، وتهيئة لنفسه لأمر جلل سيخوضه مع فرعون.

الحدائق

عدد ورود: وردت كلمة "حدائق" في القرآن الكريم جمعاً في مواضع ثلاثة، ولم تأت بصيغة الأفراد.

المعنى اللغوي: الحديقة " الحاء والذال والقاف أصل واحد، وهو الشيء يحيط بشيء... الأرض ذات الشجر " (2).

الفائدة الجمالية: إنها أماكن المتعة والجمال، والترويض والفرح والابتهاج، وشكل من أجمل أشكال الإنبات الذي سببه ماء السماء المأمور بالنزول، قال تعالى: ﴿فأنبتنا به حدائق ذات بهجة﴾ (النمل: 60) وقال تعالى: ﴿ثم شققنا الأرض شققاً فأنبتنا فيها حبا*وعنبا*وقضبا*وزيتونا ونخلاً* وحدائق غلباً﴾ (عبس: 30). نعمة وكرم من الله - تعالى - لعباده، وصورة من صور القدرة الإلهية، فإن الأرض قبل نزول المطر كانت قحلاً، وجفافاً وخراباً، فلما نزل الماء نبتت، واخضرت، وأينعت،

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 1: 283.

(2) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 2: 32.

فأصبح الخراب عماراً، والقحط نباتاً، والجفاف خضاراً. وهذان الموضعان في الدنيا. أما الحدائق التي ذكرت في الآخرة فذكرت في موضع واحد فحسب، قال تعالى: ﴿حَدَائِقُ وَأَعْنَابٌ﴾ (النبا: 32)، وعلى مساحة ما من مساحة ملك كل واحد من أهل الجنة، تبدأ العيون ترقب منظر الخضرة التي ذكرها الله - تعالى - دونما ذكر فعل الإنبات؛ لأنها تكون جاهزة مخلوقة مهياًة لصاحبها، وهذا دليل يؤكد وجود الجنات قبل دخول أصحابها عليها.

ثالثاً: الأبعاد والمسافات المكانية المتقابلة في القرآن الكريم

إن أبعاد المكان فيزيائياً تمثلت في العديد من المترادفات والمتقابلات، وذلك أعطى لها قيمة شمولية، ناسبت الملكية التي بينها الله - تعالى - له، ملكيته لكل شيء، وجاءت المتقابلات من المسافات؛ لتؤكد على علم الله - تعالى - بها رغم أنه لم يأت في القرآن الكريم بكلمة " مسافات " بينما جاء معناها في كلمة "الشقة" التي تعني " الموضع المشقوق كأنه سمي بالمصدر، وجمعه شقوق... والشقة والشقة: السفر البعيد، ويقال: شقة شاقة وربما قالوه بالكسر. الأزهرى: والشقة بُعد مسير إلى الأرض البعيدة. قال الله تعالى: ﴿ولكن بعدت عليهم الشقة﴾ (التوبة: 42)...(1). كما جاءت كلمة "ساحتهم" في القرآن، قال تعالى: ﴿فإذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين﴾ (الصافات: 177). وكثرت الجهات وتباعدت الآفاق، الآفاق التي وردت في القرآن الكريم مرة واحدة، قال تعالى: ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق﴾ (فصلت: 53). والآفاق: مفردتها " الأفق... يدل على تباعد ما بين أطراف الشيء واتساعه، وعلى بلوغ النهاية، من ذلك الآفاق: النواحي والأطراف، وآفاق البيت من بيوت الأعراب: نواحيه دون سمكه... ولذلك يقال أفق الرجل، إذا ذهب في الأرض... وأبو حنيفة يقول: للسماء آفاق وللأرض آفاق، فأما آفاق السماء فما انتهى إليه البصر منها مع وجه الأرض من جميع نواحيها، وهو الحد بين ما بطن من الفلك وبين ما ظهر من الأرض... وأما آفاق الأرض فأطرافها من حيث أحاطت بك " (2). إنها الآفاق الممتدة في كل جهة وناحية، في السماء وفي الأرض، عن اليمين والشمال، على مد البصر لا تجد مكاناً إلا ويشهد على قدرة الله - تعالى - وهذه جملة من المسافات، والمساحات، والأبعاد التي وردت في القرآن الكريم، مع دلالاتها، وجماليتها.

(1) ابن منظور، لسان العرب، 10: 217-220.

(2) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 1: 116 .

الاستعلاء والاستفال

العلو:

عدد الورد: وردت كلمة "أعلى" في القرآن الكريم بتسعة مواضع، ووردت "أعلون" مرتين في وصف المؤمنين، ووردت كلمة "علا" مرتين، ووردت كلمة "علو" في خمسة مواضع، ووردت بلفظ "عليا" بفتح العين ثلاث مرات، ووردت بلفظ "عليا" بضم العين، ووردت بلفظ "علي" مرة واحدة، ولفظ "عليين" مرة واحدة، وورد اسم الله تعالى "العلي" في تسعة مواضع، ووصفت السماوات بك "العلا" في موضع واحد.

المعنى اللغوي: " العين واللام والحرف المعتل ياء كان أو واو أو ألفاً، أصل واحد يدل على السمو والارتفاع، لا يشذ عنه شيء. ومن ذلك العلاء والعلو. ويقولون: تعالى النهار، أي ارتفع... قال الخليل: أصل هذا البناء العلو، فأما العلاء فالرفعة. وأما العلو فالعظمة والتجبر. يقولون: علا الملك في الأرض علواً كبيراً... قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ (القصص: 4). ويقولون: رجل عالي الكعب، أي شريف... ويقال لكل شيء يعلو: علا يعلو. فإن كان في الرفعة والشرف قيل على يعلو... قال الفراء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلِيَيْنِ﴾ (المطففين: 17) قالوا: إنما هو ارتفاع بعد ارتفاع إلى ما لا حد له (1).

الفائدة الجمالية: ارتفع نبي الله عيسى -عليه السلام- إلى العلياء، قال تعالى: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلَيْهَا﴾ (مريم: 57)، ووصف الله -تعالى- كلمته بالعليا، قال تعالى: ﴿وَكَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْعَلِيَّا﴾ (التوبة: 40)، كما وصف السنة أنبيائه بالصدق والعلو الذي بمعنى الترفع عن التفاتات، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ (مريم: 50). كما إن الله -تعالى- أعطى فرصة الاستعلاء المؤقت لبني إسرائيل، فقال سبحانه: ﴿وَلِيَتَّبِعُوا مَا عَلِمُوا تَتَّبِعُوا﴾ (الإسراء: 7)، وقال تعالى: ﴿وَلَتَعْلَنَ عَلَوًّا كَبِيرًا﴾ (الإسراء: 4). كما إن منازل المؤمنين المتمسكين بالكتاب جاءت رفيعة مستعلية، قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلِيَيْنِ﴾ (المطففين: 18)، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا عَلِيُونَ﴾ (المطففين: 19) ولفظ "عليين" يوحي بالعلو والارتفاع مما قد يؤخذ منه أن "سجين" يفيد الانحطاط والقلوب. ثم يعقب عليه بسؤال التجهيل والتهويل المعهود: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا عَلِيُونَ﴾ فهو أمر فوق العلم والإدراك (2).

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 4: 115-116.

(2) قطب، في ظلال القرآن، 6: 3858.

سفل:

عدد الورد: وردت كلمة "أسفل" في القرآن الكريم بستة مواضع، ووردت كلمة "سفل" في موضع واحد.

المعنى اللغوي: معنى السفل "السين والفاء واللام أصل واحد، وهو ما كان خلاف العلو. فالسفل سفل الدار وغيرها. والسفول: ضد العلو. والسفلة: الدون من الناس... والسفال: نقيض العلاء" (1). و"السفل والسفل والسفول والسفال والسفالة، بالضم: نقيض العلو والعلو والعلو... والسفلى: نقيض العليا... وفي التنزيل العزيز: ﴿والركب أسفل منكم﴾ (الأنفال: 44) نقيض العلو... وقوله عز وجل: ﴿ثم رددناه أسفل سافلين﴾ (التين: 5) قيل: معناه إلى الهرم، وقيل: إلى التلف، وقيل: رددناه إلى أرذل العمر" (2).

الفائدة الجمالية: الأسفلين في الآيات مكان أو مكانة معنوية، يهبط إليها المنتكس "حيث تصبح البهائم أرفع منه وأقوى، لاستقامتها على فطرتها، وإلهامها تسبيح ربها، وأداء وظيفتها في الأرض على هدى. بينما هو المخلوق في أحسن تقويم يجحد ربه، ويرتكس مع هواه إلى درك لا تملك البهيمة أن ترتكس إليه" (3).

الفوقية والدونية

فوق:

عدد الورد: وردت كلمة "فوق" في القرآن الكريم 41 مرة.

المعنى اللغوي: فوق "الفاء والواو والقاف أصلان صحيحان، يدل أحدهما على علو، والآخر على أوبة ورجوع. فالأول فوق، وهو العلو. يقال: فلان فاق أصحابه يفوقهم، إذا علاهم. وأمر فائق، أي: مرتفع عال... قال الله تعالى: ﴿مالها من فوق﴾ (ص: 15) أي: مالها من رجوع، ولا مثنوية، ولا ارتداد" (4). وهي "نقيض تحت... قال تعالى: ﴿يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها﴾ (البقرة: 26)، قال أبو عبيدة: فما دونها... وقوله تعالى: ﴿فخر عليهم السقف من فوقهم﴾ (النحل: 26) لا تكاد تظهر الفائدة في قوله من فوقهم؛ لأن عليهم قد تنوي عنها. قال ابن جني: قد يكون قوله من

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 3: 78.

(2) ابن منظور، لسان العرب، 11: 402 - 403.

(3) قطب، في ظلال القرآن، 6: 3933.

(4) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 4: 461.

فوقهم هنا مفيداً، وذلك أنه قد تستعمل في الأعمال الشاقة المستتقلة... وقوله تعالى: ﴿لأكلوا من فوقهم﴾ (المائدة: 66)، أراد تعالى: لأكلوا من قطر السماء... وفاق الشيء فوقاً وفوقاً: علاه " (1).

الفائدة الجمالية: جاءت الفوقية والعلو لدين الله - تعالى - وأتباعه على الأفكار العقيمة وأصحابها، قال تعالى: ﴿وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا﴾ (آل عمران: 55). كما إن الله - تعالى - أعلى من عباده وهو فوقهم، قال تعالى: ﴿وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير﴾ (الأنعام: 18)، كما أن الفوقية ضد السفلية جاءت دلالة على تفاوت العباد عند الله - تعالى - بين مراتب العلو والدنو، قال تعالى: ﴿وفوق كل ذي علم عليم﴾ (يوسف: 76). كما جاءت بمعنى التكثر والزيادة، قال تعالى: ﴿زدناهم عذاباً فوق العذاب﴾ (سبأ: 18) أي رددناهم إلى عذاب تلو عذاب، كما دلت على اعتلاء الظلمات طبقات فوق طبقات، قال تعالى: ﴿ظلمات بعضها فوق بعض﴾ (النور: 40). كما دلت على فوقية مراتب الجنة ودرجاتها، قال تعالى: ﴿ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات﴾ (الزخرف: 32)، كما دلت على مكان أهل النار هو الأسفل، لأن صب الحميم أتاها من الفوقية والعلو، قال تعالى: ﴿ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم﴾ (الدخان: 48)، وقال تعالى: ﴿هذان خصمان اختصموا في ربهم فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رؤوسهم الحميم﴾ (الحجر: 19)، وقال تعالى: ﴿لهم من فوقهم ظلل من النار﴾ (الزمر: 16). كما دلت على المعية، وقال تعالى: ﴿يد الله فوق أيديهم﴾ (الفتح: 10) " وهو تصوير رهيب جليل للبيعة بينهم وبين رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والواحد منهم يشعر وهو يضع يده في يده، أن يد الله فوق أيديهم. فالله حاضر البيعة والله صاحبها. والله أخذها. ويده فوق أيدي المتبايعين... وإن هذه الصورة لتستأصل من النفس خاطر النكث بهذه البيعة - مهما غاب شخص رسول الله - فالله حاضر لا يغيب. والله أخذ في هذه البيعة ومعط، وهو عليها رقيب " (2). وأنت بمعنى المجاوزة، قال تعالى: ﴿لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي﴾ (الحجرات: 2). إن الأدب، والوقار، والسكينة، والاحترام، والمروءة، والمحافظة على المشاعر، إنها جملة من التعاليم الأخلاقية، بل والعقائدية عندما تكون العلاقة بين الإنسان والرسول. كما جاءت الفوقية دلالة على القدرة الإلهية فقد جعل السماء فوق الأرض دونما أعمدة نراها، قال تعالى: ﴿أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم﴾ (ق: 6). ففيها من مصالح العباد ما فيها، وإذا ما تحقق التأمل المحايد الفطري، فستصل النفس مع العقل من خلال الآيات الماثورة التي نعلمها إلى حقيقة وجود

(1) ابن منظور، لسان العرب، 378: 10.

(2) قطب، في ظلال القرآن، 6: 3321.

الخالق - سبحانه - وجعل فوق الأرض جبلاً رواسي، قال تعالى: ﴿وجعل فيها رواسي من فوقها﴾ (فصلت: 10). وجعل خلق حشرة البعوضة ما هو أعظم خلقاً من غيرها، وفواقة عليهم، دلالة قدرة، ومثلاً لمن لا يعتبر، قال تعالى: ﴿يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها﴾ (البقرة: 26). ورفع الله - تعالى - بقدرته الجبل فوق رؤوس بني إسرائيل دلالة على قدرة منه عليهم، قال تعالى: ﴿وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة﴾ (الأعراف: 171)، كما خلق الطير تطير فوق الأرض، وتحت السماء، دلالة على قدرته - سبحانه - قال تعالى: ﴿أولم يروا إلى الطير فوقهم﴾ (الملك: 19). إن " هذه الخارقة التي تقع في كل لحظة، تنسينا بوقوعها المتكرر، ما تشي به من القدرة والعظمة. ولكن تأمل هذا الطير، وهو يصف جناحيه ويفردهما، ثم يقبضهما ويضمهما، وهو في الحالين: حالة الصف الغالبة، وحالة القبض العارضة يظل في الهواء، يسبح فيه سباحة في يسر وسهولة، ويأتي بحركات يخيل إلى الناظر - أحياناً - أنها حركات استعراضية لجمال التحليق والانقضاض والارتفاع! تأمل هذا المشهد، ومتابعة كل نوع من الطير في حركاته الخاصة بنوعه، لا يملئه النظر، ولا يملئه القلب. وهو متعة فوق ما هو مثار تفكير وتدبر في صنع الله البديع، الذي يتعاقب فيه الكمال والجمال " (1). وقد وصف الله - تعالى - نفسه بالأعلى، قال تعالى: ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ (الأعلى: 1) " وكون العالي فوقاً للسافل لا يلزم أن يكون السافل حاوياً للعالي، محيطاً به، حائلاً له، ولا أن يكون الأعلى مفتقراً إليه، فانظر إلى السماء كيف هي فوق الأرض، وليست مفتقرة إليها؟ فالرب - تعالى - أعظم شأنًا، وأجل أن يلزم من علوه ذلك، بل لوازم علوه من خصائصه، وهي حمله بقدرته للسافل، وفقر السافل، وغناه هو سبحانه عن السافل، وإحاطته - عز وجل - به، فهو فوق العرش مع حمله بقدرته للعرش وحملته، وغناه عن العرش، وفقر العرش إليه، وإحاطته بالعرش، وعدم إحاطة العرش به، وحصره للعرش، وعدم حصر العرش له، وهذه اللوازم منتفية عن المخلوق " (2). و" صرحت بالفوقية آيات عديدة وأحاديث صحيحة، قال تعالى: ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ (الأنعام: 18). والنصوص المتنوعة المحكمة على علو الله - تعالى - على خلقه وكونه فوق عباده تقرب من عشرين نوعاً، منهما: التصريح بالفوقية مقروناً بأداة من المعينة للفوقية بالذات، كقوله تعالى: ﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾ (النحل: 50)، وبدون الأداة، كقوله تعالى: ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ (الأنعام: 18)، وبالتصريح بالعروج إليه، قال تعالى: ﴿تعرج الملائكة والروح إليه﴾ (المعارج: 4)، والتصريح بالصعود إليه، قال

(1) قطب، في ظلال القرآن، 6: 3642.

(2) الطحاوي؛ أبو جعفر أحمد بن سلامة، أصول العقيدة الإسلامية؟ 114.

تعالى: ﴿إليه يصعد الكلم الطيب﴾ (فاطر: 10)، والتصريح برفع بعض المخلوقات إليه، قال تعالى: ﴿بل رفعه الله إليه﴾ (النساء: 158)، والتصريح بالعلو المطلق، الدال على جميع مراتب العلو، ذاتا وقدرا وشرفا، كقوله تعالى: ﴿وهو العلى العظيم﴾... (1). ويرى الباحث أن الفوقية عليها ما يربو عن المائة دليل، وقد استفتحت بتا معظم سور القرآن الكريم بلفظين " نزل الكتاب " و " أنزل إليك " ومشتاقات النزول، الذي يقتضى من فهمه تلقى الأمر من الفوقية إلى التحتية بمعنى الأمر من الله - تعالى - من فوق (السماء) إلى تحت (الأرض) بالرسالات والكتب والوحي.

دون:

عدد الورود: وردت كلمة " دون " في القرآن الكريم 43 مرة.

المعنى اللغوي: دون " نقيض فوق، وهو تقصير عن الغاية، ويكون ظرفاً. والدون: الحقير الخسيس... وأما قوله تعالى: ﴿وإنا منا الصالحون ومنا دون ذلك﴾ (الجن: 12)، فإنه أراد: ومنا قوم دون ذلك فحذف الموصوف " (2).

الفائدة الجمالية: أتت كلمة "دون" بمعنى سوى، قال تعالى: ﴿ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ (النساء: 116)، لانفتاح الشهية نحو تجديد الهمة، وإعادة الوثبات بالأمل نحو الإيمان، وغسل الروح من الملوثات، وترك الدونية، من الصغائر، ومن الكبائر، إنه الانفتاح نحو الخير، بكل ما فيه من أنواع، وما فيه من أشكال، وقال تعالى: ﴿وادعوا شهداءكم من دون الله﴾ (البقرة: 23)، إشعار بالعجز، والتقصير، والنقص، وخيبة الأمل، وسوء الرجاء، وقلة المنفعة أو استحالتها، وقال تعالى: ﴿وما لكم من دون الله من ولي﴾ (البقرة: 107)، وعلى ذلك جاءت كثير من الآيات النافية للأرباب وعبادتها، سوى عبادة الله - تعالى - حيث أتت كلمة "دون" بمعنى سوى فيها جميعا، والكلمة تبعث في النفس حقيقة الكينونة لله - تعالى - وتحسم فيها اعترافا بولايته على تدبير الشؤون للخلائق - جميعا - وتدرك وجود تلك الولاية في الخلق، وفي الرزق، وفي الحياة، وفي الموت، وفي البعث، وفي كل شيء.

(1) الطحاوي، أصول العقيدة الإسلامية، 116.

(2) ابن منظور، لسان العرب، 13: 198 - 199.

العروج والغور

عرج:

عدد الورد: وردت كلمة "تعرج" في القرآن مرة واحدة، وبلفظ "يعرج" 4 مرات، وبلفظ "معارج" مرتين.

المعنى اللغوي: العروج "الارتقاء". يقال عرج يعرج عروجاً ومعرجاً، والمعرج: المصعد. قال الله تعالى: ﴿تَعْرَجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ (المعارج: 3)...(1). و"عرج في الدرجة والسلم يعرج عروجاً، أي: ارتقى... وعرج الشيء، فهو عريج: ارتفع وعلا... وفي التنزيل: ﴿تَعْرَجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ أي تصعد... وفيه: ﴿مَنْ اللَّهُ ذِي الْمَعَارِجِ﴾، المعارج: المصاعد والدرج... وقيل: معارج الملائكة وهي مصاعدها التي تصعد فيها وتعرج فيها... والمعرج: المصعد. والمعرج: الطريق الذي تصعد فيه الملائكة. والمعراج: شبه سلم أو درجة تعرج عليه الأرواح إذا قبضت... والعرج: غيبوبة الشمس، ويقال: "انعراجها نحو المغرب"... والعرج: ثلاث ليال من أول الشهر (2). ويفهم مما سبق أن العروج هو الصعود، ويمكن أن يكون وقت بدايته من غيبوبة الشمس، وربما استمر العروج إلى السماء ثلاث ليال من أول الشهر.

الفائدة الجمالية: إنه طريق الملائكة والأنبياء وأرواح الموتى من المؤمنين، وأعمال الخلق التي تصعد إليه وهو بها عليم في كل أسبوع مرتين، في يومي الإثنين والخميس، كلها تعرج لربها، فيطوي الله -تعالى- لمن يشاء من عباده وخلقه المسافات، والعروج طريق طويل طوى الله -تعالى- فيه الزمن مع طوي المسافات والأماكن، وهذا ما حصل في معراج رسول الله.

غور:

عدد الورد: وردت كلمة "غورا" في القرآن الكريم بموضعين، ولفظ "غار" مرة واحدة، قال تعالى: ﴿أَوْ يَصْبِحَ مَاؤُهَا غُورًا فَلَنْ يَسْتَطِيعَ لَهُ تَلْبُاسٌ﴾ (الكهف: 41)، وقال تعالى: ﴿إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غُورًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾ (الملك: 30)، وقال تعالى: ﴿إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾.

المعنى اللغوي: غور "الغين والواو والراء أصلان صحيحان: أحدهما خفوض في الشيء، وانحطاط وتنظام، والأصل الآخر إقدام على أخذ مال قهراً أو حرباً. فالأول قولهم لقعر الشيء: غوره... قال

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 4: 304.

(2) ابن منظور، لسان العرب، 3: 372 - 373.

تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا﴾ (الملك: 30)... وغور الرجل: إذا نزل للقائلة، كأنه نزل مكاناً هابطاً " (1).

الفائدة الجمالية: إنه المكان المغلق، صالح للتخفي؛ لأنه داخل الأرض أو في بطون الجبال، مجهول يخافه الناس، مكان للوحدة والاختلاء مع النفس، درية لصاحبه على الشدائد الصبر، لما فيه من الوحشة، مكان الرهبة لما فيه من هوام وسباع، مع ذلك كان الولوج إليه، واحتمال ما فيه أمراً متقبلاً للنفس عند الهرب من أمور جلل، تستبعد العقول الولوج إليه، والدخول فيه، والمكث في قلبه، لكنه مع ذلك بمثابة المكان الآمن الذي لاذ إليه رسول الله وصاحبه؛ لأن معية الله - تعالى - كانت يقين من دخله - الرسول وصاحبه - وإيمانهما بالله - تعالى - خفف عنهما وطأته، فأصبح الصعب سهلاً. أما الماء " الغائر الذاهب في الأرض لا يقدر على. والمعين الفائض المتدفق. وهي لمسة قريبة في حياتهم، إن كانوا ما يزالون يستبعدون ذلك اليوم ويشكون فيه... فكيف لو توجهت إرادته إلى حرمانهم مصدر الحياة القريب " (2).

الصعود والنزول

صعد:

عدد الورود: وردت في القرآن الكريم بلفظ " صعدا " مرة واحدة، قال تعالى: ﴿لَنفْتَنَهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ (الجن: 17) ووردت بلفظ " صعودا " مرة واحدة، قال تعالى: ﴿سَأَرْهَقُهُ صَعُودًا﴾ (المدثر: 17). ووردت بلفظ " صعيدا " في أربعة مواضع منها، قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾ (الكهف: 40)، وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّ تَجَدَّوْا مَاءً فَتَيْمَمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ (المائدة: 6)، وقوله تعالى: ﴿فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حَسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَيَتَّصِحُ صَعِيدًا﴾ (الكهف: 40).

المعنى اللغوي: صعد " الصاد والعين والذال أصل صحيح يدل على ارتفاع ومشقة، من ذلك الصعود خلاف الحدور. ويقال: صعد يصعد. والإصعاد: مقابلة الحدور من مكان أرفع. والصعود: العقبة الكئود، والمشقة من الأمر. قال الله تعالى: ﴿سَأَرْهَقُهُ صَعُودًا﴾ (المدثر: 17)... وأما الصعدات فهي الطرق، الواحد صعيد... فأما الصعيد فقال قوم: وجه الأرض " (3).

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 4: 401.

(2) قطب، في ظلال القرآن، 6: 3648.

(3) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 3: 287.

الفائدة الجمالية: يأتي الصعود للحسنات والخيرات، قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ (فاطر: 10)، صعود علو، ومرتبة رفيعة، تغمر الإحساس والوجدان بالارتياح والحبور والرضا، وتدفع نحو مزيد من العطاء، وإكثار من الطاعات والصلوات، إنها الكلمة اللطيفة الحانية الرقيقة الأدبية تخرج من فيه الإنسان، فينتشر أثرها، ويصعد أجرها.

النزول:

عدد الورد: وردت كلمة نزل بمشتقاتها " نزل، أنزل، تنزيل، تنزل، ينزل " في القرآن " 228 مرة".
المعنى اللغوي: النزول، " المنزل، عن الزجاج، وبذلك فسر قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نَزْلًا﴾ (الكهف: 102)، وقال في قوله عز وجل: ﴿جَنَاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نَزِلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ (آل عمران: 198)، نزلا: مصدر مؤكد لقوله: خالدين فيها؛ لأن خلودهم فيها إنزالهم فيها (1).

الفائدة الجمالية: حملت دلالات الهبوط من أعلى لأسفل، من السماء إلى الأرض. فمن السماء نزلت الرسالات، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ﴾ (البقرة: 176) ومن السماء نزلت الملائكة ونزل الوحي، قال تعالى: ﴿وَنَزَلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا﴾ (الفرقان: 25)، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ﴾ (الأنعام: 111). قال تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ﴾ (النحل: 102)، ومن السماء ينزل الغيث الذي هو رحمة للمخلوقات، قال تعالى: ﴿أَن يَنْزِلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِّنْ رَّبِّكُمْ﴾ (البقرة: 105)، وقال تعالى: ﴿وَيَنْزِلُ الْغَيْثُ﴾ (لقمان: 34). أما الذي ينزل من السماء عذاباً ونقمة أتى بصيغة النزول، وبصيغة الإرسال والإمطار، قال تعالى: ﴿وَأَرْسَلْ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ (الفيل: 4)، وقال تعالى: ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَابًا مِّنْ طِينٍ﴾ (الذاريات: 33)، وقال تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ﴾ (النمل: 58)، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ﴾ (الصفوات: 177). كل ذلك يستقر في الأرض إلى أجل. كما أن الملائكة تنزل، والروح ينزل، والكتاب ينزل، والرحمة تنزل، والعذاب ينزل، والأمر ينزل، والنهي ينزل، والغيث ينزل، والمطر ينزل. إنه نزول بأمر قدير مقتدر.

السقف والقاع

سقف:

عدد الورد: وردت في القرآن الكريم في أربعة مواضع. موضعان للدلالة على سطح السماء المرتفع الدال على القدرة الإلهية، قال تعالى: ﴿وَالسَّقْفَ الْمَرْفُوعَ﴾ (الطور: 5)، وقال تعالى ﴿وَجَعَلْنَا

(1) ابن منظور، لسان العرب، 782: 11.

السماء سقفا محفوظاً ﴿(الأنبياء: 32)﴾. وموضعان للبيوت، قال تعالى: ﴿لبيوتهم سقفا من فضة﴾ (الزخرف: 23). وقال تعالى: ﴿فخر عليهم السقف من فوقهم﴾ (النحل: 26).

المعنى اللغوي: وسقف: "السين والقاف والفاء أصل يدل على ارتفاع في إطلال وانحاء. من ذلك السقف سقف البيت؛ لأنه عال مطل... والسماء سقف، قال الله تعالى: ﴿وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً﴾ ومن الباب الأسقف من الرجال وهو الطويل المنحني " (1). و "السقف: عماد البيت، والجمع سقف وسقوف، فأما من قرأ: ﴿جعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة﴾ فهو واحد يدل على الجمع، أي: جعلنا لبيت كل واحد منهم سقفاً من فضة... وفي التنزيل: ﴿وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً﴾. والسقيفة: كل بناء سقفت بت... والسقف: السماء " (2).

الفائدة الجمالية: مكان الحفظ والإحاطة للإنسان مما قد ينزل فيضر، ومكان التدبر والتأمل والإمعان بالفكر لسقف السماء المهول الواسع، الذي لا أعمدة ترى على اتساعها وعظم سقفها، مكان محفوظ ينبئك بالأمان، فإنه لن يسقط، إلا في الوقت الذي في علم الله -تعالى- مكان الزينة، السحب المتموجة التي تسحب بعضها أمام النواظر، الكواكب والنجوم المتلألئة، ومباعد الجمال عنه - السقف- لا تتفك ولا تنتهي. وهم سقف يهل على الإنسان بالبركة. ولكنه مع كل ذلك مكان للإندار والتخويف والزجر.

القاع:

عدد ورود: وقد ورد في القرآن الكريم لفظ " قاع " في موضع واحد، قال تعالى: ﴿فيذرها قاعاً صاففاً﴾ (طه: 106)، ولفظ " قبيعة " في موضع واحد، قال تعالى: ﴿والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة﴾ (النور: 39).

المعنى اللغوي: " القاع والقاعة والقيع: أرض واسعة سهلة مطمئنة مستوية حرة، لا حزونة فيها ولا ارتفاع ولا انهباط، تنفرج عنها الجبال والآكام، ولا حصى فيها ولا حجارة، ولا تثبت الشجر، وما حوالها أرفع منها، وهو مصب مياه... والجمع أقواع وأقوع وقيعان " (3).

الفائدة الجمالية: إنه المكان الذي ناسب وصفه أن يكون مشبهاً به للوهم الذي يعيشه الكافرون من أن أعمالهم ستكون منجية لهم إذا ما كان هناك يوم حساب. هو المكان الذي يرى من بعيد قد نبت

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 3: 87.

(2) ابن منظور، لسان العرب، 9: 186-187.

(3) ابن منظور، لسان العرب، 8: 361.

أو فاض ماء من شدة انبساط الأرض، لكن سرعان ما يصل فيتبدد ما رأى. مكان يشي بالحيرة، ويمنح رائيه والمتجه إليه خيبة أمل.

الخلف والأمام

عدد الورد: الخلف: وردت كلمة "خلف" في القرآن الكريم بمشتقاتها بأربعة وثلاثين موضعاً، ووردت بلفظ "خلاف" ست مرات، ولفظ "خلائف" أربع مرات، ولفظ "خلف" أربعاً وعشرين مرة، ولفظ "خلفاء" ثلاث مرات.

المعنى اللغوي: " الخلف ضد قدام... وقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ (الأنبياء: 28)، قال الزجاج: خلفهم ما قد وقع من أعمالهم، وما بين أيديهم من أمر القيامة، وجميع ما يكون. وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ (يس: 45)، ما بين أيديكم ما أسلفتم من ذنوبكم، وما خلفكم ما تستعملونه فيما تستقبلون ، وقيل: ما بين أيديكم ما نزل بالأمم قبلكم من العذاب، وما خلفكم عذاب القيامة... وجاء خلفه أي: بعده. وقرئ: ﴿وَإِذَا لَا يَلْبِثُونَ خَلْفَكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (الإسراء: 76) وخلافك... قال ابن الأثير: الخلف، بالتحريك والسكون، كل من يجيء بعد من مضى، إلا أنه بالتحريك في الخير، وبالتسكين في الشر... وخلف فلان مكان أبيه يخلف خلافة إذا كان في مكانه، ولم يصر في غيره... والخلف: النسل. والخَلْفُ والخَلْفُ: ما جاء من بعده... وقد يكون الخالف، المتخلف عن القوم في الغزو وغيره، كقوله تعالى: ﴿رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ﴾ (التوبة: 87) فعلى هذا الخَلْفُ: الذي يجيء بعد الأول بمنزلة القرن بعد القرن... وقيل الخلف هنا المتخلفون عن الأولين، أي: الباقون، وعليه قوله - عز وجل - ﴿خَلْفَ مَنْ بَعْدَهُمْ خَلْفٌ﴾ (مريم: 59)... وفي التنزيل العزيز: ﴿وَمَا أَرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ﴾ (هود: 88). الأصمعي: خلف فلان بعقبى، وذلك إذا ما فارقه على أمر، ثم جاء من ورائه، فجعل شيئاً آخر بعد فراقه " (1).

الفائدة الجمالية: هي جهة الورا، أو وقت المتعاقبين الذي مضى، دالة من الدوال الشاهدة على تتبع الله -تعالى- لخلقهم، ومعرفة بهم، جيلاً بعد جيل، ونسلاً بعد نسل. وتتبع أحوال المخلوق، ما كان منه وما يكون وما سيكون. وذكر الخلف عند المتلقين عبرة، فإذا ما ذكر عندهم المتعاقبين بأفعالهم، ومآثرهم، وما كان من عواقب مصائرهم، لم يكن أمامهم سوى الاعتبار منهم.

(1) ابن منظور، لسان العرب، 9: 100 - 110.

أمام:

عدد الورد: وردت في القرآن "مرة واحدة" بلفظ "أمام"، ووردت "7 مرات" بلفظ "إمام"، قال تعالى: ﴿بَلْ يَرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾ (القيامة: 5).

المعنى اللغوي: الأمام: "الإمام: الطريق، وقوله عز وجل: ﴿وَإِنهَما لِبِإِمامٍ مَبِينٍ﴾، أي: الطريق يؤم، أي: يقصد فيتميز... قال الفراء: وإنهما لبإمام مبین، يقول: في طريق لهم يمرون عليها في أسفارهم، فجعل الطريق إماماً؛ لأنه يؤم ويتبع. والإمام: بمعنى القدام، وفلان يؤم القوم يقدمهم" (1).
الفائدة الجمالية: قال تعالى: ﴿بَلْ يَرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾ (القيامة: 5). إن هذا الإنسان يريد أن يفجر، ويمضي قدما في الفجور، ولا يريد أن يصده شيء عن فجوره، ولا أن يكون هناك حساب عليه وعقاب. ومن ثم فهو يستبعد وقوع البعث، ويستبعد مجيء يوم القيامة" (2). إنه معنى شامل ومحيط لكل أنواع الفجور التي تتقدم أماما ومستقبلا في حياة الإنسان إكتنزتها كلمة "أمام" وهي تضيف على السياق الإصرار على التواصل في الفجور. أما كلمة "إمام" فجاءت في قوله تعالى: ﴿فَانتَقَمْنَا مِنْهَما وَإِنهَما لِبِإِمامٍ مَبِينٍ﴾ (الحجر: 79)، وقال تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي جاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِماماً﴾ (البقرة: 124)، وقال تعالى: ﴿وَاجعِلْنَا لِلْمَتَّقِينَ إِماماً﴾ (الفرقان: 74)، إنها أمانيتهم التي تلهفت نفوسهم لتحقيقها، وأمانيتهم تتمثل في بعدها النفسي بأن يكون لهم فيها حظوة الاقتياد، وأن يكونوا في القبالة، والصدارة، والإمامة؛ ليقفدى بهم؛ لأنهم بأمانيتهم تمنوا من الله -تعالى- أن يهيئهم لصلاحية هذا الاقتياد. قال ابن كثير - رحمه الله تعالى -: " فأحبوا أن تكون عبادتهم متصلة بعبادة أولادهم، وذرياتهم، وأن يكون هداهم متعديا إلى غيرهم بالنفع" (3) وهذا يدل على أن كلمة " إمام " خرجت من القبالة فقط؛ لأن صلاحية الاقتياد بهم تنسحب إلى كل جهة وقبلة يكون على متنها مؤمنون.

(1) ابن منظور، لسان العرب، 29: 12.

(2) قطب، في ظلال القرآن، 6: 3769.

(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 3: 310.

اليمين والشمال

اليمين:

عدد ورود: وردت كلمة "يمين" في القرآن الكريم "24 مرة".

المعنى اللغوي: اليمين: " اليمين: البركة... واليمين خلاف الشؤم... والأيمان: خلاف الأثائم... وقوله تعالى: ﴿أولئك أصحاب الميمنة﴾ أي: أصحاب اليمن على أنفسهم، أي: كانوا ميامين على أنفسهم غير مشائيم (1).

الفائدة الجمالية: تحمل كلمة "اليمين" معان متعددة، منها: معنى القوة، قال تعالى: ﴿فرغ عليهم ضربا باليمين﴾ (الصفوات: 93)، وقال تعالى: ﴿وما تلك بيمينك يا موسى﴾ (طه: 17)، وأنت مقترنة بجهة الشمال في تسعة مواضع، ويفيد ذكر الجهتين معا العموم والشمول، وذلك كقوله تعالى: ﴿عن اليمين والشمال سجداً لله﴾ (النحل: 48)، فإنهم في كل أحوالهم منشغلون بعبادة ربهم سبحانه، وقوله تعالى: ﴿ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال﴾ (الكهف: 18) فقد كان تقلبيهم شاملا لجهتي الأرض، وهي من المعجزات التي لم يكن لطب العرب آنذاك أن يقر بها؛ لجهله بتا، إنه تقلب أجسادهم يمينا وشمالا لألا تبلى فتأكلها الأرض لطول مكثها على حالتها، وقال تعالى: ﴿إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد﴾ (ق: 17)، وذلك لأن الله -تعالى- يعلم من عباده البشر أنهم يخطئون، لذلك جعل لهم عن جهة يمينهم ملكا للخير، وعن جهة شمالهم ملكا يسجل الشر. وقال تعالى: ﴿وأصحاب اليمين... أصحاب الشمال﴾ (الواقعة: 27-40)، قسمة الناس عند الله -تعالى- الناس ينقسمون إلى فئتين يوم القيامة فجاءت اليمن لتشمل أهل الخير، والشمال لتشمل أهل الشر، وبذلك شملت الآيات العباد من الأناسي - جميعا - كما اقترنت الكلمتان للدلالة على المفارقة بين نهجين وهدفين ومصيرين، قال تعالى: ﴿فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً﴾ (الانشقاق: 7)، وقال تعالى: ﴿وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم أوت كتابية﴾ (الحاقة: 24)، وجاء التضاد بين اليمين والشمال؛ ليحمل معنى السعة والانتشار، قال تعالى: ﴿جنتان عن يمين وشمال﴾ (سبأ: 15)، فقد انتشر الزرع في سعة من الأرض من جهتي الإنسان، بمعنى أنه حيث أدار قبلته فيمينه وشماله أشجار وزروع، أحاطت بهما الجنتان.

(1) ابن منظور، لسان العرب، 566: 13.

الشمال:

عدد ورود: وردت كلمة "شمال" في القرآن الكريم 8 مرات، وبلفظ الجمع "شمائل" مرتين. وبلفظ "المشأمة" مرتين.

المعنى اللغوي: "الشمال: نقيض اليمين، والجمع أشمل وشمائل وشُمَّل... وفي التنزيل العزيز: ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ﴾، وفيه: ﴿عَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾، قال الزجاج: أي لأغوينهم فيها نهوا عنه... وقيل: معنى وعن أيمانهم وعن شمائلهم أي لأضلنهم فيما يعملون " (1).

الفائدة الجمالية: إن كان اليمين قد حُبب لأهل الله، للمرسلين، والمؤمنين، والموحدين. فالشمال يناسب الشياطين، والكافرين، والمشركين، والعصاة؛ لأنهما فريقان متقابلان، متضادان، متعاكسان. قال تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ (الواقعة: 9). إنها الجهة التي تشعر النفس بالانحراف حينما المفاجآت التي لا تسر، وتغرس في النفس إحساس الحزن، والمأساة للحظ التعيس الذي ينبع بمجرد لفظه، مع صحبة هذه الكلمة لمعنى التشاؤم من كل ما يقع على طريق الشمال، وتوقع العقبات، والالتواءات، والعذابات، والكرب المتلاحقة، وكانت جهة يكنى لأهل النار الولوج منها. والله تعالى أعلم.

العرض والطول

العرض:

عدد ورود: وردت كلمة "عرض" في القرآن الكريم ثلاث مرات، قال تعالى: ﴿وَجَنَّةٌ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ (الحديد: 21) وقد وردت هذه الكلمة في المواضع الثلاثة مقرونة بالجنة. المعنى اللغوي: " العين والراء والضاد بناءً تكثر فروعها، وهي مع كثرتها ترجع إلى أصل واحد، وهو العرض الذي يخالف الطول... فالعرض خلاف الطول، تقول منه: عرض الشيء يعرض عرضاً، فهو عريض (2).

الفائدة الجمالية: جمالها في تلك الدلالة التي تحمل معنى السعة في المساحة التي تكون ملكاً لأهل الجنة، وللكلمة مشتقات كثيرة يمكن ذكر ما يشير إلى معنى المكان منها. والحديث عن ذلك العرض ليس مجازياً، فالعصر الحديث واكتشافاته دلت على حقيقته. " فأما اليوم ومراصد البشر الصغيرة تكشف عن الأبعاد الكونية الهائلة التي ليس لها حدود، فإن الحديث عن عرض الجنة،

(1) ابن منظور، لسان العرب، 11: 434-437.

(2) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 4: 169.

والحديث عن ترائي الغرف من بعيد، يقع قطعاً موقع الحقيقة القريبة البسيطة المشهودة، ولا يحتاج إلى حمله على المجاز إطلاقاً! فإن ما بين الأرض والشمس مثلاً لا يبلغ أن يكون شيئاً يقاس في أبعاد الكون! وذلك الملك العريض في الجنة يبلغه كل من أراد، ويسابق إليه كل من يشاء " (1).

طول:

عدد الورود: وردت بلفظ " طال " للدلالة على بعد الزمن، وذلك في ثلاثة مواضع، قال تعالى: ﴿أَفَطالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ﴾ (طه: 86)، وقال تعالى: ﴿حَتَّى طالَ عَلَيْهِمُ﴾ (الأنبياء: 44)، وقال تعالى: ﴿فَطالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ﴾ (الحديد: 16). ووردت بلفظ " طول " في موضوع واحد، ولفظ " طويلاً " في موضعين، ففي لفظ " طول " قال تعالى: ﴿ولن تبلى الجبال طويلاً﴾ (الإسراء: 37).

المعنى اللغوي: طال: " الطول: نقيض القصر في الناس وغيرهم من الحيوان والموت، ويقال للشيء الطويل: طال يطول طولاً، فهو طويل وطوال... وطال فلان فلاناً أي: فاقه في الطول " (2).

الفائدة الجمالية: إنه " تحذير من عاقبة التباطؤ والتفاسح عن الاستجابة، وبيان لما يغشى القلوب من الصداً حين يمتد بها الزمن بدون جلاء، وما تنتهي إليه من القسوة بعد اللين حين تغفل عن ذكر الله، وحين لا تخشى للحق " (3). وفي مواضع لها دلالة استعلاء وشهاقة، ونفي التأبيد، لأن الإنسان لا يصل موصل عظمتها، ولا يبلغ ما بلغ مداها، هو إشعار بمعاودة التواضع؛ لأنه عليها فطر، فماذا كان مذ ولد، وماذا سيكون عندما يموت، إشعار بالعجز، وعدم القدرة على بلوغ الكمال في الصفات؛ لأنه على النقص مجبول، إشعار بالضعف أمام الخالق الذي أنشأه ودبره، إشعار بالمساواة بينه وبين بني جنسه، فمن تراب خلق، ومن طعام وشراب يتزود، ومنها خلق الله لباسه ونعيمه، فلم التعالى. وقال تعالى: ﴿إن لك في النهار سبحاً طويلاً﴾ (المزمل)، وقال تعالى: ﴿فاسجد له وسبحه ليلاً طويلاً﴾، وجاءت كلمة " طويلاً " مصحوبة بزمن الليل والنهار على طولهما؛ للدلالة على استغراق الرسول بالتنسيب فيهما، والمقصود بالطول-هنا-المسافة الزمنية لا المكانية.

(1) قطب، في ظلال القرآن، 6: 3492.

(2) ابن منظور، لسان العرب، 491: 11.

(3) قطب، في ظلال القرآن، 6: 3489.

المخرج والمدخل

مخرج:

عدد ورود: وردت كلمة: "مخرج" في سبعة مواضع. خمسة منها اسم مفعول، واثنان اسم فاعل. المعنى اللغوي: " الخروج نقيض الدخول... الجوهري: قد يكون المخرج موضع الخروج... وقوله تعالى: ﴿ذلك يوم الخروج﴾ (ق: 42) أي: يوم يخرج الناس من الأجداث " (1). الفائدة الجمالية: الإخراج من مكان يدل على القدرة الإلهية، إخراج الحي من الميت، والميت من الحي، قال تعالى: ﴿ومخرج الميت من الحي﴾ (الأنعام: 95)، وقال تعالى: ﴿وأخرجني مخرج صدق﴾ (الإسراء: 80)، وجاءت للدلالة على الإخراج الحسي، قال تعالى: ﴿وما هم منها بمخرجين﴾ (الحجر: 48)، وهم يحاولون إخراج أنفسهم وأجسادهم من النار فلا يستطيعون. كما توعد قوم لوط - عليه السلام - بإخراجه من قريتهم إخراجاً حسياً ومعنوياً. أي بجسده ودعوته، قال تعالى: ﴿يا لوط لتكونن من المخرجين﴾ (الشعراء: 168). إنها حالة من الذهول والشروء تكتنف المهجر من بين ذكرياته، وأحلامه وتصوراته، ومن بين أهله وأحبابه، ومن خلف مصالحه ومنافعه. وقال تعالى: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجاً﴾ (الطلاق: 20)، إنه مخرج " من الضيق في الدنيا والآخرة، ورزق من حيث لا يقدر ولا ينتظر. وهو تقرير عام، وحقيقة دائمة، ولكن إصاقها هنا بأحكام الطلاق يوحي بدقة انطباقها وتحققها عندما يتقي المتقون الله -تعالى- في هذا الشأن بصفة خاصة. وهو الشأن الذي لا ضابط فيه أحس ولا أدق من ضابط الشعور والضمير، فالتلاعب فيه مجاله واسع، لا يقف دونه إلا تقوى الله - تعالى - وحساسية الضمير " (2).

مدخل:

عدد ورود: وردت كلمة " مدخل " في القرآن بأربعة مواضع. المعنى اللغوي: " الدخول: نقيض الخروج... والمدخل بالفتح: الدخول وموضع الدخول أيضاً، تقول: دخلت مدخلاً حسناً، ودخلت مدخل صدق " (3). الفائدة الجمالية: ثلاثة من المواضع في حق المؤمنين عند دخول الجنة أو الدعاء لنيلها، قال تعالى: ﴿رب أدخلني مدخل صدق﴾ (الإسراء: 80)، وقال تعالى: ﴿وإدخلكم مدخلا كريماً﴾ (النساء: 31)،

(1) ابن منظور، لسان العرب، 2: 285 - 286.

(2) قطب، في ظلال القرآن، 6: 3601.

(3) ابن منظور، لسان العرب، 11: 287 - 288.

وقال تعالى: ﴿لِيَدْخُلْنَهُمْ مَدْخَلًا يُرِضُونَهُ﴾ (الحج: 59). الشعور شعور ارتياح، والإحساس إحساس بالاستقرار، ابتسامات عند تسابق الخطى، والأمل يحدو النفوس، تلويح بالفرح، ببشاشة على المحيا، هذا ما يقع من الداخلين في مساربها. إنها مداخل الرضا، والكرم، وصدق الوعد.

الشرق والغرب

الشرق:

عدد ورود: وردت في القرآن الكريم بلفظ "شرق" في موضعين، ووردت بلفظ "مشرق" في ثلاثة مواضع ووردت مفردة بلفظ "مشرق" في ستة مواضع، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ (البقرة: 115)، وقال تعالى: ﴿قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ (البقرة: 142). ووردت بلفظ الجمع "مشرقين" في موضعين، وقال تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾ (البقرة: 258)، ولما جاءت مفردة كانت مقرونة بالمغرب في كل المواضع. ووردت بلفظ المثني "مشرقين" في موضعين، قال تعالى: ﴿رَبِّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبِّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ (الرحمن: 17)،

المعنى اللغوي: المشرق: " الشمس تشرق شروقا وشرقا: طلعت، واسم الموضع المشرق " (1). و"الشرين والراء والقاف أصل واحد يدل على إضاءة وفتح، من ذلك شرقت الشمس، إذا طلعت. وأشرقت، إذا أضاءت. والشروق طلوعها. ويقولون: لا أفعل ذلك ما ذر شارق، أي طلع، يراد بذلك طلوع الشمس، وأيام التشريق سميت بذلك؛ لأن لحوم الأضاحي تشرق فيها الشمس... والمشرقان: مشرقا الصيف والشتاء " (2).

الفائدة الجمالية: الشرق المكان البعيد، قال تعالى: ﴿إِذْ انْتَبَذْتَ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ (مريم: 16)، والشرق مكان بيد القدرة الإلهية، لا القوى الأخرى، قال تعالى: ﴿زَيْتُونَةٌ لَّا شَرْقِيَّةٌ وَلَا غَرْبِيَّةٌ﴾ (النور: 35). " أي: الحكم والتصرف والأمر كله لله... الشأن كله في امتثال أوامر الله، فحيثما وجهنا توجهنا، فالطاعة في امتثال أمره ولو وجهنا في كل يوم مرات إلى جهات متعددة، فنحن عبيده وفي تصرفه، وخدامه حيثما وجهنا توجهنا " (3)، قال تعالى: ﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبِّ الْمَشَارِقِ﴾ (الصفات: 5)، وقال تعالى: ﴿فَلَا أَقْسَمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ﴾ (المعارج: 0). و" هذه الإشارة التي تملأ القلب بفيض غامر من الشعور بوجود الله، وحيثما توجه، وحيثما تلفت،

(1) ابن منظور، لسان العرب، 208: 10.

(2) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 3: 264.

(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 1: 166.

وحيثما امتد به النظر حوله في الآفاق.. فحيث الشروق وحيث الغروب هناك الله - تعالى- ربوبيته، ومشيئته، وسلطانه، ونوره، وتوجيهه، وهدايته... ضلال الاتجاه إلى المشرق والمغرب، والشعور بالله هناك. والإحساس بيده تحرك الكواكب والأفلاك، ورؤية نوره وربوبيته في الآفاق هنا وهناك " (1).

الغرب:

عدد الورد: وردت كلمة "غرب" في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع بلفظ "غرب" ووردت بلفظ "مغرب" في سبعة مواضع، ووردت بلفظ المثني "المغربين" في موضع واحد، وغلب على كل المواضع لفظا المغرب والمشرق، دلالة شمول الملكية من الله تعالى.

المعنى اللغوي: الغرب، عكس الشرق.

الفائدة الجمالية: يمكن الرجوع لفائدة لفظة الشرق.

البعد والقرب وعند

بعد:

عدد الورد: وردت في القرآن "128 مرة" بمعنى خلاف القرب و "بعيد" وردت 25 مرة بمعنى البعد التألمي.

المعنى اللغوي: " البعد: خلاف القرب... قيل: أراد بعد متأمل. وقوله عز وجل في سورة السجدة: ﴿أولئك ينادون من مكان بعيد﴾، قال ابن عباس: فسألوا الرد حين لا رد؛ وقيل: من مكان بعيد، من الآخرة إلى الدنيا، وقال مجاهد: أراد من مكان بعيد من قلوبهم يبعد عنها ما يتلى عليهم؛ لأنهم إذا لم يعوا فهم بمنزلة من كان في غاية البعد... قال الفراء: العرب إذا قالت دارك منا بعيد أو قريب، أو قالوا فلانة منا قريب أو بعيد، ذكروا القريب والبعيد، لأن المعنى: هي في مكان قريب أو بعيد، فجعل القريب والبعيد خلفاً من المكان، قال الله عز وجل: ﴿وما هي من الظالمين ببعيد﴾، وقال: ﴿وما يدريك لعل الساعة تكون قريباً﴾ (الأحزاب: 63)، وقال تعالى: ﴿إن رحمت الله قريب من المحسنين﴾... والبعد: الهلاك، قال تعالى: ﴿ألا بعداً لمدين كما بعدت ثمود﴾، وربما قالوا: هي بعيد منك " أي: مكانها، وفي التنزيل: ﴿وما هي من الظالمين ببعيد﴾ (هود: 83) وأما بعيدة العهد، فبالهاء " (2).

(1) قطب، في ضلال القرآن، 6: 3452.

(2) ابن منظور، لسان العرب، 3: 108 - 111.

الفائدة الجمالية: قال تعالى: ﴿وَالأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾، وقال تعالى: ﴿بِالذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أُنْدَادًا... ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ﴾ (فصلت: 9-11)، رأى بعضهم تعارضاً بين الآيتين؛ لأنه معلوم بالدليل أن الأرض خلقت قبل السماء، فجاءت الآية الأولى كأنما تعارض الثانية في نظر المرید. والجواب يأتي بت صاحب اللسان، فيقول: " والجواب فيما سأل عنه السائل أن الدحو غير الخلق، وإنما هو البسط، والخلق هو الإنشاء الأول، فالله - عز وجل - خلق الأرض أولاً غير مدحوة، ثم خلق السماء، ثم دحا الأرض، أي بسطها، والآيات فيها متفقة، ولا تناقض بحمد الله فيها، عند من يفهما، وإنما أتى الملحد الطاعن فيما شاكلها من الآيات من جهة غباوته، وغلظ فهمه، وقلة علمه بكلام العرب " (1)، وقال تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ مَنْكُم فإِنِّي أَعَذِبُ أَعْذَابًا لَا أَعَذِبُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ (المائدة: 115)، وقوع الرهبة في القلوب، والرعدة في الأجساد، بذلك الوعيد، والتهديد الذي لا يستقر في القلب إلا خوفه وأرعبه وزلزه، مدعاة الاستسلام والتراجع عن الإنكار الذي جاء بت المشركون من الفرية والدجل والكذب.

القرب:

عدد الورد: وردت كلمة "قريب" في القرآن الكريم 26 مرة، ووردت بلفظ "قرب" بتشديد الراء " مرتين " ولفظ "قرب" بتسكين الراء مرة واحدة، ولفظ "قربات" مرة واحدة، ولفظ "قربان" 3 مرات، ولفظ "قربى" 16 مرة.

المعنى اللغوي: القرب " نقيض البعد. قرب الشيء، بالضم، قربا وقربانا قربانا، أي: دنا، فهو قريب... قريب مني: يريد قرب المكان " (2).

الفائدة الجمالية: قال تعالى: ﴿وَمَا يَدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ (الشورى: 17)، " أي: شيء يجعلك داريا بها، عالما بوقتها لعلها شيء قريب، أو قريب مجيئها، أو ذات قرب " (3)، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ (البقرة: 186). إنه قرب العظمة، وقرب السلطان، وقرب الرحمة، وقرب المغفرة، وقرب القوة، وقرب المعية، وقرب العون، وقرب التدبير، وقرب الرزق، من الله -تعالى- وقرب الدعوة التي لا ترد. قال تعالى: ﴿إِذْ قَرَّبْنَا قَبْلَ أَنْ يَكُونَ مِنْ أَحَدِهِمَا﴾ (المائدة: 27)، هو الاختبار القريب الذي ليس لله فيه حاجة، لكن علمه من الله قريب فهو بت محيط وعليم. عليم

(1) ابن منظور، لسان العرب، 3: 113.

(2) ابن منظور، لسان العرب، 1: 778.

(3) الشوكاني، فتح القدير، 4: 664.

بما يقدم الخلق له، وقريب العطية لهم، بمنه وكرمه، إما بالمنع، أو بالعطاء، فكلاهما منه قريب. قال تعالى: ﴿وناديناها من جانب الطور الأيمن وقربناه نجياً﴾ (مريم: 52)، يا لها من قرى، قرى المناجاة بين الحبيب وحبيبه، يحكمه، يعلمه، يخبره، يطمئنه، يبصره، ويريه ما لا يرى العباد، ويزوده بما يعينه من الثقة به، واليقين الذي عنده، والحق الذي بين يديه. عند:

عدد ورود: وردت كلمة "عند" في القرآن الكريم "191 مرة" منها 141 مرة مضافة إلى اسم الله- تعالى- وخمسون مرة مضافة إلى أماكن مقدسة، وبعض الأماكن الأخرى.

المعنى اللغوي: عند: ف " العين والنون والبدال أصل صحيح يدل على مجاوزة وترك طريق الاستقامة. قال الخليل: عند الرجل... إذا طغى وجاوز قدره... فأما قولهم: زيدٌ عند عمرو، فليس ببعيد أن يكون هذا القياس كأنه قد مال عن الناس كلهم إليه حتى قرب منه ولزق به " (1). وعند بمعنى " حضور الشيء ودنوه، وفيها ثلاث لغات: عند وعَدَّ وعُنْد، وهي ظرف في المكان والزمان، تقول: عند الليل وعند الحائط إلا أنها ظرف غير متمكن، لا تقول: عندك واسع، بالرفع، وقد أدخلوا عليه من حروف الجر من وحدها كما أدخلوها على لَدُنْ. قال تعالى: ﴿رحمة من عندنا﴾ (الكهف: 65). وقال تعالى: ﴿من لدنا﴾ (الكهف: 65). ولا يقال: مضيت إلى عندك ولا إلى لدنك " (2).

الفائدة الجمالية: حظيت هذه الكلمة بشرف الاقتران باسم الله- تعالى- في مواضع كثيرة، عند ذكر كل ما هو خير. إن كلمة "عند" غير مأثورة في كلام دون كلام، فيمكن القول، أتيت من عند الصلاة، أو من عند المهى. وعند في قوله تعالى: ﴿رحمة من عندنا﴾ (الكهف: 65) تدل على القرب. إنها رحمة الله- تعالى- قريب من المحسنين الطائعين، وكأن الرحمة على الإنسان وهبت من الله- سبحانه- وإن من التبعية، أعطتها جزءاً من تلك الرحمة المطلقة. إنها الرحمة من كل ما يسوء النفس. وعندما يسمع السامع ذلك يداخله من الراحة ودعة النفس شيء لا وصف له. فيا لله ما أجمل كلامه، وما أعلى نظامه! قال تعالى: ﴿فلهم عند ربهم جنات﴾ (البقرة: 62)، وقال تعالى: ﴿ذلكم خير لكم عند بارئكم﴾ (البقرة: 54)، وقال تعالى: ﴿لهم درجات عند ربهم﴾ (الأنفال: 4)، وقال تعالى: ﴿إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون﴾ (الأنفال: 22)، وقال تعالى: ﴿فإنما حسابه عند ربه﴾ (المؤمنون: 117). الإيحاء بالقرب، بالمجاورة، بالدنو. إنه قرب الله- تعالى- من عبده، برحمته، وبمغفرته، ورضوانه، ونعيمه، وخيريته، وكرمه، ورزقه، وتدبيره... قرب وحضور

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 4: 153، 154.

(2) ابن منظور، لسان العرب، 3: 380.

لعقابه، وعذابه، وغضبه، ونقمته. وكثرة ورود لفظة "عند" مقرونة باسم الله - تعالى - إنما تكون مدعاة تفاؤل وفرح حيناً، أو تخويف وترهيب ووجل حيناً آخر.

الفج والضيق

فج:

عدد الورد: وردت في القرآن بلفظ المفرد مرة واحدة، قال تعالى: ﴿وعلى كل ضامر يوتين من كل فج عميق﴾ (الحج: 27)، ووردت بلفظ الجمع مرتين، قال تعالى: ﴿وجعلنا فيها فجاجاً سبلاً لعلمهم يهتدون﴾ (الأنبياء: 31)، وقال تعالى: ﴿لتسلكوا منها سبلاً فجاجاً﴾ (نوح: 20).

المعنى اللغوي: " الفج: الطريق الواسع " (1). و " الفج: الطريق الواسع بين جبلين... وقوله تعالى: ﴿من كل فج عميق﴾، قال أبو الهيثم: الفج الطريق الواسع إلى الجبل. وكل طريق بعد فهو فج" (2).

الفائدة الجمالية: سهل عبور الجبال والولوج من بينها لأجل الله -تعالى- إن هذا لعذب ما في ضمائرهم. أما قلوبهم فتحدوا شوقاً وطرباً للوصول إلى ما يسعد النفس، ويطيب القلب، ويبهج الضمير، وجاء هذا التناسب بين العمق الدال على أمل مستقبلي قد تحقق بعد رسول الله، أسمع من في المشارق والمغرب هذا الدين، إنه نداء الحج المفروض، فأمن الناس. إنه دين نبي الله -تعالى- إبراهيم، ودل قبول الناس به رغم بعد الأكثرين مكاناً عنه فأقبلوا عليه، وأحبوه، لذلك قدم إليه الناس رغم مشاق الطريق مهللين محبين.

الضيق:

عدد الورد: وردت في القرآن الكريم بأربعة مواضع، قال تعالى: ﴿ولا تك في ضيق مما يمكرون﴾ (النحل: 127).

المعنى اللغوي: الضيق " نقيض السعة " (3).

الفائدة الجمالية: مجال التسرية والتخفيف، والنهي من رب العالمين، ذلك النهي الذي يؤذن بالرضا والارتياح رغم مرارات العذابات، ومشاق العبء، ومساوئ الطريق، وعقبات السبيل. إنه النهي من رب العالمين، عن ضجر النفس، والاكتراث من مكرهم، لأن إحاطة الله -تعالى- بهم، تكفل له

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 4: 437.

(2) ابن منظور، لسان العرب، 2: 394-395.

(3) ابن منظور، لسان العرب، 250: 10.

الأمن والأمان، وتشعره بالسكينة والطمأنينة. قال تعالى: ﴿ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء﴾ (الأعام: 125)، تلك الصورة المقابلة، عذابات الضمير، ووخزات الألم النفسي، وعدم الراحة، وفقدان الاستقرار، فتضييق الأرض على رحابتها عليه، ويرى العالم من حوله ضئيلاً صغيراً، على فضائه الواسع، وقال تعالى: ﴿وإذا ألقوا منها مكاناً ضيقاً مقرنين﴾ (الفرقان: 13)، مكان الزوايا، والانغلاق، والظلمة، والبؤس، والشقاء، الوحدة والانفراد، الإلقاء دون عبء ولا اكتراث، مكان الحسرة التي يسترجع بتا كل ما اقترفت يدها.

رابعاً: المترادفات المكانية

البيت والدار والمسكن والحجر

البيت:

عدد ورود: وردت كلمة "بيوت" 30 مرة، ووردت "بيت" 37 مرة "، و"بياتا" وردت ثلاث مرات. و"بيبتون" وردت مرة واحدة.

المعنى اللغوي: معنى البيت: " المأوى والمآب ومجمع الشمل. يقال بيت وبيوت وأبيات " (1). قال

أبو عبيدة: " بيت الشيء إذا قدر " (2). و" البيات والتبييت: أن يأتي العدو ليلاً " (3).

الفائدة الجمالية: البيت هو مملكة الإنسان الذي يمارس فيه حياته، ووجوده، ويشعر فيه بذاته، يساعده على بناء العلائق والجسور مع من يعيشون معه فيه وحوله. والبيت هو الذكريات، والحاضر، والمستقبل الذي لا يمكن التفريط فيه إلا بشق الأنفس. هو ذلك المكان الذي يختاره الإنسان مقر له، لا يمثل بالنسبة إليه الجدران أو الأثاث والأمتعة، إنما يحتفظ فيه بكثير من الخصوصيات، وكثير من القيم الوجدانية، ولكنه في القرآن جاء ليمثل مكان الأمن والسلام الذي أمر ببنائه، بأيدي أظهر الناس، وأشرفهم. قال تعالى: ﴿وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل﴾ (البقرة: 127)، قال تعالى: ﴿وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمناً﴾ (البقرة: 125)، وهو أول بيت كان جامعاً يفتد إليه الناس للتبرك والعبادة، قال تعالى: ﴿إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مبارك﴾ (آل عمران: 96). لينتقل من هذا البيت الذي قام بأمر الله - تعالى - بأيدي طاهرة إلى الفريق الآخر الذي غير وبدل وحرف، قال تعالى: ﴿وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 1: 324 .

(2) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 1: 325 .

(3) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 1: 325 .

وتصدية ﴿الأنفال: 35﴾. والصورة الثانية للبيت هي صورة البيت الذي يقابل البيت الحرام في الأرض، إنه البيت المعمور في السماء الذي تطوف الملائكة فيه كل يوم عبادة لله وإجلالا له - سبحانه وتعالى - قال تعالى: ﴿والطور وكتاب مسطور في رق منشور والبيت المعمور﴾ (الطور: 4). أما بيت النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - فإنه يجسد حالة التهجير والإبعاد، فقد ترحل منه هربا بدينه من بطش الكافرين، قال تعالى: ﴿كما أخرجك ربك من بيتك بالحق﴾ (الأنفال: 5). والبيت في قصة موسى - عليه السلام - فكان بمثابة العودة الآمنة، قال تعالى: ﴿هل أدلكم على بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون﴾ (القصص: 12)، وتحقيقا للوعد الإلهي بإعادة موسى - عليه السلام - لأمه. كما أن البيت مثل صورته الحقيقية، المحضن والمأوى، الحنان والعطف والود، التفاعل في المجتمع الصغير نفسيا ووجدانيا واجتماعيا وتربويا. مكان للصقل تحت عين الولي الرحيم. كما يمثل الانطلاقة نحو الحق والخير، والانعقاد من الشرك إلى الله - تعالى - حبا فيه ورغبة فيما عنده، قال تعالى: ﴿ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله﴾ (النساء: 100)، هو رحيل عنه إلى الفضاء الأرحب، حيث الأبدية هناك، فمن البيت العظيم، إلى البيت الذي يليه مكانة، إنه مكان المرتع الأخروي. ولأن البيت هو المكان المغلق، تهيأت فيه الظروف لإبداء الغريزة والشهوة، قال تعالى: ﴿وراودته التي هو في بيتها عن نفسه﴾ (يوسف: 23). كما أن بيت النبي نوح - عليه السلام - كان مأوى آمنة، وملاذا مما قد يلحق بالغير من العذاب الأليم، قال تعالى: ﴿رب اغفر لي ولوالدي وللمن دخل بيتي مؤمنا﴾ (نوح: 28). وللبيت في القرآن قدسية لما فيه من خصوصية، لذ أمر بحفظ حرمة، وعدم التعرض له بالفضح، والاعتداء، قال تعالى: ﴿وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها﴾ (البقرة: 189)، مشيرا إلى تلك الخصوصية، قال تعالى: ﴿وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم﴾ (آل عمران: 49). وهناك صورة أخرى للبيت، إنها صورة الشرك الذي هو أوهن من بيت العنكبوت برهانا ودليلا، قال تعالى: ﴿إن أوهن البيوت لبيوت العنكبوت لو كانوا يعلمون﴾ (العنكبوت: 41). ومن لطائف هذه الكلمة في القرآن أنها لما جاءت جمعا وإفرادا فقد استخدمت فقط في بيوت الدنيا، وذلك ربما للدلالة على أن بيوت الدنيا مفردة وجمعا، لا يتفرد بملكيتها أهلها، ولا يحيون فيها حياة المالك لملكه خلودا وأبدا، ويعيشون حول بعضهم جماعات يختلط بعضهم ببعض على غير مشيئة من بعضهم للعيش مع بعض آخر. ولو أعطي الإنسان الملكية في الدنيا؛ لاقتضى ذلك أن يعطى أبدية الحياة، وهذا هو معنى قوله تعالى: ﴿ولله ملك السماوات والأرض﴾ (الزخرف: 85). أما مجيئها مفردة فقط دلت على التفرد بالملكية،

والتنعم بالملك دون اختلاط مع الغير إلا بمشيئة، مع وجود الأبدية التي تقتضي أن يكون البيت ملكا لصاحبه؛ لأنه لا يتحول عنه.

الدار:

عدد ورود: وردت كلمة "دار" في القرآن الكريم 30 مرة.

المعنى اللغوي: " الدائرة والدارة، كلاهما: ما أحاط بالشيء... والدارة: كل أرض واسعة بين جبال، وجمعها دور ودارات... وقوله عز وجل: ﴿وَيَتْرِبِصُ بِكُمُ الدَّوَابُّ﴾ (التوبة: 98)، قيل: الموت أو القتل... والدار: المحل يجمع البناء والعروة، أنثى، قال ابن جنى: هي من دار يدور لكثرة حركات الناس فيها، والجمع أدور وأدور في أدنى العدد... ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾، سمي موضع القبور داراً تشبيهاً بدار الأحياء لاجتماع الموتى فيها... الدار: اسم جامع للعروة والبناء والمحلة. وكل موضع حل بت قوم، فهو دارهم. والدنيا دار الفناء، والآخرة دار القرار ودار السلام... قال تعالى: ﴿وَلَنِعْمَ دَارَ الْمُتَّقِينَ﴾ (النحل: 30) فذكر على معنى المثوى والموضع... والدار اسم لمدينة سيدنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وفي التنزيل العزيز: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ﴾ (الحشر: 9)...(1).

الفائدة الجمالية: ما أعظمه من قرآن، جاء بلفظ الدار لا الوطن ولا البيت مع صورة التهديد والوعيد بالعذاب؛ لتناسب دوران الدائرة عليهم، فإن أحوالهم سوف تتبدل وتتغير وتدور حيث دار، فسيحل العذاب بدل النعيم، والصراخ بدل الهدوء، والغم والهم بدل السعادة والهناء. وجاء بلفظ الدار في الآخرة، لأن أهل الجنة يدورون في جناتهم من نعيم إلى نعيم. من القصور، للخيام، للأنهار، للبساتين والجنات، للحوض، للأسواق، للزيارات، ولرؤية ملك الأرض والسموات. فهم من نعيم إلى نعيم. والدار في الحياة الدنيا، جاءت بمعنى الوطن؛ للإشارة على انتظار تحقق الوعيد، قال تعالى: ﴿تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾ (هود: 65)، وقال تعالى: ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ (الأعراف: 91)، وجاءت بمعنى البيت، على اعتباره آية من آيات العذاب. ومشهد من مشاهد التدبر، عندما خسفها الله، قال تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ﴾ (القصص: 81).

(1) ابن منظور، لسان العرب، 4: 342 - 345.

المسكن:

عدد الورد: ووردت كلمة "مساكن" جمعاً في القرآن الكريم بأحد عشر موضعاً، وقد جاءت مساكن الظالمين الذين عذبوا فيها، ودمرت عليهم، ونسفت فوق رؤوسهم في سبعة مواضع، أما المساكن الطيبة فجاءت في ثلاثة مواضع، وموضع واحد جاء للنمل عندما اختبأ من سليمان -عليه السلام- وجنوده. وجاءت كلمة "مسكن" مفردة في موضع واحد، قال تعالى: ﴿لقد كان لسبأ في مسكنهم آية﴾ (سبأ: 15).

المعنى اللغوي: السكون " ضد الحركة. سكن الشيء يسكن سكوناً إذا ذهب حركته... وقوله تعالى: ﴿وله ما سكن في الليل والنهار﴾ (الأنعام: 13)، قال ابن الأعرابي: معناه، وله ما حل في الليل والنهار. قال الزجاج: هذا احتجاج على المشركين؛ لأنهم لم ينكروا أن ما استقر في الليل والنهار لله. أي هو خالقه ومدبره، فالذي هو كذلك قادر على إحياء الموتى... والسكن والمسكن والمسكن بكسر الكاف: المنزل والبيت " (1).

الحجر:

عدد الورد: وردت كلمة "الحجر" في القرآن بموضعين، مضافة إلى أصحابها وأهلها. المعنى اللغوي: هي " منازل ثمود ناحية الشام عند وادي القرى " (2).

الفائدة الجمالية: قال تعالى: ﴿كذب أصحاب الحجر المرسلين﴾ (الحجر: 80). إنه المكان الذي شهد على أفعال أصحابه، والتصق اسمهم باسمه. مكان يمتد عبر الزمن من لدن الماضين ليؤكد أن حضارة ما، بشخص ما، بأحداث ما، كانت على ساحته. إنه مكان امتزاج الماضي بالحاضر من الصور المؤلمة، التي تشي بعذاب قد لحق أهله، ودمار قد عمهم وطمهم.

السفينة والفلك

السفينة

عدد الورد: وردت كلمة "سفينة" في القرآن الكريم مفردة، وذلك في أربعة مواضع ولم ترد جمعاً. جاءت مواضع ثلاثة منها في قصة موسى -عليه السلام- مع الخضر " الرجل الصالح " والموضع الرابع في قصة نوح -عليه السلام- قال تعالى: ﴿فأنجيناه وأصحاب السفينة﴾ (العنكبوت: 15).

(1) ابن منظور، لسان العرب، 13: 258.

(2) السيوطي، جلال الدين، الإتيان في علوم القرآن، 4-377.

المعنى اللغوي: سفينة: " السفينة: الفلك؛ لأنها تسفن وجه الماء، أي: تقشره. وقيل لها سفينة؛ لأنها تسفن الرمل إذا قل الماء... وقيل: سميت السفينة سفينة؛ لأنها تسفن على وجه الأرض أي تلتزق بها " (1).

الفائدة الجمالية: مكان مفتوح، يجتمع فيه الناس لمصالح مختلفة، محط اجتماع السياح ومتعتهم، وعظة المتأملين وعبرتهم، وطريق السالكين وسبيلهم، ووسيلة الأرزاق المحفوفة بالمخاطر.

الفلك:

عدد الورد: وردت كلمة "فلك" في القرآن الكريم بخمسة وعشرين موضعاً، كلها بمعنى السفينة عدا واحدة منها.

المعنى اللغوي: فلك " مدار النجوم، والجمع أفلاك... وفلك كل شيء: مستداره ومعظمه. وفلك البحر: موجه المستدير المتردد. **قال بعض العرب:** الفلك هو الموج إذا ماج في البحر فاضطرب وجاء وذهب... وتفلك: استدار... والفلك: قطع من الأرض تستديره وترتفع عما حولها، الواحدة فلكة، بفتح اللام " (2).

الفائدة الجمالية: إنه دوران الأفلاك في هذا الكون الشاسع المنظوم، من شمس وقمر تسبح في فضاء الكون بنسق وانتظام دون أن يخطئ أي عنصر مساره الذي حدد له، **قال تعالى:** ﴿والشمس والقمر كل في فلك يسبحون﴾ (الأنبياء: 33). أما المواضع الأخرى فأنت منها تسعة مواضع في سفينة نبي الله -تعالى- نوح -عليه السلام- تلكم السفينة التي حملت ثلة المؤمنين مع نوح إلى بر الأمان رغم الأرض التي تفجرت بناييعها، والسماء التي أرسلت خزائنها، فأصبح الموج كالجبال إلا أن صنع السفينة كان محكما رغم بدائيته؛ لأنها على عين الله -تعالى- صنعت، **قال تعالى:** ﴿واصنع الفلك بأعيننا ووحينا﴾ (هود: 37)، والمواضع الباقية فيها دلالة على قدرة الله -تعالى- في جريان الفلك على سطح البحار؛ لتحقيق منافع الناس، **قال تعالى:** ﴿والفلك تجري في البحر بأمره﴾ (الحج: 65) **وقال تعالى:** ﴿والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس﴾ (البقرة: 164).

(1) ابن منظور، لسان العرب، 254: 13.

(2) ابن منظور، لسان العرب، 578: 10.

السبيل والطريق

السبيل:

عدد ورود: وردت كلمة "السبيل" في القرآن الكريم 176 مرة.

المعنى اللغوي: السبيل هو " الطريق وما وضح منه، يذكر ويؤنث. وسبيل الله: طريق الهدى الذي دعا إليه. وفي التنزيل العزيز: ﴿وإن يروا سبيل الرشداً لا يتخذوه سبيلاً وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلاً﴾ (الأعراف: 146)، فذكر؛ وفيه: ﴿قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة﴾ (يوسف: 108)، فأنت... وقوله عز وجل: ﴿وانفقوا في سبيل الله﴾ (البقرة: 195) أي في الجهاد، وكل ما أمر الله بت من الخير فهو من سبيل الله، أي من الطرق إلى الله... وسبيل الله عام يقع على كل عمل خالص سلك بت طريق التقرب إلى الله تعالى بأداء الفرائض، والنوافل، وأنواع الطاعات. وإذا أطلق فهو في الغالب واقع على الجهاد حتى صار لكثرة الاستعمال كأنه مقصور عليه، وأما ابن السبيل: فهو المسافر الكثير السفر، سمي ابناً لها لملازمته إياها " (1).

الفائدة الجمالية: السبيل هو مكان الطريق الواسع المفتوح، له حدود جغرافية، طريق الله -تعالى- الذي يتسع لكل الخلق، له حدود وضوابط، حداها كي يلتزم الإنسان بتا ولا يحيد عنها. سبيل الله كلمة مدعاة للطمأنينة، والارتياح، والفرح؛ لأنه لا ظلم، ولا اعتداء، ولا تعدي، ولا جور. حقوق مكفولة، وواجبات معلومة. على جنب حوافز، وفي نهايته جوائز. نتائجه وثماره معروفة، فالكرم مفتاحه، والجنة والرضوان نعيمه.

الطريق:

عدد ورود: وردت كلمة "طريق" في القرآن الكريم بلفظ المفرد في مواضع، ثلاثة منها للمؤنث، ووردت بصيغة الجمع في موضعين، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ﴾ (المؤمنون: 17).

وقال تعالى: ﴿من دون ذلك كنا طرائق قددا﴾ (الجن: 11)

المعنى اللغوي: الطريق: " السبيل، تذكر وتؤنث. تقول: الطريق الأعظم والطريق العظمى، وكذلك السبيل، والجمع أطرقة وطرق... والطريق: ما بين السكتين من النخل... والطريقة: السيرة. وطريقة الرجل مذهبه... وطرائق الدهر: ما هو عليه من تقبله " (2).

(1) ابن منظور، لسان العرب، 11: 381 - 382.

(2) ابن منظور، لسان العرب، 264: 10.

الفائدة الجمالية: الطريق في معظم الآيات خرج من بعده الهندسي والجغرافي إلى بعد تعبيره. إنه تجسيد الفك، والمعتقد، والعمل. قناعات فكرية، واعتقادات، ومعاملات، مضبوطة، ومؤطرة بمصالح العباد، من سلكها سبيلا، هدي ورشد، ووصل إلى حتمية أبدية فيها سعادته. أما الطريق الأخرى، طريق مقابلة ومضادة وعكسية، حرية بلا قيود، وفكر متقلب متغير حسب الأهواء والطباع مع شيء من الصحة، انحراف عقائدي واضح جلي، يجد أمامه مسالك تماما بعدد الأهواء والطباع، وفي الطريق ينسى نفسه، حتى إذا ما وصل النهاية وجد الله عنده فوقاه حسابه. **وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا إلا طريق جهنم خالدين فيها أبدا﴾** (النساء: 167-168). والطريق هو الممر الواسع ذو الاتجاه الأوحده الذي يعرف وجهته وليس له إلا قبالة واحدة معروفة معلومة، فإن تعدد السبيل يشي بتعدد الوجهات، ويكشف عن حيرة المقصد ن وصعوبة في الوصول للهدف الأسمى. تلك الممرات الواسعة أو الضيقة التي تسلك للوصول إلى هدف ما، يمكن أن تؤدي إلى الضياع والتشريد، أو الاستقرار. وإنما تجسد أبعاداً اجتماعية وغيرها.

العمق والبعد والغوط

العمق:

عدد الورود: وردت كلمة " العميق " في القرآن بموضع واحد، قال تعالى: **﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾** (الحج: 27).

المعنى اللغوي: " العين والميم والقاف " أصل واحد ذكره ابن الأعرابي، قال: العمق إذا كان صفة للطرق فهو البعد، وإذا كان صفة للبر فهو طول جرابها. قال الخليل: بئر عميقة، إذا بعد قعرها، وأعمقها حافزهما(1). سبق التعليق عليها.

الفائدة الجمالية: يمكن الرجوع للفظه " فج " .

البعد: سبق بيانه.

غوط:

عدد الورود: كلمة " غائط " وردت في القرآن بموضعين، قال تعالى: **﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ﴾** (النساء: 43، المائدة: 6).

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 4: 144.

المعنى اللغوي: الغائط " الغين والواو والطاء، أصل صحيح يدل على اطمئنان وغور. ومن ذلك الغائط: المطمئن من الأرض، والجمع غيطان وأغواط. وغوطة دمشق يقال أنها من هذا، كأنها أرض منخفضة "(1).

الفائدة الجمالية: هو مكان المداراة ناسبته هذه الكلمة، لأن الإنسان يحتاج إلى المنخفض السائر الخفي، ليستر عورته، إنه مكان ليس صالحاً للمساكن أو غيرها، وهي لفظة تخلو من النُّبو والاشمئزاز، وتسيح بسياج التنزيه اللبق.

النزول والصوب

النزول: سبق بيانه.

صوب:

عدد الورود: وردت كلمة "صيب" مرة واحدة في القرآن الكريم.

المعنى اللغوي: " الصاد والواو والباء أصل صحيح يدل على نزول الشيء واستقراره قراره... ومنه الصوب، وهو نزول المطر. والنازل صوب أيضاً... **ويقال:** الصيب السحاب ذو الصوب، قال الله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ﴾ (البقرة: 19). والصوب: النزول.. والتصويب حذب في حدور "(2). **الفائدة الجمالية:** سمي القطر من السماء صيباً؛ لأنه ينزل إلى الأرض نزولاً، فيصيبها فتحيا. ولعلها من الدقة بمكان، لأن من معانيها الإصابة والاستقرار. فالماء مصوب نحو مكان ما مأمور أن يستقر فيه، بعيداً عن العشوائية، فدل ذلك على نظام موجه من خالق عظيم في تقدير الأمور، فسبحان الله الذي في كل شيء عجائب خلقه.

العلو والفرع

العلو: سبق بيانه.

الفرع:

عدد الورود: وردت في القرآن الكريم بلفظ "فرعها" مرة واحدة، قال تعالى: ﴿أصلها ثابت وفرعها في السماء﴾ (إبراهيم: 24).

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 4: 402.

(2) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 3: 317.

المعنى اللغوي: " الفاء والراء والعين أصل صحيح يدل على علو وارتفاع وسمو وسبوغ. من ذلك الفرع. وهو أعلى الشيء، والفرع: مصدر فرعت الشيء فرعاً، إذا علت " (1).
الفائدة الجمالية: يمكن الرجوع للفظة "صعد".

بين وخلال

بين:

عدد ورود: وردت كلمة "بين" في القرآن الكريم " 261 مرة "

المعنى اللغوي: و " البين في كلام العرب جاء على وجهين: يكون البين الفرقة، ويكون الوصل... وهو من الأضداد... وفي التنزيل العزيز: ﴿لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون﴾ (الأنعام: 94)... أي وصلكم... أراد: لقد تقطع الشرك بينكم، أي فيما بينكم، فأضمر الشرك لم جرى من ذكر الشركاء، فافهمه... وأما قوله تعالى: ﴿وجعلنا بينهم موبقاً﴾ (الكهف: 52). فإن الزجاج قال: معناه جعلنا بينهم من العذاب ما يوبقهم، أي يهلكهم، وقال الفراء: معناه جعلنا بينهم، أي توصلهم في الدنيا موبقاً يوم القيامة أي هلكاً، وتكون صفة بمنزلة وسط وخلال. الجوهري: وبين بمعنى وسط: تقول جلست بين القوم، كما تقول: وسط القوم " (2).

الفائدة الجمالية: من الآيات التي تكون فيها " بين " بمعنى الوصل، قوله تعالى: ﴿قل الله شهيد بيني وبينكم﴾ (الأنعام: 19) وقال تعالى: ﴿أففتح بيني وبينهم فتحا﴾ (الشعراء: 118)، وقوله تعالى: ﴿رب السماوات والأرض وما بينهما﴾ (النبا: 37)، وقال تعالى: ﴿فأصلحوا بينهما بالعدل﴾ (الحجرات: 9). أما " بين " بمعنى الفرقة، فجاءت كثير من الآيات بمعناها مثل، قوله تعالى: ﴿لقضي الأمر بيني وبينكم﴾ (الأنعام: 58)، وقوله تعالى: ﴿نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي﴾ (يوسف: 100)، وقوله تعالى: ﴿قال هذا فراق بيني وبينك﴾ (الكهف: 78) وغيرها، إنها البينية، وبعد المسافة، والتشاقق، والمفارقة، وأبعاد نفسية، ومسافات جغرافية، تحول دون التواصل، وتمنع الارتباط، وتقطع الوشائج، وتظهر الفوارق.

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 4: 491.

(2) ابن منظور، لسان العرب، 13: 73 - 78.

خلال:

عدد ورود: وردت كلمة "خلال" في القرآن الكريم بسبعة مواضع، قال تعالى: ﴿فجاسوا خلال الديار﴾ (الإسراء: 5).

المعنى اللغوي: خلال: "الخلل منفرج ما بين كل شيئين، وخلل بينهما: فرج. والجمع الخلال، مثل: جبل وجبال، وقرئ بهما قوله عز وجل: ﴿فترى الودق يخرج من خلاله﴾ (النور: 43). ، وخلله، وخلل السحاب، وخالله، مخارج الماء منه... وفي التنزيل العزيز: ﴿فجاسوا خلال الديار﴾ (الإسراء: 5)، قال الحيايني: جلسنا بين البيوت، ووسط الدور، قال: وكذلك يقال: سرنا خلل العدد، وخاللهم، أي: بينهم، وفي التنزيل العزيز: ﴿ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة﴾ (التوبة: 47)، قال الزجاج: أوضعت في السير إذا أسرعت فيه... جعل خلالكم: بمعنى وسطكم، قال ابن الأعرابي: ولأوضعوا خلالكم أي: لأسرعوا في الهرب خلالكم، أي: ما تفرق من الجماعات لطلب الخلو والفرار " (1).

الفائدة الجمالية: قال ابن كثير: " أي تملكوا بلادكم وسلكوا خلال بيوتكم، أي بينها ووسطها، وانصرفوا ذاهبين وجائين لا يخافون أحدا " (2). وقال تعالى: ﴿فترى الودق يخرج من خلاله﴾ (النور: 43، الروم: 48)، وقال تعالى: ﴿فتفجر الأنهار خلالها تفيجيرا﴾ (الإسراء: 91)، وقال تعالى: ﴿وجعل خلالها أنهارا﴾ (النمل: 61)، وقال تعالى: ﴿وفجرنا خلالهما نهرا﴾ (الكهف: 33). مناظر السعادة والهناء، وآيات الفرح الغناء، الإيحاء بوجود الحياة التي تجعل في النفس تأكيدا على الأبدية، وتأكيدا على الملكية، فرؤية الأنهار الجارية من بين القصور والخيام والجنات، تبعث الحياة في النفوس، وتعطي مزيدا من الأمل والراحة والدعة. وفيها إشارة إلى كرم المعطي - سبحانه - وفيها إشارة إلى قدرته، وإلى جماله. فإذا كان هذا خلقه ونظامه وهندسته - سبحانه - فكيف بجماله هو! جل الله وتقدس.

(1) ابن منظور، لسان العرب، 256: 11.

(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 3: 24.

خامسا: أماكن الأبنية في القرآن الكريم

إنه من الخطأ النظر إلى الأماكن من البيوت، والمساجد، والقبور، والبؤر، والحجر، وغيرها على أنها ركام من الجدران، أو أثاث، أو مجموعة من الأمتعة، أو أن يتم التركيز على المظهر الخارجي، والصفات الظاهرة، دونما التوغل في أعماقها، والتأثر بدلالاتها؛ " لأن هذه الرؤية ستتتهي على الأرجح إلى الإجهاز على الدلالة الكامنة فيه، وتفرغه من كل محتوى "(1). بل لابد من النظر إليها على اعتبارها أماكن مفعمة بالآثار التاريخية، والقيم الإنسانية والاجتماعية، وقيم الألفة بين الشخصية والمكان، لأن المكان له دور سلطوي على النفوس وفي القلوب، ويعتبر كذلك ملجأ للتقارب الاجتماعي، والثقافي، والفكري، وغير ذلك.

المدينة:

عدد ورود: وردت كلمة "مدينة" في القرآن الكريم 14 مرة..ولقد جاءت المدينة في القرآن بلفظتين "المدينة" و"مدائن" أما لفظ "المدن" بالجمع، فلم تأت البتة.

المعنى اللغوي: " المدينة، وهي فعيلة، وتجمع على مدائن بالهمز، ومُدُن ومُدَّن بالتخفيف والتنقيط... والمدينة الحصن يبني في أصطمة الأرض... وكل أرض يبني بها حصن في أصطمتها فهي مدينة... ومدين: اسم قرية شعيب "(2).

الفائدة الجمالية: إن " أبرز ما يميز المدينة الإحساس بعامل الزمن، وانعكاس هذا العامل على الحياة نفسها، وعلى علاقات الناس بعضهم ببعض "(3). إن علاقة الإنسان بالمدينة منذ القدم بدأت تتشكل من خلال التنقل بحثا عن رزق ومأوى، وهربا من مكان إلى مكان، خشية من ظروف الطبيعة القاسية، ولذا فقد اختلفت المدينة عن القرية اختلافا واضحا، وبدا بينهما بون شاسع. تمثل ذلك في مجموعة من الصور. أبرزها أن المدينة يغلب عليها الطابع المادي ظهر ذلك في متطلبات العيش المختلفة في بعض جوانب الحياة، في المأكل، والملبس، والسياسات، والأنظمة التجارية، والثقافية، والتطور المدني والعمراني، والترف، والبزخ، وغيرها. نبدأ من ذلك العصر الذي اتضحت فيه معالم المادية كما صورها القرآن، قال تعالى: ﴿فابعثوا أحدهم بورقكم هذه إلى المدينة﴾ (الكهف:

(1) بحرأوي، بنية الشكل الروائي، 43.

(2) ابن منظور، لسان العرب، 495: 13.

(3) إسماعيل؛ عز الدين، الشعر العربي المعاصر، قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية، بيروت، دار الفكر العربي، 1978م، 331.

19)، إلى التشييد الذي صورته قوله تعالى: ﴿وَأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة﴾ (الكهف: 82). كما امتازوا بمرونة الحديث، وبشاشة الوجه، قال تعالى: ﴿وجاء أهل المدينة يستبشرون﴾ (الحجر: 67)، ورسمت المدينة ملامح الفرح، والانفتاح، والمخالطة الاجتماعية التي حملت الوافدين على السعادة والبشر. وفي المقابل فإن مظاهر الفساد والإفساد لعب دوره في الظهور على سطحها، وبين أهلها، وساد في أرجائها، قال تعالى: ﴿وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض﴾ (النمل: 48). ويأتي في أول القصة القرآنية المكان عامًا، كما حصل في قصة موسى - عليه السلام - وغالبا يكون الأرض، قال تعالى: ﴿إن فرعون علا في الأرض﴾ (القصص: 4)، ثم بدأت تفاصيل المكان تذكر، كاليم، وبيت الكفالة، وقصر فرعون، والمدينة، ومدين.. وظهرت معالم المدينة (المكان) من خلال الحوار والسرد، فالجو النفسي الذي كان سائدا يشي بطبيعة المدينة، ويكشف اللثام عنها. وكذلك في قصة نبي الله يوسف جاء المكان (مصر) عامًا، ثم بدأت تفاصيله تظهر من خلال الحوار والسرد، فمن مفرداته: مظاهر البزخ والترف، والخدم والحشم، والفتنة والمرودة، والأبواب والتجارة بأنواعها (1). أما مدينة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في القرآن و"سميت في الأحزاب بيثرب، حكاية عن المنافقين، وكان اسمها في الجاهلية، فقيل لأنه اسم أرض من ناحيتها. وقيل: سميت بيثرب بن وائل من بني إرم بن سام بن نوح، لأنه أول من نزلها. وقد صح النهي عن تسميتها بت، لأنه - صلى الله عليه وسلم - كان يكره الاسم الخبيث، وهو يشعر بالثرب وهو الفساد، أو التثريب وهو التوبيخ" (2). اختلفت المدينة منذ دخول رسول الله - تعالى - إليها، سادتها الأخوة، وعمها اللثام، وامتزجت فيها الأرواح، وتقاسم الناس المنافع، وتآلف المؤمنون، وتوحد المتفرقون، هذه مظاهر استجدت، وحاولت أن تغالب المظاهر الأخرى المقابلة، وما أدراك ما المقابلة، فالبقية من اليهود والمنافقين، الذين استحكم الإغلاق على قلوبهم، وأفئدتهم، وكانوا ممن يقطنون المدينة، تبذت منهم مظاهر اجتماعية وسلوكية مازتهم عن أهل القرى والأرياف، ولم يستطع الإسلام مغالبة طباعهم فقد شاع المكر فيهم، قال تعالى: ﴿إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها أهلها﴾ (الأعراف: 123). وانتشر بينهم النفاق، وكثر المنافقون الذين ملأ النفاق قلوبهم، ومن سمات أهلها الركون للدنيا؛ لما كانوا عليه من الترف الذي يمنعهم من تركها، أو الموت دون التمتع بها، لذا تأخروا عن الجهاد، وتخلفوا عن العبادة، قال تعالى: ﴿وما كان لأهل المدينة ومن حولهم من

(1) سورة يوسف: 21-100.

(2) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، 4-376.

الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ﷺ (التوبة: 120)، واتصف أهلها بالغرر، والاستعلاء، وكانت تأخذهم العزة بالإثم، قال تعالى: ﴿قالوا لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل﴾ (المنافقون: 8). هذه بعض مظاهر المدينة كما جاءت في القرآن.

القرية:

عدد الورد: وردت كلمة "قرى" جمعا 19 مرة، ومفردة 3 مرات، ومثى مرة واحدة.
المعنى اللغوي: القرية " قال ابن سيده: القرية والقرية لغتان المصر الجامع... الجوهري: القرية معروفة، والجمع القرى على غير قياس... والقرية من المساكن والأبنية والضياع، وقد تطلق على المدن... وقوله تعالى: ﴿وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة﴾ (سبأ: 18). ، قال الزجاج: القرى المبارك فيها: بيت المقدس، وقيل الشام، وكان بين سبأ والشام قرى متصلة فكانوا لا يحتاجون من وادي سبأ إلى الشام زاد، وهذا عطف على قوله تعالى: ﴿لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان﴾ (سبأ: 15)... " (1).

الفائدة الجمالية: ذلك الحيز المكاني الخصب الذي يؤثر في الإنسان، ويشده إلى الأرض، يتميز جغرافياً بامتداد الحقول فيه، وبساطة الأبنية عليه، والطبيعة الغناء المتراسة في أنحائه، كما يحمل أهلها على فقرهم غنى النفس، وكرم الأخلاق، مع الشدة والغلظة. وفيها صورة الطبيعة الحقيقية التي تذكرنا بالبدائية، صورة الضوابط والقيود والحواجز. كما هي صورة التعاضد القبلي، والعقل الواحد. تتكون من مساكن، وأبنية، وضياع، كانت للقرية في القرآن صورتان: صورة العذاب الذي حل على أهلها، فانقلبت بهم نسفاً وخسفاً، ودماراً وخراباً، وفيضاناً وإغراقاً. وصورة يحفها الجمال الظاهر، والطبيعة الكاشحة، والبركة الفطرية. وبدت بعضها في مرحلة من المراحل بصورة الطبيعة الزاهية المترعة بالخضرة، ومنوعات الطيبات، قال تعالى: ﴿وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغداً﴾ (البقرة: 58). وهي من الأماكن الانتقالية العمومية البسيطة، والطبيعية البدائية، التي تشبثت بها العصبية المقيتة، لكنها كانت في معظم صورها في القرآن مظلمة بظلمات الكفر، استحق أهلها عذاب ربها ونقمته. بينما كانت آية عظة في بعض الأحيان، قال تعالى: ﴿أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها﴾ (البقرة: 259)، كما أن الإفساد يشير للمؤمنين بالابتعاد عنها، والفرار منها، قال تعالى: ﴿ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها﴾ (النساء: 75)، لكن تأتي النذر قبل حلول العذاب على من رسم المكان أوصافهم بالمترعين، والمترفين، قال تعالى: ﴿وإذا

(1) ابن منظور، لسان العرب، 204: 15.

أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها﴾ (الإسراء: 16). والآيات القرآنية تنبئ بكثرة تلك القرى التي جددت فأهلكها الله سبحانه، قال تعالى: ﴿وكم قصصنا من قرية كانت ظالمة﴾ (الأنبياء: 11)، وقبل ذلك كان النذير ينذر، قال تعالى: ﴿وكأين من قرية أهلكنا﴾ (الحج: 48). وهكذا اتسمت القرية بالصورة السوداوية التي لم يظهر لها في الخير أثر. كما أن نسبة العذاب لها مجازاً هدف إلى أن تلك القرى - نفسها - ستشهد عذابات لمن هم على نفس الشاكلة، فكانت الحكمة والمعجزة بعلم الله - تعالى - أن ترك نسبة القوم لها؛ لأن الأجيال ستتعاقب - حسب علمه - على مشابهة أفعالهم. كما أن القرية تتمثل في صورة مكان الفجور وانقلاب الفطرة، والغرق في النزوات الشاذة، والاختلاط العشوائي الذي لا يعرف الكرامة، كما هي قرية لوط - عليه السلام - وذكرها في القرآن في المعظم جاء إنذاراً للناس، ومحذراً مما كان يفعله أهالي تلك القرى، من الشرك بالله - تعالى - والجهل العقيم، والعادات السيئة، والإقبال على الدنيا، والعكوف على الملذات والشهوات والنزوات، كما برزت من طباعهم ونفوسهم الشرور، وركزت الآيات القرآنية على استظهار هذه المظاهر؛ لاعتبار العباد منها، وابتعادهم عن مجاراتهم، وتقليد أفعالهم.

البلدة:

عدد الورد: وردت كلمة " بلدة " في القرآن الكريم مفردة مؤنثة بخمسة مواضع. ووردت مفردة للمذكر في تسعة مواضع.

المعنى اللغوي: بلد: " البلدة والبلد: كل موضع أو قطعة مستحيزة، عامرة كانت أو غير عامرة، الأزهرى: البلد كل موضع مستحيز من الأرض، عامر أو غير عامر، خال أو مسكون، فهو بلد. والطائفة منها بلدة... وبلد بالمكان: أقام، يبلى بلوداً اتخذه بلداً ولزمه " (1).

الفائدة الجمالية: قال تعالى: ﴿بلدة طيبة ورب غفور﴾ (سبأ: 15)، وقال تعالى: ﴿وأحيينا به بلدة ميتاً﴾ (ق: 11)، وقال تعالى: ﴿وهذا البلد الأمين﴾ (التين: 3)، وقال تعالى: ﴿سقناه لبلد ميت﴾ (الأعراف: 57). إنها مكان التجديد المفتوح المأهول بمآثر من آيات الله - تعالى - على أمم سبقت كلمة الله فيهم من الماضين، وأمم من اللاحقين الذين يزدادون إيماناً بمنظر تلك البلدات التي عمرها أهلها، وأنعم عليهم ربهم فأمنهم من خوف، وأطعمهم من جوع.

(1) ابن منظور، لسان العرب، 114: 3.

البيت: سبق ذكره.

الدار: سبق ذكره.

المسكن: يمكن الرجوع للفظتي " البيت والدار والمسكن " .

الحجرات

عدد ورود: ووردت بلفظ " حَجَر " في موضعين، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَضْرَبَ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾ (البقرة: 60)، وقال تعالى: ﴿أَنْ أَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾ (الأعراف: 160). ووردت بلفظ " حَجْر " في خمسة مواضع، قال تعالى: ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحَجَرِ الْمُرْسَلِينَ﴾ (الحجر: 80).

المعنى اللغوي: " الحجرة من البيوت معروفة لمنعها المال، والحجار: حائطها، والجمع حُجرات وحُجرات وحُجرات، لغات كلها. والحجرة: حظيرة الإبل. ومنه حجرة الدار... والحَجْر والحَجْر: جميعاً للناحية " (1).

الفائدة الجمالية: إنه المكان الذي يقرأ نفوسهم لذا نسبهم الله - تعالى - إليه، فلما كانت قلوبهم كالحجارة تجاه الدين والدعوة، امتلأت حقداً وغيظاً وقسوة، ناسب نسبتهم للمكان، باعتباره دالاً على حالهم، وشاهداً على تعنتهم وقسوتهم. ووردت بلفظ " حجرات " في موضع واحد، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون﴾ (الحجرات: 4). الحجرات مكان الغلق، والخصوصية، والراحة، والوحدة، الاجتماع مع النفس، مكان المتناقضات، الفرح والحزن، الجمال والقبح، الرتبة والرتابة، الاهتمام والإهمال. ووردت بلفظ " حجوركم " في موضع واحد، قال تعالى: ﴿وربائبكم اللاتي في حجوركم﴾ (النساء: 23). والحجر والحجرات، أماكن مغلقة، وهي أجزاء البيت، وهي أكثر خصوصية منه، لأنها تحتوي على خصوصية من يعيش فيها، الشيء الذي يحجر عليه، فلا يعلم به أحد، ويمكن القول هي مكن الأسرار، متاعه، ماله، ذكرياته، هي مرآته، وفيها آثاره التي تشهد له وعليه.

السفينة: سبق ذكرها

الفلك: سبق ذكرها

المساجد:

عدد ورود: ووردت كلمة " مسجد " بلفظ المفرد في القرآن الكريم بواحد وعشرين موضعاً، وجاء فيها مضافة إلى الحرام " المسجد الحرام " في خمسة عشر موضعاً، بينما أضيف إلى الأقصى مرة

(1) ابن منظور، لسان العرب، 4: 194 - 200.

واحدة، وكلها جاءت في مقام التنزيه والتقدیس لهذه الأماكن، عدا مسجد واحد جاء في القرآن ذمه الله - تعالى - ذلك الذي ابتناه المنافقون للأرصاء والتفريق وتمزيق الصف المؤمن، وهو مسجد ضرار نعت بالضرر؛ لأنه يحمل أنواع الضر-جمعاء- والتي أساسها انحراف العقيدة، قال تعالى: ﴿تأخذوا مسجداً ضراراً وكفراً﴾ (التوبة: 107). أما كلمة "المساجد" بصيغة الجمع فوردت في ستة مواضع، جاء ذكرها- جميعاً- في الخير، بالحث على أعمارها، وذكر الله - تعالى - فيها، وتوحيده، وتمجيده، والاعتكاف على ذلك داخلها، وعدم منع إقامة العبادة فيها، قال تعالى: ﴿ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً﴾ (الحج: 40).

المعنى اللغوي: المسجد " الذي يسجد فيه... واحد مساجد، وقال الزجاج: كل موضع يتعبد فيه فهو مسجد... ومسجد بفتح الجيم، محراب البيوت. ومصلى الجماعات مسجد بكسر الجيم، والمساجد جمعها، والمساجد أيضاً: الأرب التي يسجد عليها... وقوله تعالى: ﴿وأن المساجد لله﴾ (الجن: 18)، قيل: هي مواضع السجود من الإنسان... والمسجد اسم جامع حيث سجد عليه " (1).

الفائدة الجمالية: أماكن مفتوحة، يجتمع فيها الناس، على موعد وغيره. هو ملتقى الناس من كل قطر، يأتيه كل واحد، فيه قدسية وجلالة ومهابة وسكينة. يجمع المتناقضين مادياً، ويوحد الأرواح، ويوجه العقول لوجهة واحدة. يجتمع الفقير والغني، الكبير والصغير، الطويل والقصير، الأبيض والأسود، الرجل والمرأة. أما توحيد الأرواح، فسماعهم واحد، وحديثهم فيه واحد- القرآن الكريم- يتلاصقون، ينتظمون، تتوحد حركاتهم، ويجتمعون فيسلم بعضهم على بعض، فيه بشاشة الوجه، وتفقد المحتاج، ينطلق منه الناس وقد شحنوا بالخير. أما العقول، ففي آلاء الله -تعالى- تفكر، تسبح في الملكوت، تسمع الأمر فتأتمر، والنهي فتنتهي وتنزجر. و " جاءت بعدة معان في القرآن الكريم، ففي قوله- تبارك وتعالى: ﴿فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام﴾ (البقرة: 144). أي: إلى جهة المسجد الحرام... وفي قوله تعالى: ﴿ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه﴾ (البقرة: 191) هنا المراد: الكعبة وما حولها وأرض الحرم. وأضيف إليه الحرم، لقداسة مكانته، وتحقيق منافع للإنسان بحفظ روحه وتحريم إزهاقها، أو الاعتداء عليها، وما أجمل تلك النسبة في قوله تعالى: ﴿إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام﴾ (التوبة: 7). المراد: أرض الحرم؛ إذ المعاهدة لم تكن فيما حول الكعبة "بناء الكعبة"، فالمعاهدة تقتضي الوفاء، والحفظ لكل شيء،

(1) ابن منظور، لسان العرب، 3: 252.

والحماية لكل أمر. وفي قوله تعالى: ﴿فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا﴾ (التوبة: 28) المراد: أرض الحرم " (1).

الكعبة

عدد ورود: وردت في القرآن الكريم بموضعين اثنين، قال تعالى: ﴿جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً﴾ (المائدة: 97)، وقال تعالى: ﴿ذوا عدل منكم هدياً بالغ الكعبة﴾ (المائدة: 95).

المعنى اللغوي: وهي " الغرفة. وكل مربع كعبة. وإنما سمي البيت الحرام كعبة لتربع أعلاه " (2). يمكن مراجعة ما قيل في المساجد.

الفائدة الجمالية: المكان المقدس المفتوح، يجمع الناس على كلمة واحدة، وديانة واحدة، وعبادة واحدة، وألفاظ واحدة، ومراسم واحدة، ولباس واحد، يوحد ويؤلف ويجمع ويقارب الأرواح، وتصطف فيه الأجساد في صعيد واحد، وتتوافق فيه الحركات، وتتوحد فيه المطالب والأمنيات والأدعية، وفيه ذكريات الماضي التي تلوح بتأثير بعض الأماكن، أماكن تنقل رسول الله وصحابته المخلصين، بل ذكريات تعود إلى زمن أبعد إنه زمن إبراهيم حين نادى في الناس جميعاً للتوجه إليه. إنه مكان الذكر والدعاء والقيام، ومكان القرار السياسي الذي كان يجمع الأمة، والقرار العسكري الذي يرسل الجيوش، والمؤسسة الاجتماعية التي ما شرعت نسك الذبح إلا لجبر نفوس فقيرة، ومؤسسة علمية جمعت من الأفق طلبية العلم على اختلاف المشارب.

السجن:

عدد ورود: وردت كلمة "سجن" في القرآن الكريم في ستة مواضع، كلها جاءت في قصة نبي الله - تعالى - يوسف - عليه السلام - دلالة الابتلاء والامتحان، قال تعالى: ﴿السجن أحبُّ إلي مما يدعونني عليه﴾ (يوسف: 33).

المعنى اللغوي: " السنين والجيم والنون أصل واحد، وهو الحبس. يقال: سجنته سجنًا. والسجن: المكان يسجن فيه الإنسان. قال الله - جل ثناؤه - في قصة يوسف - عليه السلام -: ﴿قال رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه﴾ (يوسف: 33).. (3).

(1) بازمول، الحقيقة الشرعية، 170.

(2) الهنائي، المنتخب من غريب كلام العرب، 1: 406.

(3) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 3: 137.

الفائدة الجمالية: هو المكان الذي يوازي مفهوم الاسترقاق لكنه أسوأ و أمر، فالاسترقاق يمكن للرقيق أن يرى الدنيا أمامه، ويستلذ بالطبيعة، ويختلط بالبشر يذهب ويروح، ويبيع ويشترى، وربما رأى البشر فينعم بمخاطبة بعضهم، الأمر الذي ينسيه سوء بعض غصصه. بينما السجن لا رؤية، ولا مخالطة، ولا هنا، ولا هناك. أشبه بكونه مكانا بدائيا، محفوا بالمخاطر من كل زاوية. فيه تحبس الروح، ويعتقل الجسد معاً، ويسجن العقل وتتلاشى بين جدران الأحلام و الأمانى. ولم يكن بالنسبة لنبي الله - تعالى - يوسف - عليه السلام - السجن سجنا للروح على مرارته، وإن كان له في النفس كبير الأثر، ذلك لأنه كان ينعم بالبديل، إنها العلاقة المؤنسة - حقا - علاقة الخالق المدير المحب بال مخلوق الراضي المحبوب، علاقة تواصل روحي مستمر، جعلته مقتنعا بمصيره، صابرا، بل راضيا. وفي السجن كَوَّن صحبته التي ساهمت في التخفيف عنه، وإخراجه فيما بعد منه، قال **تعالى:** ﴿يا صاحبي السجن﴾ (يوسف: 39-41). ورغم أنه أحب دخوله، ورضي به، وأنس بالله - تعالى - مقابل ترك الفتنة، إلا أنه شعر بأثر السجن على النفس، ذلك الأثر العلقم الصعب الذي حجبته عن منفعة العامة فشكر لربه خروجه، قال **تعالى:** ﴿وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن﴾ (يوسف: 100). هو إذن مكان لحجر الحريات. منع الحركة، ومنع الكلمة، ومنع الفائدة، ومنع اللذة هو الحرمان بعينه، فحرية العمل، والتنقل. الحرية بشتى صورها محبوسة فيه، ومقيدة، وممنوعة منعاً قهرياً.

الكهف

عدد الورد: وردت كلمة "كهف" في القرآن الكريم، بستة مواضع، كلها في سورة الكهف، قال **تعالى:** ﴿أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا﴾ (الكهف: 9)، وقال **تعالى:** ﴿ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا﴾ (الكهف: 25)، وقال **تعالى:** ﴿فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته﴾ (الكهف: 16).

المعنى اللغوي: الكهف " كالمغارة في الجبل إلا أنه أوسع منها، فإذا صغر فهو غار، وفي الصحاح: الكهف كالبيت المنقور في الجبل، وجمعة كهوف " (1).

الفائدة الجمالية: مكان مغلق، مظلم، مؤقت للهاريين، فيه الوحشة والرهبنة والخوف، مكان اللجوء من وعكات الظروف، ومشاق السفر، ومناخ الطبيعة، والهروب من الواقع. فيه إحساس الإنسان بالأمان إحساس مؤقت. لكنه يحمل الراحة والطمأنينة للنفس، لأنه محطة الهاريين، وملاذ الفارين،

(1) ابن منظور، لسان العرب، 370: 9.

الذي لا تحول عنه، ولا بديل. ولقد تجسدت هذه المعاني -كلها- في كهف من نسبوا إليه في القرآن فجاءت سورة من سور القرآن باسمه، ولولا تمازج أثره فيهم، وأثرهم فيه، لما كان لنسبتهم له فائدة.

السور

عدد ورود: وجاءت كلمة "السور" في القرآن بموضع واحد، قال تعالى: ﴿فَضْرِبْ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِي الرَّحْمَةِ وَظَاهَرُهُ مِنْ قَبْلِهِ الْعَذَابُ﴾ (الحديد: 13).

المعنى اللغوي: "السين والواو والراء أصل واحد يدل على علو وارتفاع. من ذلك سار يسور، إذا غضب وثار، وإن لغضبه تسوره. والسور: جمع سورة، وهي كل منزلة من البناء، قال:

ورب ذي سراق محجور سرت إليه في أعالي السور(1)

الفائدة الجمالية: إنه حاجز الفراق، والتباين، حاجز بين الأمن والخوف، والرحمة والعذاب، حاجز التمايز بين مكانين، وظرفين، ومصيرين.

الصرح

عدد الورد: وردت كلمة "صرح" في القرآن الكريم بأربعة مواضع.

المعنى اللغوي: "الصرحة: المكان، ويقال بل هو المتن من الأرض... والصرح: بيت واحد يبني منفرداً، ضخماً طويلاً في السماء. وكل بناء عال فهو صرح" (2).

الفائدة الجمالية: توافق عجيب بين مكانين تساويا في الميزات، أو تقارباً، إن ثمة مفارقة بين الحاكمين، فالأول شخصية فرعون استعلى وتنتع، وأشرك وتكبر، والثاني شخصية سليمان الذي سخر سلطانه، وصرحه، لخدمة دعوته. فما هي بلقيس تعترف بتقصيرها وظلمها لنفسها فيما سلف من سابق الأيام لما رأت الصرح الممرد من قوارير، وكان ذلك سبباً في إيمانها، قال تعالى: ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَتْ إِنَّهُ صَرْحٌ مَمْرَدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (النمل: 44). أما الصرح الآخر فهو صرح فرعون أمر ببنائه؛ ليصعد عليه، ويفاخر به الناس، ويستعلي على الخلق من دون الله، ويدّعي لنفسه أنه سيطلع على الله -تعالى- وبإمكانه ذلك، قال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانَ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ * أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى﴾ (غافر: 36-37). فشتان بين هذا وذاك، وبالله الذي أودع في القلوب سر هدايته.

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 5: 115.

(2) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 3: 348.

السوق

عدد الورود: وردت كلمة "سوق" مفردة في موضع واحد، قال تعالى: ﴿فاستغلظ فاستوى على سوقه﴾ (الفتح: 29)، والسوق هنا جمع سيقان النبات. وجاءت بصيغة الجمع "أسواق" في موضعين، قال تعالى: ﴿يأكل الطعام ويمشي في الأسواق﴾ (الفرقان: 7-20).
المعنى اللغوي: السوق "موضع البياعات. ابن سيده: السوق الذي يتعامل فيها... والجمع أسواق" (1).

الفائدة الجمالية: مكان مفتوح، مدلهم بالناس، يأتيه أطياف من كل صنف ولون، الأبيض والأسود، الكبير والصغير، الرجل والمرأة، الغني والفقير، السيد والعبد. فهي أماكن تمتزج بالمتناقضات، كالغش والأمانة، والصدق والكذب، والسماحة والغلظة، والبيع والشراء، والوفاق والإعراض، فيها يلتقي القريب والبعيد، تعج بالصخب والضوضاء، لكنها مع كل ذلك تتبص بالحياة، وتمتليء بالحيوية، مفعمة بكل صنوف الحياة وزينتها، أنتت به الآيات في معرض وصف النبي الكريم؛ للتأكيد على بشريته صلى الله عليه وسلم، يأكل كما يأكلون، ويشرب مما يشربون، ويبيع ويشترى، ويفرح ويحزن.

التابوت

عدد الورود: وردت كلمة "تابوت" في القرآن الكريم بموضعين.
المعنى اللغوي: تابوت: "الأضلاع وما تحويه، كالقلب، والكبد، وغيرها، تشبيها بالصندوق الذي يحرز فيه المتاع" (2).

الفائدة الجمالية: مكان مغلق محكم، في الموضعين.
الأول: التابوت الذي قدسه اليهود، قال تعالى ﴿أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكْنَةٌ لَكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى﴾ (البقرة: 248)، وذلك لأنه احتوى ألواح التوراة التي نزلت على نبي الله -تعالى- موسى -عليه السلام- كما احتوى على عصاه المعجزة.
الثاني: قال الله تعالى: ﴿أَنْ أَقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ﴾ (طه: 39)، صندوق وضع فيه النبي موسى -عليه السلام- بعد ولادته، وقذف به في اليم، وفي الموضعين، دلالة أمن وأمان، وحفظ ورعاية، كما أنه مكان السكون والهدوء.

(1) ابن منظور، لسان العرب، 200: 10.

(2) ابن منظور، لسان العرب، 19: 2.

النادي

عدد الورود: وردت كلمة " نادي " في القرآن الكريم بموضعين.

المعنى اللغوي: النادي: " المجلس يندوا إليه من حوالبه، ولا يسمى نادياً حتى يكون فيه أهله، وإذا تفرقوا لم يكن نادياً، وهو الندي، والجمع الأندية... النادي: مجتمع القوم وأهل المجلس " (1).
الفائدة الجمالية: قال تعالى: ﴿فليدع ناديه﴾ (العلق: 17)، وفيها دلالة على أنه مكان التنادي للتأمر، والتشاور والمكيدة. **وقال تعالى:** ﴿وتأتون في ناديكم المنكر﴾ (العنكبوت: 29)، إشارة إلى التنادي الحاصل في ذلك المكان، والصخب الذي ينشأ من المجادلات والحوارات، وهو مسرح التنادي للفاحشة الجماعية، سواء للتأمر على القتل وسفك الدماء البرية، أو إقرار ممارسات الفاحشة والترحيب بها.

القبر:

عدد الورود: وردت بلفظ "قبر" في موضع واحد، **قال تعالى:** ﴿ثم أماته فأقبره﴾ (عبس: 21). ووردت بصيغة الجمع "مقابر" في موضع واحد، **قال تعالى:** ﴿حتى زرت المقابر﴾ (التكاثر: 2). وقد وردت في القرآن الكريم بلفظ الجمع "قبور" في خمسة مواضع.

المعنى اللغوي: " القبر مدفن الإنسان، وجمعه قبور... وقبره يقبره ويقبره: دفنه، وأقبره: جعل له قبراً... **قال الفراء في قوله تعالى:** ﴿ثم أماته فأقبره﴾ (عبس: 21). أي: جعله مقبوراً ممن يقبر، ولم يجعله ممن يلقي للطير والسباع " (2).

الفائدة الجمالية: مكان مغلق، مظلم، مهول مخوف. أسوار من كل جهة، مكان الإقامة المؤقتة داخل التراب، مكان يملأ النفس بالرهبة، ويشعرها بالخوف. مكان الفزع للحَي، والوحشة، والتفرد، والوحدة، انقطاع عن التواصل مع العالم. مكان عالمه مخوف مرعب مجهول، وهو - أيضاً - مكان الانطلاق نحو الأبدية، الأبدية التي تبدأ من حركة البعث التي تنشأ من داخله. **قال تعالى:** ﴿وإذا القبور بعثرت﴾ (الانفطار: 4)، **وقال تعالى:** ﴿وأن الله يبعث من في القبور﴾ (الحج: 7).

(1) ابن منظور، لسان العرب، 368: 15.

(2) ابن منظور، لسان العرب، 80: 5.

الأخدود

عدد الورد: وردت كلمة "أخدود" في القرآن الكريم مرة واحدة. قال تعالى: ﴿قتل أصحاب الأخدود* النار ذات الوقود﴾ (البروج: 4).

المعنى اللغوي: الأخدود " الخد والخدة والأخدود: الحفرة تحفرها في الأرض مستطيلة. والخدة بالضم: الحفرة... والخد والأخدود: شقان في الأرض غامضان مستطيلان " (1).
الفائدة الجمالية: مكان النار المغلق بأبعاده، المفتوح بفوهته، تلك الفوهة التي تفتح فاهها الواسع لكل كافر بالملك، المتوقدة التي تلتهب لتلتهم، مكان سحيق، وقود ووقود يملؤها ويعلوها، للإخافة والترجيع، أضيفت لأصحابها؛ لأنهم صاروا جزءاً منها، مشاهد دامية تنفطر لها القلوب والنفوس. القتل بالإحراق أبشع أنواع الموت البطيء عندما تأكل النار جسد صاحبها وهو ينظر إلى الجزء تلو الجزء من جسده يلتهم أمام عينه، وبكامل وعيه وإحساسه.

بطن الحوت

عدد الورد: وردت كلمة " بطن " في القرآن الكريم مرتين. بطن مكة، وبطن الحوت. وجاءت في مواضع أخرى عددها سبعة عشر موضعاً مضافاً إليها الأمهات من الإنس والحيوان، كمكان للاحتواء، والعيش، والرعاية، والنفع، كما جاء مكاناً ينتش فيه العذاب؛ لأنه احتواء لشهوات الطعام والشراب المحرم ﴿في بطونهم ناراً﴾ (النساء: 10).

المعنى اللغوي: " الباطنة من البصرة والكوفة: مجتمع الدور والأسواق والضاحية: ما تتحى من المساكن وكان بارزا. وبطن الأرض وباطنها، ما غمض منها واطمأن. والبطن من الأرض: الغامض الداخل... ابن شميل: بطنان الأرض ما توطأ في بطون الأرض سهلها وحزنها ورياضها، وهي قرار الماء ومستنقعها " (2).

الفائدة الجمالية: مكان أتت صورته في مواطن على صورة مكان مفتوح، وذلك عندما أضيفت إليه مكة مرة، أما إذا أضيف إليها الحوت الذي ابتلع نبي الله - تعالى - يونس - عليه السلام - مرة أخرى، قال تعالى: ﴿اللبث في بطنه إلى يوم يبعثون﴾ (الصافات: 144)، فهو المكان المغلق، كسجن نبي الله - تعالى - يوسف - عليه السلام - بل أسوأ حالا، وحدة، وظلمة تلتها ظلمة، لا خروج إلى

(1) ابن منظور، لسان العرب، 198: 3.

(2) ابن منظور، لسان العرب، 13: 64.

الفناء، لا استنشاق ولا هواء، روائح مستكرهة، غياب الأحبة، لا زيارات، لا رفقاء، لا سلام ولا كلام.

سادسا: الأوطان والمدن والقرى في القرآن

مصر:

عدد الورد: وردت كلمة "مصر" في القرآن الكريم بخمسة مواضع.

المعنى اللغوي: "المصر: الحاجز والحد بين الشيتين... يقال: اشترى الدار بمصورها، أي: بحدودها... والمصر: الحد في كل شيء، وقيل: المصر الحد في الأرض خاصة. الجوهري، مصر: هي المدينة المعروفة، تذكر وتؤنث... ومصر: مدينة بعينها، سميت بذلك لتمصرها، وقد زعموا أن الذي بناها إنما هو المصر بن نوح -عليه السلام- قال ابن سيده: ولا أدري كيف ذاك، وهي تصرف ولا تصرف. قال سيبويه في قوله تعالى: ﴿اهبطوا مصراً﴾ (البقرة: 61) بلغنا أنه يريد مصر بعينها... وقال أبو إسحاق: فيه وجهان: يراد بها مصر من الأمصار؛ لأنهم كانوا في تيه، وجائز أن يكون أراد مصر بعينها فجعل مصراً اسماً للبلد" (1).

الفائدة الجمالية: جاءت كلمة "مصر" مرة منها مصروفة، وحملت معنى عاماً، ولم يقصد بها بلد مصر المعروفة. وأربعة مواضع ممنوعة من الصرف، وهي بلاد مصر، قال تعالى: ﴿اهبطوا مصراً فإن لكم ما سألتم﴾ (البقرة: 61). وقال تعالى: ﴿تبوءوا لقومكما بمصر بيوتاً﴾ (يونس: 67)، وقال تعالى: ﴿وقال الذي اشتراه من مصر لامراته أكرمي مثواه﴾ (يوسف: 21)، وقال تعالى: ﴿وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين﴾ (يوسف: 99)، وقال تعالى: ﴿قال يا قوم أليس لي ملك مصر﴾ (الزخرف: 51)، وتلك الآيات تنبئ بحضارة مصر العريقة، فالملك، والتجارة، والأمن، والبيوت، والعمران.

قريش:

عدد الورد: وردت كلمة "قريش" في القرآن الكريم بموضع واحد مرة.

المعنى اللغوي: قريش: "دابة في البحر لا تدع دابة إلا أكلتها، فجميع الدواب تخافها، وقريش قبيلة سيدنا محمد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقيل: سميت بذلك لتقرشها، أي: تجمعها إلى مكة من حوالها بعد تفرقها في البلاد" (2).

(1) ابن منظور، لسان العرب، 206: 5.

(2) ابن منظور، لسان العرب، 402: 6.

الفائدة الجمالية: قال تعالى: ﴿لَيْلَاف قَرِيْشٍ إِيلَافَهُمْ﴾ (قريش: 1) " وهو تذكير يستجيش الحياء في النفوس. ويثير الخجل في القلوب. وما كانت قريش تجهل قيمة البيت وأثر حرمة في حياتها. وما كانت في ساعة الشدة والكربة تلجأ إلا إلى رب هذا البيت وحده. وما هو ذا عبد المطلب لا يواجه أبرهة بجيش ولا قوة. وإنما يوجهه برب هذا البيت، الذي يتولى حماية بيته! " (1). ولقريش نصيب من اسمها، فهي مكان ألفتها القلوب فما وجدت عنه تحويلاً، فجمعت أطياف الناس، فالكل يتلهف للبقاء فيها؛ لأنها حوت بين جنباتها أماكن القداسة الأولى في الأرض، حرم الله -تعالى- الذي كان وما زال سبباً رئيساً لاجتماع الناس في مؤتمر الحج العالمي السنوي.

سبأ:

عدد ورود: وردت كلمة " سبأ " في القرآن الكريم مرتين.

المعنى اللغوي: " اسم بلدة كانت تسكنها بلقيس. قوله تعالى: ﴿وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَأٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ﴾ ... قال الزجاج: سبأ هي مدينة تعرف بمأرب من صنعاء على مسيرة ثلاث ليال... وقيل: سبأ اسم رجل ولد عشرة بنين، فسميت القرية باسم أبيهم " (2).

الفائدة الجمالية: وفيها إشارة على حضارة اليمن العريقة. خيرات، ونعم، ورغد من العيش، ومأمن في الرزق، وحدائق وجنات غناء، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَأٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ﴾ (سبأ: 15). وكان في سبأ مملكة، استحقت لفت أنظار نبي الله سليمان إليها، فأرسل يتحسس أمرها، قال تعالى: ﴿وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَأٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ﴾ (النمل: 22).

سيناء:

عدد ورود: وردت كلمة "سيناء" في القرآن مرة واحدة. ووردت بلفظ "سينين" مرة واحدة.

الفائدة الجمالية: ذكرت كلمة "سيناء" في القرآن مضافة إلى جبل الطور، وهي إضافة تشريف، وهي بلاد البركة والخير، والقداسة والنبوة، والتكريم والتكليم، بارك الله شجرها وغرسها، قال تعالى: ﴿وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للأكلين﴾ (المؤمنون: 20)، وقال تعالى: ﴿وطور سينين﴾ (التين: 2). وقد سبق بيان الطور.

(1) قطب، في ظلال القرآن، 6: 3983.

(2) ابن منظور، لسان العرب، 1: 114 - 115.

مكة وبكة:

عدد الورد: وردت كلمتا " مكة، بكة " في القرآن الكريم بموضع واحد.

المعنى اللغوي: قال تعالى: ﴿إِن أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران: 96). و" قيل: مكة الحرم، وبكة: المسجد خاصة. وقيل: مكة البلد، وبكة البيت، وموضع الطواف. وقيل: البيت خاصة "(1).

الفائدة الجمالية: مكان مفتوح للتجمع العالمي من لدن إبراهيم -عليه السلام- الذي نادى في الناس بالحج من كل فج عميق، إنه مكان التحول التاريخي لحياة الإنسان، تحول الكفر إلى الإيمان، وتحول القبلية إلى الرحابة الدينية التي تجعل للإنسان عالماً جديداً، وتحول من حياة الأثرة إلى الإيثار، ومن الحياة التي يأكل الضعيف القوي. إنه مكان القدسية الأكبر، ضم بين جنباته المسجد الحرام، كان مسرح الانطلاقة الكبرى، انطلاقة الدعوة السخية، وانطلاقة الأخلاق السامية. وانطلاقة نحو الله، انطلاقة نحو الإيمان.

بدر:

عدد الورد: وردت كلمة "بدر" في القرآن الكريم بموضع واحد.

المعنى اللغوي: وهي " قرية قرب المدينة " (2).

الفائدة الجمالية: قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ (آل عمران: 123). إنه مكان الحراب الذي شهد للإسلام بالانتصار والرفعة، رغم قلة العدد والعتاد، اختلط ترابه بدماء زكية من الأولين، وصعدت منها أرواح عشقت قرب الله -تعالى- فكان التحول الأول، تحول الضعف إلى قوة، والقلّة إلى الكثرة. هو ميدان الذكرى بتدبير إلهي، ونجدة ربانية ملائكية، ساهمت في تحول الظلام إلى نور، فغدا الإيمان بالله -تعالى- من بعده سيد الموقف. وضع له الناس حساباً.

حُنين:

عدد الورد: وردت كلمة "حنين" في القرآن الكريم بموضع واحد مرة.

المعنى اللغوي: هي " قرية قرب الطائف " (3).

(1) السيوطي، جلال الدين، الإتيقان في علوم القرآن، 4-376.

(2) السيوطي، جلال الدين، الإتيقان في علوم القرآن، 4-376.

(3) السيوطي، جلال الدين، الإتيقان في علوم القرآن، 4-377.

الفائدة الجمالية: قال تعالى: ﴿ويوم نحين إذ أعجبتمك كثيرتم﴾ (التوبة: 25). إنه مكان العبرة العظة، وميدان التقلبات، وساحة الفتنة الكبرى والرجفة. ذكرى تخيم على النفوس صورة الاغترار بالقوة والعدد، وهي ميدان شاهد على نداء المفارقة، إما مع الدين أو الدنيا.
الأيكة:

عدد الورود: وردت في القرآن الكريم بأربعة مواضع.

المعنى اللغوي: الأيكة " بلد قوم شعيب " (1).

الفائدة الجمالية: قد نعت الله تعالى قوم هذه البلدة بالظالمين قال تعالى: ﴿وإن كان أصحاب الأيكة لظالمين﴾ (الحجر: 78)، وبالمكذبين، قال تعالى: ﴿كذب أصحاب الأيكة المرسلين﴾ (الشعراء: 176)، قال تعالى: ﴿وأصحاب الأيكة وقوم تبع كل كذب الرسل﴾ (ق: 14)، وبالمتفرقين والمتحزبين، قال تعالى: ﴿وأصحاب الأيكة أولئك الأحزاب﴾ (ص: 13).

سابعاً: الأماكن الغيبية (أماكن الآخرة)

وهي تمثل كل الأماكن التي يمكن تصورها، وقد تكون فوق تصور الإنسان، وهي على أنواع ثلاثة- أيضاً- اللامحدودة، والمفتوحة، والمغلقة. وإن اهتمام الإسلام بالآخرة وما فيها من أماكن، مثل الصراط ينصب على نار جهنم، وموقف الحشر يكون فيها حشر الناس، وما تحتويه الآخرة من جنة ونار، ودرجات ودركات، وفردوس وقعر، جاء بها ليهدف من ذكرها إلى الآتي:

1- بيان قدرة الله - تعالى- على الخلق، والموت، ثم البعث بالإحياء الثانية.
2- محاسبة الإنسان على إيمانه، وأعماله في الآخرة حسبما قدم، إن خيراً قدم فخييراً يرى، وإن شراً فشرأ يرى.

3- الحكم عليه بسجن النار، أو له بدخول الجنة أبداً خالداً.

4- التعرف على مظاهر القدرة الإلهية الأخروية بالتصور والتخيل لها، من خلال ما ذكر في القرآن من ملامح لهما.

5- ذكر أحوال الجنة واماكنها يعتبر ترغيباً وتحفيزاً، وأماكن النار تخويفاً وتهديداً، وكل ذلك على سبيل الحقيقة لا الخيال.

ولقد نشأت علاقة تكاملية بين أماكن الدنيا والآخرة، فبيوت الله كالبيت الحرام، والمساجد، وأماكن العبادة، ودور العلم النافع، وساحات الجهاد، وإعمار الأرض كل ذلك يحمل الشخص إلى عالم

(1) السيوطي، جلال الدين، الإتيان في علوم القرآن، 4-377.

الغيب، وأماكن الجنة، ودرجاتها، وما فيها. كما إن الذين يزولون أماكن الفسق، ويرتادون أماكن الشرك والكفر، يدفعون إلى جهنم، ودرجاتها دفعا.

كذلك قد أخبر القرآن عن أماكن الغيب التي وضع صورتها شاخصة أمامها الأبصار، تدبرا وتفكرا. فبدأ بحالة البعث من القبور، إلى مكان المحشر، ثم العرض على الله -تعالى- للحساب والجزاء، ثم الصراط، ثم السوق إلى مستقر النعيم في الجنة. ذلك المكان الذي جاء وصفه في كثير من آيات القرآن الكريم، وصفا دقيقا لما احتوته من صنوف الخيرات والطيبات التي هيئت لمن آمن بالله، مع تلك الدرجات التي يتفاوت في سكنها الناس حسب قربهم من ربهم -سبحانه وتعالى- فينعمون بكل ما فيها، فتبلغ النفوس توقها للسكن فيها، والإقامة بمنزلها، وبلوغ أعلى الدرجات وأرفعها. والمستقر للمكان المقابل وهو النار، التي جعلت موقدا لا ينطفئ، وجحيما لا يخمد، ولهيبا يتموج، وسعيرا ينقدح، في أجساد الذين تنكبوا عن الجادة والصواب، وما آمنوا برب الأرباب، وجعل الله -سبحانه وتعالى- فيها من كل صنوف النقم، وأنواع العذاب، ما يضيف على نفوسهم إذا سمعوا بتأخفا ورعبا، وهم في درجات هاوية، من بابها لقعرها، يتفاوتون في العذاب والشقاء. كل تلك الأماكن وغيرها من عرش الرحمن -سبحانه- وكرسيه وغيرها، كشفت عنها الآيات القرآنية تبشيرا وإنذارا، وهذا بيان الأماكن:

العرش

عدد الورد: وردت كلمة "عرش" في القرآن الكريم بستة وعشرين موضعاً، كلها بصيغة الإفراد. وجاءت كلمة "عروش" جمعاً في ثلاثة مواضع.

المعنى اللغوي: العرش " العين والراء والشين أصل صحيح واحد، يدل على ارتفاع في شيء مبني، ثم يستعار في غير ذلك. من ذلك العرش، قال الخليل: العرش: سرير الملك. وهذا صحيح، قال الله تعالى: ﴿ورفع أبويه على العرش﴾ (يوسف: 100)، ثم استعير ذلك فقيل لأمر الرجل وقوامه: عرش. وإذا زال ذلك عنه قيل: تلى عرشه... ويقال لسقف البيت عرش. قال الله تعالى: ﴿فهي خاوية على عروشها﴾ (الحج: 45) والمعنى أن السقف يسقط، ثم يتهافت عليه الجدران ساقطة " (1). و" العرش: سرير الملك، يدل على ذلك سرير ملكة سبأ، سماه الله -عز وجل- عرشاً، فقال عز من قائل: ﴿إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم﴾ (النمل: 23) وقد يستعار لغيره... والجمع: أعراش وعروش وعَرْشَة... والعرش: البيت، وجمعه عروش. وعرش البيت

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 4: 264-265.

سقفه، وعرش الرجل قوام أمره منه. والعرش: الملك... والعرش: البيت والمنزل والجمع عُرُش... وفي التهذيب: وعرش الثريا كواكب قريبة منها. والعرش والعريش: ما يستظل به " (1).

الفائدة الجمالية: قال تعالى: ﴿الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم﴾ (غافر: 7)، وقال تعالى: ﴿ثم استوى على العرش﴾ (الأعراف: 54)، وقال تعالى: ﴿فسبحان الله رب العرش العظيم﴾ (الأنبياء: 22). كما جاء في قصة نبي الله -تعالى- يوسف - عليه السلام - قال تعالى: ﴿ورفع أبويه على العرش﴾ (يوسف: 100)، وفي قصة بلقيس، قال تعالى: ﴿ولها عرش عظيم﴾ (النمل: 23). قال تعالى: ﴿على قرية وهي خاوية على عروشها﴾ (البقرة: 259). وقال تعالى: ﴿رفيع الدرجات ذو العرش﴾ (غافر: 15)، وقال تعالى: ﴿فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم﴾ (المؤمنون: 116)، وقال سبحانه: ﴿وسع كرسيه السماوات والأرض﴾ (البقرة: 255). و " إن كل ما علا اتسع، فكل سماء أعلى من التي تحتها وهي أوسع منها. ولهذا كان الكرسي أعلى من السماوات. وهو أوسع منهن كلهن، والعرش أعظم من ذلك كله بكثير " (2). وهو " عبارة عن السرير الذي للملك، كما قال تعالى: ﴿ولها عرش عظيم﴾ وليس هو فلكاً، ولا تفهم العرب منه ذلك. والقرآن إنما نزل بلغة العرب، فهو سرير ذو قوائم تحمله الملائكة، وهو سقف المخلوقات، قال تعالى: ﴿الذين يحملون العرش ومن حوله﴾ (غافر: 7)... (3).

الكرسي:

عدد ورود: وردت كلمة "كرسي" في القرآن الكريم بموضعين.

المعنى اللغوي: كرسى: " كرسى: تكرس الشيء وتكارس: تراكم وتلازب، وتكرس أس البناء: صلب واشتد... والكرسي في اللغة والكراسة: إنما هو الشيء الذي قد ثبت ولزم بعضه بعضاً " (4). الفائدة الجمالية: " الكرسي لم يصح في صفته من الأحاديث شيء إلا حديث واحد... قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ﴿والذي نفسي بيده ما السماوات السبع، والأرضون السبع عند الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة. وإن فضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك

(1) ابن منظور، لسان العرب، 6: 376 - 378.

(2) ابن كثير، إسماعيل، قصص القرآن، 11.

(3) ابن كثير، إسماعيل، قصص القرآن الكريم، 10.

(4) ابن منظور، لسان العرب، 6: 234.

الحلقة (1). قال تعالى: ﴿وسع كرسیه السماوات والأرض﴾ (البقرة: 255)، وقال تعالى: ﴿وألقينا على كرسیه جسداً ثم أناب﴾ (ص: 34)، والثانية في قصة نبي الله - تعالى - سليمان - عليه السلام - حيث ذكر الكرسي الذي كان يجلس عليه حتى مات.

البرزخ:

عدد ورود: وردت كلمة "برزخ" في القرآن الكريم بثلاثة مواضع.

المعنى اللغوي: برزخ: " البرزخ: ما بين كل شيئين. وفي الصحاح: الحاجز بين الشيئين. والبرزخ:

ما بين الدنيا والآخرة قبل الحشر من وقت الموت إلى البعث، فمن مات فقد دخل البرزخ " (2).

الفائدة الجمالية: هو حاجز بين زمانين ومكانين، بين زمان الحياة الدنيا وحياة الآخرة، ومكان

الأرض وأماكن الآخرة، قال تعالى: ﴿ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون﴾ (المؤمنون: 100)، ويكون

البرزخ حاجزا بين البحرين، قال تعالى: ﴿بينهما برزخ لا يبغيان﴾ (الرحمن: 20)، وقال تعالى:

﴿وجعل بينهما برزخاً وحجراً محجوراً﴾ (الفرقان: 53). الإنسان يوطن نفسه - بديهة - إلى مكان

الانتقال، استعدادا لمرحلة البرزخ - القبر - تلك المرحلتان انتقاليتان مؤقتتان الخلق الأول (الدنيا)

والموت (البرزخ)، وتنتهي الأولى؛ ليختم على أعماله، لتكون بداية الثانية مفترق طرق بين عالم

المعلوم الذي انتهى بالموت، والعالم الغيبي المستقبلي. ومع أن الإسلام أتى مرغبا ومحفزا للإنسان

بالاستعداد والانطلاق إلى أماكن غيبية تبدأ بعد القبر بالبعث، وتنتهي بعالم - الجنة - يأتي -

أيضا - محذرا من المصير الضد "النار".

مكان البعث:

عدد ورود: وردت كلمة "البعث" في القرآن الكريم 25 مرة.

المعنى اللغوي: بعث: قال تعالى: ﴿يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا﴾ أي: من بعث الله إيانا من

مرقدنا، والبعث في كلام العرب على وجهين: أحدهما الإرسال، كقوله تعالى: ﴿ثم بعثنا من بعدهم

موسى﴾، معناه: أرسلنا. والبعث: إثارة برك أو قاعد " (3).

الفائدة الجمالية: حملت كلمة البعث عدة معان أحدها الإحياء، بأن بث الروح في الشيء، فأصبح

حياً كالأحياء، قال تعالى: ﴿فأماته الله مائة عام ثم بعثه﴾ (البقرة: 259)، وقال تعالى: ﴿وكذلك

(1) ابن كثير، إسماعيل، قصص القرآن الكريم، 10.

(2) ابن منظور، لسان العرب، 8: 3.

(3) ابن منظور، لسان العرب، 132: 2.

بعثناهم ليتساءلوا بينهم﴾ (الكهف: 19)، وقال تعالى: ﴿قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا﴾ (يس: 52). وتأتي بمعنى إرسال الرسل وابتعائها للناس، قال تعالى: ﴿ثم بعثنا من بعدهم رسلاً إلى قومهم﴾ (يونس: 74)، وقال تعالى: ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً﴾ (النحل: 36)، وقال تعالى: ﴿بعثنا عليكم عبداً لنا﴾ (الإسراء: 5). وتأتي بمعنى الإخراج من القبور وإعادة الخلق، قال تعالى: ﴿فهذا يوم البعث﴾ (الروم: 56)، وقال تعالى: ﴿لبئتم في كتاب الله إلى يوم البعث﴾ (الروم: 56)، وجاءت كلمة "البعث" منسوبة إلى الله -تعالى- في جميع الآيات؛ لتدل على أن الأمر أمره، والخلق خلقه، ولم ترد هذه الكلمة في القرآن بحق غيره، إذ لا يقدر أحدٌ أن يفعل فعله، أو أن يكون في الفعل مثله. والبعث إنما أورده الباحث هنا مع العلم أنه ليس كلمة مكانية بحد ذاتها، إنما كما هو معروف أن البعث يحدث بإطاري الزمان والمكان، لذا كان له الوجود هنا، فإنه حتماً واقع في مكان ما.

مكان الحشر

عدد الوجود: وردت كلمة "حشر" في القرآن الكريم بتسعة مواضع.

المعنى اللغوي: الحشر والمحشر: " المحشر: المجمع الذي يحشر إليه القوم، وكذلك إذا حشروا إلى بلد أو معسكر أو نحوه " (1).

الفائدة الجمالية: أتى الحشر بمعنى الجمع في مكان واحد، حتى عجز وضج. قال تعالى: ﴿فحشر فنادى﴾ (النازعات: 23) فإن فرعون جمع الناس ليشاهدوا التباري مع نبي الله موسى -عليه السلام- ثم نادى فيهم، وفي أنه -سبحانه- حشر لسليمان جندا لخدمته وطاعته، قال تعالى: ﴿وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير﴾ (النمل: 17)، وكان له من الجن جند كثير قد جمعهم وحشدهم وسخرهم لخدمته. أما الحشر يوم القيامة، وهو جمع الخلائق في مكان واحد للعرض والحساب فجاء في بقية المواضع، قال تعالى: ﴿وإذا الوحوش حشرت﴾ (التكوير: 5)، وصورة الكافر وهو مجموع مع الكافرين في النار، قال تعالى: ﴿قال رب لم حشرتني أعمى﴾ (طه: 125)، وقال تعالى: ﴿وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا﴾ (الكهف: 47)، والحشر أمره على الله -تعالى- يسير، قال تعالى: ﴿ذلك حشر علينا يسير﴾ (ق: 44)، والحشر في مكان واحد للكافر في اليوم العصيب، حيث يعتبر مظهراً من مظاهر كشف الحقائق، قال تعالى: ﴿وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين﴾ (الأحقاف: 6).

(1) ابن منظور، لسان العرب، 222: 4.

الصراط

عدد ورود: وردت كلمة "صراط" أربعاً وأربعين مرة.

المعنى اللغوي: صراط " ذكر في السين، وهو الطريق. قال:

وأحملهم على وضح الصراط (1).

أكر على الحرور يبين مهري

وقيل: " هو الطريق السهل، قال الشاعر:

تركناهم أذل من الصراط (2)

خشونا أرضهم بالخيل حتى

الفائدة الجمالية: وحملت في المواضع على معانٍ منهن: الطريق المستقيم، قال تعالى: ﴿وهذا صراط ربك مستقيماً﴾ (الأنعام: 126) كناية عن الدين، وعلى ذلك كثير من الآيات. وجاءت نعت الصراط بالمستقيم؛ لأن الإنسان بالدين إنما يصل إلى الاستقامة في كل شيء، وكذلك يختار له طريقاً مستقيماً ومباشراً نحو رضوان الله ونعيمه وجاء الصراط المنعوت بالاستقامة في ثلاث وثلاثين آية. بينما جاءت الكلمة نفسها للتعبير عن ذلك المكان الذي يبدو من الآيات مكاناً فيه شدة، وتقع عليه عواقب وخيمة، قال تعالى: ﴿فأهدوهم إلى صراط الجحيم﴾ (الصافات: 23).

وجاءت كلمة الصراط التي تدل على طريق الحق أو الدين أو القرآن، مضافة إلى صفات الله - تعالى- العزيز الحميد، ونسبت إلى المؤمنين ونعتت بالسوي في موضعين. بينما جاء الصراط للمفارقة بين طريقين بئنين، طريق الخير والاستقامة، وهو طريق المرسلين الذي دعوا إليه الناس جميعاً لسلكه، والدخول فيه. كما جاء مقابلاً له في السياق نفسه بوعيد لمن تكذب عنه، وسار في طريق الشر، قال تعالى: ﴿وانك لتدعوهم إلى صراط مستقيم* إن الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون﴾ (المؤمنون: 73. 74).

وثبت في النصوص الدينية، عند علماء الدين بأنه " جسر على جهنم، إذا انتهى الناس بعد مفارقتهم مكان الموقف إلى الظلمة التي دون الصراط، وفي هذا الموضع يفترق المنافقون عن المؤمنين ويتخلفون عنهم، ويسبقهم المؤمنون، ويحال بينهم بسور يمنعهم من الوصول إليهم " (3). وربما كان تعريفه أكثر دقة على أنه " جسر دقيق منصوب على ظهر جهنم، وهو عقبة كأداء في طريق الداهيين إلى دار السلام، وممر خطير... و يكون مرور الناس بحسب أعمالهم في الدنيا،

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 3: 349.

(2) العسكري، الفروق في اللغة، 295.

(3) الطحاوي، أصول العقيدة الإسلامية، 164.

فمنهم من يمر بسرعة مدهشة، حتى لكأنه البرق الخاطف، ومنهم من يمر دون ذلك إلى أن ينجو من ينجو ولو حبا على يديه وركبتيه، ويهلك من هلك بسقوطه في جهنم (1).

الجنة (دار القرار، دار المتقين، دار الخلد، دار الآخرة، دار المقامة):

عدد ورود: وردت كلمة "جنة" مفردة "77 مرة" و "جنته" ومفردة ومضاف إليها الضمير وردت "أربع مرات" و "جنتان" مثنى وردت "ثلاث مرات" و "جنتين" وردت "أربع مرات" و "جنتيهم" مثنى ومضاف إليها الضمير وردت مرة واحدة، و"جنتات" للجمع وردت "71 مرة".

المعنى اللغوي: كلمة "جنتات" للإقامة الدائمة في نعيمها الذي يمثله هنا الأمن والفناء والفوات، والطمأنينة من القلق الذي يعكر وينغص كل طبيبات الأرض كما، يمثله جريان الأنهار من تحتها، وهو يلقي ظلال الندوة والحياة والجمال (2).

الفائدة الجمالية: " والجنة والنار مخلوقتان... قال تعالى: ﴿ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى* عندها جنة المأوى﴾ (النجم 13-15). وقال تعالى: ﴿أعدت للمتقين﴾ (آل عمران: 33) عن الجنة، وقال تعالى: ﴿أعدت للكافرين﴾ (البقرة: 24) عن النار، والفعل ماض للمجهول. وهما لا تفنيان ولا تبيدان، قال تعالى: ﴿إن هذا لرزقنا ماله من نفاذ﴾ (ص: 54)، وقال تعالى: ﴿أكلها دائم وظلها﴾ (الرعد: 35)، وقال تعالى: ﴿ولهم عذاب مقيم﴾ (المائدة: 37)، وقال تعالى: ﴿خالدين فيها أبدا﴾ (النساء: 57) (3). وجاءت كلمة دار في اثنين وثلاثين موضعا، مرة للدلالة على عالم الآخرة، ومقام المؤمنين فيها، وذلك في اثنين وعشرين موضعا، قال تعالى: ﴿ولدار الآخرة خير للذين اتقوا﴾ (يوسف: 109)، وقال تعالى: ﴿ولنعم دار المتقين﴾ (النحل: 30)، وقال تعالى: ﴿إن الآخرة هي دار القرار﴾ (غافر: 39)، كما جاءت فيها إشارة إلى الأبدية، التي لا انتقال منها، ولا تحول عنها، قال تعالى: ﴿لهم فيها دار الخلد﴾ (فصلت: 28). بينما جاءت كلمة دار في آيات أخرى؛ للدلالة على مكان العذاب وعاقبة السوء، قال تعالى: ﴿لهم اللعنة ولهم سوء الدار﴾ (الرعد: 25)، وقال أيضا: ﴿سأوریکم دار الفاسقين﴾ (الأعراف: 145)، وقال تعالى: ﴿وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار﴾ (الرعد: 42).

وفي الجنة نعم لا تحصى، ذكر القرآن وصفها والكثير من نعمها. فالجنة سعتها عظيمة، قال تعالى: ﴿وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض﴾ (آل عمران: 133)، وللجنة أبواب، قال تعالى: ﴿وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها* وقال

(1) ينظر، سورة الحاقة: 13 - 18، سورة ق: 41 - 44، سورة القمر: 6 - 8، سورة المعارج: 43 - 44، سورة الإسراء: 51 - 52.

(2) سيد قطب، في ظلال القرآن، 6: 3953.

(3) الطحاوي، أصول العقيدة الإسلامية، 166.

لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين ﴿الزمر: 73﴾، وعلى أبوابها ملائكة يستقبلون المؤمنين مرحبين، قال تعالى: ﴿وتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون﴾ (الأنبياء: 103)، وقال تعالى: ﴿وقال لهم خزنتها سلام عليكم﴾ (الزمر: 73)، وفيها نعيم، وملك، وحرير، وأساور من ذهب وفضة، والشراب الطهور (1). كما فيها أزواج حرائر مقصورات لأزواجهن، قال تعالى: ﴿حور مقصورات في الخيام﴾ (الرحمن: 72). ونساء أهلها بيض كواكب مقصورات لهم، قال تعالى: ﴿وعندهم قاصرات الطرف عين كأنهن بيض مكنون﴾ (الصفوات: 48-49). أما علاقة الإنسان بالجنة، فهي علاقة المالك في ملكه، ينتقل بين جنب، ويتجلى بين نعمائه. وبينه وبين غيره وشائج، وأواصر لا تشاب، يأكل ويشرب، يزور ويزار، ويزيده هناك نظره إلى وجه الله الغفار، علاقة تتمازج مع الطيبين والطيبات.

الدرجات:

عدد الورود: وردت كلمة "درجات" جمعاً في القرآن الكريم بأربعة عشر موضعاً.

المعنى اللغوي: "درج البناء ودرجه، بالنتقال: مراتب بعضها فوق بعض، واحده درجة ودرجة... والدرج: الرفعة في المنزلة. والدرجة: المرقاة. والدرجة واحدة الدرجات، وهي الطبقات من المراتب، والدرجة: المنزلة، والجمع درج. ودرجات الجنة: منازل أرفع من منازل... واستدرجه، بمعنى، أي: أدناه منه على التدرج... ﴿سنستدرجهم من حيث لا يعلمون﴾ (ن: 44)، قال بعضهم: معناه سنأخذهم قليلاً قليلاً ولا نباغتهم... والدرج: لف الشيء. يقال: درجته وأدرجته ودرجته... طواه وأدخله (2).

الفائدة الجمالية: كل مواضعها جاءت في حق المؤمنين، يرفعهم في الجنة منازل في عليين، ويرفعهم في العلم درجات، ويعطيهم درجات حسب عملهم وعلمهم، قال تعالى: ﴿ولكل درجات مما عملوا﴾ (الأحقاف: 19)، وقال تعالى: ﴿والذين أتوا العلم درجات﴾ (المجادلة: 11). وقال تعالى: ﴿ورفع بعضكم فوق بعض درجات﴾ (الأنعام: 165)، أما كلمة "درجة" فقد وردت في أربعة مواضع، قال تعالى: ﴿وللرجال عليهن درجة﴾ (البقرة: 228)، وقال تعالى: ﴿فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة﴾ (النساء: 95)، وقال تعالى: ﴿الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله﴾ (التوبة: 20)، وقال تعالى: ﴿لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا﴾ (الحديد: 10).

(1) الجزائري، عقيدة المؤمن، 281.
(2) ابن منظور، لسان العرب، 2: 305 - 310.

النُّزُل:

عدد ورود: وردت كلمة "نزل" في القرآن الكريم 7 مرات.

المعنى اللغوي: "المنزل، عن الزجاج، وبذلك فسّر قوله تعالى: ﴿جعلنا جهنم للكافرين نزلاً﴾ (الكهف: 102)، وقال تعالى: ﴿جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نزلاً من عند الله﴾ (آل عمران: 198)... النزول وهو الحلول، تقول: نزلت نزولاً ومنزلاً... ونزل من علو إلى سفلى: انحدر... والنُّزْل والنُّزْل: ما هيئ للضيف إذا نزل عليه... والنزل: المكان الصلب السريع السيل" (1).

الفائدة الجمالية: لعل هذه الكلمة هي أبلغ الكلمات، وأدقها للدلالة على سرعة نزول الأمر الإلهي، فأهل الجنة لهم نزلهم، وأهل النار لهم نزلهم. ولكل فريق ما يليق بعمله في الدنيا. فنزل الجنة أماكن إظهار لكرم الله - تعالى - لأهل الجنة، يكرمهم كإكرام المضيف ضيفه، وجل الله عن الشبيه والمثيل. ونزل النار أماكن "جهنم" منازل صلبة لا تحويل عنها لأهل النار.
مبواً:

عدد ورود: وردت كلمة "مبواً" في القرآن الكريم بموضع واحد.

المعنى اللغوي: "منزلة القوم، حيث يتبعون في قبل واد وسند جبل. ويقال: قد تبوعوا، وبوأهم الله تعالى منزل صدق" (2).

الفائدة الجمالية: وهي منزلة كريمة وضع الله - تعالى - فيها بني إسرائيل، أكرمهم وأعزهم، وقربهم إليه، قال تعالى: ﴿ولقد بوأنا بني إسرائيل مبواً صدق﴾ (يونس: 93)، وقد نسب الله - تعالى - تلك المنزلة لنفسه، بأنه أمر بتأفكهم، دلالة رحمة منه بهم، وترغيباً لهم للإيمان برسوله، وما جاء به إليهم.

(1) ابن منظور، لسان العرب، 11: 783 - 786.

(2) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 1: 312.

المستقر والمقام والمأوى والمثوى

المستقر:

عدد ورود: وردت كلمة "مستقر" في القرآن الكريم بثلاثة عشر موضعاً.

المعنى اللغوي: المستقر "القرارة من الأرض: المطمئن المستقر، وقيل: هو القاع المستدير، وقال أبو حنيفة: القرارة كل مطمئن اندفع إليه الماء فاستقر فيه، قال: وهي من مكارم الأرض إذا كانت سهولة" (1).

الفائدة الجمالية: كلمة الاستقرار "تدل على معان كلها مرادة مطلوبة، فهي تدل على المصدر بمعنى الاستقرار. وتدل على اسم المكان بمعنى مكان الاستقرار، وتدل على اسم الزمان بمعنى زمان الاستقرار وموضع الاستقرار إما أن يكون الجنة والنار، كما أن زمانه في وقت الفصل بين الخلائق" (2). وأشارت بعض المواضع إلى استقرار مخلوقات المكانية، كالأرض والشمس في الدنيا، قال تعالى: ﴿لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ (البقرة: 36)، وقال تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ (يس: 38)، كما جاء الاستقرار معنوياً للنفس، قال تعالى: ﴿لِكُلِّ نَبَأٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ (الأنعام: 67)، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ (الأنعام: 98)، ووردت كلمة "مستقر" في باقي المواضع للإشارة على استقرار أهل الجنة في جنتهم، وأهل الجحيم في دارهم، قال تعالى: ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا﴾ (الفرقان: 24)، وقال تعالى: ﴿حَسَنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ (الفرقان: 76)، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بِكْرَةٌ عَذَابٌ مُسْتَقَرٌّ﴾ (القمر: 38) وقال تعالى: ﴿إِنَّهَا سَاعَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ (الفرقان: 66)، وقال تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾ (القيامة: 12).

المقام:

عدد ورود: وردت كلمة "المقام" في القرآن الكريم بثمانية عشر موضعاً.

المعنى اللغوي: "المقامة بالضم المجلس، يؤكل فيه ويشرب" (3).

الفائدة الجمالية: جاءت كلمة "المقام" ليعض معان، منها: مجلس الغيب، ومكان الحساب، والخلوة مع الرب الأعلى - سبحانه - قال تعالى: ﴿وَلَمَن خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ (الرحمن: 46)، وقال تعالى:

(1) ابن منظور، لسان العرب، 100: 5.

(2) ينظر، السامرائي، د.فاضل صالح، الجملة العربية والمعنى، بيروت، دار ابن حزم، 2000 م، 171.

(3) العسكري، الفروق في اللغة، 303.

﴿وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى﴾ (النازعات: 40)، وقال تعالى: ﴿إن المتقين في مقام أمين﴾ (الدخان: 51)، وقال تعالى: ﴿أن يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾ (الإسراء: 79)، وقال تعالى: ﴿خالدين فيها حسنت مستقراً ومقاماً﴾ (الفرقان: 76)، وقال تعالى: ﴿الذي أحلنا دار المقامة من فضله﴾ (فاطر: 35). هذه الشواهد الأخيرة في الجنة.

أما النار، قال تعالى: ﴿إنها ساءت مستقراً ومقاماً﴾ (الفرقان: 66). أما مجالس الدنيا فجاءت في بقية المواضع، قال تعالى: ﴿فيه آيات بينات مقام إبراهيم﴾ (آل عمران: 97)، وقال تعالى: ﴿وما منا إلا له مقام معلوم﴾ (الصافات: 164)، وقال تعالى: ﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى﴾ (البقرة: 125)، وقال تعالى: ﴿وكنوز ومقام كريم﴾ (الشعراء: 58)، وقال تعالى: ﴿وزروع ومقام كريم﴾ (الدخان: 26). وقال تعالى: ﴿يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا﴾ (الأحزاب: 13)، وقال تعالى: ﴿أي الفريقين خير مقاماً﴾ (مريم: 73)، وقال تعالى: ﴿الذي أحلنا دار المقامة من فضله﴾ (فاطر: 35)، ولما اجتمع المقام الدائم الأبدي مع فضل الله تلازما، كان ذلك قمة البراعة والكمال، والتمام والحسن والجمال.

المأوى:

عدد ورود: وردت كلمة "مأوى" في القرآن الكريم 24 مرة.

المعنى اللغوي: يقول صاحب اللسان: "والمأوى المنزل... والمأوى كل مكان يأوي إليه شيء ليلاً أو نهاراً" (1) ويؤكد ذلك الأصفهاني فيقول: "المأوى مصدر أوى يأوي أويًا ومأوى، تقول: أوى إلى كذا الضم إليه... وأواه غيره يؤويه إيواء" (2).

الفائدة الجمالية: جاءت كلمة المأوى مضافة إلى عالمين "الدنيا" و "الآخرة" أما في الدنيا فقد جاءت مضافة لأماكن مختلفة، إلى الكهف تارة، قال تعالى: ﴿إذ أوى الفتية إلى الكهف﴾ (الكهف: 10)، وإلى الجبل تارة أخرى، قال تعالى: ﴿قال سآوي إلى جبل يعصمني من الماء﴾ (وهود: 43)، وإلى الصخرة في موضع ثالث، قال تعالى: ﴿قال أرأيت إذ أؤينا إلى الصخرة﴾ (الكهف: 63)، وإلى ركن شديد، قال تعالى: ﴿قال لو أن لي بكم قوة أو آوي ركن شديد﴾ (هود: 80). وقال تعالى: ﴿وفصيلته التي تؤويه﴾ (المعارج: 13). ويفهم مما سبق أنه المكان الذي يلجأ إليه الإنسان طلباً للحماية، وذلك لأنه استخدم الفعل الإرادي، وفي الآخرة جاءت خبراً مقدماً إلى الجحيم والنار، قال تعالى: ﴿واغلظ عليهم ومأواهم جهنم﴾ (التحريم: 9)، وقال تعالى: ﴿ومأواهم النار وبئس

(1) ابن منظور، لسان العرب 1: 274.

(2) الأصفهاني، الراغب، معجم مفردات ألفاظ القرآن، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1997م، 39.

المصير ﴿التوبة: 37﴾، وقال **تعالى**: ﴿وأما الذين فسقوا فمأواهم النار﴾ (السجدة: 20)، وقد جاء بلفظ المصدر، وأشار إلى الزج والضم في مكان ما فيها. ولما أضيفت كلمة المأوى إلى الجنة، حملت على أن الجنة ضمت إيواء المؤمن في جوفها، وبين نزلها ودرجاتها، قال **تعالى**: ﴿جنات المأوى نزلًا﴾ (الكهف: 106).

المثوى:

عدد الورد: وردت كلمة "المثوى" في القرآن الكريم أربع عشرة مرة.
المعنى اللغوي: قال صاحب اللسان: الثواء: طول المقام... ومثوى الرجل: منزله.. وثوى الرجل: قير؛ لأن ذلك ثواء لا أطول منه..(1).
الفائدة الجمالية: جاءت لتحمل معنى التهيئة " لطول المكث في مكان ما، وعلى ذلك يمكن للثاوي أن تطول في المكان مدة مكثه فيه، ثم يخرج منه. بين ثواء لأماكن في الدنيا، وأماكن في الآخرة. يرجع إلى كلمة "المأوى".

الفردوس

عدد الورد: وردت كلمة "فردوس" في القرآن الكريم بموضعين اثنين.
المعنى اللغوي: " الفردوس: البستان... الوادي الخصيب عند العرب كالبستان... والفردوس: الروضة... الفردوس: خضرة الأعناب. قال الزجاج: وحقيقته أنه البستان الذي يجمع ما يكون في البساتين... والفردوس: حديقة في الجنة... وأهل الشام يقولون للبساتين والكروم الفرديس... والمُفْرَدَس: المعرش من الكروم. والمُفْرَدَس: العريض الصدر. والفْرَدَسَة: السعة " (2).
الفائدة الجمالية: مكان مفتوح لخلق لهم وصفهم وأعمالهم التي تميزهم عن غيرهم، قال **تعالى**: ﴿الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون﴾ (المؤمنين: 11)، وقال **تعالى**: ﴿كانت لهم جنات الفردوس نزلًا﴾ (الكهف: 107). مكان البهجة، والمتعة، والفرح، تطرب النفس بسماع الفردوس، ويسعد الضمير بوصف دلالتها والنعيم فيها. بساتين غاصة بما لذ للخاطر وطاب، والنعيم فيه يقطر وينساب، وهي أرفع الأماكن درجات، واسعة شاسعة. وهي مطلب كل مؤمل.

(1) ابن منظور، لسان العرب، 204: 15.

(2) ابن منظور، لسان العرب، 6: 197.

عدن

عدد الورود: وردت كلمة "عدن" في القرآن الكريم بأحد عشر موضعاً، كلها مضافة لجنات الآخرة. **المعنى اللغوي:** عدن: " العين والذال والنون أصل صحيح يدل على الإقامة. قال الخليل: العدن: إقامة الإبل... والأصل الذي ذكره الخليل هو أصل الباب ، ثم قيس به كل مقام، فقيل: جنة عدن، أي إقامة "(1). و" عدن فلان بالمكان يعدن ويعدن وعدناً وعدوناً: أقام. وعدنت البلد: توطنته. ومركز كل شيء معدنه، وجنات عدن منه أي: جنات إقامة لمكان الخلد... واسم عدنان مشتق من العدن، وهو أن تلتزم الإبل المكان فتألفه ولا تبرحه... ومنه المعدن، بكسر الدال، وهو المكان الذي يثبت فيه الناس؛ لأن أهله يقيمون فيه، ولا يتحولون عنه شتاءً ولا صيفاً"(2).

الفائدة الجمالية: مكان إقامة مفتوح لا تحول منه إلى غيره؛ لأنه وعد الله -تعالى- لمن به آمن، قال تعالى: ﴿جنات عدن التي وعد الرحمن عباده﴾ (مريم: 61)، جنات لا باب فيها فحسب، إنما هي أبواب كثيرة، دلالة على كثرة الداخلين فيها، وعلى كثرة أصنافهم، وعلى درجات قربهم من ربهم. قال تعالى: ﴿جنات عدن مفتحة لهم الأبواب﴾ (ص: 50). كم أنها تزخر بالمساكن، والعمائر، التي يعمر فيها أصحاب الإيمان، ويسكن بها أهل الإحسان، قال تعالى: ﴿ومساكن طيبة في جنات عدن﴾ (التوبة: 72)، وقال تعالى: ﴿جنات عدن يدخلونها﴾ (الرعد: 23، النحل: 31، فاطر: 33)، ومن أوصافها أنها آية جمال تتدفق بها الحركة، حركة الأنهار الجارية من تحتها، قال تعالى: ﴿جنات عدن تجري من تحتها الأنهار﴾ (طه: 76)، وغيرها. إن انتقاء مثل هذا المكان، وبهذا الوصف ليعتبر بحد ذاته دالة جمال. ودالة إعجاز.

القصور

عدد الورود: جاءت كلمة "قصور" جمعاً في القرآن الكريم بموضعين، وجاءت كلمة "قصر" مفردة في موضعين.

المعنى اللغوي: " القصر والقصير في كل شيء: خلاف الطول... قصرت الستر: أرخيته... وقصر الشيء يقصره قصراً: حبسه. والقصر من البناء: معروف، قال اللحياني: هو المنزل، وقيل

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 4: 148.

(2) ابن منظور، لسان العرب، 13: 339-341.

كل بيت من حجر، قرشية، سمي بذلك؛ لأنه تقصر فيه الحرم، أي: تحبس، وجمعه قصور، وفي التنزيل العزيز: ﴿ويجعل لك قصوراً﴾ (الفرقان: 10)، والمقصورة: الدار الواسعة المحصنة (1).
 الفائدة الجمالية: مكان مغلق "مقصور" على زوجات المؤمنين "الحوار العين"؛ لأنهن طبع خلقهن على التعلق بأزواجهن، فهن لهم مقصورات في تلك القصور، وقصرهن ليس معناه حبسهن فيها دون خروج منها، إنما مقصورات فيها لأزواجهن فلا يعرفن غيرهم. أما وجودهن في القصور، فلهن ما يحببن ويرغبن ويتمنين. وهذا ما أعده الله - تعالى - لأنيائهن، قال تعالى: ﴿تبارك الذي إن شاء جعل لك خيراً من ذلك جنات تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصوراً﴾ (الفرقان: 10). أما قصور الدنيا، فنعمة من الله - تعالى - لبعض أهلها، خصها لهم، وهياً لهم فيها من الدعة والفرح ما تهنأ به نفوسهم، وقال تعالى: ﴿تتخذون من سهولها قصوراً﴾ (الأعراف: 74)، وقال تعالى: ﴿وبئر معطلة وقصر مشيد﴾ (الحج: 45). والقصر ذلك المكان الذي يحتوي على الغرف الآمنة. والجنات تلفه من كل جانب من جنباته، والأنهار الجارية من حوله ومن تحته. إنه المكان الأنسب الذي حق للمؤمن أن يسكن فيه بعد شوق ومشقة.

الغرفة

عدد ورود: وردت كلمة "غرفة" مفردة في موضعين. ووردت كلمة "غرف" و"غرفات" جمعا في أربعة مواضع.

المعنى اللغوي: الغرفة "العلية، والجمع غُرُفات وِعُرُفات وِعُرُفات وِعُرُفات. والغرفة السماء السابعة" (2).

الفائدة الجمالية: هي المكان الأكثر خصوصية في الاحتواء، والتي فيها يمارس الإنسان حياته تجرداً في الغالب من أي مجاملات، أو صور مجازية. هي الأمان والطمأنينة، وهي الراحة والدعة، وهي النوم واليقظة. تعتبر منفذاً وهروباً من فضاء الدنيا الضيق حيناً، وحنياً تعتبر الجنة المكنوزة بالراحة والدعة قال تعالى: ﴿أولئك يجزون الغرفة بما صبروا﴾ (الفرقان: 75)، وهي أبنية الجنة يعتلي بعضها بعضاً، وهذا فيه دلالة على سعتها، وعظم بنائها، قال تعالى: ﴿لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية﴾ (الزمر: 20)، وقال تعالى: ﴿لنبؤنهم من الجنة غرفاً﴾ (العنكبوت: 58)، وهي غرف ملؤها السعادة، والفرح، والأمن، فلا تختلج في نفوسهم مخاوف، ولا تتجول فيها القلاقل،

(1) ابن منظور، لسان العرب، 118: 5.

(2) ابن منظور، لسان العرب، 316: 9.

لا فزع، ولا هلع. اطمئنان، وراحة بال، سكينه وهدوء، وأمان، قال تعالى: ﴿هم في الغرفات آمنون﴾ (سبأ: 37).

الأرائك

عدد ورود: وردت كلمة "أرائك" في القرآن الكريم بخمسة مواضع كلها في الجنة.

المعنى اللغوي: والأرائك والأريك: " الإقامة... هذا لكل شيء، حتى في مقام الرجل في بيته، يقال منه أَرَكَ يَأْرِكُ ويَأْرِكُ أُرُوكًا... والجمع أرائك " (1).

الفائدة الجمالية: أماكن إقامة عالية، مصممة لمجلس يتناسب مع أهل الجنة، ينظرون من تلك العلية على أهل النار، وينظرون إلى بديع خلق الله -تعالى- لجناتهم التي وهبهم إياها، والأنهار التي تجري خلالها، وذكر في القرآن ثلاثة مواضع يتكئ عليها أهل الجنة، وموضعان ينظرون منها، قال تعالى: ﴿على الأرائك ينظرون﴾ (المطففين: 35، 23). والأرائك يتكئون عليها، وناسب هذا الانتكاء جوها، لا برد فيقرص، ولا حر فيلهب، قال تعالى: ﴿لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا﴾ (الإنسان: 13). إذن هي الظلال التي تخيم عليهم، فتهيء لهم مكانا يتكيف مع رغبتهم، قال تعالى: ﴿في ظلال على الأرائك متكئون﴾ (يس: 56).

النار (دار الفاسقين، دار البوار).

دار البوار

عدد ورود: وردت كلمة "تار" في القرآن الكريم 145 مرة، كلها وردت في نار الآخرة، عدا مواضع قليلة منها.

المعنى اللغوي: " هي نار جهنم مأوى الكافرين " (2).

الفائدة الجمالية: الآخرة حيز جغرافي واسع السعة، عميق القاع، غير محدود، سحيق النزول نحو الأسفل، ينزل المسحوب في درك من دركاتها، ويستقر داخلها؛ ليعاقب بالدخول فيها أبدا أو مؤقتا، وذلك وفق عمله. سميت النار بالعديد من الأسماء، وظهرت لها بعض الصفات، ومن أسمائها: جهنم، وجحيم، وموقدة، وسعير، وسقر، والحطمة، ودار الفاسقين، ودار البوار، ودار الخزي

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 1: 84.

(2) الجزائري، عقيدة المؤمن، 304.

ومن صفاتها:

الزفير، والتغيظ، والتلطي، والشاوية، والحامية، واللافحة، وذات لهب، والموقدة، وذات الوقود... الخ. وهي التي تقدم نحوهم، وهم يهريون منها في مشهد مثير مرعب، وهي تتموج وتتحرك ولها زفير، ويبدو من شكلها كمن يلحق مجرماً فر لتوه من جرمه، يريد أن يتشفى منه، قال تعالى: ﴿وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمراً﴾ (الزمر: 71)، وقال تعالى: ﴿إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظاً وزفيراً﴾ (الفرقان: 12)، فإذا ما زجوا من أبوابها في بطنها، غلوا وتسربلوا بالقطران، وغطت النار وجوههم، كالغريق الذي يسقط شيئاً فشيئاً، قال تعالى: ﴿وترى المجرمين يومئذ مقرنين في الأصفاد سرايلهم من قطران وتغشى وجوههم النار﴾ (إبراهيم: 49-50). أما علاقة المجرمين فيها بعضهم ببعض فالملامة، والاتهامات المتبادلة، حتى مع إبليس الذي يبدأ بلامتهم (1). وهكذا يستمر العذاب في الدركات، وكلما خبت النار زادها الله -تعالى- سعيراً قال تعالى: ﴿مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيراً﴾ (الإسراء: 97) وفيها أودية، مثل: غي، وويل، قال تعالى: ﴿فسوف يلقون غياً﴾ (مريم: 59)، وقال تعالى: ﴿ومن يفعل ذلك يلق أثاماً﴾ (الفرقان: 68)، وقال تعالى: ﴿ويل للمطففين﴾ (المطففين: 1)، كما أنها احتوت على وسائل التثبيت والتقيد فيها؛ لاستمرار العذاب وديمومته، ففيها السلاسل والأغلال (2). كل ذلك بإقدام جهنم من جهة، أما سحبهم بعد الفرار منها إليها، وزفيرها، وسعيرها، وزجهم فيها، وتقبيدهم بأغلالها، ووضعهم في أقيبتها، كل ذلك يجعل المتلقي يؤكد أن الكافر جزء من وقودها وطعامها، ويزيد في حرها ولهبها. وهكذا تبدو علاقة الإنسان الكافر بها علاقة غير منفصلة تستمر نحو الأبدية والخلود أو إلى أن يشاء الله. والنار آية من آيات الله -تعالى- تسمع لها وتطبع، فخاصية الإحراق توجد فيها بأمره ومشيتته، وإذا أراد نزعها منها فصارت برداً وسلاماً، كما حصل مع إبراهيم -عليه السلام- في نار الدنيا، قال تعالى: ﴿قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم﴾ (الأنبياء: 69). وهي آية من آيات العذاب في الدنيا، قال تعالى: ﴿فأصابها إحصار فيه نار فاحترقت﴾ (البقرة: 266) وفي النار منافع، فقد توقد للإنارة والتدفئة، قال تعالى: ﴿إني آنست ناراً﴾ (طه: 10، النمل: 7)، وقال تعالى: ﴿جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً﴾ (يس: 80)، وفيها منافع أخرى، قال تعالى: ﴿آتوني زبر الحديد حتى إذا جعله ناراً قال آتوني

(1) ينظر، سورة الأعراف: 38-39، سورة سبأ: 31-33، سورة الصافات: 27-33، سورة ص: 55-64، سورة إبراهيم: 22.

(2) ينظر، سورة الإنسان: 4، سورة المزمل: 12-13، سورة غافر: 7-72، سورة الحاقة: 30-34.

أفرغ عليه قطراً ﴿الكهف: 96﴾، وهي منارات للسالكين، قال تعالى: ﴿أو أجد على النار هدى﴾ (طه: 10)، بينما جاءت النار مثلاً يضرب في الفتنة، قال تعالى: ﴿علما أوقدوا ناراً للحرب أطفاها الله﴾ (المائدة: 64)، وقال تعالى: ﴿يوم هم على النار يفتنون﴾ (الذاريات: 13). وقد خلق الله - تعالى - الجن من النار، قال تعالى: ﴿وخلق الجن من نار﴾ (الرحمن: 15) وقال تعالى: ﴿أنا خير منه خلقتني من نار﴾ (الأعراف: 12)، كما أنها مقام العذاب للمخالفين من الكافرين والمشركين والمنافقين والفاسقين، قال تعالى: ﴿ويوم يعرض الذين كفروا على النار﴾ (الأحقاف: 20)، وقال تعالى: ﴿إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار﴾ (النساء: 145).

جهنم:

عدد الورد: وردت كلمة "جهنم" في القرآن الكريم 77 مرة.

المعنى اللغوي: جهنم "الجهنم القعر البعيد. وبئر جهنم. وجهنم، بكسر الجيم والهاء، بعيدة القعر، وبه سميت جهنم لبعدها... قال اللحياني: جهنم اسم أعجمي... وقال آخرون: جهنم عربي، سميت نار الآخرة بها لبعدها" (1).

الفائدة الجمالية: هي دار العقاب الأبدي للإنسان المشرك والمنتكبر بعد الموت، هذا هو مفهوم جهنم في الإسلام وفي الديانتين السماويتين الأخيرتين. واللفظة سامية الأصل، عبرية. وهي اسم لتل شرقي القدس كانت ترمى به القاذورات ويحكم فيه بالإعدام على المجرمين، وترمى بتنا الجثث، حتى صارت تدل على كل شيء مستكره. وأصل نطقها هنوم " (2)، ولجهنم أبواب سبعة، قال تعالى: ﴿لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم﴾ (الحجر: 43-44).

الجحيم:

عدد الورد: وردت في القرآن الكريم 26 مرة.

المعنى اللغوي: والجحيم: "الجحيم والحاء والميم عظم الحرارة وشدتها. والجاحم: المكان الشديد الحر قال الأعشى:

غداة احتضار البأس والموت جاحم

يعدون للهيجاء قبل لقائها

وبه سميت الجحيم جحيما " (3).

(1) ابن منظور، لسان العرب، 130: 12، مادة جهنم.

(2) ينظر، التونجي، المعجم المفصل في الأدب، 1: 335 .

(3) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 1: 430 .

الفائدة الجمالية: كلها في نعت النار أو على اعتبار أنها اسم من أسمائها، قال تعالى: ﴿وَبَرَزَتْ الْجحيمَ لِلغَوايِنِ﴾ (الشعراء: 91)، وقال تعالى: ﴿فإنَّ الجحيمَ هي المأوي﴾ (النازعات: 39)، وقال تعالى: ﴿إنَّ لَدِينا أُنكالاً وَجَحيماً﴾ (المزمل: 12)، ولعل الجحيم دركة من دركات النار، إذ إن الآية السابقة توحى بفصل النكال عن الجحيم، ووصفت آيات أخرى الجحيم بالتصلية، وهي أسوأ حالاً من النكال، قال تعالى: ﴿ثمَّ إنهم لصالوا الجحيم﴾ (المطففين: 16) وقال تعالى: ﴿ثمَّ الجحيم صلَّوه﴾ (الحاقة: 31).

سقر:

عدد ورود: وردت كلمة "سقر" في القرآن الكريم 4 مرات قال تعالى: ﴿سأصليه سقر﴾ (المدثر: 26)، وقال تعالى: ﴿ما سلَّكم في سقر﴾ (المدثر: 42).

المعنى اللغوي: "السين والقاف والراء أصل يدل على إحراق أو تلويع بنار. يقال سفرته الشمس، إذا لوحته ولذلك سميت سقر. وسقرات الشمس: حرورها. وقد يقال بالصاد "1).

الفائدة الجمالية: ويبدو أن "سقر" صفة من صفات النار، وتتاسب التهديد بالإحراق مع أفعالهم القبيحة؛ لأن الإحراق أسوأ أنواع العذاب، يربع النفس، ويزجر الضمير، ويخيم بتصويره ورسمة في العقل ترويعاً مريعاً، يذهب بمن يسمع التهديد به، إلى حالة من التدبر من حالة الفزع والخوف.

سحق:

عدد ورود: وردت كلمة "سحق" في القرآن الكريم مرة واحدة، قال تعالى: ﴿فسحقاً لأصحاب السعير﴾ (الملك: 11)، وبلفظ "سحيق" مرة واحدة، قال تعالى: ﴿أو تهوي به الريح في مكان سحيق﴾ (الحج: 31).

المعنى اللغوي: "السين والحاء والقاف أصلان: أحدها البعد، والآخر إنهاك الشيء حتى يبلغ بت إلى حال البلى. فالأول السحق، وهو البعد، قال الله -جل ثناؤه-: ﴿فسحقاً لأصحاب السعير﴾ (الملك: 11). والسحوق: النخلة الطويلة، وسميت بذلك؛ لبعد أعلاها عن الأرض. والأصل الثاني: سحقت الشيء أسحقه سحقاً. والسحق: الثوب البالي. ويقال: سحقه البلى فانسحق "2).

الفائدة الجمالية: لقد صور القرآن الكريم مثوى الكافرين -النار- تصويراً مذهلاً، كشف من خلاله تلك السعة، وذلك العمق الذي يتناسب مع حال الكافرين، وحال العذاب الذي ينفض أجسادهم

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 3: 86.

(2) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 3: 140.

للهرب منها، لكن تلك السعة، وذلك العمق يمنعهم من ذلك، ويفاجئهم بتلك المساحات الواسعة التي يسبحون في فضائها أزمنة مديدة، لتمكن من النداء على حراسها وخزنتها، ومع ذلك لا يرد عليهم إلا ملك منهم، قال تعالى: ﴿قال اخسئوا فيها ولا تكلمون﴾ (المؤمنون: 108).

الدركات:

عدد الورود: وردت كلمة " درك " في القرآن الكريم بموضعين، قال تعالى: ﴿إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار﴾ (النساء: 145)، وقال تعالى: ﴿لا تخاف دركاً ولا تخشى﴾ (طه: 77).

المعنى اللغوي: الدرك والدرك: أقصى قعر الشيء، زاد التهذيب: كالبحر ونحوه. قال شمر: الدرك أسفل كل شيء ذي عمق... ودرك الركية قعرها الذي أدرك فيه الماء، الدرك الأسفل في جهنم... والجمع أدراك. ودركات النار: منازل أهلها، والنار دركات والجنة درجات، والقعر الآخر درك ودرك، والدرك إلى أسفل والدرج إلى فوق... الأدراك وهي منازل في النار... التهذيب: والدرك واحد من أدراك جهنم من السبع... يقول الفراء في قوله تعالى: ﴿إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار﴾ (النساء: 145)، يقال: أسفل درج النار، ابن الأعرابي: الدرك الطباق من أطباق جهنم... قال أبو عبيدة: جهنم دركات أي منازل وأطباق، و قال غيره: الدركات بعضها فوق بعض " (1).

الفائدة الجمالية: الدركات، تنزل الدركة تلو الأخرى حتى تبلغ القرار، قال تعالى: ﴿إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار﴾ (النساء: 145)، وقد تقرر في كل درك نوع من العذاب، قال تعالى: ﴿إن عذابها كان غراماً إنها ساءت مستقراً ومقاماً﴾ (الفرقان: 65-66)، وكانت تلك الأبواب قد قسمت، فجعل لكل درك بابا يلج منه طائفة من أهل النار، وعلى ذلك تكون عدد الدركات بعدد الأبواب، وكل درك فيه نوع من العذاب يختلف عن الأخرى، وذلك وفقاً لجرم أهله. ومع هذه الدركات كأنهم من شدة ما يلاقون فيها من العذاب تضيق بهم على سعتها، قال تعالى: ﴿وإذا ألقوا منها مكاناً ضيقاً مقرنين دعوا هنالك ثبورا﴾ (الفرقان: 23).

(1) ابن منظور، لسان العرب، 10: 506-510.

الفصل الثالث:

بناءات النص القرآني، وفيه:

تعريف البناء

أنواع البناءات في النص القرآني، وفيه:

- 1- البناء القصصي.
- 2- البناء التوقيعي.
- 3- البناء الدائري.
- 4- البناء اللولبي.
- 5- البناء المقطعي.
- 6- تعدد البناءات.

البناءات الجمالية

(القصصي، التوقيعي، المقطعي، اللولبي، الدائري، التعددي)

تعريف البناء

البناء لغة: " المبني، والجمع أبنية، وأبنيات جمع الجمع... ابن الأعرابي: البنى الأبنية من المدر أو الصوف، وكذلك البنى من الكرم، وأنشد بيت الحطيئة:

أولئك قوم إن بنوا أحسنوا البنى

وقال غيره: يقال؛ بنية، وهي مثل رشوة ورشا، وكأن البنية الهيئة التي بُني عليها، مثل: المشية والركبة... والبُنى، والجوهري: البنى، بالضم مقصور مثل البنى... والبناء: لزوم آخر الكلمة ضرباً واحداً من السكون أو الحركة لا لشيء أحدث ذلك من العوامل، وكأنهم إنما سموه بناءً ؛ لأنه لما لزم ضرباً واحداً، فلم يتغير تغير الإعراب، سمي بناء من حيث كان البناء لازماً موضعاً لا يزول من مكان إلى غيره " (1).

وأهل اللغة يقولون: " بنية وبنية، وقال بعضهم بنى بنية من البناء، وبنية من المجد " (2). والبنّي: " نقيض الهدم، بناه بينيه بنياً، وبناءً، وبنياناً، وبنية، وبناية، وابتناه، وبناه. والبنية بالضم والكسر " (3). و" بنية وبنيات التربة " يقول بعضهم: بناء التربة " انتظام الذرات الفردية للتربة كتلا، يكون لها أشكال وأبعاد معينة " (4). وهو " بني، الباء والنون والياء أصل واحد، وهو بناء الشيء بضم بعضه إلى بعض. وتقول: بنيت البناء أبنيه " (5).

البنية اصطلاحاً أو فناً: " مجموعة متشابكة من العلاقات تتوقف فيها الأجزاء على بعضها، وترتبط كلها بالنص لتشكل وحدة عضوية " (6). و" بناء النص أوسع وأشمل من الأسلوب الذي هو نسيج لغوي. وفي البناء الفني يدرس عبارته-النص-وصوره وموسيقاه، وأفكاره، وتركيباته اللغوية، والعواطف، وعلاقة كل ذلك ببعضه ببعضه " (7).

(1) ابن منظور، لسان العرب، 14: 190.

(2) العسكري، الفروق في اللغة، 138.

(3) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، 1632.

(4) مرعشلي؛ نديم وأسامة، الصحاح في اللغة والأدب والعلوم، تقديم: عبد الله العلايلي، ط1، بيروت، دار الحضارة العربية، 1974م، 1: 118.

(5) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 1: 203.

(6) أبو شريفة؛ عبد القادر، وآخرون، مدخل إلى تحليل النص الأدبي، ط 4، عمان، دار الفكر، 2008م، 19.

(7) أبو شريفة، مدخل إلى تحليل النص الأدبي، 21.

القرآن والتلاوة والسورة:

من الجدير تبيان العلاقة بين بعض المصطلحات القريبة من البناء، تلك التي تحمل بعض دلالاته، مثل "القرآن" و"التلاوة" و"السورة".

القرآن: القرآن يفيد جمع الصور وضم بعضها إلى بعض، والفرقان يفيد أنه بين الحق والباطل والمؤمن والكافر " (1).

التلاوة: إتباع الشيء الشيء، يقال: تلاه إذا تبعه، تتكون التلاوة في الكلمات يتبع بعضها بعضاً، ولا تكون في الكلمة الواحدة إذ لا يصح فيه التلو " (2).

السورة لغة:

هي القطعة المحيطة. و" منهم من شبهها بسور البناء، أي: القطعة منه، أي: منزلة بعد منزلة. وقيل: من سور المدينة؛ لإحاطتها بآياتها واجتماعها كاجتماع البيوت بالسور، ومنه السوار لإحاطته بالسور " (3). إذن هي الرابطة والعلاقة والتضام بين الجزء والجزء، والسورة والسورة، والمقطع والمقطع، والآية والآية، والكلمة والكلمة.

" وللقرآن في تقسيمه سوراً هدف، وبيئدئ ذلك في أن كلاً من هذه السور قد سميت باسم خاص أخذ من بعض ما عالجتة السورة من المعاني، أو تحدثت عنه من إنسان وحيوان وغيرها، أو من بعض كلماتها. وذلك لأن القرآن ينتقل بين الأغراض المختلفة، لا اعتباطاً، ولكن لصلات وثيقة تربط بين هذه الأغراض، بحيث تتضافر جميعها في الوصول إلى الغاية القصوى وتحقيقها " (4).

وحدة السورة:

نقل الزركشي عن بعض الأئمة قوله: " من محاسن الكلام أن يرتبط بعضه ببعض؛ لئلا يكون منقطعاً وهذا النوع يهمله بعض المفسرين، أو كثير منهم، وفوائده غزيرة. قال القاضي أبو بكر بن العربي في (سراج المريدين): ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون الواحدة متسقة المعاني، منتظمة المباني، علم عظيم " (5). وقال بعض المتأخرين: " الأمر الكلي المفيد لعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن، وهو أنك تنظر الغرض التي سيقته له السورة، وتنظر ما يحتاج إليه ذلك الغرض من المقدمات، وتنظر إلى مراتب تلك المقدمات في القرب والبعد من المطلوب، وتنظر

(1) العسكري، الفروق في اللغة، 50.

(2) العسكري، الفروق في اللغة، 54.

(3) الزركشي، البرهان، 186.

(4) أبو علي، مناهج وآراء في لغة القرآن، 12.

(5) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 37.

عند انجرار الكلام في المقدمات إلى ما يستتبعه من استشراف نفس السامع إلى الأحكام واللوازم التابعة له التي تقتضي البلاغة... فهذا هو الأمر الكلي المهيمن على حكم الربط بين جميع أجزاء القرآن. فإذا عقلته تبين لك وجه النظم مفصلاً بين كل آية وآية، وفي كل سورة " (1). وإن " ذكر الآية بعد الأخرى، إما أن يظهر الارتباط بينهما؛ لتعلق الكلام بعبءه ببعض وعدم تمامه بالأولى فواضح، وكذلك إذا كانت الثانية للأولى على جهة التأكيد والتفسير أو الاعتراض والتشديد.. وإما ألا يظهر الارتباط بل يظهر أن كل جملة مستقلة عن الأخرى، وأنها خلاف النوع المبدوء به، وإما أن تكون معطوفة على ما قبلها بحرف من حروف العطف المشترك في الحكم أولاً" (2).

علاقة السورة القرآنية بالأخرى

القرآن كله كسورة واحدة، يرتبط بعضه ببعض. إذ لما كان نزوله لمقصد واحد، وسعى إلى تحقيق هدف واحد، تلقاه المتلقي على أنه موضوع واحد. إنه موضوع بلورة الشخصية التي تؤمن بالخالق سبحانه. وعلى هذا جاء موضوعه متلاحماً؛ أخباراً، وقصصاً، وتشريعات، وعقائد؛ لبناء تلك الشخصية، وصلها. ولا عجب عندئذ أن يظهر للمتلقي تناسب سورته مع بعضها، وكذا الآيات. يقول الزركشي: " إذا اعتبرت افتتاح كل سورة، وجدته في غاية المناسبة لما ختم به السورة قبلها، ثم هو يخفي تارة ويظهر أخرى، كافتتاح سورة "الأنعام" بالحمد، فإنه مناسب لختام سورة "المائدة" من فصل القضاء. كما قال سبحانه: ﴿وَفُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الزمر: 69). وكافتتاح سورة فاطر بـ " الحمد " أيضاً، فإنه مناسب لختام ما قبلها من قوله: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ﴾ (سبأ: 54). كما قال تعالى: ﴿فَقَطَّعَ دَابِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأنعام: 45)، وكافتتاح سورة الحديد بالتسبيح فإنه مناسب لختام سورة الواقعة من الأمر به (التسبيح)، وكافتتاح البقرة بقوله: ﴿الم ذلك الكتاب لا ريب فيه﴾ (البقرة: 1) فإنه إشارة إلي "الصراط" في قوله: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ (الفاتحة: 5) كأنهم لما سألوا الهداية إلى الصراط المستقيم، قيل لهم: ذلك الصراط الذي سألتهم الهداية إليه هو الكتاب. وهذا ارتباط حسن، يظهر فيه ارتباط سورة البقرة بالفاتحة " (3).

(1) أبو علي، مناهج وآراء في لغة القرآن، 13. وينظر، علوان؛ محمد ونعمان، من بلاغة القرآن، ط2، دار العربية للنشر، 1994م، 233. وينظر، السيوطي، الإتيان، 2: 110.

(2) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 39.

(3) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 38.

إن التلاحم بين النصوص لم يبلغ أقصاه، والبناء الجمالي لم يصل لمنتهاه إلا في كلام الله-
تعالى- فإن الآية تقتص من الآية، والسورة تقتص من السورة، فتبدو الآيات متلاحمة متماسكة،
والسور متعاضدة متألّفة، مثال ذلك ما أسماه ابن فارس بالافتصاص في كتابه يقول عنه: " أن
يكون كلام في سورة مقتصاً من كلام في سورة أخرى أو في سورة معها. كقوله-جل ثناؤه:
﴿وَأَتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (البقرة: 130). والآخرة دار ثواب لا
عمل، وهو مقتص عن قوله: ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِناً قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ
الْعُلَى﴾ (طه: 16). ومنه قوله جل ثناؤه: ﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ (الصافات: 57).
مأخوذ من قوله جل ثناؤه: ﴿فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ (الروم: 16)، وقوله: ﴿ثم لنحضرنهم
حول جهنم جنباً﴾ (مريم: 68). فأما قوله جل ثناؤه: ﴿وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ﴾ (غافر: 51)، فيقال: إنها
مقتصة من أربع آيات؛ لأن " الأَشْهَاد " أربعة: الملائكة في قوله جل ثناؤه: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ
مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ (ق: 21)، والأنبياء-صلوات الله وسلمه عليهم-قال تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا
مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ، وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيداً﴾ (النساء: 41)، وأمة محمد -ﷺ- لقوله-جل
ثناؤه: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ (البقرة: 143)، والأعضاء لقوله-
جل ثناؤه: ﴿يَوْمَ نَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (النور: 24). وإن وحدة
السورة فيما بينها، ووحدة السور وتلاحمها كذلك، تؤدي إلى نتيجة حتمية بأن كلام الله مستقيم "
قال المتكلمون: هذا جواب مستقيم إذا كان مؤلفاً على سنن يغني عن غيره، وكان مقتضياً لسؤال
السائل... تقول العرب: هذه كلمة صحيحة وصواب، ولا يقولون كلمة مستقيمة، ولكن كلام
مستقيم؛ لأن الكلمة لا تكون مؤلفة والكلام مؤلف " (1). ويجد الباحث في هذه المصطلحات "
البناء و القرآن والسورة والتلاوة " - من خلال ما سبق عرضه من أقوال فيها- أنها تحمل ضمن
معانيها اتفاقاً، حيث اتفقت-جميعها-عليه، وهو إتباع الشيء الشيء وضمهما معاً. وعلى ذلك
يمكن القول أن صور البناءات القرآنية جاءت؛ لتحقيق هذا المعنى، لا سيما وأن القرآن جاء لهدف
كبير واحد، وهو دعوة الإنسان لتوحيد الخالق وعبادته-سبحانه وتعالى- وهدايته للخير.

(1) العسكري، الفروق في اللغة، 45.

خصائص أسلوب القرآن

أولاً: الفخامة والقوة والجمال

إن القرآن يكتسب الفخامة والقوة من انتقاء الألفاظ، وعمق المعاني، وقد خلت ألفاظه ومعانيه من الامتهان والابتذال، واستخدم ألواناً مختلفة اكتسب بها حلاوة وجمالاً من خلال التقانات البلاغية المتعددة، المبنوثة في أرجائه.

ثانياً: التصوير

إنه الخيال الإبداعي ذو العلاقات الطبيعية، والحالات النفسية وانفعالاتها، والجمال اللفظي، والعبارات المتضامة، والتناسق الموسيقي. إذ إن القرآن الكريم اكتسب بالبناءات المتعددة حلية، ونبع منه أثر بالغ الظهور بين ثناياه، فصورة البناءات فيه ساهمت دونما شك في ديمومة نصه، وحيويته، ونشاطه، وانتشاره، وشيوعه، وحفظه في العقول، وتدوقه في النفوس مع استعذاب وتلطف، حتى لو لم يكن قارئه فاهماً لمضمونه، عندئذ يستطيع التنبؤ بالفكرة إذا ما انتبه لبناء القصة مثلاً. لذلك فإن " الصورة هي الوسيلة الفنية لنقل التجربة، وهي الأداة المفضلة في أسلوب القرآن، وهي أداة تقوم على التصوير باللون والحركة والإيقاع، وكثيراً ما يشترك كل ذلك مع الحوار، وجرس الكلمات، ونغم العبارات، وموسيقى السياق في إبراز صورة من الصور. وهذا التناسق يجعل الصورة بالغة التأثير والحيوية(1). ويمكن الاستشهاد هنا بتصوير أعمال الكافرين بالسراب الذي يحسبه الظمآن ماء في أرض قحلاء، منقطعة من القطر، ويبقى في هذا الحسبان، متابعا له، لاحقاً به، وبينما هو كذلك لا يجد شيئاً، ويجد ربه عندئذ ليوفيه الحساب(2). وكثيرة هي التصاویر المفعمة بالجمال في القرآن.

ثالثاً: الانسجام الموسيقي

إن الباحث يعتبر موسيقى القرآن التي تتبع من العديد من المصادر فيه، ساهمت في تأثر النفوس به، واستعذابها لمنطقه، وتلطفها على ترديد مقاماته، وتشكيله نبراته. وتعتبر الفواصل هي أبلغ المؤثرات الموسيقية في النفوس؛ لأنها لم تكن حشواً لفظياً، إنما جاءت في كلمات بألفاظ سهلة النطق، ومعانٍ سامقة محتشدة الدلالات، وإن هذا الانسجام " فيه تؤولف العبارة من كلمات متسعة، ذات حركات وسكنات، يشعر المرء عند تلاوتها بما يكمن وراء النظام

(1) قطب؛ سيد، التصوير الفني في القرآن، ط4، القاهرة، دار الشروق، 1978، 29.

(2) ينظر؛ سورة النور: 39-40.

من موسيقى واتساق(1). وهكذا تأتي الكلمات في العبارة، بأجمل الألفاظ، وأكثرها معنى، وأسهلها نطقاً، وأجذبها إنصاتا، وأرعاها للجوار مع جاراتها ذات اليمين وذات الشمال، فتبدو بينهما مكملة للجمال ومتممة للروعة.

رابعاً: ائتلاف المعاني

كل كلمة في القرآن بحاجة لأختها، بل كل حرف في غاية الافتقار إذا فرق عن أخيه، فلا يكاد المتلقي يشعر بلذة المعنى، ولا بكمال الموسيقى، إذا فرق كلم القرآن عن بعضه، أو نزع كلمة من موضعها، أو أبدل لفظة بدل أخرى. فبعضه يألف بعضه، المعاني تتوافق وتتحد، والإيحاءات والدلالات تتناغم وتأتلف، فلا مجال لاعتراض بعضه لبعض الآخر، ولا مكان لكلمة تنبو فيه. حتى " إذا كان هناك تفاوت في الأسلوب-أحياناً-فمرجعه إلى اختلاف الموضوعات التي يعالجها... أما من ناحية معانيه، فإنك لا تجد بينها تعارضاً، كما لا تجد بين أحكامه تناقضاً، وإذا كان هناك بعض التعارض الظاهري، فإنه بالتأمل والنظر الفاحص يرتفع التعارض " (2).

خامساً: احتواء منوعات روائع البلاغة

تضمنت نصوصه البيان كله، كيف لا ؟ وقد كان كتاباً للتحدي وما زال، فلزم لتكون له الغلبة أن يكون مما يفهمه العرب، وينظمون على نسقه، إلا إنهم مع هذا وذاك لم يستطيعوا أن يأتوا بمثله، أو بآية من مثله، ذلك لأنه أخذ من لغتهم البيان كله، الأمر الذي لا يكون بوسعهم إدراكه كله، وإن الشاعر لن يكون جمع البيان كله في شعره، وإذا وفق في مكان ما تعثر في أماكن أخرى.

أما القرآن ففيه من الكناية أحسن الكنايات، وأدائها، ومن المجازات والاستعارات والتشبيهات أبلغها وأفصحها. صور لا تبلى دلالاتها، ولا تهرم مع الزمن معانيها؛ فهي تمس الجوانب الذوقية والمنطقية للناس مهما اختلفت سبلهم، ومشاربهم، وأزمنتهم، وأماكنهم. وقد تضمنت نصوص القرآن بدائع البديع من جناس، وفواصل، ومقابلات، وترصيع، مع لف ونشر وغيرها؛ مع الرشاقة والحيوية. كما اكتنزت أجل دروب المعاني من تضمين، وحذف، والتفاتت، وإيجاز، واستفهام، ونفي، ونهي، وقصر، ونداء، وأساليب أخرى، ولا يجد المتلقي أسلوباً جذاباً، وجميلاً، وأنيقاً، إلا في

(1) أبو علي، مناهج وآراء، 13. ينظر، علوان، من بلاغة القرآن، 244، 246، 247. وينظر، لاشين؛ عبد الفتاح، الفاصلة القرآنية، الرياض، دار المريخ، 1982 م، 72.

(2) أبو علي، مناهج وآراء، 18. وينظر، الخالدي، محمود، الأصول الفكرية للثقافة الإسلامية، الأردن، دار الفكر، 1983 م، 1: 105.

القرآن منه، وقع في الموقع الذي ناسبه، ولو وضع فيه غيره لم يكن في الحسن مثله، فاح منها-
جميعا-عبق فريد، وبريق يأخذ العقول، ويخطف القلوب، ويخلد في النفس أثره، ويبهر العقل مسه،
ويعذب على اللسان نطقه، فلا يجد المرء نفسه معه إلا طالب استزادة، وراغبا في المواصلة. كل
ذلك تجده دون تكلف، وفي موضعه الذي هو به أليق.

أنواع البناءات القرآنية:

إن القرآن الكريم هو كلام الله- تعالى- المعجز في ألفاظه ومعانيه، المتدبر بتلاوته، المبدوء بسورة
الفاتحة، والمنتهي بسورة الناس. احتوى على كنوز المعارف المختلفة، وتفرد بالجاذبية والحيوية
الدائمة، وكان له في النفوس آثار بالغة، بما فيه من آيات بالغة، سواء بإيحاءاته ومعانيه، أو
بألفاظه ومبانيه. ومما تحلى به وزاد من بهائه، ذلك البناء، أو فلتقل النسيج الذي ضمه؛ لخدمة
فكرة تسعد النفس إذا انقادت لها، وهي توحيد الله- تعالى- وعبادته. لذا سيدرس الباحث أنواع
البناءات مع التمثيل -لا الحصر- لأن المقام لا يستدعي أن نجعلها ضخمة الحجم، وإن كان هذا
شرفا للباحث، وفيما يلي التفصيل. وإن ما جد للباحث هنا هو أن يدخل إلى بناءات النص القرآني
المتعددة؛ لسبر أغوارها، وسيقصر القول على ذكر البناءات التالية:

أولاً: البناء القصصي

ثانياً: البناء التوقيعي

ثالثاً: البناء الدائري

رابعاً: البناء المقطعي

خامساً: البناء اللولبي

سادساً: تعدد البناءات

تعدد البناءات

إن " القرآن يتألف من أربعة أقسام: قسم الطوال، وقسم المئين، وقسم المثاني، وقسم المفصل... السبع الطوال تنتهي بانتهاء سورة براءة، وقسم المئين ينتهي بانتهاء سورة القصص، وقسم المثاني ينتهي بانتهاء سورة ق، وقسم المفصل ينتهي بانتهاء القرآن "(1). كما إن السور القرآنية تشكلت في بناءات متعددة، سواء كانت في الطوال، أو المئين، أو المثاني، أو القصار من السور. وكلما كانت السورة أكبر كانت تعددية البناءات أظهر، ولعل هذا هو أحد أهم أسباب حيوية النص القرآني، وشيوعه، ونشاطه، وسر من أسرار الإقبال عليه. فإن الذي يبعث في النفس انجذابا وتشويقا، إنما هو دوران السورة الواحدة في فلك عدد من البناءات التي كست النص جمالا، وإبداعا، وحلا، وتمايزا منقطع النظير يمثل هذا التركيب. فالمتلقي يجد في السورة الواحدة مجموعة من البناءات، تماما كتنوع الأساليب، فكما ازدحمت أساليب الخطاب، من نفي، ونهي، وقصر، وتعجب، واستفهام.. الخ، كلما زاد النص جمالا، وقبولا، واستقرارا في نفس المتلقي. فكيف لو اجتمع تنوع الأساليب مع تعدد البناءات، فعندئذ سيكون إعجازا، هذا إذا لم يكن كل فن منهما إعجازا بحد ذاته في القرآن. وفي الوقت نفسه يجد المتلقي بعض السور في القرآن اكتفت ببناء واحد، كسورة الفاتحة، وربما كان سر هذا أنها أم الكتاب التي احتوت كنوزه، فتوحد بناؤها؛ لأنها تحمل الدين كله، أو لأنها الجامعة للقرآن كله، كما ثبت ذلك في الكتاب والسنة، وأقوال علماء الأمة. ومع الفاتحة بعض سور المفصل. أما بقية القرآن، وهي السور الأكثر، ففيها العديد من البناءات.

(1) حوى؛ سعيد، الأساس في التفسير، 1: 30.

أولاً: البناء القصصي

القصة القصيرة والقصة القرآنية: هي " حكاية مختصرة نثرية، تمتاز بكثافتها وقصرها... تحتاج براعة خارقة فائقة لمعالجة الصراع، والتشخيص، وعرض المشاهد بحذق وتدبر " (1). و" يتراوح طولها تقريبا ما بين ثلاث صفحات وعشرين، أو تستغرق قراءتها ما بين ربع ساعة إلى ساعة " (2). ولعل ما يقرب القصة القرآنية من القصة القصيرة هو كونها وحدة عضوية، لا تنفصل أجزاؤها. فإن النقد الحديث ينظر إلى القصة القصيرة " باعتبارها وحدة عضوية لا يجوز دراسة أي جزء منها بمعزل عن بقية الأجزاء، وكل عنصر من عناصرها يجب أن يسهم بقسطه كاملا في سبيل الوصول إلى التأثير النهائي " (3). وهذا ما تبدو به القصة القرآنية، فقد تضمنت عناصر القصة القصيرة كاملة. وفيما يبدو أن القصة القرآنية عبارة عن: " نسيج محكم سداه الحوادث، ولحمته الشخصيات. وهذا النوع يسمى القصة التمثيلية. وهنا نجد أن صفات الشخصيات وأخلاقها وعاداتها، تؤثر في سير العمل القصصي. كما إن الحوادث تتيح بكلها على الشخصيات، وتساعد على تطويرها وإنمائها، وتترك أثرها فيها " (4). وقد ابتعد الباحث عن تشخيص الذات الإلهية؛ لأنها فوق قدراتنا، لكنه يؤكد على أن تأثيرها في القصة كان تأثيرا كاملا، وقد بانث أثارها عندما وظفت الشخصيات المتعددة، والأحداث المتلاحقة؛ لبناء القيم المختلفة. وإن القصة القرآنية كان لها الحظوة الكبيرة من مساحة النص القرآني، فقد بلغ عدد السور التي جاءت بها قصص قرآنية سبعا وخمسين سورة، وسيبين الباحث التفاوت في قدر القصص في السور حجما.

سمات القصة القرآنية:

1- القصص القرآنية حقيقية الوقوع، واقعية الأحداث، تسجل تأريخا للحضارات، زمانا ومكانا وأقواما. أما عن الحقيقة والخيال فيها فقد ذكر. سلام في كتابه "دراسات في القصة العربية الحديثة" قوله: " أشار القرآن إلى أساطير الأولين التي كان يتناقلها العرب قبل القرآن، والتي ظن العرب أن قصص القرآن شبيهة بها، ونفى أنها أساطير الأولين. يقول "تليلنو" عن تلك القصص القديمة: ولعلها هي أساطير الأولين التي كان كفار مكة يشبهون بها إنذارات القرآن

(1) ينظر؛ التونجي، محمد، المعجم المفصل في الأدب، 2: 710.

(2) أبوشريفة، مدخل إلى تحليل النص الأدبي، 121.

(3) سلام؛ محمد زغول، دراسات في القصة العربية الحديثة، 57.

(4) نجم؛ محمد يوسف، فن القصة، ط1، بيروت، دار صادر، 1996 م، 122.

وقصصه...وقد تعني مجرد صورة بيانية قصيرة، فيها لمحات الخيال، وحين يضرب القرآن الأمثال إنما يريد العبرة والعظة " (1). والباحث يرى أن القصة القرآنية حقيقية لا خيال فيها البتة، من حيث مضمونها وواقعيتها، ولا يؤيد ما يراه د. سلام في قوله عن القصة القرآنية، فصحيح أن أحد أهداف القصة القرآنية ما ذكره من إحداث العظة والعبرة، لكن الباحث يؤكد أنها من الخيال خالية، وعنه بعيدة، وثمة فرق بينهما جوهري، حيث تأتي القصة القرآنية حقيقية بعيدة عن الخيال والأسطورة؛ لتناسب طبيعة الدعوة وجديتها، بينما تأتي الثانية أقرب للخيال منها للواقع، أي ربما كانت حقيقية أو خيالية؛ لأن الهدف الأبرز فيها التسلية، وإن حملت أهدافا آخر.

2- القصص القرآنية جاءت في سياق استرجاعي، لتثبيت قلب رسول الله محمد -صلى الله عليه وسلم- وتخفيفا عنه، كما جاءت ضربا من ضروب التأكيد على صدقه بذكر أحوال الأمم السابقة التي لو لم تنزل عليه ما كان ليعلمها.

3- معظم قصص القرآن قصيرة الحجم، تتكون من مشهد أو مشاهد حوارية، لا يبلغ حجمها الصفحة الواحدة -غالبا- بيد أن قصصا قرآنية جاءت كبيرة نسبيا، كقصة يوسف -عليه السلام- وقصة موسى -عليه السلام- وقصة نوح -عليه السلام- وقصص أخرى.

4- تبدأ معظم القصص القرآنية بافتتاحية سردية قصيرة جدا، مثل: قوله تعالى: " لقد أرسلنا " أو "إنا أرسلنا" أو "لقد أوحينا" وهي مقدمة تكشف عن الهدف من القصة، وهو التذكير بالدعوة إلى الله - تعالى - وإظهار الرسالة، وتحقيق ما ذكره الباحث في البند الثاني.

5- تحمل كلمات منتظمة، متألفة، مكثفة في معانيها، لا حشو فيها، وتتأى عن مبالغات الوصف، والاستطراد، سواء وصف الأحداث، أو الشخصيات، أو الزمان، أو المكان.

6- شخصيات القصة القرآنية واقعية، فهي تجسد حقا تاريخية، وتسجل المآثر، ويؤخذ منها كثير من التجارب المليئة بالعبر والعظات، تلك العبر التي ينتفع منها عامة الناس، وليس الرسول فقط.

7- قد تجلت القصة في النص القرآني، حيث كان لها حضور كادت أن تقارب فيه ثلث القرآن، ولا يغفل الباحث أن ينبه إلى أن لفظ "قص" ورد مع مشتقاته في القرآن الكريم في "24" موضعا، بينما كان "63" مرة بلفظ "مثل" ومشتقاته. الأمر الذي يكشف عن اهتمام القرآن بالقصة، لكثير

(1) سلام، دراسات في القصة العربية، 63.

من الأهداف والفوائد. ولما كان القرآن رسالة للبشرية التي تتكون من الإنسان- رجال ونساء- لم يستغن عن استعراض ما يخص الجنسين جميعا من قضايا عبر أساليب مختلفة. كان للقصة والحكاية نصيب منها. كما كانت القصة القرآنية بعناصرها الجمالية أسلوبا من أساليب الجذب الدعوي النافذ إلى القلوب والعقول، والمستمر الذي لا يبلى ولا يفنى.

8- جاءت كثير من سور القرآن الكريم تتضمن قصصا، واختلف حجم تلك القصص. ونتيجة ذلك التفاوت ورود عناصر القصة ما بين إسهاب، أو اقتضاب، أو تلميح بذكر بعضها؛ ذلك لأن هدف القصة القرآنية على ما تحدثه من تشويق وإثارة لم يكن مجرد الإمتاع، وإن كان هذا متوافرا فيها، للعديد من الأسباب التي ذكرت آنفا. إنما الهدف من القصة القرآنية يكمن في " تثبيت العظة والعبرة، أو بث معاني الدعوة الإسلامية في الصدور، دلالة على تذوق العرب لهذا اللون، بل وتقديرهم له، وحبهم ومدى تأثرهم به " (1). وكثير منها جاء مكررا، وسبقت الإشارة إلى أن التكرار والإعادة يهدف -غالبا- لإرادة العناية بالأمر.

فأما تكرير الأنباء والقصص في كتاب الله- **جل ثناؤه** - فقد قيلت فيه وجوه. وأصح ما يقال فيه أن الله -**جل ثناؤه**- جعل هذا القرآن معجزا للقوم عن الإتيان بمثله، فكان آية تظهر صحة النبوة، وصدق رسول الله محمد-**صلى الله عليه وسلم**- ثم بين وأوضح الأمر في عجزهم، بأن كرر ذكر القصة في مواضع، إعلاما منه للناس، أنهم عاجزون عن الإتيان بمثله بأي نظم جاء، وبأي عبارة عبر (2).

(1) سلام، دراسات في القصة العربية الحديثة، 64.

(2) ينظر، ابن فارس، الصحابي، 158.

سور قرآنية ذات بناء قصصي:

قد أجرى الباحث إحصاء في عدد وحجم ورود القصة القرآنية، تبين فيها تفاوتها فيهما، حسب الآتي:

أولاً: جاءت سورة قرآنية واحدة؛ تغطي مشاهد وأحداثاً ملخصة، فانتشرت القصة في أرجاء السورة من أولها حتى نهايتها، وهي قصة نوح -عليه السلام- في سورة نوح.

ثانياً: جاءت ثلاث سور من القرآن؛ لتغطي مشاهد وأحداثاً مفصلة، واستغرقت السورة كاملة إلا قليلاً منها، وتلكم السور هي:

1- سورة يوسف، التي عرضت قصة نبي الله -تعالى- يوسف عليه السلام.

2- سورة القصص، وعرضت قصة نبي الله -تعالى- موسى عليه السلام.

3- سورة طه، التي عرضت قصة نبي الله -تعالى- موسى عليه السلام.

وذلك بعرض مفصل لبعض المشاهد، لكن نهاية السور الثلاث عادت لتتحدث عن رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم.

ثالثاً: اقتصر بعض السور القرآنية؛ على إبراز مشاهد قصيرة، أو مشهد قصير، أو لمحة عابرة. والقصص التي جاءت على هذا النحو، سنعرضها مع ذكر القصص التي وردت فيها، وهي حسب الجدول التالي:

م	اسم السورة	عدد القصص	أسماء القصص
1-	البقرة	8	قصة بداية الخلق، قصة آدم، قصة موسى، قصة إبراهيم، قصة طالوت وجالوت، قصة هاروت وماروت، قصة أصحاب السبت، قصة العزيز
2-	آل عمران	4	قصة زكريا ويحيى، وقصة آل عمران مريم، وقصة عيسى، وقصة إبراهيم
3-	النساء	1	قصة عيسى
4-	الأنعام	2	قصة إبراهيم، وقصة اليسع
5-	الأعراف	9	قصة آدم، وقصة نوح، وقصة هود، وقصة صالح، وقصة لوط، وقصة شعيب، وقصة موسى، قصة ابن العوراء، وقصة أصحاب السبت

قصة ابني آدم، وقصة موسى، وقصة عيسى	3	المائدة	-6
قصة يوسف	1	يوسف	-7
قصة نوح، وقصة يونس، وقصة موسى	3	يونس	-8
قصة نوح، وقصة هود، وقصة صالح، وقصة إبراهيم، وقصة لوط، وقصة شعيب، وقصة يحيى	7	هود	-9
قصة إبراهيم، وقصة موسى	2	النحل	-10
قصة صالح، وقصة لوط، وقصة سليمان، وقصة موسى	4	النمل	-11
قصة آدم، وقصة صالح، وقصة الحجر، وقصة لوط، وقصة شعيب	5	الحجر	-12
قصة داود، وقصة سليمان، وقصة سبأ	3	سبأ	-13
قصة يوسف، وقصة موسى، وقصة هود، وقصة صالح	4	غافر	-14
قصة موسى	1	الزخرف	-15
قصة موسى	1	النازعات	-16
قصة إبراهيم	1	الحج	-17
قصة آدم، وقصة صالح، وقصة موسى	3	الإسراء	-18
قصة أصحاب الكهف، وقصة صاحب الجنتين، وقصة موسى والخضر، وقصة ذي القرنين	4	الكهف	-19
قصة إدريس، وقصة إبراهيم، وقصة إسماعيل، وقصة زكريا وقصة يحيى، وقصة موسى، وقصة مريم وعيسى	6	مريم	-20
قصة إدريس، وقصة إبراهيم، وقصة إسماعيل، وقصة لوط، وقصة أيوب، وقصة ذي الكفل، وقصة يونس، وقصة داود، وقصة سليمان، وقصة زكريا ويحيى، قصة يأجوج ومأجوج	11	الأنبياء	-21
قصة نوح، وقصة هود، وقصة صالح، وقصة لوط، وقصة شعيب، وقصة موسى	6	الشعراء	-22

قصة نوح، وقصة إبراهيم، وقصة لوط	3	العنكبوت	-23
قصة أصحاب الرس	1	فاطر	-24
قصة يس	1	يس	-25
قصة نوح، وقصة إبراهيم، وقصة إسماعيل، وقصة إلياس	4	الصفات	-26
قصة هود، وقصة صالح	2	فصلت	-27
قصة إبراهيم	1	إبراهيم	-28
قصة لقمان	1	لقمان	-29
قصة نوح، وقصة هود	2	المؤمنون	-30
قصة هود	1	الأحقاف	-31
قصة هود، وقصة صالح، وقصة فرعون	3	الحاقة	32
قصة نوح، وقصة هود، وقصة صالح، وقصة لوط، وقصة موسى	5	القمر	-33
قصة هود، قصة إبراهيم	2	النجم	-34
قصة إبراهيم، وقصة موسى، وقصة نوح	3	الداريات	-35
قصة موسى	1	الدخان	-36
قصة قوم تبع، وقصة أصحاب الرس	2	ق	-37
قصة عيسى	1	الحديد	-38
قصة آدم، وقصة أيوب، وقصة ذي الكفل، وقصة اليسع، وقصة داود، وقصة سليمان	6	ص	-39
قصة عيسى	1	الصف	-40
قصة يونس، وقصة أصحاب الجنة	2	القلم	-41
قصة فرعون، وقصة ثمود، وقصة عاد	3	الفجر	-42
قصة صالح	1	الشمس	-43
قصة أصحاب الأخدود	1	البروج	-44
قصة أصحاب الفيل	1	الفيل	-43
قصة أبي لهب	1	المسد	-44

القصة القرآنية والعناصر الفنية

أولاً: الفكرة

" تجند الأحداث والشخوص والحبكة والصراع والزمان والمكان لخدمة الفكرة. وتتجلى الفكرة من خلال تفاعل تلك العناصر في القصة، وكما تتميز تلك العناصر بواقعيتها، أي أنها صورة حقيقية لما جرى في الواقع، حق القول إن المغزى والهدف من القصة أيضا يعد منطقيا. والحكم على القصة يأتي من خلال الفكرة والهدف. أما من خلال تفاعل مختلف عناصرها فتتولد القيم، وتحدث الإثارة والتشويق " (1). والفكرة لها مغزى وهو الهدف، أو الدرس، أو البعد الذي يحاول القاص عرضه في القصة، ويمكن الوصول للمغزى-حسب رأي الخطيب- من خلال " قراءة القصة أكثر من مرة قراءة أولية، فمتأنية، ففاحصة، فناقدة، واستبعاد الأحكام المسبقة؛ حتى تصل لما يصل له القارئ الناقد، وربط العناصر معا؛ لاكتمال رسم التحليل الصحيح للنص(2). ولا يمكن قراءة القصة القرآنية قراءة ناقدة -من وجهة نظر الباحث- وذلك لأن النقد يعني القراءة التحليلية التي تبرز المحاسن والمساوي، وليس في القرآن مساوي، ولا عيوب البتة. وعلى ذلك يتم النظر في القرآن فقط إلى المحاسن ومراتبها، والجمال وصوره وقيمه. ويحسب الباحث هذا الأمر إجماعا للعلماء الشرعيين، قدسية للقرآن، ولأنها لو قرئت قراءة ناقدة؛ وقد ظهر -سلفا- أنها حاكت حقائق؛ لأصبح ذلك تحريفا للواقع، ونسفا للتاريخ، وذهابا لبعض القيم التي تدعو إليها القصة، وإلغاء للهدف الأسمى الذي سيقى القصة من أجله، من تثبيت النبي ليستمر بدعوة الناس للتوحيد، وليبهر عقولهم بذكر مآثر لا علم له ولا لهم بها سلفا إلا من الوجوه التي جاءت بها كتب اليهود والنصارى، ولم يثبت أي دليل على أنه علم بها. كما أن القصة القرآنية بهذه الفكرة وذلك المغزى الداعي إلى توحيد الله-تعالى- والمفعمة بالقيم السلوكية التي تقع من الناس في شتى شؤونهم وعلى اختلاف أجيالهم، لا يمكن الاستغناء عن فوائدها القيمة، والتعاليم المستفادة منها. فهي صالحة الذكر لكل جيل، ولو اختلفت المشارب. وفهم المتلقي لمغازي وأهداف القصة القرآنية ليس صعبا، كما أنه ليس مباشرا. ولكن بشيء من التعقل للنص، والرجوع لمناسبته، يمكن بلورة المغزى والهدف، وأخذ مجموعة من القيم المفيدة.

(1) أبو شريفة، مدخل إلى تحليل النص الأدبي، 124.

(2) الخطيب، في الأدب الحديث ونقده، 99.

ثانيا: الذات الإلهية والشخصيات

إن الذات الإلهية " الله " تعالى ذكرت في القرآن كثيرا، لا تكاد آية من آياته إلا وقد ذكر فيها اسمه -سبحانه- وهذا أمر طبيعي؛ لأنه- سبحانه- هو من أنزل هذا الكتاب على صدر رسول الله محمد -صلى الله عليه وسلم- من خلال الوحي، كما إن نزوله هدف إلى تعبيد الناس له -سبحانه وتعالى- فحق له أن يمجّد نفسه. سواء كان ذلك في القصص القرآنية، أو عند عرض الآلاء المخلوقة الدالة على علمه وقدرته، أو في الخطاب الذي خاطب به عباده-جميعا- بالتزام ما جاء فيه، حلالا كان أو حراما. ولا يريد الباحث التفصيل في الأمر، مكتفيا بذكر آثار الذات الإلهية في تمهيد الرسالة، حيث يمكن الرجوع إليها.

الشخصية: عبارة عن " خصائص تحدد جسميا، واجتماعيا، ووجدانيا... والشخصية الرئيسية هي الشخصية التي يدور عليها محور العمل الأدبي، وليس شرطا أن تكون بطل العمل الأدبي، وإنما يشترط أن تقود العمل وتحركه بشكل لولبي، ويمكن أن يكون للبطل في العمل دور غير محوري... أما الشخصية المسطحة، فهي الشخصية غير المتطورة، وليس لها دور مهم يثير القارئ أو المشاهد. وهي عكس الشخصية الرئيسية النامية ذات العمق، والأبعاد المركبة والتطور. والشخصية النمطية غير أساسية في العمل، ولكنها معروفة بنمط معين عرفت به، وجاهزة لأداء دورها المعين، ويشترط فيها أن لا تكون رئيسة، أو تامة، أو ذات دور فعال. ويحسن أن تتشبه بشريحة اجتماعية، وتمثل شخصية نابعة من المجتمع " (1).

الشخصيات القرآنية

إن الشخصيات القرآنية على اختلافها، وتنوعها، شخصيات حقيقية واقعية، لا يتسلل إلى وصفها أي طرف من الخيال. فهي واقعية بحركتها، وكلامها، وأفعالها، ومجريات الأحداث التي تقع منها ومعها. يعتبر الحضور الأبرز في القصة القرآنية للذات العلية التي تدخل في كل محاور وعناصر القصة، ثم لشخصيات الأنبياء والمرسلين. الذين يمثلون وجه الخير والصلاح، والتبشير والإنذار. انقسمت الشخصيات القرآنية على اختلاف أنواعها إلى قسمين: شخصيات تمثل الخير، كالملائكة والأنبياء، والصالحين.. إلخ. وشخصيات تمثل الشر، كالشياطين والكافرين.. إلخ. ومن أصناف الشخصيات القرآنية: شخصيات ملائكية، وشخصيات بشرية، وشخصيات شيطانية، وشخصيات حيوانية، وشخصيات نسوية، وغير ذلك، وتتوعد الشخصيات في القصة القرآنية ما بين شخصيات

(1) ينظر، التونجي، المعجم المفصل في الأدب، ، 2: 547.

رئيسة، لها حضور في معظم المشاهد، ولا تتحرك القصة إلا بها، ولا تتصل حلقاتها إلا بوجودها. وشخصيات ثانوية ساهمت في ديمومة الأحداث، وتطورها. وقد تفاوت دور تلك الشخصيات، بين شخصيات نامية "متطورة" أو ثابتة "مسطحة". واتسمت الشخصيات في القصة القرآنية بأن كل صفة من صفات الشخصية، وبعد من أبعادها التي جاءت بها القصة القرآنية، لعبت دورا رئيسا في تحريك الأحداث نحو التنامي والتطور. فلا يوجد هناك وصف لشخصية ما في القرآن إلا كان له فائدة، أو مجموعة من الفوائد، تلك الفوائد التي تساهم في بعث الحيوية للنص، والديمومة له. وخلت الشخصيات القرآنية من المبالغة في الوصف، وأنت الأوصاف بما يلزم ويخدم الهدف من القصة. إن بعض القصص لم تذكر أي شخصية، واكتفت بسرد أبرز الأحداث فيها، كقصة البروج، والفيل، مع إعطاء ملامح عنها. بينما تأت قصص فيها ذكر لشخصية واحدة أو شخصيتين، كسورة المسد. وجاءت بعض القصص الأخرى، وقد استعرضت عددا من الشخصيات بشكل صريح، بأسمائها أو بكنائها، كقصة موسى -عليه السلام- وفرعون.

ومن الجدير ذكره أن ذلك التعداد للشخصيات دل بكثرة أصنافه على عدم عبثيته، بل عده بعض العلماء من قبيل الإعجاز العددي. وقد عدد الباحث بعضا من الشخصيات المذكورة في القرآن، وتبين له تماثل العدد بين بعض منهم على المفارقة الحسية والمعنوية الحاصلة بينهما. حيث بلغ عدد مرات ورود لفظ "الملائكة" 68 مرة، وتساوى مع عدد مرات لفظ "الشيطان" الذي بلغ 68 مرة، هذا حال ورودها مفردة. وجاء لفظ "الشياطين" عشرين مرة، وجاء لفظ "الملك" عشرين مرة، وبهذا تساوت عدد المرات في اللفظتين "الشيطان والشياطين" مع "الملائكة والملك" بمقدار 88 مرة لكل منهما.

كما تكرر لفظ "الناس" في القرآن الكريم 241 مرة، بينما تكرر بمشتقاته "الإنسان والإنس" و"أناس" و"أناسي" و"بشر" و"بشرين" 368 مرة، و تكرر لفظ "رسول" 116 مرة، كما تكرر بمشتقاته ليبلغ بها 368 مرة، وبهذا يتساوى مجموع لفظ "الناس" بمشتقاتها، و"الرسول" بمشتقاتها في القرآن الكريم. أيضا تكرر لفظ "الكافرون" و"الكافرين" و"الكفار" و"كافر" 154 مرة. وتكرر بنفس العدد المكان الذي سيستقرون به، وهو "النار" إذ وردت 154 مرة بلفظ "النار والحريق". وهذا التماثل يشي بتلك العلاقة الحميمة بين الشخصية والمكان في بعض القصص القرآنية. ويستعرض الباحث نماذج من تلك الشخصيات غير متغافل أن سورا قرآنية جاءت باسم فئات عامة مثل: المؤمنون، والكافرون، والشعراء، والأحزاب، والمنافقون، والجن، والإنسان، وقريش، والناس، والزمير. والتي احتوت في

آياتها ومضمونها ذكرا لبعض الشخصيات. كما أن شخصيات وردت في النص القرآني مع أبعادها، وتلك الأبعاد كشفت عن مساهمة الشخصيات في تطور الأحداث في القصة والتحامها، كما شاركت في إعطاء النص حيوية، باعثة في النفس الإثارة، والتشويق. واختلف عدد حضور الشخصيات في القصة القرآنية، من قصة لأخرى، فمن القصص التي ذكرت عددا كبيرا من الشخصيات قصة موسى، وقصة يوسف، وقصة إبراهيم -عليهم السلام- فيما جاءت الشخصيات قليلة العدد في: قصة آدم، و نوح، و لوط، وإسماعيل، وغيرهم عليهم السلام. ومن القصص الأكثر ورودا وتشعبا في القرآن الكريم قصة نبي الله موسى عليه السلام.

أنواع الشخصيات في القصة القرآنية:

أولا: الملائكة

إنه عالم حقيقي الوجود، غيبي ورائي، يختلف عن عالم الإنس، وعن عالم الجان. رسم القرآن حركتهم رسما واقعيا، لم يخرج إلى الخيال، ولم يكن أسطوريا خرافيا. تمتعت الشخصية الملائكية بواقعية الحركة حسب القدرات التي جبلت عليها، وتعاملت مع الزمن حسب منحة تلك القدرة الخارقة التي انتصفت بها، فكأن الزمن ناسب حركتها السريعة عند تلبية الأمر الإلهي، وكأن المكان - أيضا- طوي أمام خلقتها العظيمة. وأدوارها في القرآن رسم معالمها رسما دقيقا. إنها لوحة العالم المثالي المنزه عن الخطأ. إنه " عالم مثالي منسجم ومتناسق يسير في اتجاه مرسوم منضبط مقرر سلفا. وهي تتسجم مع هذا العالم، وتتوافق توافقا تاما، مما جعل صورتها صورة شخصية مسطحة أحادية الجانب، لا يطالها النمو أو التغيير، وما يمكن أن يطرأ على الكائن البشري بصورة عامة"(1). والملائكة عباد مكرمون من عباد الله، هم جنوده في السماء وفي الأرض، طاعتهم له مطلقة، وذكرت أسماء بعضهم في القرآن الكريم، مثل:

جبريل، وهاروت، وماروت، ومالك، ومالك الموت، وميكال، ورفيق، وعتيد

(1) إعلوي؛ نزيه محمد، الشخصيات القرآنية، ط1، عمان، دار صفاء، 2006 م، 369.

بينما جاء ذكرهم في بعض سور القرآن منسوبيين لأعمال يقومون بها، وذلك على مختلف أدوارهم وأعمالهم، مثل:

حملة العرش، وكتابة الأعمال، والشفعاء، وملائكة الرحمة، وملائكة العذاب، ونافخ الصور،

والصافات، والذاريات، والمرسلات، والنازعات.

والملائكة هم جنود الله -تعالى- عددهم لا يحصى، وكل قد علم موقعه، ودوره الذي أوكل إليه، وأمر بتنفيذه، قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ (المدثر: 31). وبرز دور الملائكة كشخصية جماعية تم توجيه الخطاب لهم -جميعا- بصيغة الجمع " الملائكة " في المشهد الحواري الذي دار بينهم وبين ربهم -سبحانه- قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: 30). مشهد على قصره إلا أن وتيرة الخطاب النفسي بلغت شأوا عظيما عند المتلقي؛ لأنه خطاب مع الذات الإلهية أولا، ولأنه يتعلق بأمر مستغرب لم يتوقعوه هو خلق آدم وذريته. واستغرابهم حصل؛ لأن العادة جرت على طاعتهم لله -تعالى- بلا معصية في كل ما يأمر. أما آدم وذريته فالخطأ منهم في حق الله وارد، فكان تعظيمهم لله -تعالى- ومعرفتهم به كافيا لاستتكارهم خلق بني آدم وقد علموا أنهم لن يقدروا الله حق قدره. وكان استغرابهم قد جعل منهم شخصية متطورة، وهم من وصفوا يسمعون فيطيعون بلا استغراب، ولا جدال. وعلى قريهم من ربهم إلا أن علما من علم الله -تعالى- هم عنه محجوبون؛ لأنهم لا يطيقون علم ما الله -تعالى- به عليهم، قال تعالى: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾ (البقرة: 33). وكان أول ما لم يعهدوه منذ خلقوا أن سجدوا للمخلوق الجديد، وقد كانوا يسجدون لله -تعالى- مكرين أن سجودهم لله عبادة وتعظيما، وسجودهم لآدم تكريما. أحداث لعبت في تطوير شخصية الملائكة في ذلك المشهد الحواري.

والآيات في ذكر الملائكة كثيرة، يصفهم تعالى بأوصاف متعددة، تبعا لطبيعة مهمة كل منهم. ومن الصفات النفسية والجسدية التي تنسم بها الشخصية الملائكية، أنها كريمة الطبع والخلق، وكريمة الخلق، وهي صفة ثابتة فيها لا تتغير، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ (الأنبياء: 26). وفي نفوسهم خوف وشفقة من ربهم؛ لأنهم على قرب منه، ومعرفة دقيقة به، قال تعالى: ﴿وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ (الأنبياء: 28). ولا يتنازعهم الملل ولا السامة، قال تعالى: ﴿يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ﴾ (فصلت: 38) ورغم ما هم قائمون عليه، ورغم

قربهم من ربهم إلا أنهم لا يتكبرون، قال تعالى: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ﴾ (الأنبياء: 19). وانتظمت علاقتهم بربهم في إطار الحب له، والشفقة والخوف منه، لذلك حافظوا على عدم الخروج عن مثاليتهم التي جبلوا عليها، من طاعتهم أمر خالقهم وتقديسه، قال تعالى: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ (الأنبياء: 27). وبرزت الصفات الوجدانية فلعبت دورا مهما في التأثير على المتلقي. فوصف ملائكة جهنم بالغلظ الشديد، وهي صفات مفزعة لمن يسمع ورود أهل النار، فكيف بمن يراهم رأي العين. كما برزت صفات وجدانية أخرى وهم يحملون البشارة باقتراب الفرج على نبي الله لوط، وصالح، وهود، وغيرهم. واتصفت شخصية الملائكة ببغض وكرهية من ينال من محارم الله -تعالى- وتلك دلالة حب للطهر، وإرادة للخير، ومنع للاعتداء على الأعراض، ورغبة في بقاء الفطرة التي فطر الله-تعالى- الناس عليها من سنة زواج الرجل بالمرأة، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءًا بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذُرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ (هود: 77).

أما وصفهم مادياً، فقد تمتعوا بالقوة في العبادة، وفي الخلق، وحسن المنظر، وعظمة الأشكال. فهم خلق يتشكلون، ولديهم خاصية التشكل حسب الهدف الذي يؤمرون بتحقيقه، والمهمة التي كلفوا بتنفيذها، قال تعالى: ﴿جَاعِلِ الْمَلَائِكَةَ رُسُلًا أُولِي أَجْنَحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ (فاطر: 1). ويتصف الملائكة الموكلون بحراسة جهنم بالغلظة، والشدة؛ لتتناسب مع جو العذاب، والضنك، والخوف، والرهبنة التي عليها أهل النار، قال تعالى: ﴿عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾ (التحريم: 6).

أما انشغالاتهم، ومصالحهم، فليس لهم من مطمع سوى تحقيق ما أمرهم به ربهم، فهم منشغلون بتسبيحه -سبحانه- يدعونه ليلاً ونهاراً، قال تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ (الشورى: 5). وتحددت علاقتهم مع الكون، ومن هذا الكون الإنسان، فبينهم وبين عباد الله المؤمنين تواصل فهم يدعون لهم، قال تعالى: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ (الشورى: 5).

ولقد ذكر البعد الاجتماعي لشخصية الملائكة، فهم مأمورون به من الله -تعالى- فتواصلوا مع الإنسان، وهبطوا إلى الأرض وصحبوه، وكان منهم تنزيل الرسالات على من اصطفاهم الله-تعالى- من أنبيائه، قال تعالى: ﴿وَمَا نُنزِّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ (مريم: 64)، ومنهم من يحفظون الإنسان، ويكتبون عمله وقوله، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾ (الانفطار: 10-11).

شخصية جبريل - عليه السلام - في القرآن:

قال تعالى: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾ (النجم: 5)، وقال تعالى: ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ (النجم: 6)، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ (الحاقة: 40)، وقال تعالى: ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ (التكوير: 20)، وقال تعالى: ﴿مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ (التكوير: 2021)، ثلاثة أبعاد ذكرتهم الآيات السابقة. بعد جسماني يكشف عن وصف هذا الملك العملاق، فإن وصف الشدة في القرآن كان لعجائب خلق الله -تعالى- فقد وصف الله السماوات بالشداد، وخلق السماوات عظيم، بل هي آية من آيات الله الكونية، ووصف جبريل -عليه السلام- بالشدة، أتبعها القوة؛ لتؤكد عظمة خلقته التي هي أعظم من السماوات الشداد. وبعد وجداني تمثل في أمانته، وعلمه، كرم أخلاقه. فقد تحلى بالشدة والقوة، واتصف بالحسن والبهاء والسناء وحسن الهيئة والشكل، وشدة البأس، وله مكانة مرموقة، ومنزله عالية رفيعة عند الله، يتحلى بالأمانة(1). وبرز البعد الاجتماعي في انتظام العلاقة بينه وبين الناس، إنها علاقة التراسل بين السماء والأرض، الذي استلزمت صفة الأمانة، فتعانت الصفات الوجدانية " الأمانة " مع الاجتماعية " الرسالة " .

ثانيا: شخصية الأنبياء والرسل والصالحين

سور قرآنية جاءت باسم شخصيات أنبياء وصالحين، وأبرزت جانباً أو جوانب من تلك الشخصية، وتلكم السور هي:

يونس، وهود، يوسف، وإبراهيم، ولقمان، ومحمد، ونوح

كما سميت سورة باسمهم -جميعاً- وهي سورة الأنبياء. أما ذكر الأنبياء في القرآن فبلغ ستة وعشرين نبيا ورسولا مع لقمان -عليه السلام- عند من يرى نبوته، وسيبين الباحث عدد مرات ذكر كل منهم في القرآن مرتبين من الأكثر ورودا باسمه الصريح، وذلك لأن كثرة حضور هذه الشخصيات في القرآن، يؤكد واقعيتها، ويمنحها الصدق، وذلك حسب الآتي:

موسى (136) مرة، إبراهيم (72) مرة، يعقوب (16) مرة، وباسم إسرائيل (43)، نوح (43) مرة، يوسف (27) مرة، لوط (27) مرة، آدم (25) مرة، عيسى (25) مرة، هارون (20)، إسحاق (17)، سليمان (17) مرة، داود (16) مرة، إسماعيل (12) مرة، شعيب (11) مرة، هود (10) مرات، صالح (9) مرات، زكريا (7) مرات، يحيى (5) مرات، يونس (4) مرات، أيوب (4) مرات،

(1) ينظر، ابن كثير، إسماعيل، قصص القرآن الكريم، 18.

محمد (4) مرات، إدريس (مرتين)، اليسع (مرتين)، لقمان (مرتين)، ذو الكفل (مرتين)، إلياس (مرتين)، عليهم السلام جميعاً.

السور القرآنية التي جاءت بأسماء شخصيات صالحين عددها ثلاث سور، هي: "آل عمران، ومريم، ولقمان" عند من يرى عدم نبوته .

كما جاء ذكر شخصيات من الصالحين في ثنايا السور، وفي القصص القرآنية، وهم: "عزير، ولقمان على أحد القولين، والخضر، والساعي- الذي أخبر موسى- عليه السلام- بخبر لحاق أهل القتيل به- وأتباع الرسل، وعمران وآله، وطالوت.. وغيرهم. أما شخصيات الصحابة فلم يذكر منهم صراحة إلا زيد بن حارثة. تلكم الشخصيات-رسلا، وأنبياء، وصالحين- كان لهم الدور الأبرز في حمل الرسائل السماوية، ودعوة الناس للإيمان بما جاءت به، مع كثير غيرهم جاء ذكرهم بألفاظ العموم مثل:

المؤمنين، والملتقين، والصالحين

كما جاءت بعض قصص (مشاهد) الأنبياء موجزة، جاءت لإظهار دور النبي أو الرسول، وتوضيح ملمح من ملامح شخصيته التي غلبت عليه، وذلك مثل قصة نبي الله - تعالى- إدريس- عليه السلام- قال تعالى: ﴿وَأذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ (مريم: 56-57). وقال تعالى: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ (الأنبياء: 58). وكذلك بعض الأنبياء الآخرين مثل:

إسحاق، واليسع، وذو الكفل، وإلياس، ويحيى

بينما جاء ذكر البعض الآخر باستفاضة، مع تفصيل للأحداث في قصصهم، مثل:

موسى، ويوسف، وإبراهيم، وعيسى، ونوح، وهود، وصالح، وشعيب... الخ.

وجاء ذكر البقية بشيء من التفصيل لبعض المواقف والأحداث، مثل:

يونس، وهارون، ولقمان، وأيوب، وسليمان

لقد جاءت شخصيات جميع الأنبياء والرسل تمثل دور الداعية إلى الله- تعالى- تحمل رسالة التوحيد، وهي في الغالب شخصيات ثابتة؛ لأنها تحمل رسالة واحدة، وهم متقيدون بضوابطها، وأنظمتها، ومن تلك الشخصيات:

شخصية النبي نوح عليه السلام:

شخصية النبي نوح-عليه السلام-شخصية رئيسة، كان لها حضور 100% في السورة التي سميت باسمه، تلك الشخصية التي رسم القرآن أبعادها النفسية، والاجتماعية، والمادية. البعد النفسي رسمته الآيات رسماً دقيقاً، فقد غلب عليه الهدوء، والوداعة، والسمت البريء على مر السنين الطويلة، تبين ذلك من خلال الزمن الممتد الذي طالت فيه دعوته لقومه، ومكث في دعوتهم سنين طويلة بلغت ألف سنة إلا خمسين عاماً، قال تعالى: ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ (العنكبوت: 14)، مستغرقاً كل الأوقات في دعوتهم، ومع ذلك لم يؤمن معه إلا القليل، فأكثر من دعوتهم من كل وجه، وبكل أسلوب، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا﴾ (نوح: 5)، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهَارًا ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ (نوح: 8-9)، وتبينت تلك الوداعة والسماحة -أيضاً- من خلال ندائه المتكرر لهم بـ "يا قوم" إنه نداء الرحمة، والحنو، والقرب، والتسامح، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ (الأعراف: 59)، وتكتمل صورة الداعية بعد هذا الصبر من السنين في الدعوة رغم جهلهم، ومناكفتهم له وتبجحهم وفسقهم. فجاءت المرحلة الأخيرة اعترافاً منهم بشدة النكير إزاء دعوته، وسخرينتهم عليه، فتحول هدوؤه إلى غضب، وسماحته إلى نزعة انتقام، فدعا عليهم بالعذاب، وجاء الأمر الإلهي لسماحه وأرضه بإنفاذ دعاء نبيه فيهم(1). واتضح البعد الجسماني لنوح -عليه السلام- في بعض الآيات، فقد كشفت عن عمره الطويل، وهذا بحد ذاته يكشف عن قوة بدنه، ومما يكشف عن قوته -أيضاً- تجوله بين قومه، ودعوته لهم في كل الأوقات. أما ما يكشف عن قدراته العقلية والذهنية والبدنية في الآن نفسه، صناعة السفينة التي صنعها بيديه. بينما توافر البعد الاجتماعي بمحاولته كسر الحواجز بينه وبين قومه، من خلال دعوته لهم، وتجوله بينهم، وصبره على شرهم، إلا إنه لم يستطع الوصول لذلك إلا مع ثلثة قليلة منهم، ممن آمن بدعوته.

(1) سورة الشعراء: 21-28.

شخصية النبي هود عليه السلام:

كان هود -عليه السلام- على الطريق نفسه الذي كان عليه نوح -عليه السلام- لذلك لم يختلف رسم شخصيته عنه، فقد اشتركا في كثير من الصفات، والأعمال، وأول هذه الصفات، النفس الهادئة، والحانية، والصافية البريئة، التي تبين فيها ذلك من خلال ندائه على قومه بـ " يا قوم " قال تعالى: ﴿وَالِي عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ (الأعراف: 65)، وقد حلاه الله - تعالى - بصفة الأمانة، وهياًه للنصيحة الكبرى، فهما صفتان كريمتان، تمثلان وصفا نفسيا واجتماعيا في الوقت نفسه؛ لأن الرسالة تقتضي الأمانة في التلقي، والحمل، والعرض. وتقتضي الرسالة -أيضا- النصيحة حتى تتم الدعوة، ويتقبلها الناس، قال تعالى: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ (الأعراف: 68). كما كانت دعوته لهم بعيدة عن بغية المصالح الدنيوية، وتدل الآيات على فقره، وفاقته؛ لأنه ذكر لهم أن ما يقوم به بعيد عن بغية الأجر، إذ لو كان غنيا، لما كان لذكر الأجر من معنى، قال تعالى: ﴿يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ (هود: 51)، وأيضا تكشف الآية عن غنى قومه، لأنه لا يعقل أن يطلب الأجر من فقير، فيما لو طلبه.

أما امتداد علاقته، فكان هود -عليه السلام- دائم الصلة بالله - تعالى - واثقا به متوكلا عليه، قال تعالى: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ﴾ (هود: 56). ومع قومه كان الداعي المحب الذي يتمنى إنقاذهم من عاقبة وخيمة قد تطل عليهم بسبب كفرهم. وكان كثير الشفقة والرحمة على قومه من سوء المصير، قال تعالى: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (الأحقاف: 21)، ووعظ فأكثر، وبشر وأنذر، قال تعالى: ﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعظت أم لم تكن من الواعظين﴾ (الشعراء: 136).. ولكن جاءت المرحلة الأخيرة، مرحلة التغير مع قومه، بعد شدة لاقاها منهم، فدعا بالخلاص من إفكهم وتكذبيهم، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُون﴾ (المؤمنون: 39).

شخصية النبي إبراهيم عليه السلام:

إن الذات الإلهية هيأت شخصية إبراهيم-عليه السلام- وأمدته بالرشد، والقدرة على التفكير بآلاء الله -تعالى- في طلب الحق. وشخصية إبراهيم-عليه السلام- في قصة الأنبياء رئيسية، اتسمت بالتحول والتطور، إنه التحول الفكري، والتحول الاجتماعي، والتحول المكاني. أما التحول الفكري فهو تحول من ملازمة قومه إلى مفارقتهم، ومن إتباع دينه إلى مرحلة التأمل، ومن التأمل الفطري إلى الإيمان العميق، ومن هذا الإيمان إلى منحه قوة خارقة في جسده التي استعصت على لهب النار. أما التحول الاجتماعي، فهو تحول من حالة الأبوة الطبيعية إلى الأبوة التي تخرج المتلقي عن وعيه عندما يترك إبراهيم طفله الرضيع وزوجته الضعيفة في صحراء قاحلة، وتحول آخر عندما رأى في منامه ذبح ابنه فعمد إلى ذبحه؛ فأخرج بهذا التحول المتلقي عن وعيه. ومع هذا وذلك يراه المتلقي قمة في الأدب الجم تجاه الأب.

وشخصية إبراهيم- عليه السلام- تمثل محور الخير. والشخصية الراشدة حيث تجولت الأبعاد الثلاثة في الشخصية. البعد النفسي الذي كان له في كل وصف دوره الفاعل في تنامي الحوار؛ ليصل إلى حد التأزم، ومن تلك الصفات صفتا الرشد والحكمة، قال تعالى: ﴿آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ﴾ (الأنبياء: 51)، ولو لم تكن شخصيته حكيمة، راشدة، لما وصل به الحال إلى الانتصار عليهم. وشخصية نبي الله إبراهيم- عليه السلام- كانت تمثل أمة في العلم والأخلاق. كان إبراهيم- عليه السلام- كثير العبادة، نظيف السريرة، جميل الطلة، قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا﴾ (النحل: 120) كان كثير الشكر لربه، معترفاً بفضلته ونعمة هدايته، فبلغ ووفى، قال تعالى: ﴿شَاكِرًا لِّأَنْعَمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ﴾، وقال تعالى: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ (النجم: 37). كما اتصف بالأدب الجم عند خطابه لأبيه " يا أبت " ذلك الوصف الذي رسم خلقه، وصور سمته. كما تحلى بالجرأة في عرض الحق على أبيه وقومه، وتأفف من فعلهم، ومن حجاتهم، قال تعالى: ﴿أَفْ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ (الأنبياء: 67). وبهذا تم الخروج من ركافة تفكيرهم، وضعف عقولهم التي أضرت بهم، خاصة تلك التي تحكمت بأبيه، والتي انكشفت من بعض مظاهر عبادتهم للحجارة. واتصفت شخصيته بالتحدي، قال تعالى: ﴿تَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ﴾ (الأنبياء: 57). وظهرت الشخصية في صورة الكيد، قال تعالى: ﴿تَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ﴾ (الأنبياء: 57). وصورة الانتقام من أفعالهم بهدم الأصنام، قال تعالى: ﴿فَجَعَلَهُمْ جُودًا﴾ (الأنبياء: 58). وتحلى بالجرأة والشجاعة في

قول الحق ومجابهة الشرك وتحديه، كثير التدبر في آلاء الله، قوي الحجة، كريم المطعم، بار الوالد.

أما البعد الاجتماعي، فتمتعت شخصية إبراهيم -عليه السلام- بحسن الخطاب مع قومه؛ ليكون أبلغ في إيصال الرسالة، وتمتعت الشخصية بالجدال المنطقي الذي فاعل الأحداث، وتحلت برجاحة العقل التي وصلت إلى حالة الانتصار من خلال تقديم الحجة والبرهان، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّكُمْ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ﴾ (الأنبياء: 56). ومن خلال صورة الحقيقة الموضوعية التي تمثلت بالسخرية والاستهزاء على أصنامهم التي لا تنفع ولا تضر، قال تعالى: ﴿سَمِعْنَا فَتَى يَدُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾ (الأنبياء: 59)، ومن خلال صورة التحدي السافر لعقولهم، قال تعالى: ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾ (الأنبياء: 60). أما وضعه الاجتماعي الأسري، فقد كان له من الذرية إسحاق وإسماعيل -عليهما السلام- اللذين بشره الله بهما، قال تعالى: ﴿وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ﴾ (الصفوات: 113)، وكانت هذه الذرية عوناً له في تأسيس دار العبادة الأولى. قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾ (البقرة: 127).

الشخصيات الثانوية في قصة إبراهيم عليه السلام:

والده، قومه، الأجداد، الآباء، الوشاة

بينما الشخصيات الأخرى في القصة كانت ثانوية، وكانت أبرز تلك الشخصيات شخصية والده تلك التي امتد حوارها مع ابنه فيها أكثر من نصفها، وتمثل دوره في زجر ابنه، ومحاولة إرضاخه لتراث الآباء والأجداد، والتأثير العاطفي عليه لكونه والده، ودوره الأخير بعدما لم يجد منفذاً لإقناع ابنه بدأً بتهديده، وتوعده بشتى أنواع العذاب، الأمر الذي رسمه متحولاً عن حقيقة الأبوة الفطرية بسبب الفكر والمعتقد، رغم كونه خاطئاً. وكانت الشخصيات الأخرى ثابتة، ورغم ثباتها إلا أنها ساهمت في توتير العلاقات، واحتدام الأحداث. فشخصية أبيه وشخصية قومه فقد جاءت بوجه واحد وثابت، اتصفتا بالجهالة وركاكة التفكير والتعصب للباطل مع الانزياح عن الحق، وكذلك التقليد الأعمى للآباء والأجداد دون الرجوع للعقل والتي وقفت جميعها في الخط المقابل لإبراهيم - عليه السلام - مجادلة ومحاربة.

شخصية النبي يوسف عليه السلام:

قصة نبي الله -تعالى- يوسف-عليه السلام- من القصص الأكبر حجما في القرآن، وذكرت في سورة واحدة، جاءت شخصيته وشخصية إخوته فيها رئيسيتين. كانت شخصية "يوسف" -عليه السلام- الشخصية التي استحوذت بحضورها على معظم مشاهد القصة، وكانت متطورة ونامية عبر مراحل القصة المختلفة، من الطفولة التي ترعرعت في كنف أبيه النبي وأمه، تحت ظلال الخيام البدوية، إلى حالة الضياع في البئر، إلى الفتنة " المرأة " التي كاد أن يهيم بها، ثم السجن مكان التحول من مرحلة التبعية للعزيز إلى اعتلاء سدة الحكم، ومن الغربة الطويلة إلى العودة المؤنسة.

وشخصية إخوته الرئيسة المقابلة، كان لها حضور كبير في القصة امتد من أولها حتى آخرها، كما لحق التطور شخصيتهم. ذلك الفريق كاد ليوسف بدافع الحقد والغيرة المتولدتين من جراء الحياة الاجتماعية المتمثلة في الأخوة من الأب، وأسباب أخرى، حيث استمر حال شخصية الأخوة من أول القصة لآخرها وكأن شيئا لم يكن قد حدث منهم بعد إلقاء أخيهم الطفل في الجب، حتى جاءت النهايات؛ لتكشف عن جوهر طيب عندهم لولا نوازع ما ألمت بهم في ذلك الوقت وإلا لكان غلب هذا الجوهر تلك النوازع، وهكذا فقد تحولت تلك الشخصية من نوازعها الشريرة، إلى الوداعة والسماحة والندم على خطيئتهم الكبيرة، والعودة إلى رشدهم، والاعتذار الخجول لأبيهم وأخيهم. وعادوا إلى جوهرهم الذي كانوا عليه. حيث كان لهذا الدور -شخصية الأخوة- أهمية بالغة في إيجاد العقدة، وتأزيم الصراع، وحل العقدة. وهذا هو الذي زاد الأحداث تلاحما.

وجاءت شخصيات ثانوية أخرى في القصة، بلغ عددها مقاربا لعدد شخصيات قصة موسى-عليه السلام- وكل شخصية كان لها دور فاعل في ديمومة الأحداث، وتطورها، فشخصية أصحاب السجن مثلا كان حضورها قليلا، لكن هذا الحضور كان سببا في ذلك التحول الذي حصل في حياة "يوسف" عليه السلام، والذي تمثل في تغيير حال يوسف من سجين يعاني، وتابع مقهور، إلى قيم للمملكة، وراع للشؤون الاقتصادية، ولا يكاد يجد المتلقي لتلك الشخصيات إلا دورا أو أدوارا فاعلة، تناسب سيرورة القصة، وديمومتها، ومن الشخصيات الثانوية في القصة:

الأب " يعقوب " و " الأم " و " الإخوة التسعة " و " السيارة " و " العزيز " و " زوجة العزيز " و " الحكم من أهله " و " الحكم من أهلها " و " النسوة " و " صويحبات امرأة العزيز " و " صاحب السجن " و " الملك " و " البشير "

شخصية النبي موسى عليه السلام:

كانت شخصية موسى-عليه السلام- وشخصية فرعون هما الشخصيتان الرئيسيتان فيها. وقد تحركت في هذه القصة عدد من الشخصيات الثانوية الأخرى التي وصل عددها إلى أكثر من عشرين شخصية كان لكل منها دوره في استمرارية الأحداث وتتابعها، ولم يرد عبثاً، وإنما كان الورد لفائدة أو فوائد، كمعالجة موضوع ما، أو إعطاء العبرة للمتلقي، أو كشف مزيد من الأضواء على ظاهرة ما، أو لعب دور في تكميل مجريات الأحداث وديمومتها، ومن هذه الشخصيات: أم موسى، اليهودي، القبطي، أخت موسى، امرأة فرعون، أبناء اليهود الأحياء والأموات وبناتهم، هامان، جنود فرعون، أتباع موسى، هارون، الفتاتان، والد الفتاتين، الرعاة، السحرة، المراضع، الساعي، الناس الذين يسقون، آل فرعون، الملاً والجماهير.

كان الحضور الأكبر بارزا في شخصيتين متقابلتين موسى-عليه السلام- وفرعون، على مستوى شخصيات القصة الأخرى. حيث جاءت شخصية النبي موسى رئيسية الحضور، وكان لها الحظ الأكبر من مشاهد قصصه، وكانت شخصيته أيضا متطورة نامية، فقد ساهمت شخصيته في إضفاء جو من التشويق للمتلقي عند متابعة مجريات الأحداث في القصة القرآنية، وقد تفاعلت الشخصية مع الأحداث تفاعلا منح القصة حيوية وديمومة، ففي قصة موسى- عليه السلام- بسورة القصص، جاء ذكر أبعاد الشخصية الثلاثة، البعد النفسي، والمادي، والاجتماعي. حيث ذكر موسى- عليه السلام- كنبى مجتنبى قبل مولده، وتفاعلت شخصيته مع جميع الأحداث من طفولته حتى شبابه، وتمثلت في كيفية المحافظة عليه، والتدبير لموعد ولادته بمراعاة الظروف المحيطة به، ثم نجاته وعيشه في كنف امرأة فرعون وعودته لأمه، حتى إذا شب خرج من مصر؛ ليعاني فجعة التهجير بعد حادثة القتل، ثم يعود بعد سنوات طوال من الغربة التي كانت ممثلة الأحداث؛ ليبدأ الصراع مع ما يحمله من عبء الدعوة؛ لدعوة فرعون، أو لمجابهة الطاغية، ومواجهة استعلائه، وكفره، وطغيان أتباعه، وضلال سحرته. إن شخصية النبي موسى - عليه السلام- تبدو شخصية نجحت إلى حد بعيد في تطور تلك الأحداث، وتنامي الصراع، وقد حمل ليكتمل دوره جمالا أسمى السجايا، وأفضل الصفات، وأنبأها، وأصدقها. فمن نبوته التي لا تليق بها إلا أسمى الخصال، إلى نجدته الضعفاء من شر أعدائهم، إلى سقاء الفتاتين، إلى زيادة الأجل في العمل منحة منه وكرم خلق، وعودته لدعوة فرعون على شدته وجبروته التي أرهبت الناس، مع ذلك كان إمكان ورود الخطأ البشري منه إذ قتل الرجل من غير شيعته. وما تبعه من استغفار ورجوع

بالتوبة لله - تعالى - دليل على شعوره بالخطأ مهما كان مبرر المفسرين ممن رأوا عدم الخطأ منه، ولم يقع دليل جزم لقولهم، فالأنبياء بشر لا ملائكة. بل ربما كان هذا الحدث سببا رئيسا في تحول شخصيته تحولا من البشرية التي يتماثل فيها مع البشر، إلى البشرية الانتقائية، التي أخبر بتحققها القرآن في شخصيته، وذلك عندما اشتد عوده، وبلغ رشده، واستوى على سوقه. وظهر ميله الاجتماعي بتمييز ابن شيعته عن ابن عدوه الذي قتله، قال تعالى: ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ﴾ (القصص: 15). وكشفت القصة عن البعد المادي الجسماني، والبعد النفسي الذي ناسبه، فقد تمتع بقوة البدن التي ناسبت جرأة النفس، وشجاعة الموقف، قال تعالى: ﴿فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ﴾ (القصص: 15)، ولولا قوة بدنه ما استطاع السقاء للفتاتين، وهذا دليل رحمته، وطيبته، وجمال خصاله، وكأنه من تلك الأحداث يبدو أمام المتلقي طويل القامة، قوي البنية، جريء الشخصية، مفتول العضلات. ولعل الذي ساعد بعض تلك الصفات على البروز تلك الشجاعة التي اكتسبها من أمه يوم ربطت جأشها وتحدثت العيون الساهرة، والسيوف التي قصفت أعناق الطفولة من الذكران، وربما اكتسبها أيضا من مخالطة البلاط الفرعوني الذي اكتتفه. كما بانته شخصيته القوية الصارمة، عندما كشف عن عقيدته التي مازت بين فرقة الإجماع وجماعة الحق، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ﴾ (القصص: 17).

واتصفت شخصيته بالأمانة والقوة، تلك الأمانة التي جعلت غريبا يثق به، والقوة التي كانت سببا في ميل النفوس إليه، قال تعالى: ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ (القصص: 26). وظهرت الحالة النفسية التي تكتنفها الشفافية، وشدة الحساسية من الخطأ، وبروز عقدة الذنب التي جعلته مستوحشا، قال تعالى: ﴿قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ (القصص: 15) معاتباً نفسه على ما بدر منه، وقد توقف عن بطش ابن شيعته في اليوم التالي عندما ذكره، قال تعالى: ﴿أَتْرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ﴾ (القصص: 19). وظهر الخوف الفطري عليه وذلك من خلال ترقبه وحذره من أن ينكشف وجوده، قال تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ (القصص: 18) وفيها دلالة على معرفته طرق التخفي من فرعون وحكومته. وثيق الصلة بربه منذ اشتداد عوده كيف وهو النبي، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ (القصص: 16)، وقال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾ (القصص: 17)، وقال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (القصص: 21)، وقال تعالى: ﴿قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي﴾ (القصص: 22)، وقال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ (القصص: 24)، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ

وَكَيْلٌ ﴿القصص: 28﴾ وقال تعالى: ﴿أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا رَبُّكَ﴾ (القصص: 30) وقال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا﴾ (القصص: 33). حدة الطبع، وفوران النفس التي وصلت إلى حد الغليان في نفس موسى-عليه السلام- وذلك بجرأته على المقاتلة سواء كان القتل عمداً أو دونه. مع حالات الخوف والترقب التي كانت تصحبه في كل مكان بعد قتله القبطي، وعند خروجه من المدينة، وقرب عودته إليها. وزخرت الآيات بأبعاد نفسية متلاحقة؛ زادت الأحداث درامية وتضاعداً، فالأفعال:

"علا، استكبر، المستضعفين، ذبح الأبناء، المفسدين، الترقب، الحذر، الخوف، الحزن، العدوانية، الحرمان من الإنجاب، القتل، نفي الشعور، فراغ القلب، الصبر، الحرمان، الفرح، الكفالة، الجهل، الغفلة، آثار التحزب والتشيع، الاستغاثة، الظلم، الصراخ، المؤامرة، الحياة، الهرب"

كل كلمة من الكلمات السابقة على أقل تقدير، يمكن أن يتشكل منها مشهد درامي تراجمي مؤلم، ومحزن، ويمكن منها رسم لشخصية النبي موسى عليه السلام.

شخصية النبي صالح عليه السلام:

شخصية نبي الله صالح-عليه السلام-سارت على الطريق نفسه الذي سار عليه الأنبياء قبله، وتوافق مع من بعده، قال تعالى: ﴿وَالْيَ تَمُودُ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ (هود: 61)، لقد أمد الله -تعالى- بالرسالة، وحلاه بالأمانة، قال تعالى: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ (الشعراء: 143)، وكانت دعوته لقومه بعيدة عن بغية المصالح الدنيوية، قال تعالى: ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ (الشعراء: 145). لم تتجاهل ولم تتبالغ القصة القرآنية في عرض أي من الأبعاد الثلاثة للشخصيات؛ لأنها جاءت وفق الحاجة والضرورة، وقدرت بقدرها.

ثالثاً: شخصية الشيطان

تمثل الشخصية الشيطانية حضوراً كاملاً في بعض المشاهد الحوارية في القرآن الكريم، مثل المشهد في سورة الإسراء بينه وبين الله-تعالى- ويمثل الشيطان في القرآن الشر المحض الذي لا خير فيه، وقد رسم القرآن شخصية إبليس في أبعاد ثلاثة.

أولهما: البعد النفسي، ذلك الذي صورته بصورة واضحة. حيث وصفت شخصيته بالعدوانية، والشريرة، والوسوسة، أي الوسوسة لبنى آدم، قال تعالى: ﴿فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى﴾ (طه: 120). والمتحايلة، والمتريصة، والمتكبرة، قال تعالى:

﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ (ص: 76) فرأى أنه خلق من النار ولها العلو، وأن آدم خلق من الطين وله الدنو، والنار أقوى من الطين، فهي تحرقه، وغاب عنه أن النار رمز للإحراق والدمار، بينما الطين رمز للنماء والخير.

ثانيهما: البعد الاجتماعي، وأبرز مظاهر هذا البعد، تلك الإمكانيات والأدوات من الملدات والمصائد التي امتكها كي يستطيع إغواء الإنسان. جاء ذكره في القرآن باسم الشيطان، واستخدم جمعه الشياطين، كما نعتة بالعدو، عدو الله، ولرسله، وللمؤمنين، قال تعالى: ﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ﴾ (طه: 117). وهو يعاني التشريد، والضياع، والطرده من رحمة الله - تعالى - واللعنة إلى يوم الدين، قال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ﴾ (الأعراف: 16).

وقد تحددت علاقته بالإنسان، على أساس من الغيرة، والحقد، والإغواء، وإرادة الإفساد، حيث قطع العهد على نفسه أن يستخدم كل ما في وسعه لإفساده، والتريص بت، وخاصة بعباد الله المؤمنين، قال تعالى: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (الأعراف: 16). وأساليب إفساده للإنسان كثيرة، ووسائله متعددة، فهو يشككهم في آخرتهم، قال تعالى: ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾ (الأعراف: 17)، وكذلك يسعى جاهدا في ترغيبيهم في دنياهم، قال تعالى: ﴿وَمَنْ خَلَقَهُمْ﴾ (الأعراف: 17) ويلبس ويشبه عليهم أمر دينهم، قال تعالى: ﴿وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ﴾ (الأعراف: 17)، ويفتح نفوسهم، ويشهي لها المعاصي، قال تعالى: ﴿وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾ (الأعراف: 17). أما معاداة الذرية، فالحديث فيها بلا حرج، اتخذ كل لون للوقية بالإنسان.

ثالثهما: البعد المادي، لقد كشف القرآن عن ملامح شخصية الشيطان، تمثلت في ديمومته وبقائه حتى يفنى الإنسان، ووجود الأتباع والذرية والجند المبتوثين كقرناء للناس، وصوته الذي يستخدمه لإغواء الناس، وإفسادهم، ولديه من الوسائل والأدوات، كالخيل، والجند، والأموال، التي تعتبر من أدوات الإغواء المعينة له، قال تعالى: ﴿وَاسْتَفْزِرْ مَنْ اسْتَطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَّهُمْ﴾ (الإسراء: 64).

رابعا: الشخصية النرجسية

هناك بعض المذكورين في القرآن الكريم يمثلون هذا النوع من الشخصيات، منها:

شخصية النمرود

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾ (البقرة: 258)، وأظهر صفاته ذات البعد النفسي، كالتكبر، والاستعلاء، وإعطاء نفسه قدرا ومكانة فوق من يراهم أمامه، والغرور. إن الذي

بدأ المحاججة إنما هو ذلك الكافر الذي آتاه الله -تعالى- الملك، فأبطره وأورثه الكبر والعتو، حتى إنه بلغ به مبلغ إدعاء الربوبية، وزعم القدرة على الإحياء والإماتة. وإذا ما وصل الإنسان إلى هذا الادعاء فقد وصل إلى أبلغ وصف لنفسه وذهب بها إلى أن الناس ملك يديه، يرجع أمرهم إليه، وهذه خصال النرجسية.

شخصية فرعون

تلك الشخصية التي كانت صورة من صور الكبر، والتعالي، والاستخفاف بقومه، قتلا للأطفال، وسفكا للأبرياء، وظلما للفقراء، وقهرا للرجال، واستحياء للنساء دون الرجال. أنكر الحق، واستغرب من رسالة موسى -عليه السلام- ودعوته، تلك التي لا تتفق مع قوله، قال تعالى: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ (القصص: 38)، وتخالف نرجسيته الذي لا يرى سواها، قال تعالى: ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ (غافر: 29) فشرع يجادله في ربوبية الله تعالى: ﴿قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنُتُمْ مُوقِنِينَ*قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾ (الشعراء: 23-25) فرد فرعون بالجحود والإنكار والعتو والادعاء، بزهو غرور، قال تعالى: ﴿فَحَشَرَ فَنَادَى*فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ (النازعات: 23-24). وقال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأَ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ (القصص: 38)، وقال تعالى: ﴿قَالَ لَنْ أُنْزِلَ إِلَهًُا غَيْرِي لِأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ (الشعراء: 29). وفرعون الشخصية المقابلة لشخصية موسى -عليه السلام- حيث تمثل شخصية فرعون كما في القرآن الكريم أكفر نموذج بشري للشر. ولقد كشف القرآن الكريم عن كثير من سماتها النفسية والذهنية. وأحاطها دوما بالبعوض والعداوة الظاهرة. فهي شخصية طاغية، متكبرة، مغرورة، لا تطيق الحق، ولا تحتل المخالفة(1)، يفرق المجتمع، ويمزق العلاقات، قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾ (القصص: 4)، وقال تعالى: ﴿يَسْتَضِعُّنَّ طَائِفَةً﴾ (القصص: 4)، وقال تعالى: ﴿يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ﴾ (القصص: 4)، وقال تعالى: ﴿يَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ﴾ (القصص: 4) يهدم النسيج الاجتماعي. فرعون مع حاشيته، مغترون بكبرياتهم وسطوتهم، قال تعالى: ﴿ثُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا﴾ (القصص: 6)، جمود عاطفة فرعون من احتواء الولد، مع أنه لم ينجب، قابل ذلك إصرار الزوجة، قال تعالى: ﴿عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ (القصص: 9). وقسوة فرعون والتي تمثلت في مجموعة من الأحداث كالعلو والتكبر، وتمزيق المجتمع ونشئته، واستضعاف الناس، وذبح الذكور وقتلهم. استخباراته ضعيفة بدليل أن "أم موسى" التي حملت

(1) ينظر، إعلوي، الشخصيات القرآنية، 254.

بولدها تسعة أشهر، مع حالة الوضع التي تستدعي مساعدتها في الولادة، وصناعة الصندوق الخشبي الذي وضع فيه الغلام موسى- عليه السلام- والخروج بالوليد نحو البحر أو النهر "اليم" دون أن يحس أحد بهم، وبكاء الوليد فترة مكوثه عند أمه وخروج صوته، هذه الأمور مجتمعة، وغيرها فيها دلالة على ضعف استخبارات فرعون، ودليل ضعف النسيج الاجتماعي في تلك الفترة، ولو كان النسيج الاجتماعي نشطا خاصة بين الحاكم والمحكوم؛ لتسربت أخبار هذا الوليد، وكان له من المصير ما كان لغيره. ومن الأدلة على ضعف استخبارات العلاقات تكرار الفاصلة "لا يشعرون" في عديد من الآيات وكذلك ترديد "يحذرون، خاطئين" وبروز الطبقة الاجتماعية والفارق الشاسع بين الطبقات المسحوقة والطبقات المرفهة، طبقة عرضة للقتل والاستضعاف والبطش، وأخرى مستعلية قاتلة باطشة. ومن دلائل الطبقة أيضا صورة الكفالة وانتشار الإرضاع التي سادت في ذلك العصر، قال تعالى: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ﴾ (القصص: 12). التكافل "تكفلونه لكم" السقاية والإرعاء، قال تعالى: ﴿لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصَدِرَ الرِّعَاءُ﴾ (القصص: 23)، الحزبية والطبقة والفوارق الاجتماعية السائدة في ذلك العصر، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا﴾ (القصص: 5)، وقال تعالى: ﴿الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَىٰ الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾ (القصص: 15)، الظلم الاجتماعي، قال تعالى: ﴿وَنَجِّنِي مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (القصص: 21)، الإفساد العام في الأرض، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ مِنَ المَفْسِدِينَ﴾ (القصص: 4). ويمكن القول أن تلكما الشخصيتين تمثلان التطور والنمو للأحداث الدائرة في القصة، مع احتدام الصراع وتأججه، واعتبارهما رئيسيتين. بينما جاءت الشخصيات الأخرى ثابتة بعضها قدم حدثا وانتهى عنده دورها، مثل أخت موسى، والساعي، والبنين، والرجل الصالح وغيرهم.

شخصية قارون

كانت شخصية "قارون" هي الشخصية الرئيسية، مسطحة إلى حد بعيد، نمطية لم تتغير نمطيتها في القصة، حيث درجت على منوال واحد من الصلف والغرور والكبر. ودرجت أحداث القصة؛ لتكشف عن مظاهر كبره، واستعلائه من البداية، وسرى ذلك في أرجاء القصة، ثم عرضت الحوار بين الفئتين، الذي لم يخل من استعراض لمظاهر غروره أيضا، وأبرزت التباين بين أهل العلم الجادين، المتدبرين، وبين الجهال الذين انخدعوا بالمظاهر، وغرهم غناه وثروته، حتى وصلت الأحداث لتضع المتلقي أمام مشهد مريع، تمثل في صورة الأملاك التي كانت ظاهرة فاخفت، بفعل الأرض التي انشقت وابتلعت، وكشفت عن ذلك المصير المحتوم لشخصيته.

وظهر البعد النفسي في شخصية "قارون" فقد غلبت عليه صفة الاغترار بنفسه أمام الناس، والبغي عليهم، والفرح البغيض بما أعطاه الله- تعالى- والفساد في الأرض، وادعاء المال أنه حصل بعلمه ومهارته، والزهو والتفاخر، والخروج على قومه وكأنه لا يرى الناس إلا أتباعاً، مبهورين بحظه العظيم، قال تعالى: ﴿فَبَغَى عَلَيْهِمْ﴾ (القصص: 76). ، هذا ما حمله عليه غروره ليقدمه لقومه وعشيرته. أما عن زهوه وإعجابه بنفسه، وفرحه بما عنده، فقال تعالى: ﴿لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ (القصص: 76). ، وهذه النفس دائمة الحراك في السوء والشر والفساد، قال تعالى: ﴿لَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ﴾ (القصص: 77). ، ويستمكن الغرور والإعجاب بنفسه؛ ليدعي أن ما عنده كان بخيرته، وجهده، منكرًا نعمة الله عليه، وهبته له، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾ (القصص: 78). ، إنه مشهد المختالين، الذين إن مشوا في الطرقات اعتقدوا أن أعين الناس تهبوا إليهم، تسترق منهم الجمال، وتلثت وراءهم، قال تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ﴾ (القصص: 79). ويظهر البعد النفسي في قصة "قارون" كذلك من خلال صور الظلم، والبغي على الناس، وما ينتج عنهما من آثار نفسية مفرعة، والفرح مع الكبر. والغفلة، قال تعالى: ﴿لَا تَسْ نَصِيْبِكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ (القصص: 77). الولولة "ويلكم" والخوف، قال تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ﴾ (القصص: 82)، أي: انتقلت أمانيتهم.

أما عن البعد الاجتماعي، فبرزت الطبقية التي يؤكد على ذكرها الباحث والتي وردت في قصة موسى- عليه السلام- في سورة القصص، فهو المجتمع نفسه. فإن فرعون الذي علا وتكبر، ويقابله مجموع المستضعفين من الناس من أهل مصر يتشابه تماما بل يستمر مع قارون المتكبر بماله وكنوزه، ويقابله أهل الأهواء الذين يتمنون لأنفسهم مثل ما عنده. والقصة أشارت إلى وجود العلماء، وأهل الإيمان من أتباع موسى- عليه السلام- الذين كانوا الناصحين الأمناء، والذين نظروا إلى مآلات الأمور، التي ستؤول لها أحوال قارون على صلفه وتكبره. وظهرت صورة التكبر والصلف الاجتماعي من جراء الطبقية، وصور الفساد المختلفة التي لم تحدد، لتترك للقارئ أن يتصور مظاهرها. فالمجتمع ينقسم إلى مؤمنين وغافلين ومفسدين، وانتشار الفساد كان سببا لانتشار النصيحة، والتذكرة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر "أحسن" و"لا تفرح" و"لا تبغ الفساد". وهذا ما أشارت إليه القصة في أكثر من موضع، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ﴾ (القصص: 80)، وقال تعالى: ﴿أَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَانَ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ (القصص: 82)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ

المُفْسِدِينَ﴾ (القصص: 77). وكان ينتشر الإيمان بالحظ حسب قول أهل الأهواء، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَذُو حَظٍ عَظِيمٍ﴾ (القصص: 79). أما شخصيات القصة الثانوية فهي:

موسى، وقوم موسى، وفرعون، والعلماء، وأصحاب الأهواء

فذكر موسى - عليه السلام - كان في القصة ليظهر للمتلقي أمرين، الأول: أن زمن تلك القصة حصل في عهده. وفي عهده انقسم الناس إلى صنفين، فريق المؤمنين، وفريق الكافرين وأهل الأهواء. وهذا يعطي المتلقي إشارة إلى عدم استغراب وقوع مثل هذه المشاهد والأحداث حتى في حضرة رسول. الثاني: أن ذكر موسى - عليه السلام - كشف عن الحالة الاجتماعية الطبقيّة التي سادت في ذلك الوقت، فرعون، هامان قد جمعا السلطة مع الثراء، وامتدت الطبقيّة، لتتأكد من خلال قارون التاجر، ليدل ذلك على أن الطبقيّة لم تطل السلطويين فحسب، بل التجار أيضاً. إن مجرد ذكر تلك الشخصية "موسى" - عليه السلام - دون ذكر أي دور له في القصة يكشف عن هذين الأمرين السابقين، الأمر الذي يؤكد حرص القصة القرآنية على أن كل ما ذكر فيها إنما أتى لهدف، أو لتحقيق فائدة.

خامساً: الشخصية الشاذة جنسياً

شخصية قوم لوط: شخصية رئيسة في قصص لوط - عليه السلام - التي ذكرت في القرآن، وهي شخصية مسطحة، جاءت بوجه واحد، إنه وجه الشذوذ الفكري، والشذوذ الأخلاقي "السلوكي" تمثلت هذه الشخصية في القرآن الكريم بالرجال من قوم لوط - عليه السلام - فهم " من أفجر الناس وأكفرهم وأسوئهم طوية، وأردئهم سريرة وسيرة. يقطعون السبيل، ويأتون في ناديهم المنكر، ولا يتناهون عن منكر فعلوه، لبئس ما كانوا يفعلون " (1)، قال تعالى: ﴿وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ * إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ﴾ (الأعراف: 80-81). فلم يتغير حالهم، ولم يتبدل فكرهم، ظلت الفاحشة تراودهم حتى أتاهم عذاب ربهم، فقد غلب على سلوكهم الفساد، والانحلال، والضلال، رجالهم وشبابهم، وشيوخهم وأطفالهم ونساءهم. لذلك لما قلبوا فطرة الله - تعالى - قلب الله قريتهم، وجعل عاليها سافلها. وظهر في القصة البعدان النفسي والاجتماعي ظهوراً بارزاً، العناد والجهل الذين نبعا من تركهم لمراد الفطرة السليمة، وغلبة الشهوة الشاذة على العقل. ويبدو الأمر مؤسفاً عندما صورت القصة ارتكابهم فاحشتهم الشاذة بشكل جماعي، وذلك باستخدامه العفيف لكلمة "تأتون" مرتين، الشيء الذي يشعر

(1) أبو عزيز، قصص القرآن الكريم، 113.

المتلقي أن نزعة الحياء عندهم معدومة، وأن مجاهرته بالفاحشة دليل على توحش طباعهم. ودليل على استمراء هذا الفعل بينهم. ولكن سرعان ما تمضي الأحداث التي صورت حالهم، وهم يقبلون من عاليها لسافلها، فانخمدت أنفاسهم، وارتحلت معهم خصالهم.

سادسا: شخصية المرأة

لم يكن حضور شخصية المرأة في القرآن كحضور شخصية الرجل في القرآن، ويمكن أن يرد ذلك إلى أسباب، منها: أن التكاليف المناطة على الرجل تستوعب المرأة، إلا فيما اختصت بت المرأة وأمورها المخصوصة عن الرجل لم تكن كبيرة. وأن الرجل هو من يقدر على حمل تكاليف لا تطلب من المرأة إلا وفق قدرتها واستطاعتها. كما أن القصص كانت تسرية على رسول الله لذلك لا يعقل أن تذكر له قصص النساء تسرية وتخفيفا عنه. ومع ذلك فإن اهتمام القرآن بالمرأة بدا واضحا، حيث جاءت بعض سور القرآن بأسماء نساء مثل: سورة مريم، والمجادلة، وهي المرأة التي حاورت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- واسمها خولة بنت ثعلبة، كما جاءت سورة سميت بسورة النساء. كما جاء حضور لشخصية المرأة والفتاة، فضرب مثلا بنموذجين للمرأة - المؤمنات والكافرات- مثل الفتاتين ابنتي الرجل الصالح الذي زوج النبي موسى -عليه السلام- إحداهما. هكذا تنوع ذكر الشخصية الأنثوية في القرآن، ليشمل:

شخصيات مؤمنات:

ذكر القرآن الكريم أسماء شخصيات بارزة، كان لها دور بارز في دروب الحق، ومنها: مريم، وأم

موسى، وامرأة فرعون، وبلقيس، وامرأة عمران

وشخصيات أخرى لم تذكر أسماؤهن، مثل: أمهات المؤمنين " زوجات الرسول "

شخصية مريم ابنة عمران عليهما السلام:

كانت من نبت طيب، هيأها الله -تعالى- من نسل كريم، لتكون أما بتولا لنبي عظيم، قال تعالى:

﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي

سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾ (آل عمران: 36).

فكفلها زكريا - عليه السلام- وأمدها الله برزقه، واصطفأها وطهرها، فكانت نعم العابدة الساجدة الراكعة، حتى جاءها البشير من الملائكة بكلمة الله عيسى - عليه السلام- واصطفأها بذلك على نساء العالمين. إنها شخصية رئيسة، ومتطورة نامية، فقد سميت سورة باسمها، وذكرت في سورة آل عمران، وبلغ حضور شخصيتها في القصتين حضورا أكثر من حضور غيرها؛ لأنها محرك

الأحداث في القصة، فهي البتول الطاهرة، والفتاة البريئة، والنفس العفيفة، بدأ التحول عندها بينما يدخل عليها زكريا محرابها الذي فيه تتعبد، فيفاجأ بمدد من الرزق -طعام وشراب- إنه من عند الله، الصلة والرباط الحسي المتعلق بهذا المدد بينها وبين الله موصل، الأمر الخارج عن مألوف البشر. واستمر التحول في شخصيتها بطيئاً، ليحدث التحول الكبير، إنه حمل دون معاشرة بل دون مخالطة الذكر، لكنه الأمر الإلهي، والتحول الإلهي، فحملت، ومن هنا بدأ البعد النفسي يخيم بعدما كان يلقي بظلاله، أمر صعب ذلك الذي اختزل في بطنها، الحيرة والقلق، بل المصير المجهول لها ولمولودها. ويستمر هذا في نفسها للحظة الحسم والمواجهة، وبعد المخاض الذي أخرج مولوداً ذكراً، الكل ينتظر، ماذا سيسفر عن بطنها المنتفخ؟ وما قولها في ذلك وهي البتول؟ ومن البيت النبوي الشريف!. بدأ التحول الأكبر عندما طوي الزمن للطفل فغدا صوته يسمع الحاضرين، وعندما أشارت إليه، انطلق ليشهد برؤية الله -تعالى- ويحل العقدة، ويكشف النقاب عن تلك القدرة الغيبية التي فعلت ما ليس مألوفاً عندهم.

شخصية امرأة فرعون

إحدى الشخصيات ثانوية الحضور، إلا أن دورها كان مهماً، وبلغ شأواً بالغ الأهمية، فهي الشخصية التي هيأها الله -تعالى- لاستقبال موسى -عليه السلام- واعتباره ولداً لها، بعد أن حرّمها من إنجاب الولد، قال تعالى: ﴿عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً﴾ (القصص: 6)، ولولا هذا لما حصل لموسى النجاة، ولفتك به فرعون، وألحق به الهلاك كغيره. وكانت شخصيتها مسطحة؛ فقد حافظت على مكانتها الإيمانية سرا، واقتضى ذلك ألا تتغير تبعاً للأحداث. ورغم ذلك إلا أنها لعبت دوراً مهماً في مع نفسها في حياة فرعون، فقد أنكرت بقلبها ما كان عليه فرعون من العتو والكفر، ولجأت لربها لينجّيها من بؤسه، وعمله وحاشيته، قال تعالى: ﴿امرأة فرعون إذ قالت رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين﴾ (التحریم: 2). إنه السكون الذي تحرك في داخلها، لأن حركتها تجاه فرعون بهذا المسار الإيماني تحرك يودي بتنا إلى ما وراء الشمس.

شخصية أم موسى

إحدى الشخصيات الثانوية في قصة موسى -عليه السلام- لعبت دوراً مهماً في القصة، فإن ما قامت به أم موسى تجاه ابنها يمثل العلاقة الطبيعية بين الأم الراشدة مع طفلها، إنها كانت تعلم ما يمكن أن يترتب من نتائج جراء خفاء أمر وليدها على فرعون، إنه الموت، أو العذاب الشديد،

فضلا عن قتل الوليد، لكنها آثرت البقاء معه، إما أن يستمر في الحياة معا، أو الموت معا. هذا حالها مع ابنها موسى- عليه السلام- وقد غزت نفسها عوامل، ساهمت في كشف حقيقتها العاطفية، إنها عوامل الخوف والرعب، ورغم أن الله -تعالى- هداً من روعها، وطمان قلبها، وخطط لها، إلا أنها بقيت على فطرتها الأنثوية، وغالبتها عاطفة الأمومة التي لا تملك السيطرة عليها.

شخصية امرأة العزيز: أما الشخصية النسوية الشاذة، حتما شخصيتها ليست كشخصية من ذكر من الشاذين قبله، فعمل المتلقي يعذر موقفها حيناً عندما تصور القصة شخصية زوجها المهترئة، الضعيفة، وعلى ذلك الضعف لم ينجب ولداً.

لقد جاءت شخصية امرأة العزيز تمثل صورتها صورة المرأة التي دخلت نفسها النزوة، فرغبت بيوسف -عليه السلام- وهيات له مقام الإغواء، ودعته لفراشها، ولحقت به لما فر منها، وكادت له لما لم يستجب لها. كل ذلك وهي متزوجة من رجل آخر، وبقيت في هذا الشذوذ العاطفي زمناً، إلى أن لعب الكبر ومرور العمر مع التأثر بمواقف نبي الله يوسف -عليه السلام- الدور في تغيير نفسها، فتغيرت وتبدلت. لذلك هي من الشخصيات الثانوية المتطورة، حيث كان حضورها في مواقف متعددة من قصة يوسف، وصورت القصة تطور شخصيتها وتحولها، من تلك الحالة الشاذة التي غلبتها عليها عاطفتها بغض النظر عن السبب الحقيقي، والباعث الجوهري، والدافع الذي دفعها لذلك. إلا إنها تعافت نفسها من ذلك، سواء بطريقة مقصودة أو غير مقصودة. وظهر في شخصيتها البعد النفسي الذي ساهم في تأزيم حياة يوسف -عليه السلام- ومن أبرز تلك الصفات، الكيد. إنه الكيد، كادت لتوقعه في الفتنة وهو البريء، وكادت له عند شهادة الحكم فأخرجته من بيتها متهما بالتحرش، وكادت له ليلقى عقاباً بالسجن، وكادت للنسوة اللاتي قطعن أيديهن. إن هذا الكيد ساهم مساهمة واضحة في ديمومة مجريات الأحداث، وتوتير الصراع وتأزيمه. أما البعدان المادي والاجتماعي اللذان كانا سبباً من أسباب وفرة الكيد عندها، فإنها لما توفر لها الأمر والنهي، والقرب من الزوج الذي يعتبر من أصحاب القرار في المملكة، كان سهلاً عليها أن تحقق غايتها، وأن تصل لمأربها، كما ساهم غناها، ووفرة المتاع عندها، والقصر الذي لديها، أن تستسهل الفاحشة -لا سيما- وهي ممن لا تسأل عما تفعل.

شخصية المرأة الكافرة:

قد ذكرت العديد من النساء الفاسقات الكافرات في القصص القرآنية، منهن امرأة نبي الله - تعالى - لوط، ونبي الله - تعالى - نوح -عليهما السلام- وامرأة أبي لهب. وتميزت تلك الشخصيات بالتحريض على الخير، وتدبير المكائد، والاتصاف بالكفر والفسق، وتأييد الكافرين لمحاربة المؤمنين والمرسلين (1). ولم تظهر أي ملامح عن تلك الشخصيات سوى أنهن ذكرن في سياق المعاديات للرسول، وينكرن الإيمان.

سابعاً: شخصية الأب

إن أبيي صور الأبوة التي امتلأت نفعاً للأبناء، وحرصاً عليهم، ونصحاً لهم، واحتوت حباً وحناناً، واشتملت على مواصفات القدوة الصالحة الطيبة قد تمثل في تلك الشخصية النبوية شخصية إبراهيم -عليه السلام- مع ولده إسماعيل، وشخصية نوح - عليه السلام - مع ابنه رغم كفره، وشخصية يعقوب، وأبنائه. بينما تجد المفارقة الأخلاقية، بين أخلاق الأنبياء، والمرسلين، والصالحين، وأخلاق الكافرين والفاستقين في التعامل مع الأبناء.

شخصية النبي يعقوب عليه السلام:

إن أبرز الشخصيات القرآنية التي عاشت المفارقات الأخلاقية، هي صورة نبي الله - تعالى - يعقوب. لقد عاش بين ابنين "يوسف وبنيامين" و"تسعة إخوة" تمثلت المفارقة بينهما من خلال سهام الغيرة التي انطلقت في نفوس الإخوة التسعة تجاه أخويهما، وحقدهم الدفين عليهم، جراء تلك المعاملة التي بدت لهم غير سوية من أبيهم. ففي نظرهم أنه يميل بطبعه وقلبه إلى يوسف وأخيه. فكان هذا كافياً في إحداث هزة قوية اندفعت من إرادتهم بالتخلص من هذا الميل لينفردوا بأبيهم وحبه. وفي المقابل "يوسف" الغلام البريء الذي لم يكن من الوعي بمكان عن تلك الصورة لصغره، ولأنه يعيش بفطرته. وقد تبدت هذه الفطرة عندما جاء لأبيه برؤياه، وقصها عليه.

أما الأب فشخصية ثانوية، ولا يريد الباحث التطرق في أبعاد تلك الشخصية، وأدوارها، إنما يشير فقط إلى دوره كأب. لم تكن قوى الأب "يعقوب" على ما يبدو قادرة للقضاء على ما في نفوس أبنائه من الغيرة، فتسلح بالصبر تارة، وبالمدعاء، وبتبنييه يوسف من أن لا يشي برؤياه لإخوته؛ لأنه يعلم ما المصير الذي قد يلحق به منهم. وظل البلاء مستمراً، والأب الشيخ ما بين الصبر والمدعاء والوعظ. وهذا يكشف للمتلقي حيناً عن كبر سنه، ووهن عظمه، إذ لو كان قويا ما استطاع الأبناء أن يتجرؤوا عليه فيخدعوه. ويكشف أيضاً عن عدم خوف الأبناء من أبيهم - لا سيما - وقد كانت

(1) ينظر، سورة التحريم: 10، سورة المسد: 4.

خطتهم غير محكمة، فقد شعر بها "يعقوب" -عليه السلام- عندما رأى قميص الدم الكذب، وتظهر للمتلقى مفارقة في قوة وضعف شخصية يعقوب، فإن ضعفه قد سبق بيانه. أما قوته تتكشف من أنه لو تأكد ضعفه أمامهم، فما الذي يمنعهم من التخلص من يوسف جهارا نهارا، ولكنه كان قويا. وتفسر هذه المفارقة في تلك الرحمة التي تستدرها المواقف من شخصيته، إنه ضعيف أمام عاطفته التي تطالبه بعد خسارة بقية أبنائه، وإن كانوا قد أخطأوا في حق أحدهم. وقوي أمام أبنائه ومجتمعه، تحلى بالصبر، وتزود باليقين. إنها -حقا- صورة النبي الأب، بين بنيه الحاقدين الظالمين، وابنه الوديع الضحية. وقد لعبت أوصاف النبي "يعقوب" دورا كبيرا، فقد ساهمت في إضفاء حالة من الاستقرار النفسي عند ابنه يوسف، ويبدو أن يوسف تعلم من أبيه الكثير؛ ودلالة ذلك تلك التجارب التي مر بها. إذن من كل ما سبق يخلص إلى أن شخصية يعقوب -عليه السلام- تتصف بالثبات.

شخصية الأب الكافر " آزر " :

شخصية ثانوية هي شخصية الأب "آزر" -إن صح اسمه- في قصته مع ابنه "إبراهيم" فقد كشفت القصة في سورة الأنبياء عن شخصيته في معاملة ابنه النبي إبراهيم -عليه السلام- فمثلت شخصية الأب الكافر الثابتة. التي جاءت صورته صورة مخالفة لما عليه الأب الذي غالبا ما يتصف بالرحمة، والشفقة، والمدارة لأبنائه. فقد تجرد " آزر " من تلك الأوصاف، فبدا غريبا أو أسوأ من غريب أمام ابنه. بدا كأب معاند جاهل، توعد ابنه بالرجم والهجر، وساعد رفاقه المشركين للكيد على ابنه، ووافق على حرقه في النار، كل ذلك ولم يظهر من إبراهيم -عليه السلام- تجاهه إلا الأدب الجم، والدعاء له بالهداية، والاستغفار له، حريصا على دعوته، مبينا له الدلائل الكونية على يرجع لعقله، وإعلامه بعدم جدوى ما يعبد هو وقومه، مع الترفق معه في الخطاب بقوله " يا أبت " ، والنبل في الرد والجواب.

رغم أن القرآن أعطى الأسرة حظها من القيم النبيلة التي تؤهلها للصلاح في كل حال. إنها القيم التي تتصل اتصالا مباشرا بعقيدة الإنسان وفكره، المنبثقة عنهما انبثاقا كاملا، فإذا اختلت الأسرة انهدمت القيم، وتفكك الأفراد. ولعل قصة إبراهيم -عليه السلام- تيرهن على ذلك لما تذلل بين يدي أبيه مخاطبا إياه خطاب الودود المحب، محاولا إقناعه لترك ما عليه من الشرك قائلا: " يا أبت " كررها أربعاً، لكنه لما أدرك قسوة قلبه، وجحود فكره، والرغبة في الشرك، والتحدي له مستعينا بمن على دربه. وعلى ذلك فقد اتسمت شخصية إبراهيم -عليه السلام- بالثبات في المشاهد الحوارية مع أبيه، وهذا يتناسب مع الدعوة التي دعا أباه وقومه إليها.

ثامنا: شخصية الأمم السابقة

ومنها الأسباط، وأصحاب الأخدود، وأصحاب السبت، وأصحاب الكهف، وأصحاب الفيل، وأصحاب الرس، وأصحاب الأيكة، وأهل القرية، وأهل مدين، وأهل يثرب، وقوم تبع، وقوم نوح، وقوم لوط، وقوم إبراهيم، وقوم صالح، وقوم يونس، ومدين، وقريش، ويأجوج ومأجوج، والروم... الخ. بينما جاء ذكر شخصيات كافرة، مثل:

فرعون، وقارون، وهامان، وجالوت، وأزر، وأبو لهب

كما جاء ذكر أهل الديانات، مثل:

اليهود، والنصارى، والصابئة، والمجوس

تاسعا: شخصية الطيور والأنعام

جاءت بعض السور بأسماء حيوانات، مثل:

البقرة والأنعام، والنحل، والنمل، والعنكبوت، والفيل، والعاديات (الخيول)

وجاءت الشخصيات في أدوار فاعلة ومختلفة داخل القصص، منها: البقرة، والحمار، والنمل، والهدهد، والثعبان، والفيل، والغراب، والذئب.. الخ. وهذه بعض نماذج من الشخصيات الحيوانية ذات الدور الفاعل في القصة القرآنية.

الفيل: شخصية الفيل شخصية حقيقية كباقي شخصيات القصص القرآني. لم تكشف لنا السورة عن أي من تفاصيل القصة إلا ما يخدم العبرة. ففي سورة الفيل وقصة أبرهة، كان لشخصية الفيل دور رئيس مختزل، فقد سرى وجودها في كل الآيات بالتلميح دون التصريح، إلا في الآية الأولى منها، ولم تعرض السورة سوى النهايات لتلك القصة. تصورت والأبابل تصرعها بحجارة من سجيل، فما تعود الأجساد الضخمة تقوى على هذا الصراع. إنها صورة مختزلة لقتل الكبرياء والغرور في نفس أبرهة الذي أراد هدم بيت الملك.

الهدهد: شخصية حقيقية واقعية، ثانوية ولها حضورها ودورها الفاعل في قصة النبي سليمان. إنه ذلك الطائر الملك، ملون الريش، له تاج جميل، ورد ذكره مع نبي الله -تعالى- سليمان -عليه السلام- طائر بلغ منه الشأن أن قام بدور المراسل، وليس هذا فحسب، بل ناقل ما يسترعي الملك من أخبار. حيث استطاع أن يميز بين الخبر الذي يهم، والذي لا يهم، فجاء بما يهم. كما استطاع أن يتحمل نتيجة الخبر؛ لأنه كان يدرك متطلبات الخبر ليكون مقبولا، إنها المعايينة. لقد عاين الهدهد بنفسه. كما أن الهدهد تمثل في شخصية الرجل النبيل صادق الأخبار، الذي يتحمل ما يقع من نتائج لو ضل خبره. فيا لله ما أجمل هذا التطور في شخصيته، إنها شخصية الطائر غير المألوفة للمتقين.

الغراب: شخصية ثانوية، جاءت لتعطي العظة والعبرة للمختلفين، والمتصارعين. طائر أسود الريش، يتغذى على الطيور والحيف. لكنه لعب دورا بطوليا مع ابن آدم "قابيل" بعد قتل أخيه، حيث قام

الغراب بدور ما زالت البشرية حتى الآن تدين له. وذلك عندما قام أمام " قابيل " بدفن أخيه. لقد ارتقى الغراب إلى شخصية الإنسان في تلك الحالة، وهو يعلم الرجل البدائي على البسيطة، كيف يمكنه أن يتعامل مع جثة هامة. وبالرغم من ضآلة الحدث واقتضابه إلا أنه كشف عن تلك الشخصية المتطورة.

النملة: شخصية ثانوية، لها دور بطولي فريد. إنه دور مسئول، دور ملكي، دور إرشادي. حشرة سوداء صغيرة، لا يسمع دبيبها. جاءت في قصتها مع صويحاتها تأمر وتنهى، تنبه وتحذر، في تلك الحادثة التي حدثت بينها وبين نبي الله -**تعالى**- سليمان -**عليه السلام**- وقدمت أمامه درسا كبيرا على صغر حجمه في حقوق الحيوان. وحماية نفسها، وتحذير رعيته. إنها الشخصية المتطورة من حالة الضعف، والامتهان، والعالم المهمل، إلى حالة القوة، والملك، والظهور، الذي تبدى في هذا المشهد الحواري مع سرب النمل في قريتهم الصغيرة.

أما الشخصيات الحيوانية في قصة "يوسف" -**عليه السلام**- فقد كان لها نسبة من الحضور، ولكل منها دور مؤثر في مجريات الأحداث وتطورها، وساهمت في تأزيمها، فذكر الذئب جاء في سياق قلب الحقائق، فقد قلبت رواية الأبناء للذئب، حياة الأب "يعقوب" وحياة الابن "يوسف" منها:

الذئب، البقرات السمان، البقرات العجاف

أما الشخصية الحيوانية "البقرات" التي كانت في رؤيا الملك، فقد لعبت دورا فاعلا في تحول وضع النبي "يوسف" -**عليه السلام**- من السجن إلى الحرية، ومن التبعية إلى الانطلاق. وكذلك جعلت تحولا في الحراك الاقتصادي لمملكة عظمى هي "مصر".

الذئب: إحدى شخصيات قصة يوسف -**عليه السلام**- الثانوية، كان لها دور فاعل في تأزيم الأحداث. فالغيرة التي طفحت من قلب إخوة يوسف، ما كانت لتسجل فاعليتها رغم أنها سبب حدوث القصة، إلا من خلال الذئب الذي اتخذوه وسيلة إقناع أبيهم، وهو دليل على تلك الطبيعة الصحراوية، أو الغابية التي كان لهم حظ ونصيب منها.

البقرات: إنها شخصية ثانوية، شخصية منامية، أثبتت لنفسها دورا تحوليا بهذا الحضور لأحد المشاهد داخل القصة في حياة النبي يوسف -**عليه السلام**- فقد كانت سببا في نقله من حياة السجن إلى حياة الملوك، ومن تبعية العزيز إلى الحاكم الأمر النهائي، وأخرجته من ظلمات الرق إلى نور الحرية، وساهمت في التوطئة لحياة النبي يوسف -**عليه السلام**- الجديدة التي قد تمكنه من البحث عن أبيه وإخوته وذويه.

ثالثا: اللغة "السرد والحوار"

إن القصة القرآنية تميل إلى الوضوح والاقتضاب وغازرة الإيحاء. وبما أن اللغة هي الوسيلة التي يتم فيها إيصال الأفكار، والمفاهيم، والمعتقدات، والشرائع. سواء عند نزولها من عند الله -**تعالى**-

إلى الرسول عبر الوحي، أو عند إبلاغ الرسول الرسالة للناس، فحتمًا سيتنوع أسلوب الخطاب. ومن المثير أن بناء القرآن جاء على أكثر من شكل وأسلوب في أكثر من مستوى؛ ليجعل تفاعل المتلقين تفاعلاً حيويًا. فقد جمع القرآن الأفكار، والمعتقدات في الصور المختلفة، والأساليب والمستويات اللغوية الفصيحة دون العامية، ومع ذلك فهمه الناس على اختلاف مشاربهم الثقافية، فقد حاكى الواقع محاكاة منطقية وموضوعية، أثارت العاطفة، كل ذلك بلغته سردًا وحوارًا.

السرد هو: " عرض الحديث وتتابع وجوده... وهو بسط الحدث في أي عمل أدبي بسيطاً عادياً من غير حوار... " (1).

لقد تمكن السرد في القصص القرآني، لكن دون أن يبلغ شأوه مساحة واسعة إلا في البعض، ويمكن أن تكون بداية الحديث فيه من قصة موسى-عليه السلام - حيث جاء السرد القصصي فيها من بدايتها؛ لإظهار الوضع الاجتماعي السائد، ووصفه وصفاً دقيقاً في ذلك العصر؛ وليسهم في التعرف على مجموعة من الأفاعيل التي كان فرعون يقترفها في حق الناس، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾ (القصص: 4).

كما جاء السرد؛ ليبشر بحتمية النصر، والتمكين للفئة المؤمنة التي تعمر بتا الحياة، قال تعالى: ﴿وَأُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً﴾ (القصص: 5). كما جاء السرد؛ يستعرض مواقف أم موسى-عليه السلام- للحفاظ على وليدها، حتى مكنها الله -تعالى- من نيل مرادها.

ووصف السرد الحادث الذي هجر بطل القصة عن أهله وموطنه. وهو حادث قتل القبطي. كما أن وصف النفس بعد حادثة القتل جاء بأسلوب السرد أكثر تفسيراً وتعبيراً، قال تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ (القصص: 18) كما أن السرد جاء؛ ليحكي معاناة الغريبة، ويستعرض أحداثها التي استغرقت سنوات طوال، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّه تَلْقَاءَ مَدِينٍ﴾ (القصص: 22)، وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدِينٍ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾ (القصص: 23). فالسرد وصف حاله عند دخوله المدينة وغفلة أهلها وحادثة الاقتتال ونتيجتها.

الحوار: الحوار له دور في إبقاء النص حياً يتمتع بالديمومة. ومع تشكل نبرة الحوار وفق موضوع النص القرآني تتجلى في النفس بعض القيم. فالنبرة الحوارية تحدث تفاعلاً بين النص والمتلقي من خلال موسيقيتها التي تتوافق مع فكرة النص، وتتسجم تمام الانسجام معها نفس المتلقي. ومع ذلك

(1)التونجي، محمد، المعجم المفصل في الأدب، 2: 523.

فإن الهدف الأظهر-أيضا- يبدو واضحا حين يتجلى من خلال الحوار؛ للكشف عن طرق الدعوة إلى الله- تعالى- من جهة المرسلين-عليهم السلام-ومن جهة أتباعهم، والدلالة على اللغة الحاصلة بين المرسلين، وأتباعهم، وبين الفريق الآخر.

هذا وقد تنوع الحوار في النص القرآني. حسب إحصائية أجراها الباحث تبين له فيها أن الفعل " قال " كان له حضور كبير، فقد تكرر "530" مرة؛ ليدل ذلك على حجم المشاهد الحوارية التي ذكرها الله-تعالى- الأمر الذي يسجل حيوية للقصة، ومصادقية لواقعيتها، وكأنها معاشة. وتنقلت مشتقات "القول" بين الألفاظ التالية:

أما "قولوا" بصيغة الجمع فتكرر 332 مرة، والفعل "قالت" كان له تكرر 43 مرة، والفعل "قالا" مثنى المذكر كان حضوره 3 مرات، وأما "قالتا" المثنى المؤنث فحضر مرتان، والفعل "قالوا" بالجمع حضر 332 مرة، بينما جاء فعل الأمر "قل" 296 مرة، والماضي "قلت" 6 مرات، و "قلتم" 9مرات، و"قلته" مرة واحدة، و "قلنا" 27 مرة، و "قلن" 3 مرات. إن هذا التواجد لألفاظ القول في المشاهد الحوارية، وللحوار الذي خلا من ألفاظ القول، يدل بكثرتة في القصة، وغلبته على السرد، على تقريب أذهان المتلقين إلى الصورة الواقعية والحقيقية للمشاهد والقصص، ولم يقتصر الحوار على هذا اللفظ بل جاء بصيغ أخرى كالنداء والأمر... الخ. أما عن نسبة حضور الحوار في قصص القرآن فكانت الغالبة على السرد، حيث يقدر الباحث وفق إحصائياته، أنها تبلغ 70 % تقريبا، مقارنة مع حضور السرد. وفائدة هذا الحضور تكمن في إعطاء صورة متقاربة مع الواقع الذي حلت به. واستحضار صورة الشخصيات وأدوارها في الحياة العملية، وتصوير تلك الحركة التي تحدثها الحوارات بأنواعها. لقد جاء الحوار في النص القرآني تارة بين الله- سبحانه وتعالى- وبين الشيطان، وأخرى بين الله -سبحانه وتعالى- - وآدم، وموسى ومرسلين آخرين- عليهم السلام -كما جرى حوار بين أصناف من الناس، وغالبا ما دار بين أناس - مؤمنين وكافرين - كما حدث في قصة قارون، وحوار الحواريين مع عيسى بن مريم-عليهما السلام - وحوار الرجل الصالح مع موسى -عليه السلام- علما أن هناك حوارات غيبية-في عالم الغيب- قد حدثت في الزمن الماضي، كحوار الله - تعالى- مع الملائكة، ومع الأنبياء، والشيطان، أو كحوارات الأنبياء مع أقوامهم، وهكذا. وهناك استشراف لحوارات من المستقبل، كحوار أهل النار مع أهل الجنة، وحوار

أهل النار مع بعضهم، وحوار أهل الأعراف مع أهل الجنة. وتفصيل المشاهد الحوارية في فصل الزمان برسالتنا. إذ يمكن الرجوع إليه (1).

الحوار الداخلي "المناجاة"

إن حوار النفس ومناجاتها كثر وروده في القصة القرآنية، فقد ظهر عندما كلم إبراهيم -عليه السلام- نفسه، وهو سابح الفكر في البحث عن الله -تعالى- عبر ملكوته، فرأى الكوكب، قال تعالى: ﴿قَالَ هَذَا رَبِّي﴾ (الأنعام: 76)، لكنه سرعان ما عاد لنفسه مخاطباً: قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أَحِبُّ الْإَفْلِينَ﴾ (الأنعام: 76)، ومكث بصره يحلق في الملكوت الواسع؛ ليشاهد القمر معتقداً أن بيزوغه غدا إليها، لكنه استدرك على نفسه، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾ (الأنعام: 77). وما زالت عيناه تجوبان الملكوت الواسع ليعتقد أن كبر الشمس منحها القدرة الإلهية، لكنه رد على نفسه بالبراءة منها بعدما أفلت، وأدرك نقصها، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ﴾ (الأنعام: 78). وبعد هذا المشهد الذي حار فيه عقله وتاه، ما كان ليدله إلا على وجهة واحدة، قال تعالى: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (الأنعام: 79). إنها مناجاة النفس للنفس، تحولت فيما بعد محاجة بينه وبينهم، فكان ما شاهده من نقص في هذه المخلوقات حجة ودليلاً له على قومه. أما في قصة موسى -عليه السلام- قال تعالى: ﴿قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ﴾ (القصص: 15)، موسى -عليه السلام- يناجي نفسه، ويخاطبها، معاتباً وزاجراً لها أن العمل الذي نازعته فيه نفسه، إنما كان من سلطان الشيطان عليه، إذ لا بد من الحذر منه وألا يتهاون مع عدو غاو مضل. قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ﴾ (القصص: 16)، وهنا تتجلى المناجاة بين العبد الذي احترق صدره مما فعلت جوارحه، وبين ربه. معترفاً أمام عظمة خالقه بتلك الحادثة التي اجترتها يده، واثقاً أن جوارحه غلبت نفسه الطاهرة بالحركات الانفعالية من الوكزة التي قضت على الرجل، وتتجلى أمام هذا المشهد سرعة الاستجابة لهذه المناجاة وتلك الدعوات الصادقات " فغفر له " .

قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ﴾ (القصص: 17)، المناجاة التي أخذ فيها من نفسه العهد على أن لا يغتر بقوته، ولا أن يستخدمها في ظهور المجرمين. وفيها

(1) ينظر، البحث، 34.

دلالة على أن الذي استنصره فاستجاب له ونصره، فظهر بعد ذلك إجرامه لموسى - عليه السلام - فندم.

يدعو موسى - عليه السلام - ربه - سبحانه - أن ينجيه من فرعون وقومه الظالمين، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (القصص: 21). وأثناء سيره لمدين، كان يناجي ربه داعياً، قال تعالى: ﴿قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ (القصص: 22). وكان توجهه إلى الله مناجياً بعد أن سقى للمرأتين. ورغم أنه كشف عن قوته عند السقاء إلا أنه أمام ربه - سبحانه - استشعر فقره وحاجته إليه، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ (القصص: 24).

أما في قصة "إبراهيم" فقد رجع المشركون بعد مواجهة إبراهيم - عليه السلام - لهم، موقنين في قراراتها أنهم على غير الجادة والصواب، قال تعالى: ﴿فَرَجَعُوا إِلَى أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (الأنبياء: 64)، وهذا حديث المناجاة الفردية الجمعية، إذ صدرت المناجاة - حديث النفس - من جميعهم، ومن كل واحد على انفراد مع نفسه.

ومن المناجاة - حديث النفس - التي كشفها الله - تعالى - في القرآن عن طوائف، جاءت تارة بلفظ الهم، قال تعالى: ﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا﴾ (آل عمران: 122)، وأحيانا بقول النفس، قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَعْمَلُ﴾ (المجادلة: 8). وثالثة بالمواددة، قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾ (الأنفال: 7)، وكإخباره عن اليهود أنهم لا يتمنون الموت أبداً (1)، قال تعالى: ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ (الجمعة: 7).

رابعاً: الأحداث

الحدث: هو " جزء متميز من الفعل بالقصة. وهو سرد قصير يتناول موقفاً أو جانباً من موقف. فإذا تجمعت الأحداث وتلاحمت أصبحت سلسلة من الأحداث " (2). وبذلك تكون الأحداث عبارة عن " مجريات القصة أو الرواية أو المسرحية المتتابعة، بحدث آخر بعده، لتتكون سلسلة الأحداث فيها " (3). وقد تضمنت القصة القرآنية مجموعة من الأحداث الدنيوية، كان أبرزها تلك التي حدثت بين الأنبياء والمرسلين وأقوامهم. كما إنها عرضت أحداثاً أخروية تصور أحوال المخلوقات -

(1) ينظر، الزركشي، البرهان، 386.

(2) التونجي، محمد، المعجم المفصل في الأدب، 1: 350.

(3) التونجي، المعجم المفصل في الأدب، 1: 37.

مؤمنين، كافرين-بعد البعث، وبرزت تلك الأحداث في أماكن حددتها القصة منها: الجنة، والنار، والصراط، وغيرها.

والأحداث في عالم الآخرة وإن كانت مبنوثة في آيات القرآن وسوره، إلا أنها تتشكل وتتكامل لتعطي سورة جلية، متسلسلة، متتابعة، تتمرحل؛ لتبدأ من اللحظة الأولى لحظة التهيئة لذلك اليوم، مروراً بأحداث الأرض المضطربة. فالسمااء التي تنقطر، ثم الأرض التي تنتشق، والجبال التي تنسف، والنجوم التي تنتثر، تليها أحداث فناء الكون، ثم قيامة الخلائق، ثم العرض، فالحساب... إلخ. كل ذلك في لوحة بارعة، وتصوير مبهر. وكأن تلك الأحداث بمشاهدها معرضاً يتراءى أمام القارئ والسامع. ومن الأحداث تتحقق الوحدة العضوية، ومن خلالها يتم النجاح في توصيل الفكرة والمغزى منها، والتي يمكن أن يجيب المتلقي عند قراءته عن أسئلة أربعة هي: كيف، وأين، ومتى، ولم وقع الحدث؟.

والأحداث في القصة وإن تضمنت معالجة مجموعة من القيم، فإنها تدور حول فكرة الدعوة إلى التوحيد، مع تقويم السلوك. وقد صورت أحداث القصة القرآنية الظواهر والمشاهد التي تخدم الفكرة، والهدف، والغاية. فقد بدأت بعض القصص القرآنية من أول الأحداث تتطور، وكان تطورها بفعل الأشخاص والعناصر الأخرى تطورا أماميا متبعة التراتبية الزمنية. فبدأت بعض القصص بنهاياتها، يعني ذلك أن القصة تصور الحادثة، ثم تعود بنا إلى الخلف؛ لكي يكتشف المتلقي الأسباب والأشخاص. وقد اتبعت بعض القصص القرآنية أسلوب النداعي، فبدأت من نقطة معينة، ثم تتقدم وتتأخر حسب قانون النداعي. وأحيانا تبدأ القصة من النهاية، فتذكر هلاك القوم، ثم تعرض بعضا من المشاهد والأحداث. ويلاحظ في القصص القرآني في حالات الاسترجاع والعودة إلى القصة الرجوع سريعا، وذلك - ربما - حتى يظل الحدث مؤثرا، ولا يقف طويلا. والسرعة في الأحداث تبلغ أقصاها عند التأزم في طريقها إلى نهاية القصة. وقد مثل الإيحاء بالمنام في بعض القصص القرآني حدثا فاعلا ومحركا للشخصيات، ويجد الباحث ذلك في استعراض الرؤى المنامية للأنبياء؛ لتستظهر القصة منها حدثا محوريا بنيت عليه سلسلة من الأحداث. هذا وقد جاءت كلمة " الرؤيا" والمقصود بها المنامية في القرآن "7 مرات" كلها في حق الأنبياء إلا رؤيا الملك في عهد يوسف-عليه السلام- وصاحبي السجن.

أولا: جاءت في قصة يوسف - عليه السلام - في عدة مواضع:

الموضع الأول: رؤياه للشمس والقمر وأحد عشر كوكباً -جميعهم- له ساجدون، وهي أحد المظاهر الأساسية التي حركت الأب- النبي يعقوب- عليه السلام- للحنو على ابنه مستشعرا قيمته المستقبلية المنبئة بنبوته، فتطورت الأحداث وتصادت بسببها، وكانت هذه الرؤية استباقاً تبشيراً تتعلق به نهاية القصة عندما سجد له أبوه وأمه والأحد عشر أماً سجود تكريم.

الموضع الثاني: رؤيا صاحبي يوسف "السجينين" فقد رأى أحدهما نفسه يسقي خمراً، بينما رأى الآخر الطير تأكل من رأسه، فكانت إحدى الرؤيتين كفيلة بتطور الأحداث ما بين خروج يوسف- عليه السلام - من السجن، ومجاورته الملك، وصعوده سدة النفوذ، عندما حمل للملك الرسالة الكلامية التي أودعها إياه يوسف- عليه السلام- وكانت سبباً في التحول المكاني ليوسف، فأصبح على خزائن مصر حاكماً، بدلا من كونه بين جدر السجن محكوما عليه.

الموضع الثالث: رؤيا الملك سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف، فكانت تلك الرؤيا كفيلة بوضع يوسف موضع الثقة وأن يكون له مكانة، وأن تكون مكانته سبباً في لقاء إخوته بعد الفراق المر.

ثانياً: قصة إبراهيم- عليه السلام- وذلك عندما رأى في المنام أنه يذبح ولده إسماعيل- عليه السلام - فهم أن يفعل ما أمر به، فكان ما كان من نجاته إسماعيل -عليه السلام- بفدائه بكبش عظيم. وهذا المنام هو الذي حرك الأحداث الدرامية الشجوية، حيث خاطبه ابنه، قال تعالى: ﴿يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ (الصافات: 102)، ثم فداه الله - تعالى - بذبح عظيم.

ثالثاً: قصة موسى -عليه السلام- مع فرعون، إن صحت الرواية التي أشارت إلى أن سبب الطبقية التي كانت في مصر بعهد فرعون، وقتله الذكور، واستبقائه الإناث. كانت تلك الرؤيا التي رآها فرعون من أن أحداً سيأخذ منه ملكه من بني إسرائيل محركا أساسيا لأحداث القتل التي صورتها أوائل آيات سورة القصص. وليس الأمر مقصورا على تلك الأحداث إنما هناك - بلا شك- أحداث كانت سبباً في تطور الصراع واحتدامه، وسيعرض الباحث جملة من تلك الأحداث: ففي سورة القصص، في قصة موسى -عليه السلام- وفرعون، ظلت الأحداث محتدمة من بداية القصة حتى نهايتها. فصور قتل الذكور، إلى استضعاف القوم، فالإفساد في الأرض، ثم إنقاذ موسى أثناء حمله وولادته، ثم الأمر الإلهامي للأُم بالتخلي عن ابنها؛ ليكون في يد القدرة الإلهية لتدبير أمر احتوائه، ثم إمساك العدو به، ثم تبنيه، ثم إرجاعه لأمه حتى يشب ما بين القصر ومأوى الأمومة، ليبدأ صراع من نوع خاص بين الحق والباطل. ففي البداية كان الصراع بين

فرعون واليهود؛ للتخلص ممن سيقضي على ملكه، ليطور أمامنا آية وحدثاً خلف التوقعات، وإذا به يرعاه في قصره على غفلة منه ويتدبير إلهي حكيم. فالعدو هو الحامي والمحتضن حتى بدأ ينشب صراع آخر، فموسى-عليه السلام- مذ أن شب يافعا وقع أول ما وقع في حادثة قتل من وقف ضد شيعته، وتزداد الأحداث درامية عندما يتلاقى مشهذان يوجبان في نفسه صراعا مرا، فالحدث الأول صاحبه الذي نصره وقتل من أجله أصبح له عدوا، ويكيل إليه السباب والتهم. والحدث الثاني المؤامرة التي تحاك للنيل من موسى بل ولقتله بسبب تجربته على القبطي وقتله. تسبب هذان الحدثان بفراره خائفاً من تبعاتهما خارج بلده الأم مصر، فتتلقفه حياة اجتماعية جديدة بكنف رجل آخر مع ابنته التي أصبحت زوجة له. وبعد زمن يرجع وفي نفسه تهيب من القوم، وما الجزاء الذي ينتظره، وماذا أعد له فرعون في جعبته جراء ما فعل، غليان نفسي إلى أن وقع الخطاب الرباني الذي وعد بنجاته من فرعون، وحمله أمانة إبلاغ الدعوة في وجه الطاغية الأعظم. والأحداث في قصة إبراهيم- عليه السلام- بدأت بالتفكير بآلاء الله -تعالى- ثم الاستخفاف بالأصنام التي يعظمها قوم إبراهيم، ويعكفون على عبادتها. ثم اتهام الآباء والأجداد بالسفاهة. فسفه الآباء لعبادتهم الأصنام، وكونهم أغرقوا في التبعية لأجدادهم دونما تفكير، أو تدبر أو وعي. ثم تصاعد الحوار بتبادل الاتهامات وتقديم إبراهيم- عليه السلام- الحجاج على بطلان ما هم عليه. انتقل بعده لتكسير الأصنام وتحطيمها، وذلك بعد إصرارهم على جهلهم وتبعيتهم المذمومة، وأثناء انشغالهم وتوليهم عن أصنامهم فعل ما كان يطمح للوصول إليه من أجل أن يقرر في نفوسهم عدم صلاحية أصنامهم آلهة للعبادة. وبعد التنفيذ جاءت الوشاية لهم بأن إبراهيم- عليه السلام- هو الذي كسر الأصنام. وبلغت الأحداث ذروتها، وذلك بعدما رجعوا إلى أنفسهم، وأيقنوا حقيقتهم، رغم ذلك حكموا تعسفا على إبراهيم- عليه السلام- بالحرق، فأمروا بالنار فأضرمت، وجمعوا الجموع للاعتبار به. المشهد النهائي المثير، نهاية الأحداث التي استوت على سوقها. فالعيون القادحة ترقب كيف ستكون نهاية إبراهيم- عليه السلام- ؟ فكان الانبهار عندما شاهدوه يخرج من النار الموقدة سليما؛ ليبدأ مشوار للدعوة من جديد.

خامسا: الصراع

هو " النزاع الذي يجري بين شخص وآخر، أو بين شخص وقوى أخرى يدفع إلى التفاعل الحاد. والصراع مادة تبنى منها الحكمة، وقد يكون داخلياً في نفس الشخصية. ومنها الصراع الاجتماعي،

والنفسى، وغير ذلك " (1). والصراع بقدر براعته في النسج القصصي وفنائه يخلق في العمل تشويقاً؛ لأنه عمل مثير لمعرفة الواقع الذي ستتول إليه النهاية في العمل الأدبي، أو ما تسفر عنه الأحداث المتوالية. وهو ما يثير النفوس، ويزيد التوتر فيها.

وبما أن الله - عز وجل - الذي ذكر باسمه، وتدبيره للأحداث، كان منه - سبحانه - ذكر تلك القصص؛ لتحكي ذلك الصراع الذي صنعه إبليس بنفسه لنفسه وأتباعه. إنه صراع بين الحق والباطل، الخير والشر، الصواب والخطأ. اللذين يظهران في القصة القرآنية في صورة محتدمة ومتأججة. بدأ ذلك الصراع منذ لحظة الحسد والتعالي من إبليس على نبي الله - تعالى - آدم - عليه السلام - لتستمر بنفس وتيرة الاحتدام والتأجج بين هاتين القوتين - على اختلاف درجة القوة بينهما - عبر سلسلة من القرون التي زحرت بالمرسلين والأنبياء والصالحين اللذين يحملون الحق والخير والصواب، وإبليس الذي تزعم طوائف وأقواماً وأناسي كثيرين.

وربما يظن البعض أن بعض القصص احتدم فيها صراع من نوع آخر غير ذلك الصراع بين القوتين آنفتي الذكر، ويمكن القول أن ذلك غير دقيق. ويظهر ذلك لنا من خلال الفكرة، والأشخاص، والحوار، ومجموع العناصر الأخرى التي تؤكد جميعها على أن حلقة الصراع الحقيقية في القصة القرآنية إنما هي ما ذكرنا. وذلك لأن الهدف من الرسالة سواء بإرسال الرسل، أو الكتب. إنما هو توحيد الله - تعالى - وعبادته.

سادساً: الزمان في القصة القرآنية

إن الزمن في القصة القرآنية صورة صادقة لتسجيل الأحداث، والوقائع تارة؛ ولبعث الإثارة والتشويق في النفس من خلال التقديم والتأخير. إذ يعتبر "ميشال بوتور" أن الرواية تقدم عالماً مغايراً للواقع، فتلخيص الحوادث والذكريات حول إنسان ما يفشل - غالباً - في إعطاء وصف صادق عنه، إذ إن وصول خبر ما حول ذلك الإنسان يدعو صاحب التلخيص إلى العودة للتذكر، وربط الحدث بأشياء سبقت، علم بها ولكنه نسيها، وذلك بتأثير زمن الكتابة على زمن المغامرة، حيث يقدم الكاتب في دقيقتين أو ساعة خلاصة أحداث جرت في سنوات، ويمكن إضافة الاضطراب لفصل التسلسل الزمني عند انفصال شخصين مهمين في الرواية، حيث لا يمكن إلا أن نتابع أحدهما، ثم نعود

(1) التونجي، محمد، المعجم المفصل في الأدب، 2: 584.

لمتابعة ما جرى مع الثاني (1). والناظر إلى قصة موسى - عليه السلام - في سورة القصص مثلا، يلاحظ أن انتظام السرد في عرض زمن الأحداث كان حقيقيا. كما إن الله - تعالى - استحالت صفات النقص أن تكون فيه، فهو كامل - سبحانه - لا يسترجع القصة من نسيان، إنما ينتقي منها ما يحتاج المتلقي إليه. كما إن الأحداث فيها اقتترنت بأزمنة حسب الآتي من الآيات، قال تعالى: ﴿حَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ﴾ (القصص: 12)، إنها محاولات كثيرة جرت لإرضاعه ولم تفلح، ولو أفلحت ما تحقق وعد الله - تعالى - لأم موسى بإرجاعه لها. وهنا ساعد الزمن بلفظ "قبل" على أن شيئا ما سيترتب بعد الامتناع عن الرضاعة، هو عودته لأمه، وتحقيق الوعد الإلهي، وحل عقدة من القصة. وقال تعالى: ﴿دَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ﴾ (القصص: 15)، إنه وقت الخمول، والهدوء، ويبدو أنه وقت القيظ "الحر" في الصيف، ويدل على أنه وقت الصيف، عندما وصل إلى مدين آوى إلى الظل، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ﴾ (القصص: 18)، لقد لعب لفظ "أمس" دورا تقابليا بين حدثين "فعلين" الاستتصار والاستصراخ "الاعتداء بالكلام" ليكشف عن حقيقة ذلك الرجل وخصاله. إذ تكرر لصنيع نبي الله - تعالى - موسى عليه السلام.

وقال تعالى: ﴿كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ﴾ (القصص: 19)، إنه الوقت الذي يشكل في نفس النبي أزمة حقيقية. إنها ذكرى الذنب، وإن كان محقا. فثمة دماء نزفت، ومنظر مريع، روح تتقلت من جسدها. وقال تعالى: ﴿ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ﴾ (القصص: 24)، وقت الاسترخاء من بعد عناء ومشقة. نسمات الهواء الذي يذهب حر الشمس، ويحمي من لهيها. وقال تعالى: ﴿تَأْجُرْنِي تَمَائِي حَجَجٍ﴾ (القصص: 27)، إنه وقت التعب والنصب والجهد، وقت السعي في طلب الرزق - تماما - كحال من يحج فبلغ به النصب من سعيه، وطوافه، وقدمه، وذهابه. وقال تعالى: ﴿لَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى﴾ (القصص: 43)، وقال تعالى: ﴿وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾ (القصص: 45)، إنه زمن العظة، ووقت العبر، يرجع فيه المتدبر إلى الوراء، ويمزجه بالواقع، فيخلص إلى عبر كثيرة، وتدابير جديدة. وقال تعالى: ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾ (القصص: 41)، وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمُقْبُوحِينَ﴾ (القصص: 42)، وقت الحساب، وزمن الزجر الذي يتبعه عقاب، لا مفر من ذلك الزمن الذي يوصمون فيه بالقبح. إنهم لما تجردوا من أخلاقهم في زمن الدنيا، كان الجزاء من جنس العمل في الآخرة. فقبحت وجوههم، وساءت معاملتهم. أما

(1) ينظر، بوتور؛ ميشال، بحوث في الرواية الجديدة، ترجمة: فريد أنطونيوس، ط 3، بيروت، منشورات عويدات، 1986 م، 94 - 104.

التلخيص فجرى فيه اختصار الزمن لشيء طبيعي، هو أنه لا يمكن أبدا عرض قصة شخص من بداية حياته التي استمرت خمسين عاما إلى نهايتها إلا بالاستعانة بالتلخيص، وذلك يعني أن كتابة قصة طول زمنها الحقيقي خمسين عاما، وزمنها القصصي خمسين عاما. وهذا لا يطابق، ولو فعل لمرة يصعب تكراره أخرى لعوامل كثيرة، أبلغها أن أحدا لا يستطيع متابعة تلك الأحداث؛ لأن عمره سينقضي دون أن ينقضي زمن "القصة". ولا يريد البحث الخوض في تفاصيل الزمن، ألفاظه وتقاناته، فقد سبق فصل كامل في ذلك، يمكن الرجوع إليه عند إرادة مزيد من التفاصيل.

سابعا: المكان في القصة القرآنية

المكان في القصة القرآنية أخذ بعدا جماليا من عدة زوايا، فالكون وخاصة الأرض التي ذكرت في القرآن 456 مرة، وما فيها من أماكن مفتوحة، ومغلقة، ولا نهائية، شكلت دلالات عدة. من أبرز تلك الدلالات، أنها مثلت مظاهر مشاهدة للناظرين بما زخرت من الآيات الدالة على القدرة الإلهية، لذلك وجه الله -تعالى- رسله للتفكر فيها، وفي آلائها. كما إنها تعتبر محطة رئيسة للخلافة التي خلق الله -تعالى- الناس -جميعا- لأجلها. ورمز المكان بأنواعه في القرآن إلى دلالات حضارية، ومادية، ومعنوية، وقد خصص فصل كامل لهذا العنصر، يمكن الرجوع إليه بغية التفصيل. ولتعم الفائدة يذكر في هذا المقام مثلا للمكان، ودلالاته في القصة القرآنية وهي قصة موسى -عليه السلام- من سورة القصص.

السورة بدأت بالأرض مستقر الإنسان، ولعل المقصد من الأرض في هذا الموطن مصر، فالشواهد كما يراها الباحث تؤيد ذلك. ففرعون لم يحكم الأرض -جميعها- إنما حكم مصر، كما ثبت في التاريخ، والحديث عن الأرض موجه لمصر في هذا الموضع. وعلو فرعون على الناس أصبح علوا على الأرض، دلالة على ذلك النفسي للظلم الذي استغرق البشر، فلحق المكان، كأنه أصبح جزءا منها، تتعت به، قال تعالى: ﴿عَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ (القصص: 4)، وقال تعالى: ﴿اسْتَضِعُّوا فِي الْأَرْضِ﴾ (القصص: 5)، وقال تعالى: ﴿إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَارًا فِي الْأَرْضِ﴾ (القصص: 19)، لكن سرعان ما يقرر الله -تعالى- عودة الإنسان للأمر الذي خلق من أجله، ف جاء الاستشراق بالتمكين في الأرض؛ ليشكل في الحالتين حالة الصراع بين الحق والباطل، صورة الحق المتمثلة في التمكين، قال تعالى: ﴿نُمَكِّنْ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ (القصص: 6)، وصورة الباطل آنفة الذكر.

أما "اليم" فتمثلت فيه حالة الصراع بين الحق والباطل كذلك، فإنه كان وسيلة نجاة لموسى -عليه السلام- من فرعون، وكان -أيضا- عقوبة فرعون، ومن معه، قال تعالى: ﴿فَأَلْقِيهِ فِي

النِيمَ ﴿القصص: 7﴾، وقال تعالى: ﴿فَنَبِّدْنَاهُمْ فِي النِّيمِ﴾ (القصص: 40)، وشتان بين الفعلين "ألقيه" التي أتت تتناسب مع حالة الفرع التي تصاب بها الأم خشية من إمساكها مع ولدها وابنتها من جنود فرعون، وإلقائه عليها أمرا من الله -تعالى- الرفيق بعباده، الذي اجتنابه في معيته، هو الإلقاء مع المحبة والاحتواء والاجتباء. بينما الفعل "نبذ" الإلقاء مع الكراهة للملقى. فلا احتواء ولا اجتباء ولا محبة. و"الجنب" يمثل تفسيراً للحدث القائم، فجيروت فرعون وجنوده، وما يتمتعون به من قسوة، جعل أم موسى وابنتها تقومان - بما استطاعتا- من شئون الأمن، قال تعالى: ﴿فَبَصَّرَتْ بِهٖ عَن جُنُبٍ﴾ (القصص: 11)، ثم العودة بالأمل إلى المحضن الأول، البيت الذي يعتبر بوصفه الطبيعي مكان الملاذ الآمن، والملجأ والاستقرار، قال تعالى: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ﴾ (القصص: 12).

أما المدينة والرحلة، فهما مكانان يمان عن حضارة، وترف، ومتعة، وسياحة. لكنهما هنا محطتان ممزوجتان بالخوف، والترقب، نتيجة ما مر بموسى -عليه السلام- من مواقف، قال تعالى: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ﴾ (القصص: 15)، وقال تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ (القصص: 18)، وقال تعالى: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى﴾ (القصص: 20)، وقال تعالى: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ (القصص: 21)، فأصبحت المدينة مبعث الهواجس، هواجس الملاحقة والتتبع، وهواجس الغدر والانتقام، وهواجس استبقاء النزيف، والذكريات. لقد أراد النبي أن يتخلص من كل ذلك، فخرج تلقاء مدين.

أما مدين فقد كانت محطة استقرار مؤقتة، كون فيها موسى -عليه السلام- دينه، وحكمته، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدِينٍ﴾ (القصص: 22)، وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدِينٍ وَجَدَ مِنْ دُونِهِم امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾ (القصص: 23)، وفيها إشارة واضحة على وجود الزراعة التي مدت من ماء البئر، كما اعتمد الأهالي عليها لسقاء دوابها ﴿يصدر الرعاء﴾ (القصص: 23)، الأمر الذي يذكرنا ببئر يوسف الذي ألقى فيه. أما الفيء والظل، كان مكانا للراحة والاستقرار المؤقت مشى إليه النبي، قال تعالى: ﴿ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظلِّ﴾ (القصص: 24). وانتقل الحديث إلى المكان الذي اكتسب القدسية، من خلال تكليم الله - تعالى- موسى -عليه السلام- وإنزال التكليف الدعوي له ﴿جانِبِ الطُّورِ﴾ (القصص: 29) إنه مكان مفتوح، مؤقت الحدث؛ لكنه اكتسب ديمومة الذكر والقدسية، فقد كلم الله - تعالى- موسى -عليه السلام- من عنده، قال تعالى: ﴿جانِبِ الطُّورِ نَارًا﴾ (القصص: 29)، و﴿قال لأهله امكثوا﴾، و﴿وما كنت بجانب الغربي﴾ (القصص: 44)، ولعله احتوى على كل من: " الشاطئ، البقعة، الواد الأيمن، مكان الشجرة " قال تعالى: ﴿نودي من شاطئ الواد الأيمن في

البقعة المباركة من الشجرة ﴿القصص: 30﴾. وانطلق راجعا للمواجهة، ليندهش من منظر فرعون الذي استخف قومه، فنادى هامان، قال تعالى: ﴿فاجعل لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب﴾ (القصص: 38). ويقابله مكان مقدس للرد على هذا الادعاء الذي يبطل بالعقل والنظر، فكلمة " عند " التي أشارت إلى تلك العناية والرعاية الإلهية من الله- تعالى- لموسى ﴿قال موسى ربي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده﴾ (القصص: 36)، ليأتي بعد تلك المفارقة مكان النار وعيدا لفرعون وأتباعه، قال تعالى: ﴿يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾ (القصص: 41)، ولن يكون لهم ناصر يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾ (القصص: 41).

ثانياً: البناء التوقيعي

التوقيع لغة:

" التوقيع في الكتاب: إلحاق شيء فيه بعد الفراغ منه... قال الأزهري: توقيع الكاتب في الكتاب المكتوب أن يجمل بين تضاعيف سطوره مقاصد الحاجة، ويحذف الفضول. وهو مأخوذ من توقيع الدبر ظهر البعير، فكأن الموقع في الكتاب يؤثر في الأمر الذي كتب الكتاب فيه ما يؤكد ويوجهه... والتوقيع: إقبال الصيقل على السيف بميقعته يحدده " (1). " وتوقعت الشيء؛ أي: انتظرته حتى يقع " (2).

ويقال: " وقعت في الشيء أوقع توقيعاً، وكتاب موقع فيه، ورجل موقع. فإذا أمرت قلت: وقع فيه. وحقه في اللغة التأثير القليل الخفيف. ويقال: دف هذه الناقة موقع إذا أثرت فيه حبال الأحمال والدف الجنب تأثيراً خفيفاً. وحكى العتبي: أن أعرابية قالت لخل لها: حديثك ترويع، وزيارتك توقيع. وقال جعفر بن يحيى لكتابه: " إن استطعتم أن تكون كتبكم توقيعات فافعلوا " يريد بذلك حضهم على الإيجاز والاختصار " (3).

التوقيع اصطلاحاً:

التوقيع في الكلام عبارة موجزة، إنشاءً أو اقتباساً " ميزتها الجمع بين الإيجاز والجمال والقوة " (4). والتوقيع " يتمثل في صياغة الحكام وآرائهم وتوجيهاتهم في صورة شديدة الاختصار ومكتنزة المعنى في ذات الوقت " (5).

جوامع الكلم: " ما يكون لفظه قليلاً ومعناه جزيلاً، ومنه قول الرسول صلى الله عليه وسلم (حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات)، وقوله: (خير الأمور أوسطها) " (6). إن هذه الكلمات جمعت بحروفها القليلة طريقين لعالمين مليئين بالأشياء. طريق عالم الجنة الذي فيه كل ما يتوقع الإنسان من ظروف تكرهها النفس، ولا تطيقها، وتختلف مع انفتاحها. وطريق عالم النار المعبد السهل اليسير؛ لأنه يوافق هواها، وشهوتها، ونهمها.

(1) ابن منظور، لسان العرب، 8: 483.

(2) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 6: 134.

(3) الصولي؛ أبو بكر محمد بن يحيى بن عبد الله، أدب الكتاب، تحقيق: أحمد حسن، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1994م، 137.

(4) التونجي، المعجم المفصل في الأدب، 1: 295.

(5) أبو أصعب؛ صالح، الحركة الشعرية في فلسطين، د ط، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات، 1979م، 96.

(6) التونجي، المعجم المفصل في الأدب، 1: 337.

التوقيع في النثر:

قد كثر استخدام جوامع الكلم "التوقيعات" عند الأمراء والملوك وغيرهم، حتى غدا ذلك ديدنهم في الرسائل والمكاتبات، ولعل ذلك يرجع لسهولة جملها، وأنها جامعة تضم بين جنباتها جوابا شافيا لسؤال، أو حكمة لمتلقي، أو بلاغا لسامع، فالمنثور اتخذه بعضهم شواهد وتواقيع في كلامهم. يذكر عن "الإسكندر" أنه " لما توجه لتقاء دارا، رفع إليه، أن فيها ثمانين ألفاً. فوق: القصاب لا يهوله كثرة الغنم " (1). أي: أن الجزار لا يعبأ بما يذبح، كناية عن إرادته ذبحهم كالغنم. وذكر عن "أنو شروان": أنه رفع إليه، أن النهر الذي حفره بالمدائن قد أضر بكثير من الضياع - ضياع الناس - فوق: الضرر اليسير الخاص محتمل مع النفع الكثير العام... وكتب "خالد بن الوليد" لأبي بكر - الصديق - رضي الله عنهما - من دومة الجندل يستأمره في أمر العدو. فوق: إليه: ادن من الموت، توهب لك الحياة " (2).

التوقيع (جوامع الكلم) في القرآن الكريم:

إن التوقيعات كثيرة في السور والآيات القرآنية؛ لأنها تواقيع يسير حفظها، وسهل تداولها وأخذها. فهي من أجل الكلام، وأنبله، وأشرفه، وأفضله؛ لقلّة ألفاظها، وزخر معانيها، ودلالاتها، تتصف بالإيجاز، وتعمل عمل الإطناب، وتبدو فيها روعة الخطاب. ويرى الباحث في إيجاز التوقيع، أنه يجري مجرى المثل تارة، والحكمة تارة أخرى. وهو في المعنى أجل وأبلغ. كذلك كانت أكثر التوقيعات من الملوك والسادة، فقد خص الثعالبي فصلاً أسماه "توقيعات الملوك المتقدمين" ولا بأس أن يذكر الباحث أمثلة للإبانة والإفصاح، بادئاً بتوقيعات من آي القرآن تعتبر جوامع كلم. لقد درج السابقون واللاحقون على تنويع كلامهم، بالباسه حلاً بيانية؛ ليزداد جمالا وبراعة، فأخذوا من آي القرآن الكريم جوامع زينوا بها كلامهم، وخطبهم. وكانت تواقيع جامعة في كتبهم ورسائلهم. وقد أكثر من أخذ تلك التواقيع السادة والأشراف من العلماء، والأمراء، والقادة، والولاة. وقد " كتب نفر من أهل مصر لعمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يشكون له " مروان بن الحكم " فوق في كتابهم: ﴿فَإِنْ

(1) الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن عباس، خاص الخاص، تقديم: حسن الأمين، بيروت، دار مكتبة الحياة،

(2) الثعالبي، خاص الخاص، 86.

عَصْوِكَ فَعَلَّ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (الشعراء: 216)... وكتب " زياد " إلى " سعيد ابن العاص " يخطب إليه فوق في كتابه: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيْطَغَى*أَنْ رَأَهُ اسْتَعْتَى﴾ (العلق: 7-8)(1).

وفي قصة من التمس الإطلاق وهو محبوس: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ (الرعد: 38)(2). ومن ذلك ما ذكره صاحب كتاب "خاص الخاص" من أن "يحيى بن خالد" وقع أمر رجل استحق القتل: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ (البقرة: 179)... ووقع "ابن طولون": اتق الله في الإرصاء ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ (الفجر: 14)... و"الصاحب بن عباد" وقع إلى علوي في أمر طلبه، فرد عليه: لا تحوجني إلى أن أقول: ﴿يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ (هود: 46) والسلام... ووقع في شأن عامل خوان ﴿عَجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورًا﴾ (طه: 88)(3)... وكتب "مسلم بن عقبة المري" إلى "يزيد بن معاوية" بالذي صنع أهل الحرة، فوقع في أسفل كتابه: ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾... ووقع "عمر بن عبد العزيز" إلي رجل ولاه الصدقات، وكان ذميما، فعدل وأحسن: ﴿وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدِرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا﴾ (هود: 31) ويوجد من تلك التوقعات الكثير في العقد(4).

البناء التوقيعي في القرآن الكريم

إن التوقيع فن فطن له الأوائل على اختلاف تسميتهم له، فقد أسموه بالتوقيع تارة، وجوامع الكلم تارة أخرى. وكلاهما فيه الإيجاز، والحذف، والتلخيص. وقد سما في البلاغة كل منهما -التوقيع "جوامع الكلم" - وجرت على ألسن الناس قديما وحديثا. إلا أن هذه التوقعات، وجوامع الكلم اختلفت عن الفن الذي يسمى اليوم "البناء التوقيعي" الذي هو عبارة عن " الصورة المركبة للقصيدة من خلال صورة واحدة تعتمد على تحقيق أكبر قدر ممكن من التركيز والتكثيف "(5). والصورة القرآنية في بعض السور القرآنية بدت مركبة، وتعتمد على أكبر قدر ممكن من التركيز والتكثيف. وبنيت قصار السور على هذا البناء. ولعل الباحث يبين الفروق التي تبينت له من فني جوامع الكلم والبناء التوقيعي، وذلك بعد أن يعرض أهم الموضوعات التي جاءت بها السور مبنية بناء توقيعيًا.

(1) الثعالبي، خاص الخاص، 86.

(2) الثعالبي، خاص الخاص، 90.

(3) الثعالبي، خاص الخاص، 93.

(4) ينظر، ابن عبد ربه؛ أحمد بن محمد الأندلسي، العقد الفريد، تحقيق: محمد سعيد العريان، ط 1، بيروت، دار الفكر، 4: 256، 257.

(5) غنيم؛ كمال أحمد، عناصر الإبداع الفني في شعر أحمد مطر، ط 1، القاهرة، مكتبة مدبولي، 1998 م،

موضوعات البناء التوقيعي في القرآن

لقد تعددت تلك الموضوعات التي ركزت على جوهر العقيدة الإسلامية في كلمات قليلة العدد، وبصورة مركبة، وموجزة، ومكثفة، يذكر الباحث منها:

أولاً: ثناء الخالق على نفسه -**سبحانه**- مع تنزيهه لها، والكشف عن دلائل قدرته؛ وذلك كسورة الأعلى، والليل، والشمس. فإن هذه السور عرضت بإيجاز وتلخيص وسبك.

ثانياً: التقرّيع، والتوبيخ للكافرين، وبيان الحجة عليهم، والحمل على التزام الحق، مع النهي عن الباطل، وذلك كسورة المطففين، والانشقاق، والغاشية، والمسد، والفيل.. الخ.

ثالثاً: التأكيد على حقائق الكون ومظاهره الدالة على الخالق -**سبحانه وتعالى**- وعلى قوته، وسلطانه، وذلك كسورة التكوّير، والانفطار، والطارق.. الخ.

رابعاً: التبشير للمؤمنين، والتحذير والتهديد والوعيد للعصاة، والمخالفين، والكافرين، وذلك كسورة النبأ، وعبس، والزلزلة، والبيّنة.. الخ.

خامساً: الدعوة إلى إبطال سياسة الخصم أو العدو، مع إقرار دعوة السماء، وذلك كسورة النازعات، والعلق، والكافرون.

سادساً: المناقحة عن رسول الله محمد- **صلى الله عليه وسلم**- والدفاع عنه، وتقنيده اتهامات المشركين له، وذلك كسورة الضحى، والشرح، والكوثر.

سابعاً: وصية المؤمنين؛ للتمتع بنبيل الخصال، وفرائد الفضائل، وذلك كسورة البلد، والماعون، والعصر.

ثامناً: الدعوة إلى ترك الشر، والتحصن منه بالخير، وذلك كسورة الفلق، والناس.

سور قرآنية ذات بناء توقيعي

يمكن القول أن جميع قصار السور القرآنية بنيت بناء توقيعيًا. وذكرت سابقًا بعض أسماء سور من القصار تحت عنوان موضوعات البناء التوقيعي، وتمت الإشارة إلى اجتماع أكثر من بناء لبعضها. والآن سيكشف البحث عن تقانات التوقيع في بعض السور القرآنية.

سورة "الزلزلة"

تبدأ السورة من حيث تنتهي الحياة الدنيا، لتكون هزة عنيفة للقلوب، وصيحة إنذار إلى النفوس، فهي تجمع صورة الأعمال خيرها وشرها، وانتهاء الأحداث الكثيرة والجسيمة في هذا الكون على

سطح الأرض التي تكرر لفظها مرتين، مرة في حال زلزلتها، وأخرى عند قيامة أثقالها من باطنها، مع استعراض موجز للمحاسبة " تحدث أخبارها " في اليوم المشهود.

تقوم السورة على تقانات عدة، مثل: تقانة التكثيف، وتقانة التلخيص، وتقانة التصوير، وتقانة الحذف.

تقانة التكثيف: فنهاية الإنسان حددت بزلزلة الأرض، واهتزازها، ورجفها، ورجها رجا عنيفاً، وأخرجت أثقالها من الأموات والمعادن من الأجداث دونما تفصيل ؛ ليترك للمتدبر أن يتدبر كيف تبدو الأرض حال تزلزلها؟ وتصور حال من عليها، وكيف تبدو صورتها، والذي في جوفها وعلى ظهرها؟ وكيف يكون حال الإنسان وهو يسمع ويرى هذا المشهد على إيجازه، بانفعال نفسي، وقلق مع خوف وارتباك. وقال الإنسان ما لها ؟ عندئذ وفي هذا الحال الذي تشخص لهوله الولدان وتشيب، تجيبه الأرض بواقعها عن حالها، بأن إلها قادراً هو من فعل هذا.

تقانة التصوير: ثم ينتقل المشهد إلى زاوية البعث، وقيام الناس من أجدانهم. وتركت الآيات المتدبر أمام صورة موجزة لكنها ممثلة بالإبجاءات والدلالات؛ ليستكمل تلك المناظر التي تتخلع لها القلوب، وتتقطع لشدها الأعصاب. ولو أسهبت أكثر في التصوير لأدى ذلك إلى حالة شعورية يمتزج فيها القلق مع الاضطراب، والمراد هنا التدبر فحسب، وليس الوصول إلى اليأس والقنوط، والاضطراب. وأنت صور الحذف عندما خرج الناس من القبور، يلجئون أين يلجئون؟ ما هي صورتهم؟ وكيف يسبغون ؟ وإلى أين يهرعون ؟ وفي أي مكان يستقرون، وماذا لو استقروا ؟ لتأتي صورة أخرى تزيد العقل تدبراً وتفكراً، إنها صورة الاحتفاظ بالماضي؛ ليشاهد صفحات الأحداث من صنع يده. ثم يعود الخطاب مذكراً لمن وضعت هذه المناظر والصور أمامه؛ ليتعظ، ثم يأتي الحساب وفقاً للأعمال، مجزياً برحمة الله -تعالى- فإن فعل خيراً، فخييراً يرى، وإن فعل شراً، فشرّاً يرى، في ذلك اليوم الرهيب. وما ذكر فيها أبلغ صورة.

تقانة التلخيص: قد حصل التلخيص؛ فالسورة اكتفت بما عرضت من مشاهد على اقتضابها. لقد جمعت هذه السورة القصيرة بآياتها الثمانية مراحل ثلاث بأحداثها المهمة. في الدنيا بالعمل الصالح أو الطالح وهي المرحلة الأولى، ثم بالموت وهو المرحلة الثانية، فالبعث والحساب، ثم الجزاء والأبدية في الآخرة، وهي المرحلة الثالثة. أما الألفاظ فكانت مكتنزة المعاني، قوية الدلالات، فكلمة "أثقالها" توحى بكثرة خيرات الأرض، وسمن باطنها، و"تحدث أخبارها" توحى بكثرة الأخبار التي تقع في ذلك اليوم، وكلمة "أشئاناً" توحى بمشهد التفرق والتبعثر، حيث لا أحد يسأل عن أحد. أما

الحروف فيكون جريانها خفيفا، يصحبها الإيقاع المنسجم مع المعنى. وقد توحدت جميع فواصلها، حيث الألف المطلقة المسبوقة بالهاء الحلقية، التي فعلت في النفس فعلها.

سورة "الإخلاص"

تقانة التكثيف: تتكون من ثمان عشرة كلمة، منها أربعة أفعال، إحداها أمر، وثلاثة أفعال مضارعة، وستة أحرف. وعدد الأسماء فيها ثمانية. هذه السورة التي لا تضارع بالمدح، والثناء، واستظهار العظمة الإلهية. فقد كانت مجمعاً لصفات الكمال والجلال لله الواحد - سبحانه- كما أنها بينت أن الخلائق تقصده على الدوام لحاجتهم إليه ، وأنها - أيضاً- أوضحت غناه - سبحانه- عنهم أي عن كل من سواه، منزها نفسه عن المماثلة والمجانسة في الخلق والقدرة والصفات. وأنها أكدت أن لا مثل ولا نظير له من خلقه. وجاءت السورة في سياق الرد على المستهزئين السائلين رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن صفة ربه بقولهم: " صف لنا ربك " فكانت السورة الجواب الشافي الجامع لهم.

تقانة التصوير: إنها صورة تمجيد وتعظيم لله - تعالى- باسمه الأعظم " الله " وإثبات لصمديته وألوهيته- سبحانه- ونفي العلائق عنه من ولادة وولد. وصورة بيان لقوله تعالى: ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ (الشورى: 11).

تقانة التلخيص: فرغم تقانة التلخيص إلا أنها جاءت مكتملة المعاني متممة الدلالات. إذ لخصت السورة صفات الجلال والكمال لله باسمه الأعظم " الله " وأتبعته بصفة "الصمد" وكلاهما اسم وصفة. فأما الاسم "الله" فإثبات للألوهية، واستجماع لجميع الصفات الكاملة، والأسماء الجلييلة فيه. وأما "الصمد" فيدل على أنه- سبحانه- ملجأ للخلائق- جميعا- الذين يقصدونه ويلجئون إليه، ويتوجهون صوبه. ويتمثل التلخيص في قوله: " قل " والخطاب لمحمد - صلى الله عليه وسلم - وأمته من بعده، للرد على أولئك الساخرين المستهزئين الذين حذفوا السورة ذكرهم؛ لأنهم سيكونون في كل مراحل الزمان موجودين سواء في عهد محمد - صلى الله عليه وسلم- أو بعده. وفيها إشارة إعجازية أن هذا القرآن سيستمر إلى أن يشاء الله - تعالى- والدلالة على ذلك، أنه حذف فئة المستهزئين ولم يخصهم بزمن فكانت السورة تنبئ بعلم الله المطلق بهم وبوجودهم في كل عصر وزمان، فجاءت السورة رداً عليهم في عهد رسول الله، والعهود الأخرى. وقوله: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ (الإخلاص: 3) فالميلاد لم يكن له، ولا منه - سبحانه- وقد لخصت السورة ذلك دونما تفصيل وباكتمال. أما قوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ (الإخلاص: 4) فهي إلغاء لآراء الزاعمين

بحصول النظائر له - سبحانه- فليس من أحد في السماء أو في الأرض يحاكي مثليته أو كفاءته، لا في صفاته ولا أفعاله - سبحانه وتعالى -وهنا إبطال للنديّة من كل وجه.

سورة "الفلق"

تقانة التكثيف: فليُنظر إلى كثافة معاني قوله تعالى: ﴿مِنْ شَرِّ مَا خُلِقَ﴾ (الفلق: 2)، كيف جمع صنوف الشر المستعاذ منه عند الخلق جميعا؟ وشاء الله- تعالى- فجعلها كافية في معناها، شاملة في دلالتها، وخص بعض صنوف أهل الشر زيادة في التنبيه منهم، وإشارة إلى التحذير من شرهم -لاسيما- بانتشار " من " التبعية فيها.

تقانة التصوير: إنها صورة الشر في الخلق، الليل الغاسق شديد الدلجة بظلامه الوحشي المخيف، وشر النفاثات اللواتي ينفثن السحر إفسادا وشرًا. ووضعت السورة شكلا، وصورة لكيفية التخلص منها.

تقانة التلخيص: تتكون من سبع وعشرين كلمة، منها خمسة أفعال، أحدها فعل أمر، وآخر مضارع، واثنان من الأفعال الماضية. وأما الحروف ففيها تسعة حروف، وثلاثة عشر اسما. فيها أمر الله - تعالى- نبيه باللجوء إليه، والاعتصام به من كل ذي شر من خلقه. وقد شمل قوله تعالى: " ما خلق " الاستعاذة بالله - سبحانه- من شر كل الخلق ، ثم خص الليل إذا اشتد ظلامه لوحشته، وخص المفسدات الساعيات إلى حل الروابط والصلات بين الناس، ذلك الشر المحض، وخص الحاسدين المتمنين زوال النعم عن غيرهم.

سورة "الناس"

تقانة التكثيف: سورة تتكون من اثنتين وعشرين كلمة، منها ثلاثة أفعال: فعل أمر، وفعلان مضارعان، وخمسة حروف وأربعة عشر اسما. لا توجد لفظة تشذ، ولا حرف ينبو، وخلت من ركاكة المعنى، وحشو المبنى. فكل لفظة أتت في مكانها الذي لو أديرت كلمات العربية بدلا منها لما حسنت ذلك الحسن، ولا اكتملت ذلك الاكتمال، أو جملت بأبهى مما هي عليه من الجمال. مع ما اكتنزت من جليل المعاني، وعظيم الدلالات، ومناسبة الكلمات لبعضها، مع خفة ألفاظها، وسهولة جرسها الذي ناسب حال الوسوسة. ولو دقق أي واحد بعقله وإحساسه إلى تلك المفردات؛ لأدرك ما أدركه الباحث. فكلمة الوسواس تعني المستتر عن العيون، مع ظاهر يتضح منه المكر والخديعة، فكان بوسوسته الخفية وأساليبه الماكرة الخادعة قادرا على تحييد الناس عن الحق، وتزيين الباطل أمامهم. والاعتصام بالله - رب الخلائق والناس- ومدبر شؤونهم، ومالك أمرهم

وحاكمهم، وإلاهم الذي له كامل التصرف في أمورهم، وأحوالهم جاءت ألفاظ " رب " و " مالك " و " إله " لتشمل صفات الكمال والجلال كلها، فتكثفت فيها كل معاني العظمة والكبرياء التي لا تليق إلا بالله -سبحانه- وجاءت هذه الألفاظ منعاً وزجراً للموسوس عن فعله، إذا ما قيلت أمامه، أو في وجهه، سواء وقعت الوسوسة من الإنسان أو الجان؛ لما فيها من محاسبة الله- تعالى- للمذنبين، فصرفتهم عن إيذاء الناس، وتحولت بهم نحو سبيل الهداية، والرشاد.

إن الكثافة للمعاني والدلالات حصلت من قليل الألفاظ في تلك السورة، فإن كلمة " الناس " تحتوي على تلك العوالم المختلفة، والقبائل المتفرقة، والأناسي في أرجاء المعمورة. كما أن كلمة " الجن " توجي بالعالم الآخر، المستور عن العيون على كثرته.

تفانة التصوير: وفيها أمر الله - تعالى- نبيه -صلى الله عليه وسلم- باللجوء إليه، والاستعاذة به من شر الوقائع التي يخفى على كثير من الناس معرفتها ؛ لأنه يأتيهم من جهة أهوائهم ونزواتهم وفي صور مختلفة يلبس عليهم الحق بالباطل ، فيوقعهم ذلك فيما نهوا عنه من معصية الله تعالى. فهؤلاء - الإنس والجن- جميعاً لهم ملك واحد، ويحكمهم إله واحد، وفيهم خصال النقص التي تهيوهم ليتسببوا في الوسوسة. كما تقع منهم الوسوسة. فلفظة "الوسواس" تصور حالة التحادث الشرير الذي يندفع من الشيطان -الإنس والجن- على السوء، محاولاً إخفائه؛ ليكون أكثر إنفاذاً وسلطاناً على النفوس، مستخدماً المفسدات المعنوية من إغواء وفتن يدخل بها عبر وسوسة متواصلة إلى النفس دفعا لها نحو المعصية وارتكاب كل نقيصة بكل وسيلة. وكلمة "الناس" تلك الكلمة التي توجي بخصلة النسيان التي لا تنفك عن الإنسان. هذا ولم تذكر السورة لفظة أخرى تجاري كلمة "الناس" في هذا الموضع مثل "بني آدم" أو "البشر" وذلك؛ لأن النسيان يتناسب مع الوسوسة التي يمكن أن تلعب في ظله دوراً مهماً. أما كلمة " الصدور " التي توجي بالمكان المتهيي لاستقبال الخفايا من الأمور؛ مع الاحتفاظ بها.

تفانة التلخيص: لخصت كلمة "رب" و"ملك" و"إله" كل الصفات التي تليق بالله -تعالى- والتي سمى بتا نفسه. كما لخصت كلمتا "الجنة" و"الناس" فشملت الخلق المكلفين بإتباع الرسالة، والدعوة الإلهية. كما لخصت كلمة "شر الوسواس" جميع الشرور دونما استثناء؛ لأن أسلوب الشيطان يعتمد على الوسوسة الخفية.

تقانات (جوامع الكلم)

تقانة الإيجاز والتكثيف:

التوقيعات والأمثال تتفقان في اكتناز هذه التقانة، فلو تم النظر التي تعريف الأمثال؛ لقرب إلينا بمفهومه الذي هو: " جمل وجيزة ذات مفهوم عميق ، تدل على نتيجة إثر تجربة واقعية، وهي مرآة تعكس الواقع " (1)، فكان يتأسى به البناء التوقيعي -جوامع الكلم- فهما إذن مجملان، وجيزان، ذوا دلالات عميقة، يصلحان لمقامات مختلفة، ويجري على الألسن ذكرهما.

الإيجاز ضربان: إيجاز قصر، وإيجاز حذف

الأول: إيجاز القصر

كقوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ﴾ (البقرة: 179)، فإنه لا حذف فيه مع أن معناه كثير، يزيد على لفظه؛ لأن المراد به: أن الإنسان إذا علم أنه متى قتل قتل كان ذلك داعيا له قويا إلى ألا يقدم على القتل. فارتفع بالقتل-الذي هو القصاص- كثير من قتل الناس بعضهم لبعض، فكان في ارتفاع القتل حياة لهم، وفضله على ما كان عندهم أوجز كلام في هذا المعنى، وهو قولهم: **القتل أنفى للقتل** " من وجوه... ومنه، قوله تعالى: ﴿هُدًى لِّلْمُنْتَقِينَ﴾ (البقرة: 2) أي: هدى للضالين، الصائرين إلى الهدى بعد الضلال. وحسنه التوصل إلى تسمية الشيء باسم ما يؤول إليه... ومنه قوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (الأعراف: 199)، فإنه جمع فيه مكارم الأخلاق؛ لأن قوله: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾ أمر بإصلاح قوة الشهوة. فإن العفو ضد الجهل، قال الشاعر:

خذي العفو مني تستديمي مودتي

أي: خذي ما تيسر أخذه وتسهل، وقوله تعالى: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ أمر بإصلاح قوة الغضب، أي: أعرض عن السفهاء واحلم عنهم، ولا تكافئهم على أفعالهم. هذا ما يرجع إليه منها، وأما ما يرجع إلى أمته، فدل عليه بقوله: ﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾ أي: بالمعروف الجميل من الأفعال (2). ونقل "السيوطي" عن بعضهم قوله في إيجاز القصر: هو " تكثير المعنى بتقليل اللفظ، وهو أن يقصر اللفظ على معناه، كقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ... وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ (النمل: 30-31) جمع في أحرف العنوان، والكتاب، والحاجة، ومن بديع هذا الإيجاز، قوله

(1) التونجي، المعجم المفصل في الأدب، 1: 132.

(2) ينظر، القزويني؛ الخطيب، الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، ط4، بيروت، 177

تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ (الإخلاص: 1) إلى آخرها، فإنه نهاية التنزيه، وقد تضمنت الرد على نحو أربعين فرقة، وقوله تعالى: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾ (النازعات: 31)، دل بهاتين الكلمتين ما أخرجته من الأرض قوتا ومتاعا للأنام، من العشب والشجرة، والحب، والتمر، والعصف، والحطب، واللباس، والنار، والملح؛ لأن النار من العيدان، والملح من الماء، وقوله: ﴿لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنَزِفُونَ﴾ (الواقعة: 19) جمع فيه جميع عيوب الخمر، من الصداع، وعدم العقل، وذهاب المال، ونفاذ الشراب، وقوله: ﴿يَا أَرْضُ ائْبِئِي مَاءَكِ﴾ (هود: 44) أمر فيها ونهى، وأخبر، ونادي، ونعت، وسمى، وأهلك، وأبقى، وأسعد، وأشقى، وقص من الأنباء ما لو شرح ما اندرج في هذه الجملة من بديع اللفظ والبلاغة والإيجاز والبيان لجفت الأقلام (1). وهذا النوع كثير الورد في القرآن الكريم.

الثاني: إيجاز الحذف

الكلام القليل إن كان بعضا من كلام أطول منه، ومنه قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ (الزمر: 73)، فحذف الجواب إذ ما كان وصف ما يجدونه، ويلقونه عند ذلك لا ينتاهي، فجعل الحذف دليلاً على ضيق الكلام عن وصف ما يشاهدونه، وتركت النفوس تقدر ما شاءته، ولا تبلغ مع ذلك كنه ما هنالك. وكذا قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَىٰ النَّارِ﴾ (الأنعام: 27) أي لرأيت أمراً فظيماً، لا تكاد تحيط بت العبارة، ومنه قوله تعالى: ﴿يُوسُفُ أَعْرَضَ﴾ (يوسف: 29)، حذف حرف النداء، وقوله تعالى: ﴿تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ (النساء: 1)؛ لأن هذا مكان شهرة بتكرار الجار، فقامت الشهرة مقام الذكر، ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ* قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾ (الشعراء: 23-28)؛ لأن موسى-عليه السلام- استعظم حال فرعون، وإقدامه على السؤال، فاضمر اسم الله تعظيماً وتفخيماً، ومنه، قوله تعالى: ﴿صُمُّ بُحْمٌ﴾ (البقرة: 18)، أي: هم أو المنافقون. ونوع الحذف فيه دار بأنواع ومقاصد في القرآن الكريم (2). فقد كان الحذف للمفعول به لمجرد الاختصار مع رعاية الفاصلة، مثل قوله تعالى: ﴿مَا ودعك ربك وما قلى﴾ (الضحى: 3) أي: وما قلاك فحذف الضمير المتصل " الكاف " .

ومن أنواع الحذف: حذف الحرف، مثل قوله تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناعمة﴾ (الغاشية: 8) ويقتضي السياق وجود واو العطف ﴿وجوه يومئذ ناعمة﴾ (الغاشية: 8) عطفاً على واو ﴿وجوه يومئذ خاشعة﴾ (الغاشية: 2).

(1) ينظر، السيوطي، الإتقان، 3: 148.

(2) ينظر، السيوطي، الإتقان، 3: 153-155.

ومنه حذف الإضمار الذي لم يذكر مثل، قوله تعالى: ﴿فَأَثَرُنَّ بِهِ نَفْعًا﴾ (العاديات: 4) أي: الوادي" (1).

ومنه حذف الجملة: مثل حذف جواب القسم، كما في قوله تعالى: ﴿وَالفجر* وليال عشر﴾ (الفجر: 1-2)، والتقدير: ليعذبن الكافرون بما جئت به يا محمد، والدليل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾ (الفجر: 6)، ومنه حذف جواب الشرط: كقوله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ (الانشقاق: 1) حيث حذف جواب " إذا " ليذهب السامع كل مذهب، وقيل: جوابها ما دل عليه قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾ (الانشقاق: 6) أي: إذا السماء انشقت لاقى الإنسان كدحه " (2).

الجمال والقوة:

الجمال والقوة، ويعني يهتم الباحث جمال الأسلوب وقوته، واعتبر التونجي أن جوامع الكلم " ميزتها الجمع بين الإيجاز والجمال والقوة " (3).

وقد تحلت كل ألفاظ التوقيعات - جوامع الكلم - بالقوة من خلال التكتيف الذي شهدته اللفظة المفردة، وزاد التكتيف لما تضامت الألفاظ مع بعضها وانتظمت في سلسلة من الدرر، أصبحت من ذلك تكتسب الجزء الأكبر من قوتها وجمالها. كما أن الجمال داخل تلك الألفاظ منفردة، فلا يكاد القارئ يشعر بخشونة اللفظ، أو يعاني من صعوبة بل على العكس من ذلك، فالحروف سهلة، وذلاقة، وخفيفة النطق، تجري على اللسان كأنما سيل ينصب من عل. مع ما أوتيت قصار السور من فواصل متماثلة، زادت جمال الألفاظ جمالا، وناسبت السياق مناسبة، وانسجمت مع حالة القارئ النفسية والشعورية المتفاعلة مع القرآني. ولو سمع المتلقي فواصل سورة "عم يتساءلون" المسجوعة بين النون والميم والألف المطلقة، أو سورة "عبس" التي تمفصلت آياتها بالألف اللينة والهاء الساكنة، أو سورة "النازعات" المتمفصلة آياتها بالألف تارة مطلقا وأخرى لينة، وهكذا السور القصار جميعا حتى ينتهي القارئ بفاصلة الدال في جميع آيات سورة "الصمد" أو منوعات فواصل سورة "الفلق" أو فواصل السين التي ختمت بها آيات سورة "الناس". عندئذ لا يكاد يتبين

(1) أبو شادي؛ مصطفى عبد السلام، الحذف البلاغي في القرآن الكريم، ط 1، القاهرة، مكتبة القرآن، 1992م، 24.

(2) أبو شادي، الحذف البلاغي في القرآن، 122.

(3) التونجي، المعجم المفصل في الأدب، 1: 295.

إلا الجمال الذي يستغرق جميع الملكات الشعورية، والنفسية، والمنطقية. ويتبين أن تلك التقانات - سאלفة الذكر- تجتمع في كثير من آي السور القرآنية فإن التوقيعات ثبتت - أيضا- في آي الطوال، والمئين، والقصار من السور. كما أن الباحث سيأتي بأمثلة من القرآن تبدو له فيها تقانات التوقيعات وفيرة. وهذه أمثلة يظهر من خلالها تقانات البناء التوقيعي.

المقام وجوامع الكلم في الآيات القرآنية

يمكن القول أن السور طويلة المقاطع، كبيرة الآيات، خرج بناء جوامع الكلم منها-غالبا- على شكل جزء من الآية، وذلك لأنها تميزت بالتفصيل والإسهاب اللذين يقابلان تقانات الإيجاز والتكثيف من ناحية، ومن ناحية أخرى فهي من الآيات المدنية التي تتحدث عن التشريعات من حلال وحرام ومباح وغير ذلك. الأمر الذي يعطي كلا منهما تمايزا عن الآخر، مع إمكانية اتفاق في تقانات أخرى بينهما، كالحذف، والقوة، والجمال، وغيرها. ولذا سيكتفي الباحث بعرض أمثلة لا للحصر- فهي كثيرة- من الآي أو أجزاء الآي في السور القرآنية. وقد تميز البناء التوقيعي بديمومة الاستخدام في مقامات مختلفة، يجمل فيها ذكره كشاهد، أو مثل، أو جواب ورد، وسيتبين ذلك من خلال الأدلة الآتية:

قال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ﴾ (البقرة: 20)، يقال: عند حث شخص ما على إبلاغ أمر ما. ويمكن لك استخدام هذا الشاهد في أي شخص له أن يوصل أي نوع من البلاغات. **وقال تعالى:** ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾ (البقرة: 34)، يقال: حال التأكيد على التشابه الشكلي و المعنوي بين الأبناء والآباء، ويمكن استخدام هذا الشاهد في أي مشابهة، حتى على مستوى الصداقة التي تصل لدرجة الأخوة على سبيل الكناية.

قال تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ (البقرة: 128)، يقال: عند افتقار الشخص القدرة عن الإداء برأيه في أمر ما، أو عند فراغه من القدرة على الأشياء، أو التحكم بتا. ولك أن تتصور كثرة الأشخاص الذين يمكن ألا يكون لهم رأي، على مستوى الأسرة، أو الأصدقاء، أو المسؤولين، أو حتى على مستوى الحكومات.

قال تعالى: ﴿وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ (آل عمران: 118)، يقال: من شخص يتأكد أو يتنبأ إضرار أمور عظيمة في نفوس آخرين تجاه أمر ما، ويمكن حمل هذا الشاهد لتخيل خفايا لا حصر لها في النفوس. كما يسمح لك الشاهد أن تتوقع ذلك الخفاء عند الكثيرين من الناس. **قال تعالى:** ﴿مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ﴾ (آل عمران: 119)، يقال: دعاء بالموت غيظا على أشخاص معينين، كما يفتح مجال التخيل

لهذه الدعوة أن تستخدم في مقامات كثيرة، منها مقام التشفي، ومنها مقام الإغاظة، ومقام الهجر إن قيلت والمنكلم يدبر عن المجلس، مشيراً بيديه، ورافضاً المكث في المجلس أو المقام.

وقال تعالى: ﴿لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً﴾ (آل عمران: 120)، يقال: لطمأنة جماعة من شر وكيد آخرين ووقيعتهم، ولك أن تتوسع في حمل هذا الشاهد لمن و فيمن أردت.

وقال تعالى: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى﴾ (آل عمران: 138)، يقال: عندما يقدم شخص برهانا للناس على أمر فيه هدايتهم، وخيرهم، وتخييل أنواعا من البيانات يصلح أن يعبر هذا الشاهد عنها، وتخييل عدد الناس الذين يمكن أن يحمل إليهم.

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ (آل عمران: 145)، يقال: في مواطن كثيرة منها حال تخفيف مصاب قوم بفاجعة حبيب أو قريب، أو لمواساة النفس، أو تذكرة بالعودة إلى الله -تعالى - والرجوع إليه.

وقال تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ (النساء: 11)، يقال: إذا نصح شخص آخر في ولده، مذكرا بأن له حقوقا واجب بذلها له، ولك أن تتخييل سعة تلك الحقوق، وصلاحيية استخدام هذا الشاهد لها. قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ (النساء: 40)، يقال: للتأكيد على أن الله -سبحانه- لا يظلم أحدا شيئا، وأن للإنسان ما كسبت يده، ويستخدم هذا الشاهد ردا على كل ادعاء يمكن أن يقوله شخص لينقص من ربه.

قال تعالى: ﴿فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً﴾ (النساء: 78)، يقال: حال الاستهزاء والسخرية لأشخاص من قلة فهمهم للأحاديث المختلفة، وعدم أخذهم العبرة من غيرهم، وللمتلقي أن يتصور المقامات التي يكون فيها مثل أولئك.

قال تعالى: ﴿لَنْ بَسَطَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِي إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ﴾ (المائدة: 28)، يقال: حال رفع أحدهما الراية البيضاء إزاء أخيه حتى لو نكل به، بل يمكن استخدامه لمن هدد، وأوعد.

قال تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾ (المائدة: 41)، يقال: حال الاطلاع على كلام، أو مواقف اختلفت أصولها، وانزاحت عن حقيقتها، وتلك المواقف لا نهاية لها، فهي كثير في مقاماتنا ومجالسنا. وقال تعالى: ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَاراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾ (المائدة: 64)، يقال: حال طمأنة قوم بأن النار التي يشعلها عدوهم ستخبوا، وتنطفئ بأمر الله -تعالى- وقدرته، وأن كيدهم لن يتحقق، وحرهم لن يكتمل اشتعالها، ويمكن أن تحمل الآية شاهد على كل شخص يحاول انتقاد الفتنة، ونبش الشر، ونقشية المشاكل. إن مثل تلك الشواهد المبنية بناء موجزا، محكما، قد نزلت على رسول الله -

صلى الله عليه وسلم - في مقام ما، ولما كان القرآن دستوراً للحياة صالحاً لكل زمان ومكان، أصبح هناك إمكانية لأخذ مثل تلك الشواهد في مناسبات مماثلة لمقام النزول، أو مقامات متقاربة معه، أو يمكن استخدامها في مقامات أخرى، بشرط ألا تخرج عنها إلى دائرة التحريف.

فوارق بين البناء التوقيعي وجوامع الكلم

أولاً: البناء التوقيعي يكون في السورة كاملة، وتتوزع تقاناته بين أرجائها. أما جوامع الكلم فتكون في مقاطع، أو آيات من السورة، أو آية، أو جزء من الآية.

ثانياً: البناء التوقيعي يتجسد في الفكرة العامة للسورة. أما جوامع الكلم، فتكون إحدى أفكار السورة، وجزء من الفكرة الرئيسية.

ثالثاً: البناء التوقيعي يمكن أن يكون في سورة تحتوي -أيضاً- على بناءات أخرى، كسورة الفيل، وسورة المسد.. الخ. بينما جوامع الكلم لا تحتمل ذلك؛ لأنها تعالج دلالات متعددة للكلمة المفردة، والصورة الواحدة.

رابعاً: يكون التكتيف والتركيـز والتلخيص في البناء التوقيعي جارياً في جميع السورة، بينما في جوامع الكلم يختصر على الموضوع الجامع فقط. ولما يعلم ذلك ينبغي أن يفرق بين جوامع الكلم، الذي اعتبره القدماء وبعض المحدثين توقيعات، وذلك؛ لأنهم اتخذوها توقيعات لمراسلاتهم، ومخاطباتهم. وذلك يختلف -تماماً- عما ذهب إليه الباحث في الحديث عن البناء التوقيعي، الذي يكشف عن الأسلوب البنائي للسورة، والصور المركبة الحاضرة فيها؛ بهدف إعطاء المتلقي صورة خطاب شامل لمراد ما، دون اجتزاء شيء يوحي بالنقص أو المبالغة.

ثالثاً: البناء الدائري

الدائرة لغة: " تدوير الشيء: جعله مدورا. وفي الحديث: " إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض " . يقال: دار يدور واستدار يستدير، بمعنى: إذا طاف حول الشيء، وإذا عاد إلى الوضع الذي ابتدأ منه... الدائرة والدارة، كلاهما: ما أحاط بالشيء " (1). ومن ذلك يتبين أن التدوير بمعنى الإحاطة بالشيء من كل جوانبه، وهذا ما سيلاحظ فيما سيأتي من أن هذا البناء أحاط بالسورة معنى ومبنى، فدار من أولها إلى نهايتها، مع وجود قرائن داخل النص تربط البداية بالنهاية فيها.

البناء الدائري اصطلاحاً: هو البدء بموقف معين، أو لحظة نفسية، ثم العودة مرة أخرى إلى الموقف نفسه؛ ليختم به (2). وهو المعنى ذاته الذي أشار إليه د. كمال غنيم، إذ وضح أن التصوير يعتمد من خلال البناء الدائري على ابتداء النص بموقف معين، أو لحظة ما، ثم العودة مرة أخرى إلى الموقف نفسه، واختتام النص به، وفي ذلك تتكرر عبارات قد ابتدئ بها (3). ومن الجدير ذكره في هذا المقام، أن بعض الشواهد الدالة على هذا البناء، والتي اقتصرت فيه تجليات جمالية، نهضت بالنص إلى أعلى الرتب بين الأجناس الأدبية التي لا تصل إلى مضارعتة، ولا حتى تتقارب معه، بل ومن الخطأ المقارنة بينهما، سوى أن المراد هو الكشف عن جمالاته فحسب، فكان ما أشير إليه من أن فوارق بين النص القرآني والأجناس الأدبية يكون في القدسية من ناحية، والتألق مع الجمال، والقوة، والفصاحة، وبراعة الصورة من ناحية أخرى. ولعل الباحث لا يريد استعراض الكثير من الأمثلة حول البناء الدائري؛ لأن المراد يكون قد حصل بعرض القليل منها، مع تحقق الفائدة ووصولها لمبتغيها، فقد أفرد عنوانا للسور التي جاءت برداء دائري، لف جنباتها، وشكل منها موضوعا له فكرة واحدة، تدور في الفلك ذاته في نص السورة.

(1) ابن منظور، لسان العرب، 4: 344.

(2) ينظر، أبو أصبع، الحركة الشعرية في فلسطين، 93.

(3) ينظر، غنيم، عناصر الإبداع، 230.

سور قرآنية ذات بناء دائري:

لعل العلماء لم يغفلوا هذا البناء، وإن لم يسموه باسمه، وإن البذرة الأولى التي بذرت في هذا البناء، عندما تحدثوا عن رد الأعجاز على الصدور، بيد أنه للجمل، أو الآية، أو بيت الشعر. وقد اعتنى القدماء من المفسرين وعلماء العربية بربط أوائل السور بأواخرها، مع ذكر المناسبة لذلك، من هؤلاء العلماء، أبو حيان التوحيدي صاحب كتاب البحر المحيط، والبقاعي صاحب كتاب نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، والسيوطي صاحب كتاب مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع. ومن خلال اطلاع الباحث عليها يؤكد على أن السيوطي قد برع في تحديد السور التي يدور معناها في أولها وآخرها، وقد عدّها الباحث 99 سورة، وهذا بيانها: (1)

البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، والأنفال، والتوبة، ويونس، وهود، ويوسف، والرعد، وإبراهيم، والحجر، والنحل، والإسراء، والكهف، ومريم، وطه، والأنبياء، والحج، والمؤمنون، والنور، والفرقان، والشعراء، والنمل، والقصص، والعنكبوت، والروم، ولقمان، والسجدة، والأحزاب، وسبأ، وفاطر، ويس، والصفات، وص، والزمر، وغافر، وفصلت، والشورى، والزخرف، والدخان، والجاتية، والأحقاف، ومحمد، والفتح، والحجرات، وق، والذاريات، والطور، والنجم، والقمر، والرحمن، والواقعة، والحديد، والمجادلة، والحشر، والممتحنة، والصف، والجمعة، والمنافقون، والتغابن، والطلاق، والتحريم، والملك، ون، والحاقة، والمعارج، ونوح، والجن، والمزمل، والمدثر، والقيامة، والإنسان، والمرسلات، وعم، والنازعات، وعبس، والتكوير، والانفطار، والمطففين، والانشقاق، والبروج، والطارق، والأعلى، والغاشية، والفجر، والبلد، والشمس، والليل، والضحى، والشرح، والعلق، والقدر، والتكاثر، والهمزة، والإخلاص، والناس ولا يعني ذلك أن هذه السور تنفرد بهذا البناء، بل غالباً ما تلف السورة ذاتها بناءات أخرى، سيأتي بيان ذلك تحت عنوان مستقل "تعدد البناءات" فكثير من تلك السور احتوت على بناء قصصي، وأخرى من قصار السور احتوت على بناء توقيعي.. إلخ.

(1) السيوطي؛ جلال الدين عبد الرحمن، مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع، تحقيق: عبد المحسن العسكر، ط1، الرياض، مكتبة دار المنهاج، 1426هـ، 93-96.

البناء الدائري في السور القرآنية

سورة "المؤمنون"

سورة "المؤمنون" تتكون من 118 آية، وقد جعل الله فاتحة سورة "المؤمنون" بذكر الفلاح للمؤمنين، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (المؤمنون: 1). كما ذكر أحوال الخلق ومراحلها، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ (المؤمنون: 12-14).

وأورد في خاتمتها، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يُلْقِي الْكَاذِبُونَ﴾ بمعنى أن الفلاح للمؤمنين حسب مفهوم المخالفة، وجاء بالتأكيد على عدم عبثية آيات خلق الإنسان، فقال تعالى: ﴿أَفحسبتم أنما خلقناكم عبثًا﴾ (المؤمنون: 115) ومدح - سبحانه وتعالى - نفسه وعظمها فقال: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾ (المؤمنون: 116)(1). ويرى الباحث أن بين أولها وخاتمتها صلة وثيقة. إذ إن مفهوم المخالفة للثانية هو "الفلاح للمؤمنين" هو نفسه المعنى التي افتتحت السورة به كما سلف ذكره. وذكر في أولها خلق الإنسان ومراحل نموه كمظهر من مظاهر القدرة على أن القادر على فعل هذا، يكون أقدر على الإحياء بعد الإماتة، والبعث بعد الموت، كما جاءت زمرة من الآيات في ثنايا السورة تؤكد معاني البداية والنهاية، والتي تتحدث عن قدرة الله في خلق النباتات، ثم في خلق الأنعام مما تنفع الناس، ثم مجيء نوح - عليه السلام - بالدعوة المؤكدة على وجود يوم للحساب بعد مراحل الحياة والموتة الأولى، وكيف تم خلق عيسى - عليه السلام - في رحم مريم - عليها السلام - دونما نكاح؟ ثم التأكيد على القدرة على الإحياء والإماتة، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ (المؤمنون: 80)، كما احتوت في داخلها تمجيده ومدحه - سبحانه وتعالى - فقال: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ﴾ (المؤمنون: 78)، وقال: ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ (المؤمنون: 92). وهذا ما ذكرته السورة في نهايتها. وبهذا فالسورة يدور نفس المعنى في أولها وآخرها.

(1) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 131.

سورة " القصص "

سورة " القصص " تتكون من 88 آية. تأمل تلك السورة! فبدايتها قصة تظهر دعوة حملها نبي الله - تعالى - موسى - عليه السلام - للمفارقة بين الحق والباطل، قال تعالى: ﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَهيراً لِلْمُجْرِمِينَ﴾ (القصص: 17)، وخروجه من وطنه، وإسعاده بتكليم الله - سبحانه - له، قال تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلُهُمْ أُتَمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ (القصص: 3). وخاتمتها أمر للنبي - صلى الله عليه وسلم - بألا يكون ظهيراً للكافرين، قال تعالى: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهيراً لِلْكَافِرِينَ﴾ (القصص: 86)، وتسلية له إثر خروجه من مكة، والوعد بعودته إليها، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَيْ مَعَادٍ﴾ (القصص: 85).

وفي الآية إشارة إلى أن القصص القرآني هو أحد أهم عوامل الثبات والتسرية عن النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - كما أن التكليم كان أحد عوامل الثبات لموسى - عليه السلام - أمام النائبات والتخفيف عنه. إن هذه المعاني جاءت دائرة في آيات السورة. فسوق قصة موسى - عليه السلام - نفسه، وخروجه من ووطنه، ولحاق القوم به، وبحثهم عنه، ثم عودته بعد سنين طويلة لاستكمال مشروع الدعوة. تلك القصة قد استغرقت أكثر من ثلثي السورة، لتأتي الحكمة من سوقها، وهي التسرية والتخفيف عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تلك الظروف التي تشابهت إلى حد بعيد مع ظروف رسول الله محمد - صلى الله عليه وسلم - فكلاهما من أصحاب العزم، وقد لاقا كل منهما صنوفاً من الأذى - ملاحقة، ومطاردة، ونفي، وتهجير، وخصومة، وسخرية - كما إن ألقاظ الدعوة شاعت و دارت في السورة من أولها لمنتهاها، الأمر الذي يؤكد دوران السورة حول فكرة تحقيق الدعوة، ومن تلك الكلمات:

"آيات، تتلو، نتلو، نبأ، فذالك برهانان، رسولاً، أرسله، أرسلت، نذير، يستجيبوا، تهدي، نتبع، المهتدين، نمكن، آياتنا، يهتدون، تاب، آمن، العاقبة، يفلح، ثواب" وغيرها من الألفاظ التي أشارت إلى دوران فكرة الدعوة في السورة.

سورة " النازعات "

تتكون السورة من "46" آية، تدور المعاني - نفسها - في فلكها من أولها حتى آخرها. إذ إن المعاني الواردة من الآية (1-14) جاءت قسماً على إمكان البعث ووقوعه، وذكرت بعض الغيبيات من الملائكة بأعمالها وأوصافها مثل، النازعات للأرواح، والناشطات لإنفاذ أمر الله، والسابحات إلى الإنفاذ بسرعة قصوى، والسابقات في الأمور التي أوكلت إليها، والمدبرات للأمور التي أودع الله - تعالى - فيها من خصائص قدرته. أيضاً بدأت السورة بغيبيات، مثل: الأرواح المنتزعة من الأجساد، وحال البعث، وأحوال يوم القيامة.

أما النهاية، فقد انتهت السورة بتساؤل المشركين عن وقت الساعة، والإخبار عن خفاء وقتها عن الخلائق جميعاً، كما أشارت إلى ذكر غيبيات الآخرة أيضاً، مثل: الجحيم - مأوى الكافرين

والعصاة- والجنة - مأوى المؤمنين - ومجهولية حلول الساعة - القيامة - وذلك في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى*وَأَثَرَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا*فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى*وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى*فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى*يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا*فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرهَا*إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا﴾ (النازعات: 37-44).

وبذلك تكون السورة دارت فيها عوالم الغيبيات من أولها وفي آخرها. أما بين جنباتهما، فقد جاءت السورة بدلائل القدرة الإلهية المتمثلة في إظلام الليل، وإظهار النهار، وبسط الأرض، وخروج الماء، وتثبيت الجبال. كل ذلك سيق لتقريب المثال، بمعنى أن القادر على خلق هذه الأمور، قادر على خلق ما هو أدنى منها عظمة من مثل إعادة الخلق وبعثهم. لقد كانت كل تلك الأحوال والمشاهد من الغيبيات مقرونة بمشاهد تؤكد قدرة الخالق عليها.

سورة " النبا "

اكتملت هذه السورة بالآية الأربعين، وقد اتسمت ببنائها الدائري، إذ المعنى في بدايتها ونهايتها يدور في الفلك ذاته من عرض لأحوال الكافرين حيال البعث، وسوق الأدلة ردا عليهم من بيان قدرة الله- تعالى- على وقوع ذلك اليوم وحدوثه، وذكر شواهد من قدرته المطلقة على الخلق والتكوين.

فالأيات من (1- 5) فيها بيان إنكار الكافرين لذلك اليوم-يوم البعث- مع سياق يستمر معه التهديد؛ لردع المتشككين المرتابين بذلك اليوم بالحجة العقلية.

أما الآيات (6-16) فكانت بيانا لبعض شواهد قدرة الله في الخلق؛ لردع المتشككين المرتابين بيوم البعث بالحجة الدامغة، مثل: مهاد الأرض، وخلق الجبال لتثبيت الأرض، واقتران الأنثى بالذكر والنسل منهما، وجعل الليل والنهار سباتا ولباساً ومعاشاً، ورفع السماوات الشداد بلا أعمدة ودوران الشمس والقمر، والإنعام بالمزن الثجاج، والحب والنبات، والماء والجنات.

أما الآيات (17-40) فعادت لذكر الغيبيات في ذلك اليوم - يوم البعث- للإشارة إلى أن هذا الإخبار هو إخبار علم وحقيقة بأمر الخلق. فقد ذكر في الآيات أنه يوم الفصل بين الخلائق، يبدأ من النفخ في الصور للقدوم إلى الحساب-مكان المحشر- وينتهي بالفصل بينهما في المكان، فمكان المؤمنين الجنة والكافرين النار، وتعتبر كرد يظهر حقيقة ذلك اليوم الذي أنكره.

ومن تلك الأحداث مشاهد الكون البديعة، فالسماوات تتقطر، والجبال تميد، وجهنم تترقب، والكافرون في وجل، فسقاؤهم وشرابهم الحميم، جزاء الوفاق على ما كذبوا وأجرموا. أما مشاهد المتقين وهم في الجنات الرعدة والكؤوس المترعة، والجزاء والعطاء، والخطاب والتكليم لهم من رب السماء. كل ذلك حاصل بحسن تدبير وانتظام في رحابة هذا الكون العملاق. فالملائكة في صفوف كل يعلم دوره. كأن الباحث في هذه الصور لتلك العوالم ينظر إلى صور متحركة للبعث، وأحوال الناس - مؤمنهم وكافرهم - وهم يساقون في وقت واحد، كل في مكانه الذي وعد به، فالوصف القائم فيها مشاهد كأنه رأي العين. وفي ذلك دلالة على العلم والتدبير المطلقين لله الخالق-

سبحانه - بهذا اليوم بما فيه، لذا سميت السورة بالنبأ؛ استخفافا بمن شك في حدوث القيامة، وما فيها، وما بعدها.

سورة "الانشقاق"

بدئت بذكر السماء، قال تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ (الانشقاق: 1)، وختمت بها في قوله: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ (الانشقاق: 19)، على قراءة فتح الباء، خطابا للنبي -صلى الله عليه وسلم- مرادا بذلك ركوبه سماء بعد سماء، ليلة الإسراء (1).

(1) السيوطي، مراصد المطالع، 79.

رابعاً: البناء المقطعي

المقطع لغة: قطع " القاف والطاء والعين، أصل صحيح واحد، يدل على صرم وإبانة شيء من شيء. يقال: قطعت الشيء أقطعه قطعاً. والقطيعة: الهجران "(1).

و" مقطع كل شيء ومنقطعه: آخره حيث ينقطع... ومنقطع كل شيء: حيث ينتهي إليه طرفه... وشراب لذيق المقطع أي: الآخر والخاتمة... والمقطع: غاية ما قطع... ومقاطع القرآن: مواضع الوقوف "(2).

البناء المقطعي اصطلاحاً: أن يتكون النص من مجموعة من المقاطع، يشكل كل مقطع وحدة، لها كيانها الخاص، ويرتبط كل مقطع بالآخر ارتباطاً وثيقاً؛ ليكون بناء متكاملًا من النواحي العضوية، والمنطقية، والنفسية، وبه تتشكل الصورة الكلية(3).

وهكذا يتحد في نظر الباحث المعنيان اللغوي والاصطلاحي، فإن المقطع القرآني يتكون من مجموعة من الآيات، يوقف عليها بانتهاء معنى. إلا أنها في ذات الوقت تتشابه مع المقطع الذي يليها في بلورة الفكرة العامة. أو بعبارة أخرى يمكن القول أن المقطع يتكون من فكرة خاصة أو جزئية مكتملة في ذاتها. فإذا ما اتحدت مع المقاطع الأخرى تولدت من مجموع تلك المقاطع فكرة رئيسية، أو عامة. إن البناء المقطعي الذي بدا على الشاكلة التي أشير إليها، وقع في كثير من سور القرآن الكريم، وقد يجيء المقطع فيشمل سورة كاملة، ويجيء - أيضاً - مقاطع في السورة الواحدة. ومع ذلك يؤكد الباحث القول إن هذا البناء يمكن ألا يتفرد في السورة بنفسه، ويمكن أن يكون متداخلاً مع أبنية أخرى، كالبناء القصصي، والتوقيعي، وغيرهما. وسيعرض ذلك في مكانه، ويقتصر الحديث هنا على أمثلة البناء المقطعي، وذلك مثل:

السور الطوال، كالبقرة، وآل عمران، وغيرهما، والسور القصار التي اتسم بناؤها بالمقطعي كسورة الفاتحة، وعبس، والمطففين، والانفطار، والانشقاق، وسور أخرى. وإن اجتماع بعض البناءات في السورة الواحدة؛ يبعث فيها حيوية وجمالاً، وإبداعاً لا نظير له ولا مثيل. والباحث يستعرض في هذا المقام أمثلة البناء المقطعي في بعض السور حسب الآتي:

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 5: 102.

(2) ابن منظور، لسان العرب، 8: 331.

(3) ينظر، غنيم، عناصر الإبداع الفني، 227.

سور قرآنية ذات بناء مقطعي

سورة "الفاتحة"

تتكون السورة من "سبع" آيات مع البسملة، انقسمت إلى أربع فقرات، هدفت لبيان قضايا ومقاصد متعددة. شغلت الفقرة الأولى مساحة صغيرة، مكتنزة المعاني التي وصفت الخالق-سبحانه - بأكمل الصفات، وأجل الأسماء، مع ربوبيته، وإلهيته المطلقة على الخلق. أما الفقرة الثانية، فجاءت بتسليم الخلق له بالعبادة، والاستعانة به، وهما الفعلان (نعبد، نستعين) اللذان يجمعان كل مفردات العقائد، وأنواع العبادات جمعاء. أما الفقرة الثالثة فبين لجوء العباد إليه في حوائجهم وشئونهم، وعلى رأسها الهداية، واستقامة الطريق، ذلكم الطريق الذي خالف طرق اليهود والنصارى. أما الفقرة الرابعة فقد كشف عن وجوب اتباع طريق الحق، ورفض طريق اليهود- المغضوب عليهم- والنصارى-الضالين- عن الجادة. وعند تدقيق النظر في تلك الفقرات التي تتحد في مقطع واحد يتبين لنا أنها مجتمعة تشكل وحدة واحدة هي بيان التوحيد، وطرق العبادة، وحاجة الخلق للخالق - سبحانه وتعالى- رغم أنها جاءت على شكل فقرات لكل فقرة معناها الجامع. "الله" و"رب" و"مالك" الضمير المنفصل "إياك" ضمير الفاعل لـ "أهدنا" و" تاء الفاعل "أنعمت". لقد سرت هذه الأسماء والضمائر التي هي الله - تعالى- في آيات السورة؛ لتجعله نصاً متماسكاً كمقطع كامل شامل يتحدث عن فكرة واحدة. وجاء معنى السورة مترابطاً؛ حيث بدأ بحمد الله-تعالى- ثم بالثناء عليه، ثم بالاعتراف بملكيته على العالمين في الدنيا والآخرة. هذا الاعتراف الذي يتمثل في صور عبادته والاستعانة به، وطلب الهداية من جنابه، على ألا تكون كطريق من أبغضهم وأصلهم.

سورة "عبس"

احتوت هذه السورة على "اثنتين وأربعين" آية، وقد ضمت السورة أربعة مقاطع منسجمة، ومتشابهة، ومتحدة، تناولت في كل مقطع منها موضوعاً مستقلاً. فالآيات من (1-10) كان الحديث فيها عتاباً للنبي محمد- صلى الله عليه وسلم- على ما كان من إعراضه عن ابن مكتوم، حين جاءه راجباً في العلم والهداية، وكان الرسول- صلى الله عليه وسلم - مشغولاً بدعوة سادة قريش، رجاء أن يستجيبوا له، فيسلم بإسلامه خلق كثير. أما الآيات من (11-16) كان الحديث فيها عن التذكرة، والعظة بالقرآن. وإن الله - تعالى- عظم القرآن، وأشار إلى حفظه وإكرامه. فأياته عنده عظيم قدرها، مرفوع أمرها، مطهرة بجلالها، تنتزل بها الملائكة السفراء من الله - تعالى- إلى رسله. أما الآيات (16-32) فتتحدث عن قدرة الله الخارقة في الخلق والتكوين، سواء للإنسان أو لما عداه. وقد أشارت إلى تجاهل الإنسان لكيفية خلقه، مع أن الذي يتدبر مراحل خلقه، وكيف كان في

الدنيا معاشه؟ وكيف صير مماته ونشوره؟ وكيف أن الله-تعالى- جعل الآيات الواعظات في طعامه وشرابه، وأرضه وسمائه؟ فحقق له متاعه واستقراره. ومع ذلك فهو لا يرعوي.

أما الآيات (33-43) فالحديث فيها عن يوم الصاخة وأهواله، فعندئذ تبرز مشاهد فراق الأحبة، وذهاب كل واحد فيما يهمله، ففيه وجوه مشرقة مستبشرة، وأخرى كالحة غابرة.

وهكذا فهذه المقاطع اشتمل كل مقطع منها على فكرة خاصة، ولكن لما اجتمعت كلها معا لم تخرج عن إطار الدعوة. فالمقطع الأول كان دعوة للهداية، وكذلك اشتمل على عتاب للنبي- صلى الله عليه وسلم - الذي انشغل بدعوة الجماعة عن الفرد.

ثم جاء المقطع الثاني بتمجيد القرآن - كتاب الدعوة- وبيان قدرة الله - تعالى- التي تهیی الناس للهداية وتوضح لهم طريق الخير. فإنه لم يخلق الخلق إلا لعبادته.

ثم جاء المقطع الثالث للحديث عن توجيه الإنسان؛ للتأمل في تدبير طعامه، ونزول الغيث لشرابه، وانشقاق الأرض عند خروج النبات، وتشكيلة النبات بأنواعها وألوانها التي تخرج منها.

أما المقطع الرابع كشف أن يوم القيامة هو اليوم الذي يحاسب فيه الناس على استجابتهم للأوامر الإلهية أو إعراضهم عنها. وبين في مشهد مثير، كيف تبدو العلائق الاجتماعية فور قيام الناس من قبورهم، وانتظار الحساب

وهكذا جاء كل مقطع بفكرة خاصة مستقلة، تعاضد مع قرينه؛ لتتلور الفكرة العامة من مجموع المقاطع، والتي تتمثل في الرد على المشركين المنكرين للبعث، والصادين للدعوة، واستظهار عظمة الخالق - سبحانه- القادر على كل شيء. فالإنسان مطالب بحياة الإيمان، وبالنظر إلى خلقه وتكوينه؛ ليدرك قدرة ربه على إعادته وبعثه.

سورة "المطففين"

احتوت السورة على "36" آية، وقد انقسمت إلى أربعة مقاطع، يحمل كل مقطع قضية من قضايا الدعوة، تترايط لتشكل فيما بينها وحدة لا انفصام فيها، كأنها الجسد الواحد.

فالمقطع الأول بدأ بوعيد شديد لمن يأخذ لنفسه وافيًا، ويعطي غيره ناقصًا. وصورت معاملات الناس في استيفاء حقوقهم من الكيل والوزن. هدت هذا النوع بوقوع البعث والحساب، وأخبرت بأن الأعمال مسجلة في الكتاب المرقوم.

في المقطع الثاني صورت الأبرار المحسنين، ومناقبهم ومناصبهم، ورغدهم ونعيمهم الذي يتنافسون فيه للوصول إليه بالأعمال الصالحة.

كما صورت في المقطع الثالث أفعال المجرمين الكافرين المستهزئين على المؤمنين حين يمرون عليهم فيسخرن منهم، ويستهزئون بهم.

وختمت في المقطع الرابع بطمأنة الله- تعالى- المؤمنين، بأنه سينصفهم يوم القيامة، ويشفي صدورهم من أعدائهم، فيضحكون من الكافرين، والجزاء من جنس العمل.

ورغم هذه التقاطيع، إلا إن السورة جاءت بفكرة من أول آيها إلى نهاياتها، تتحدث عن العالم الأخرى، وكيف يكون الحساب فيه على كل شيء. فهناك فريقان، لكل منهما مصير غير الآخر، وحساب مختلف. ففي الآيات الأولى عرضت كيف يكون حساب المعاملات المادية "المطففين"؟ وفي الآيات الأخيرة، كيف يكون حساب المعاملات الأخلاقية "الاستهزاء" وقابل ذلك في ثنايا السورة بكيفية حساب أهل الإيمان؟.

سورة "الانفطار"

احتوت السورة على " 19 " آية، وانقسمت لمقاطع خمسة، أخذ كل مقطع بزمام شقيقه؛ ليتشكل أمام القارئ بناء موحد ومتكامل اللبنة.

ففي المقطع الأول ظهرت آيات القدرة والخلق، وتمثلت في انشقاق السماء، وتساقط الكواكب وبعثرتها، وتفتح البحار على بعضها وتفجرها، وزوال الحواجز من بينها. وفي المقطع الثاني يبين كيف يخرج الموتى من قبورهم للعرض والحساب بما قدمت الأيدي وكسبت من خير وشر.

أما الثالث فبيان انخداع الإنسان بنفسه واغتراره بها، بتجرؤه على معصية ربه - سبحانه - وتكذيب يوم الدين، مع تكذيبه بأن الله - سبحانه - أوجده من العدم، وخلق في أحسن الصور، بتركيب معتدل، وخلق متناسق غير مضطرب.

وفي المقطع الرابع يكشف عن الحساب الذي سيجري بعد كتابة الأعمال من الملائكة الحافظين، الذين يكتبون كل ما يفعله الإنسان.

وأخيرا المقطع الخامس الذي يسفر عن المفارقة بين المؤمنين الذين يستحقون النعيم، والكافرين الذين تنتظرهم نار الجحيم، في يوم الدين غير المعلوم لا لملك مقرب، ولا نبي مرسل. ذلك المشهد الذي لا ريب في وقوعه.

وقد توحدت كل المقاطع لبناء واحد جمعته فكرة واحدة، تمثلت تلك الفكرة بعرض لآيات القدرة أمام الناس؛ فيؤمن بها طائفة؛ استحققت الجحيم، وتكفر أخرى؛ استحققت النعيم. وعندئذ تدرك الطائفتان أن مالك أمرهم، ومقدر حاجاتهم، إنما هو الله تعالى. فما أعظم البناء الذي جمع الدنيا ومن فيها، بالآخرة وما فيها.

سورة "الانشقاق"

احتوت على "25" آية، وتكونت من أربعة مقاطع، لكل منها موضوع اتحد مع قرينه، فتشكل بناء، اكتملت لبناته من مجموعها.

ففي المقطع الأول ذكرت بعض أشراف الساعة من انشقاق السماء، وإذعانها لربها. وبسط الأرض وإلقاء ما في بطنها على ظهرها.

وفي المقطع الثاني صورت الإنسان المسوق إلى لقاء ربه، وعمله مسجل عليه، فمن أخذ عمله بيمينه فهو يسير عليه، ومن أخذه بشماله سيجد وعيده أمام عينيه.

ثم المقطع الثالث الذي جاء القسم منه -سبحانه- بظواهر من آياته التي تشهد بقدرته على إعادة الخلق والبعث.

كما صورت في المقطع الرابع وعيد الله -سبحانه- للكافرين بالنقمة والعذاب لمن لا يتدبرون القرآن، ولا يلتزمون بأوامر الرحمن. وقد ختمت بتهديدهم، وبيان علم الله فيهم وفي أعمالهم. وعرضت البشارة للمؤمنين بأجر من الله -سبحانه- لا نفاذ له.

وهكذا تتنح المقاطع الأربعة، مقطع بمقطع، كلها تتوالف؛ لتكون وحدة واحدة مترابطة متكاملة، تعرض مجموعة من القضايا - بلا ريب- في فكرة واحدة، وهي بيان الآيات للمؤمنين؛ ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم، وبيانها للكافرين. إقامة للحجة عليهم، وزجرهم وإخافتهم. ففي المقطع الأول أعلم الناس - جميعاً- بمظاهر نهايات الكون؛ ليستعدوا. وفي المقطع الثاني، دلهم على أنهم لو استعدوا أو لم يستعدوا، فذلك عنده مسجل. وفي المقطع الثالث، يؤكد لهم أن هذه الأعمال سيجازي أصحابها بعد البعث الذي ينكره بعضهم. وإن كان بعض الجاهلين يشكون فيه، فلينظروا لآلاء الله- تعالى- الكثيرة؛ ليتأكدوا من قدرة الخالق على الإعادة، وبعث الناس. وفي المقطع الأخير تكتمل المقاطع، وذلك بعرض نتائج الاستعداد والأعمال. فمن آمن فله النعيم، ومن كفر وأنكر فسيتحقق عليه الوعيد.

سورة "التكوير"

السورة تتكون من تسع وعشرين آية، وانقسمت الآيات إلى أربعة مقاطع، لكل مقطع مشربه. جمع المشارب -جميعاً- مسرب واحد.

فالمقطع الأول (1-18) صور أحداثاً تقع قرب قيام الساعة، وبعد قيامها- أيضاً- مثل: تكوير الشمس، وانكدار النجوم، وحشر الوحوش، وتسجير البحار، ونشر الصحف، وتصدع السماء. وفي المقطع- أيضاً- تبيان لمظاهر القدرة الإلهية الباهرة، مثل: اقتراب الجنة من المؤمنين، وتسعير النار للمشركين، والوقوف للحساب بين يدي رب العالمين.

والمقطع الثاني في الآيات من (19-25)، فقد أكد شأن القرآن الكريم بالقسم في زمني الليل، والصبح. وأكد على حقيقة رسالة النبي الأمين محمد -صلى الله عليه وسلم- لدفع الفرية عنه.

أما المقطع الثالث (26-27)، ففيه تهديد، ووعيد لأهل الضلال من المشركين والمجرمين؛ لإنكارهم.

والمقطع الرابع (28-29)، حوى من التوجيهات والعبر لأهل الاستقامة، عليهم ينتفعون بها. وكأن الآيات رجعت إلى بداية السورة للتذكرة بها على أنها حاصلة -حتمًا وبلا ريب- وكل تلك المقاطع تتداخل، وتتوحد في مسرب الإيمان المطلق بالله- تعالى- صاحب القدرة، والجلال. والذي وحد جميع تلك المشارب هو القدرة المطلقة للرب- تعالى- على خلقه جميعا، من خلق للكون وما فيه، وإذهاب له بما يحتويه.

خامسا: "البناء اللولبي"

اللولب لغة: لوب: اللوب واللوب واللؤوب واللواب: العطش، وقيل: هو استدارة الحائم حول الماء... والحديد الملوب: الملوي، توصف به الدرع " (1).

البناء اللولبي اصطلاحا: تعتمد فيه الصورة الكلية على تداخل مجموعة من صور الموضوعات، بحيث يكون كل مقطع في السورة يشكل دورة متكاملة أو حلقة متواصلة، تصل إلى حد الاستقلال بذاتها، بيد أنها تظل مرتبطة ارتباطا موضوعيا ونفسيا بالحلقات الأخرى، وكلما أوشكت الحلقة على الانتهاء أعيدت إلى نقطة البداية في حلقة جديدة، فتبدو جميع الحلقات متشابكة تشبه شكلا لولبيا، أو حلزونيا (2). وهذا ما يقرر تكرارا، وترديدا للفظ، أو للمعنى، أو لهما معا بقصد الفائدة. والتكرار هو " تكرار كلمة أو عبارة في آخر الكلام؛ لتقريرها في النفس، كقوله تعالى: ﴿أُولَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ ثُمَّ أُولَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ﴾ (القيامة: 34-35) (3). " قال علماؤنا: فعلى هذه السنة جاء في كتاب الله -جل ثناؤه- من قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (4). وعند حديث صاحب العمدة عن التكرار، يقول: " ومن المعجز في هذا النوع قول الله -تعالى- في سورة الرحمن: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (الرحمن: تكررت 31 مرة). كلما عدد منه أو ذكر نعمة كرر هذا " (5). أما الترديد: " أن يكرر لفظا واحدة مرتين في البيت، تؤدي كل واحدة منها معنى " (6). البناء اللولبي تشكلت منه العديد من السور، وحضوره يضيف جمالا ورساقا على السور القرآنية. لقد تزينت به السور القرآنية، وقد منح هذا البناء السورة التي بنيت به قوة وسبكا، وذلك من خلال التكرار الحاصل فيها.

سور قرآنية ذات بناء لولبي: من السور التي بنيت بناء لولبيا:

سورة الشعراء، والصفات، والقمر، والرحمن، والمرسلات، وغيرها. وهذه بعض من أمثلة من سور القرآن الكريم التي جاء فيها البناء اللولبي، وهي للمثال لا للحصر:

(1) ابن منظور، لسان العرب، 1: 878.

(2) ينظر، غنيم، عناصر الإبداع الفني، 234.

(3) التونجي، المعجم المفصل في الأدب، ، 1: 278.

(4) سورة الرحمن: في أرجاء أخرى من السورة ذاتها.

(5) القيرواني، أبو علي الحسن بن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق: حمد عبد القادر عطا، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 2001م، 2: 26.

(6) التونجي، المعجم المفصل في الأدب، 1: 243.

سورة "الرحمن"

احتوت سورة الرحمن على "78 آية"، وهي من السور التي تحدثت عن العقيدة في كل آياتها. إن صورة تعداد آلاء الله ونعمه أخذت شكلا لولبيا في تلك السورة، وقد ظهرت فيها مجموعة من الحلقات أو المقاطع التي ربطت بينها الآية ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ والتي تتبنا من خلال عددها البالغ إحدى وثلاثين مرة عن عدد المقاطع، كل مقطع بدا وكأنه مستقل بذاته، بيد أنه متشابك مع المقاطع الأخرى. وسورة الرحمن نموذج للبناء اللولبي، حيث تتلويب آيات العقيدة من أول السورة حتى منتهاها، فالتحدي للإنس والجان بالترار الحاصل في معظم آيات السورة، عقب بيان كل نعمة من نعمه - سبحانه - التي يعددها ويفصلها، ويجعل الكون كله معرضا لها، وليس ذلك فحسب بل تمتد السورة نحو ساحة الآخرة كذلك، ورنه الإعلان تتجلى في بناء السورة كلها وفي إيقاع فواصلها (1).

فالآيات (1-4) تحدثت عن صفة الله "الرحمن" الذي خلق الإنسان، وعلمه وميزه بالبيان، ثم تلويبت الآيات، لتبدأ بحلقة جديدة بقوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ وهي من (5-12) والتي أفصحت -أيضا- عن دلائل من القدرة الإلهية على خلق الكون، من شمس، وقمر، ونبات، وسماء، وأرض، وما احتوته من آيات، يستوحي المتدبر منها عظمة الخالق سبحانه. فإذا ما انتهت؛ تلويبت من جديد حلقة أخرى بقوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ من الآية (14-15)، حيث خلق الجنس الإنساني من طين يابس، والجان من لهيب من نار خالص. ثم بدأت حلقة جديدة من الآية (17)، وفيها الإفصاح عن ربوبية الله للمشرقين، والمغربيين. ثم لحقة أخرى بدأت من (19-20)، وفيها بيان القدرة الإلهية في إرسال البحرين العذب والملح، يتجاوران، وتتماس سطوحها، إلا أنه جعل بينهما حاجزا، بحيث لا يطغى أحدهما على الآخر فيمتزجان. ودل ذلك على قدرة الله تعالى.

ثم من (22-24) تلويبت حلقة جديدة، تظهر النعم التي يمد الله -تعالى- الخلق بها، من اللؤلؤ والمرجان. ومن النعم، أنه يبسر السفن المصنوعات بأيديكم، الجاريات في البحر. ومن الآيات (26-27) تبدأ اللولبية بقوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ (الرحمن: 26-27) " فإنه - تعالى - عزى جميع المخلوقات من الإنس، والجن، والملائكة، وسائر أصناف ما هو قابل للحياة. وتمدح بالبقاء بعد فناء الموجودات في عشر لفظات، مع وصف ذاته بالإفراد، وبالبقاء، وبالجلال، والإكرام سبحانه وتعالى" (2).

(1) ينظر، قطب، في ظلال القرآن، 6: 3445.

(2) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، 3: 236.

كل الخلق زائلون، ولن تستمر نعمة الحياة، وهكذا تستمر السورة في عرض النعم، كلما استكمل حلقة في نعمة-سواء من نعم الدنيا أو الآخرة- جاءت حلقة أخرى بنعمة خلفها أخرى؛ لتشكل من مجموع تلك الحلقات فكرة واحدة، تتمثل فيما ذكره الباحث في أول الحديث عن السورة. إنها نهايات موضوعية لكل حلقة، ونهايات الفرح النفسي، بذلك النعيم الذي ينعم الإنسان به، وحق لها أن تسمى عروس القرآن.

سورة "المرسلات"

احتوت السورة على 50 آية، وهي من السور التي تلوب فيها البناء. وسورة "المرسلات" التي تحدثت آياتها عن البعث، والقيامة. وعرض الأدلة على وقوعهما، وتهديد من يكذب بهما. والتكرير اللولبي دار من خلال صور التهديد، والوعيد، والويل. فقد ذكرت السورة تلك الصورة مكررة عشر مرات، قال تعالى: ﴿وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ (المرسلات: 19-24-28-34-37-40-45-47-49)، وفيها تخويف بالذلة والعذاب. وكلما انتهت حلقة، بدأت أخرى بذلك الويل. فالآيات من (1-7)، أقسم الله - تعالى - بالآيات التي أرسلها مع جبريل - عليه السلام - إلى محمد - صلى الله عليه وسلم - وهي معروفة، والتي عصفت بمعرفتها الأديان الباطلة ونسفتها. فالفارق بين الحق والباطل فرقاً واضحاً، فالمليقات على الناس تذكرة تنفعهم - إعدارا لهم وإنذاراً - فلا تكون لهم حجة. وإن ما توعدون به لآت، ونازل بلا ريب. وانتهت الحلقة بتأكيد الوعيد على وقوع يوم القيامة. ذلك الوعيد الرادع للنفس، بعد عرض موضوعي لعلاقة السماء بالأرض.

وبدأت الحلقة الثانية من حيث انتهت الأولى. لتؤكد على حدوث هذا اليوم الذي له مقدمات، وبدأت الآيات من (8-11) لتذكر أحوال بدء القيامة، وانتهاء الكون. فالنجوم طمست، والسماء شقت، والجبال فتتت، والرياح نسفت، والرسول جاء وقت شهادتهم على العباد. ثم الآيات (12-15) لأي يوم أخرت هذه المشاهد العظيمة. فالرسول نزلت إليهم للشهادة عليهم؛ ليكون يوم الفصل إفزاعاً، وتخويفاً للمكذبين.

ثم تسترجع الآيات من (16-19) حلقة سابقة تذكرة لنفوسهم، ألم نهلك الأولين من الأمم السابقة المكذبة. ثم نتبع الأولين الآخرين في الهلاك مثل ذلك الفعل بكل من أجرم وكفر بالله. وإن مشاهد المكذبين السابقين من الأمم قبل أمئك يا محمد معلومة، والهلاك سيكون على الدوام مصيراً للمكذبين.

وتسترجع حلقة أخرى لا تغيب إلا على القلوب الغلف، وبدأت من الآيات (20-24)، إنها صورة خلقهم الأول، ألم يكن خلقهم من ماء حقيق من نطفة، ثم من ماء، ثم كان الخلق، فالتكوين، والتصوير. كل ذلك مقدر ومؤقت، وجاء الويل للمكذبين بيوم القيامة، وبنعم الخلق والتقدير.

إنها حلقة تنضم لسابقاتها؛ لتحقيق العظة البالغة للنفوس والعقول. فالآيات من (25-28) صور الله - تعالى - فيها الأرض، وهي تجمع على ظهرها أحياء لا يعدون، وتضم في بطنها أمواتا لا

يحصون. وصورة الجبال الشامخات الثابتات، والماء الحي السائغ الشراب. ثم أنهى الحلقة بوعيد الويل للمكذبين بنعم الحس، والإدراك لقدرة الله -تعالى- يوم القيامة. ويبدأ التصعيد في التهديد في حلقة جديدة، تبدأ من الآيات (29-50) ففيها تقرر هلاك المكذبين بيوم القيامة - حتماً - هلاكاً لا مفر منه. وفيها بيان هلاك المكذبين بيوم القيامة، الذي هو يوم فصل بين الحق والباطل بوعيد الله -تعالى- وفيها بيان هلاك المكذبين بيوم القيامة. وفيها بيان هلاك المكذبين يوم القيامة للمفارقة بينهم وبين المحسنين، كما أن الويل والهلاك لهم؛ لإجرامهم وتكبرهم، وعدم استجابتهم للإيمان والهداية. وهكذا كلما تكونت في السورة حلقة اكتمل معناها، بدأت الأخرى من حيث انتهت سابقتها، وربطت بين كل الحلقات فكرة واحدة تمثلت في صورة البعث والنشور، والقيامة، وإقامة الأدلة على وقوعها، وتخويف المكذبين بتأ. إنه الرابط الموضوعي النفسي الذي يجمع الحلقات بعضها ببعض.

سورة "الحديد"

تكونت السورة من تسع وعشرين آية، سارت الصورة فيها ضمن بناء لولبي، تحلوز في أرجاء السورة. الآيات (1-6) فقد بدأت السورة بالإخبار بأن الله سبحانه له ونزهه عما لا يليق به كل من في السماوات والأرض، وتبعها مقتضيات هذا التسييح من ملك السماوات والأرض مع الإحاطة بهما والتصرف فيهما. وفي حلقة أخرى من الآيات (7-11) أمرت بالإيمان بالله والإنفاق في سبيله. وبينت اختلاف درجات الإنفاق باختلاف دواعيه ومقتضياته.

وفي حلقة ثالثة من الآيات (12-16) عرضت صورة المؤمنين يوم القيامة، يسعى نورهم أمامهم ومن حولهم، وصورة المنافقين يلتمسون الانتظار من المؤمنين؛ ليقتبسوا من نورهم، وقد ضرب بينهم بسور له باب. وفي حلقة رابعة من الآيات (17-19) انتقلت السورة لتستحث المؤمنين إلى الخشوع لذكر الله، وما نزل من الحق، وتبصرهم بمنازل المصدقين والمصدقات عند ربهم، ومآل الكافرين المكذبين في الجحيم.

وفي حلقة خامسة من الآيات (19-26) ضربت الأمثال لهوان الدنيا وما حوته من متاع، وعظم الآخرة وما فيها من نعيم وعذاب. لو تطلب السبق إلى مغفرة الله.

وفي حلقة سادسة من الآية (27) انتقلت للحديث عن رسل الحق - عليهم السلام - ورسالاتهم الشريفة، والقيام بين الناس بالعدل.

ثم جاءت الحلقة الأخيرة (28-29) من السورة بدعوة المؤمنين إلى التقوى، ووعدهم ربهم - سبحانه - بمضاعفة الرحمة، والحظوة بالفضل الذي لا يقدر أحد على شيء منه إلا الله - سبحانه - فالفضل بيده تعالى وحده. وتشابكت الحلقات جمعها؛ لتؤكد فكرة أساسية، هي انتظام علاقة الإنسان بربه تعالى.

سادسا: تعدد البناءات

كثير من السور القرآنية بنيت بأكثر من نوع من البناءات، وما كان ذلك إلا لمنح النص حيوية، وقدرة على الاستمرار، وجذبا للمتلقين، وإعجازا يضاف إلى أنواع الإعجاز الأخرى. فمن ذا الذي يحسن تأليفه؛ فيجمع بناءات عدة بكامل صورها، وبأحسن حللها. فإذا نظر المدقق والناقد إليها، وجدها قد جمعت كل محاسن الكمال، فلم يقع ذوقه أو علمه على شيء منه انتقادا، بل يكتشف فيه جمالا كلما زاد علمه فيه، إنه القرآن وحسب. فإذا ما تأمله الناقد البارِع إلا وقف على كل شيء فيه بآية أو آيات من الجمال. بيد أن الباحث يود التنبيه أنها باحتوائها مجموعة من البناءات فإنها- البناءات- تسهم في إثراء النص، وتعطيه قوة فوق قوته، وتمنحه الإشراق، والصلاحية لكل زمان. كما تكسبه الصفات والخصائص التي تجعل من القارئ مقبلا بكليته، تتأثر به نفسه، وتبعث إليه السكينة، والطمأنينة؛ لتسكن في لباب قلبه. وهذه البناءات تتعدد في معظم سور القرآن، ويعرض البحث أمثلة لها:

سور قرآنية ذات بناءات متعددة

سورة "البقرة"

إنها السورة الأطول في القرآن الكريم، بلغت آياتها 286 آية، وقد تعددت فيها البناءات على النحو التالي:

البناء القصصي:

فقد شهدت السورة عشرة من القصص، منها: قصة الخلق والملائكة. وأدم وإبليس، وقصة بني إسرائيل وموسى -عليه السلام- وقصة طالوت وجالوت، وقصة سليمان، وقصة هاروت وماروت، وقصة إبراهيم -عليه السلام- وقصص أخرى. وقد سبق ذكره تفاصيله.

البناء المقطعي:

تتكون سورة البقرة من ثلاثة عشر مقطعا، تمكن الباحث من تقسيمها بعد الرجوع إلى كتاب الأساس في التفسير كمنطلق، فكانت حسب الآتي(1).

(1) سورة البقرة: المقطع الأول من الآية (21-29)، والمقطع الثاني من (30-39)، والمقطع الثالث من (40-46)، والمقطع الرابع من (47-74)، والمقطع الخامس من (75-123)، والمقطع السادس من (124-141)، والمقطع السابع من (142-152)، والمقطع الثامن من (153-167)، والمقطع التاسع من (168-177)، والمقطع العاشر من (178-182)، والمقطع الحادي عشر من (183-207)، والمقطع الثاني عشر من (208-253)، والمقطع الثالث عشر من (254-284)، ومقطع الخاتمة من (285-286).

البناء الدائري:

دارت فيها موضوعات شتى، منها ما كان في الفكر والمعتقد، كتوحيد الله في أسمائه وصفاته، وإلهيته وربوبيته، والإيمان بالغيبات من حياة بعد الموت، وجنة ونار، وتبيان ما قام به بعض الرسل من تكاليف الدعوة، والمنافحة عن الملائكة المقربين.

ومنها ما كان في التشريع من أحكام الحلال كأحكام الزواج والطلاق والدين، والحرام كأحكام الخمر والميسر، ومن مباحات كالأطعمة، وغير ذلك. ودارت الموضوعات التي ابتدأت بتا السورة في جميع مرافقها من البداية للوسط حتى انتهت بتا.

فقد ابتدأت بتمجيد القرآن وبيان أنه كتاب هداية أنزل للناس من أجل الإيمان بما فيه، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة: 2)، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ (البقرة: 3).

واختتمت السورة استكمالاً للحديث عن ذات الموضوع الذي ابتدأت به، قال تعالى: ﴿أَمِنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ (البقرة: 285) كما أن تلك المعاني التفتت في ثنايا السورة، فذكرت كتاب التوراة المنزل على موسى - عليه السلام - والذي فيه تصديق للرسالة المحمدية فخاطب بني إسرائيل، قال تعالى: ﴿أَمِنُوا بِمَا أُنزِلَتْ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ﴾ (البقرة: 91).

ولا يلزم في البناء الدائري تكرار البداية والنهاية داخل النص. لكن يذكر هنا للتأكيد على الوحدة العضوية التي وحدت السورة. وذلك يبدو في الاهتمام بالكتب السماوية، والأمر بتلاوتها، والعمل بما فيها؛ لأنها تتضمن مصالح الإنسان في الدنيا، والآخرة. كما دارت موضوعات أخرى في السورة. فقد حذرت السورة من التلاعب والتحريف والجهل بالكتاب، قال تعالى: ﴿قَوْلٍ لِّلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ (البقرة: 79) ورد على المرجفين ممن شكك به، قال تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾ (البقرة: 106)، ودم اليهود على لسان النصراني رغم معرفتهم بالكتاب وتلاوتهم له، قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْنَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ (البقرة: 113) ومدح التالين والحافظين له، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ (البقرة: 121).

كما أشارت بعض الآيات إلى أن الكتب السماوية السابقة للقرآن تفاعلت مع رسالة محمد - صلى الله عليه وسلم - وذكرت فيها ما سيكون من أمر نبوته ورسالته، وبينت أن وظيفة من وظائف النبي أن يقوم بتلاوته للناس، قال تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ﴾ (البقرة: 151).

كما أعربت عن وجوب تناقله بين الناس، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أُنزِلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ (البقرة: 159).

وأعدت السورة تمجيده، ووصفته بالحق، وبينت أن المختلفين فيه لفي شقاق، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ (البقرة: 176). وكان من جملة ما بدأت به السورة أيضا الإيمان بالغيب، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ (البقرة: 3) وبه انتهت عندما عرضته مفصلا، قال تعالى: ﴿كُلُّ آمَنٍ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ (البقرة: 285).

كما كان في استهلاله السورة ذكر لإقامة الصلاة وإنفاق الزكاة، قال تعالى: ﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ (البقرة: 3)، وهذا ما ختمت به السورة أيضا، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ (البقرة: 274) لقد دارت السورة حول هذه القضايا؛ لخدمة هدفها.

سورة "آل عمران"

احتوت هذه السورة على "200 آية"، وقد تعددت فيها البناءات الجمالية، وهذا بيانها:
البناء القصصي:

فقد ذكرت السورة قصصا متعددة بدأت بقصة آل عمران ومريم - عليها السلام - وقصة زكريا ويحيى ثم قصة إبراهيم - عليه السلام - وقصص ومواقف لأهل الكتاب، وقصص ومواقف لبعض غزوات الرسول محمد - صلى الله عليه وسلم - وهكذا.

البناء المقطعي:

وجاءت سورة "آل عمران" كسورة البقرة في بعض موضوعات مقاطعها، فقد تنوعت الموضوعات والقضايا التي عرضتها السورة، فقد عرضت أهمية القرآن الكريم ثم المقابلة بين فئتين - مؤمنة وكافرة - ثم بيان الإسلام أنه دين البشرية جمعاء، وعلى ذلك جاء إبراهيم الخليل - عليه السلام - ثم ذكرت تمجيد الله - تعالى - وهكذا تمتد المقاطع حتى انتهاء السورة.

البناء الدائري:

حيث تجولت السورة في حلقة من المعاني بدأت بتمجيد الله - تعالى - ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ (آل عمران: 1)، والإفصاح عن نزول القرآن والكتب السماوية الأخرى ككتب هداية للناس، قال تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ (آل عمران: 3)، كما ابتدأت بتصرع المؤمنين لربهم، وتوجههم إليه بالدعاء، قال تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً﴾ (آل عمران: 8)، وهكذا كانت النهاية بتمجيد الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (آل عمران: 8)، والإفصاح عن نزول القرآن والكتب

السماوية هداية للبشرية ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ﴾ (آل عمران: 109)، كما انتهت بتضرع المؤمنين لربهم، وتوجههم إليه بالدعاء.

جوامع الكلم:

كل الأشياء يعلمها الله - تعالى- سرا كانت أم جهرا، ولق أن تتصور كثرة هذه الخفايا بأنواعها، وحملتها، وكل ما تعلق بها، قد لخص الله- تعالى- ذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ﴾ (آل عمران: 5)، وقال تعالى: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ (آل عمران: 7)، إن دلالة كلمة الراسخين جامعة للعلوم، شاملة مجامع المعارف، لخصت في مضمونها كل المعاني التي يمكن أن يحملها فرائد أهل العلم. أو تصور ما تحمله كلمة الزيغ من الدلالات والمعاني. إنها تحمل كل ما دل على انحراف صغيرا كان أم جليلا، لذلك كان دعاء جامعا مانعا، قال تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تَزِغْ قُلُوبَنَا﴾ (آل عمران: 8)، كما يمكن إطلاق العنان للعقل أن يراقب كلمة العذاب التي حملت في طياتها أنواعا وأنواعا، جلت ودقت، أم عظمت وضخمت، قال تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (آل عمران: 21)، وكذلك كلمة الأذى، فهناك أذى القول، وأذى الفعل، وأذى البصر والسمع والذوق... الخ، جمعه قوله تعالى: ﴿لَنْ يَضُرَّكُمْ إِلَّا أَذَى﴾ (آل عمران: 111)، ومثل هذا كثير في القرآن.

سورة "المائدة"

سورة المائدة تتألف من 120 آية، وفيها ثلاثة أقسام، وخاتمة. تعددت البناءات الجمالية فيها على هذا النحو:

البناء القصصي:

احتوت على مجموعة من القصص منها: " قصة ابني آدم " و " قصة موسى، وقصة عيسى - عليهما السلام- أي كانت نسبة القصص فيها ما يقرب من الثلث.

البناء المقطعي:

تتكون السورة من سبعة مقاطع (1).

وقد " بدأت السورة بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ (المائدة: 1)، وقبل نهاية المقطع بأربع آيات جاء قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَ بِتِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ (المائدة: 7)، مما يؤكد تعانق الصلات بين بداية المقطع ونهايته... حيث يبدأ

(1) المقاطع على النحو التالي: المقطع الأول من الآية (1-11)، والمقطع الثاني من (12-34)، والمقطع الثالث من (35-40)، والمقطع الرابع من (41-50)، والمقطع الخامس من (51-66)، والمقطع السادس من (67-86)، والمقطع السابع من (87-108)، والخاتمة من (109-120).

المقطع بالأمر بالوفاء بالعقود، ثم يعرض علينا صفحة من الحلال والحرام، ما يحل وما يحرم، وذلك جزء من عقود الله -تعالى- معنا، ثم يأتي كلام الوضوء والغسل للصلاة، وهذا من أهم العهود المأخوذة علينا(1).

جوامع الكلم:

لقد ابتدأت السورة بجوامع الكلم، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةٌ الْأَنْعَامِ﴾ (المائدة: 1) فقد جاء لفظ الحل بعد العقود؛ فدل لفظ العقود غير المخصص على اشتماله أنواعا لا حصر لها من العقود، كما تشير كلمة الوفاء بقيم السلوك الأخلاقي عند المسلم، وبهذا تكون الآية جمعت بين المعاملات من حلال، وحرام، والسلوك الذي ينبغي إزاءها. وجاء قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ (المائدة: 2)، من جوامع الكلم. حيث كانت جامعة، وشاملة لأنواع المعاملات الحسنة، صغرت أم عظمت. وكذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ (المائدة: 2)، فإنها جمعت أنواع الشر كله.

(1) حوى، الأساس في التفسير، 3: 1302.

الفصل الرابع الموسيقى القرآنية

الغناء والإيقاع والموسيقى

يحاول البحث في هذا الفصل، أن يبين المقصود من الغناء، والإيقاع، والموسيقى في اللغة والاصطلاح، دونما استطراد، ويظهر ما بينهما من تقارب أو تشابه، وذلك كتمهيد لما هو بصد من توضيح. وتبيان ما في النص القرآني من جماليات موسيقية. تلك الموسيقى التي لها آثار وآثار في نفوس قراء القرآن، التي تعي معانيه ودلالاته، والأثر أكد وأبلغ في نفوس أهل البلاغة والفصاحة، أو المهتمين به من أصحاب الذوق والحس الأدبي. إن الفصل يتناول أهم الظواهر التي تتبع الموسيقى عنها، ويفيض الإيقاع منها، ثم يعرض مصادر الموسيقى، والإيقاع، والأثر الذي يبدو منها.

وقد قام البحث أيضا على فنون بلاغية من علم البديع، مع ذكر أكثر من موضوع في علم المعاني دونما استطراد، وكذلك علم الأصوات العربية، كل ذلك لما له من ارتباط وثيق بموضوع البحث ودرسه.

إن المفازة الحقيقية التي تحققت للقرآن على غيره من كل فنون الأدب بجملة آثارها الظاهرة والباطن، إنما نبعت من نظمه المتألق الفريد، وتأليف كلماته الواحدة تلو الأخرى، في أعجب ما سمعته الأذان، وتجلي بجماله الوجدان، فتولدت جراء ذلك أسمى المعاني والدلالات، أقواها وأجزلها، أجودها وأسبكها، أعمقها وأغزرها، أفصحها وأبلغها. وكذلك تجولت بين كلماته بهذا النظم أندى الإيقاعات الموسيقية وأحسنها، وأجملها وأعذبها، وألطفها وأخفها. فكانت الآيات والسور. التي قد فاقت أوزان أشعار العرب وأسجاعهم، وتوشیحات الأندلس، فحارت العقول في مجاراته، وعجزت عن مضارعة سوره وآياته. فأثر بالغ الأثر في الأفهام معناه، وفي الوجدان معناه ومغزاه.

ففي البشارة للمؤمنين له فواقة الأسلوب، وفي تهديد المشركين الضالين إرعاب للقلوب، وفي الهجاء البرء من دنو اللفظ ونبوه، وفي المدح والتمجيد الذي لا فواق عليه.

في هذا البحث تتجلى مظاهر الموسيقى من مصادرها، التي لا تخلو من آياته آية إلا ولها حلية منها، قد اکتنزت من الموسيقى جمالها، سواء في أصوات الحركات أو الحروف أو الكلمات أو الجمل، كلها تواءمت وتناسقت وتوازنت في أعظم نظم للمعاني وأتم تأليف لها.

أولاً: الغناء

تعريف الغناء:

الغناء لغة: قال صاحب اللسان: " الغناء من الصوت، ما طرب به؛ قال حميد بن ثور:

عجبت لها أنى يكون غناؤها فصيحاً، ولم تفغر بمنطقها فما

وقد غنى بالشعر وتغنى به... والأغنية والجمع الأغاني... قال ابن سيده: وعندني أن الغزل والمدح

والهجاء إنما يقال في كل واحد منها غنيت وتغنيت بعد أن يلحن فيغنى به " (1).

اصطلاحاً: " صنعة في أداء الألحان المقرونة بالكلمات العذبة الموزونة " (2).

ويرى الباحث أن الغناء: انتظام الأصوات في زمن معين ومسافات متوازنة.

ولعل هذا الانتظام في علاقات أصوات الألفاظ هو مقصد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من

حرصه على التغني بالقرآن في مثل ما رواه عنه أبو هريرة -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله

عليه وسلم- قال: (ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به) (3).

" قال ابن كثير (ت 774هـ) - رحمه الله -: " والمراد من تحسين الصوت بالقرآن: تطريبه وتحزينه،

ولتخشع به " (4). وقوله صلى الله عليه وسلم: (ليس منا من لم يتغن بالقرآن)، ليس المقصود في

هذا المقام التأصيل الشرعي لحكم الغناء وإنما لماهيته. أما المقصود به في حديث رسول الله -

صلى الله عليه وسلم- السابق هو أن رسول الله حث المؤمنين على تحسين قراءة القرآن، بل جعل

تحسينها وتجويدها واجباً. وذكر صاحب اللسان عن الشافعي قوله في التغني المقصود من

الحديث: " معناه تحسين القراءة وترقيقها " (5). وساق العلماء الأدلة الكثيرة على ذلك، وليس هذا

مقام عرضها كلها، فيمكن للقارئ الرجوع لها في مظانها، لكن سيكتفي البحث بأقطعها دلالة، هو

قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَرَتَّلْ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ (المزمل: 4)، فقوله: "رتل" فعل أمر، والأمر عند أهل

الدين حكمه الوجوب. أي يجب ترتيله وتحسينه. هذا وقد عرف علماء القراءات التجويد بأنه: " علم

يبحث في ألفاظ القرآن الكريم من حيث إخراج كل حرف من مخرجه، وإعطاؤه حقه ومستحقه من

الصفات " (6). فإن الذي قصدوه من التحسين والتجويد للقراءة شيء يتعلق بالألفاظ، تغنى وتنغم

بالاستعانة بصفات الأصوات، وكذلك من خلال المدود وأنواعها، وأحكام أخرى. واعتبر علماء

القراءات أن القيام بذلك واجب، وأظهروا الحكم من الأدلة التي عرض البحث واحدا منها أنفا من

(1) ابن منظور، لسان العرب، 15: 161.

(2) التونجي، المعجم المفصل في الأدب، 2: 673.

(3) البخاري، صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب من لم يتغن بالقرآن.

(4) بازمول، الحقيقة الشرعية في تفسير القرآن الكريم العظيم والسنة النبوية، 66.

(5) ابن منظور، لسان العرب، 15: 157.

(6) الجمل؛ عبد الرحمن، المغنى في علم التجويد، ط3، غزة، مكتبة آفاق، 1999م، 45.

تواتر الأدلة التي لا يفهم كل واحد منها إلا ذلك التطريب الذي تستلذ الأذن بسماعه، ويفرح القلب برناته ونغماته، وتستطيب النفس إيقاعه وأجراسه. وما دام الأمر كذلك " فالرعيل " الأول من الفصحاء في صدر الإسلام ممن لم تخالط ألسنتهم شوائب امتزاج اللغات والحضارات، ولم تتمكن من أفواههم لهجات السوق من العبيد، ولا من غير الرعيل ممن استوت قريحته الفصيحة، وعربيته البديعة إلا أن يصدع بعذوبة منطق كلمات القرآن ونظمه، وما حواه من بيان، وأن يدلي الوليد باعترافه أمام القوم بقوله: " إن فيه لحلاوة، وإن عليه لطلاوة " ولم يستغرب من الجمع أحد من أن التغني فيه كائن حقاً؛ لأنهم جميعاً مدركون أن كلماته المنظومة مرصوفة، وموزونة بجرسها، ومرصوعة بصوتها، وتتناسب حركاتها، وقد سمعت ولها في القلب مكان لما علاها البيان. وإن الباحث غير زاعم، بل واثق بوقوعه في جميع آي القرآن.

إن اللفظ مع المعنى يمثلان دليلاً واضحاً على إعجاز القرآن الكريم، إذ إنه لما تبدل كلمة أو حرف أو حركة في سياق منه، فإن خليلين جسيمين يلحقان ذلك. الأول في المعنى والدلالة، والثاني في النغم والإيقاع. وليس ذلك بدعا من قول الباحث بيد أنه مما تجارى على ذكره الأوائل ممن كتبوا في إعجازه وتبعهم اللواحق. وإن تذوق المتلقي بسماعه حياة لقلبه؛ لأنه يدرك من خلف معانيه وألفاظه، سماقة نظمه، وعلو رتبته بينه وبين كلام البشر، وذلك لأنه كلام الله -تعالى- إذ يقع في النفوس موقع التأثير، وفي الأذان موضع التنغيم، بل إن نظمته على سياقه يشهد بنفسه أنه كلام لا كالكلام، وإن كان من نفس الحروف والكلمات. فضلا عن أن هذا التراص والتأليف حمله معنى له أسمى الدلالات وأفواها، فكان لشرف هذا وذاك الإعجاز والتحدي.

إن ألفاظ القرآن غزيرة الدلالات حقاً، ومفعمة بالصور البلاغية بلا منازع، ولكنها مع هذا وذاك تؤدي معان صوتية مغناة، لها إيقاعها المؤثر، فهو أبلغ تأثيراً من آلات العزف والموسيقى، إذ تتجلى العاطفة حسب الموقف وجو النص من خلال النغم والموسيقى المنبعثة من ألفاظه، ثم تنتقل لأحاسيسنا، ومشاعرنا، وأرواحنا، مع تلك المعاني والصور فيكون لها أثر أجدى وأبلغ.

ثانياً: الإيقاع

لغة: الإيقاع " يقال وقع الشيء موقعه. وموقعة الطائر بفتح القاف: الموضع الذي يقع عليه... وميقة البازي: الموضع الذي يألفه فيقع عليه... والوقع بالتسكين: المكان من الجبل... ووقع الشيء وقوعاً: سقط، وأوقعه غيره " (1). **والوقع:** ككتف، وسرعة الانطلاق والذهاب... الواقعة بالحرب: صدمة بعد صدمة (2).

(1) العلابي؛ عبد الله، الصحاح في اللغة والعلوم تجديد صحاح العلامة الجوهري، د ط، بيروت، دار الحضارة العربية، 2: 707.

(2) الفيروزآبادي؛ القاموس المحيط، 998.

الإيقاع اصطلاحاً: " اتفاق الأصوات وتوقيعها في الغناء أو إيقاع ألحان الغناء " (1). ولا يختلف هذا التعريف للإيقاع مع ما ذكره د. عبد الخالق العف، فقال عنه: " تنظيم لأصوات اللغة في أزمنة محددة، وتوظيف لقيم هذه الأصوات وخصائصها النوعية " (2) أما **التونجي فيقول:** هو تواتر الحركة النغمية، وتكرار الوقوع المطرد للنبرة في الإلقاء، وتدفق الكلام المنظوم والمنثور عن طريق تآلف مختصر العناصر الموسيقية... يزيده تساوق الحروف الموسيقية والصفيرية وحروف العلة بنسق رتيب... ويقع في النثر عن طريق السجع وتوازن التراكيب وتنوع الحركات والتتويج المنتظم للجمل الطويلة " (3). وهكذا يتحد المعنى اللغوي والاصطلاحي في معنى الإيقاع إنه إيقاع اللحن والغناء، بأن تقع الألحان في النفوس، ويظهر الإيقاع من خلال العديد من المصادر. وألف الخليل -رحمه الله- كتاباً في ذلك المعنى أسماه كتاب الإيقاع (4). وذلك في الأصوات المتناسقة المنسجمة.

ثالثاً: الموسيقى

الموسيقى: " لفظ يوناني يطلق على فنون العزف على آلات الطرب... وعلم الموسيقى علم يبحث فيه عن أصول النغم من حيث تأتلف أو تتنافر، وأحوال الأزمنة المتخللة بينها؛ ليعلم كيف يؤلف اللحن " (5).

الموسيقى اصطلاحاً: " الإيقاع في النص الأدبي الناتج عن اختيار الحروف، وتآلف العبارات، وأنغام الأوزان والقوافي وحروف الروي " (6)، أو " ترتيب معين للأصوات " (7). ومع ذلك فإن العرب عرفوا الموسيقى قديماً. وتعني عندهم التطريب والتغيم، ولا أدل على ذلك من هذه الأشعار التي كان لها عندهم موازين خاصة، عرفت فيما بعد بعلم العروض، الأمر الذي كان للخليل السبق في إثباته بعلم له قواعده وضوابطه من بحور الشعر، ولا يريد البحث الاستطراد فيما هو معلوم. وعود إلى الموسيقى، فإن العربي الجاهلي كان عنده من أدوات الحس السمع، الذي ساعده على نظم الشعر وتدوقه، ولذا كان أغلب نثره متوازناً لا موزوناً. وإن الأدب الجاهلي قد نما وازدهر " ولم

(1) عبد العزيز؛ أمير، إجاز القرآن، ط1، فلسطين، نابلس، جامعة النجاح الوطنية، 2007م، 98.

(2) العف؛ عبد الخالق، التشكيل الجمالي في الشعر الفلسطيني المعاصر، ط1، غزة، مطبوعات وزارة الثقافة، 2000م، 241.

(3) التونجي، المعجم المفصل في الأدب، 1: 149.

(4) ينظر، ابن منظور، لسان العرب، 8: 485.

(5) العلابلي، الصحاح في اللغة والعلوم، 2: 520.

(6) التونجي، المعجم المفصل في الأدب، 2: 837.

(7) طه؛ المتوكل، دراسة في قصيدة الثلاثاء الحمراء لإبراهيم طوقان، الزاوية: مجلة فصلية ثقافية، رام الله، مديرية الشؤون الثقافية، 2002م، 76.

يكن للشعر خلال هذه القرون إلا الصورة الصوتية تترد على الأسماع فتكسبها المران وعادة التمييز بين الكلام المشتمل على الإيقاع والنغم... ولا شك أن كلا من الشعر والخطابة، كلام قصد به أولاً وقبل كل شيء التأثير في العاطفة وسر هذا التأثير يمكن أن يكون عن طريق الجمال في المعنى أو عن طريق الإيقاع والنغم في اللفظ " (1). ويرى د. إبراهيم أنيس " أن ظاهرة الموسيقى في اللغة العربية تعزى في أغلب عناصرها إلى تلك الأمية حين كان الأدب فيها أدب الأذن لا أدب العين، وحين اعتمد القوم على مسامعهم في الحكم على النص اللغوي، فاكتمت تلك الأذان مع المران التمييز بين الفروق الصوتية الدقيقة، وأصبحت مرهفة تستريح إلى كلام لحسن وقعه أو إيقاعه، وتأبى آخر لنبوه أو صعوبته؛ لأنه كما يعبر أهل الموسيقى نشاز " (2). " وبما أن الكلمات تتكون من أصوات، فإنها تحمل في داخلها ترتيباً معيناً " (3). ترتيباً يؤثر في النفس، تتملأه وتتذوقه. وبهذا يتأكد أن الجمال والتأثير يكون من المعنى والإيقاع. ويؤكد- الباحث- على أن الجمال يتحقق بلوغه في النفس مبلغاً عظيماً، خاصة مع اتباع اللفظ للمعنى والتضام بينهما.

خلاصة تعريف الغناء والإيقاع والموسيقى

إنه فيما ظهر للباحث أنه لا مشاحة في الاصطلاح، فإن الغناء والإيقاع والموسيقى بمعنى واحد، فقد درجت تلك المصطلحات على ألسن الخالص من علماء العربية قاصدين ومظهرين أنها تحمل على ذلك الجرس والنغم الذي ينحدر من العديد من المصادر مثل التوازن والتجانس وأصوات النغم والصفير والمد وغير ذلك، كما ستظهر في هذا الفصل، لما لها من سهولة على اللسان، وخفة، وذلاقة، وفي إطالة أصوات الحركات من التموج، الذي تتسارع الأذان إلى استغابها وتلقيها أحسن القبول. ولا غرو ولا عجب إذا كان التغني في القرآن مطلوباً، فقد استتبطته موازين الجمل والكلمات مع عدم حاجته إلى آلات العزف والطرب إذ إنه-القرآن- لمستكف بحليه عنها- آلات العزف والتطريب-من خلال النظم المحكم لفظاً ومعنى. وأصبح لا عبرة من اختلاف المسمى بين المصطلحات الثلاثة، فإن لها مدلولاً واحداً وهو التطريب، وينبع التطريب باتفاق من التوازن، والوزن، والانسجام، والتناسق بين الحركات والحروف، والكلم، والجمل، وترتيب الألفاظ بمسافات متساوية ومختلفة من الزمن في نطق الأصوات. فضلاً عن أن الغناء كان لفظاً رائجاً عند العرب بمعنى التطريب والتلحين، وكذلك الإيقاع تذوقه الأدباء من خلال جرس موازين الأشعار بالمعنى ذاته. أما الموسيقى- لفظة اليونان- فتقاربت معها في المعنى.

(1) أنيس، إبراهيم، دلالة الألفاظ، ط 3، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1976 م، 196 - 197.

(2) أنيس، دلالة الألفاظ، 195.

(3) طه، المتوكل، الزاوية، 76.

ذروة الموسيقى في القرآن

إن ثمة أمرين لتبلغ الموسيقى في الكلام ذروتها، وتفعل في النفس فعلها، وتحقق أثرها. الأول: طبيعة الكلمة النابعة من " صوت النفس، وهو الصوت الموسيقي الذي يكون من تأليف النغم بالحروف ومخارجها وحركاتها، ومواقع ذلك من تركيب الكلام ونظمه على طريقة متساوقة، وعلى نضد متساو، بحيث تكون الكلمة كأنها خطوة للمعنى في سبيله إلى النفس، إن وقف عندها هذا المعنى قطع به " (1).

الثاني: موقع الكلمة من الكلام، صرفياً، ودلالياً، وصوتياً، مع تركيب الحروف والكلمات بنسق، حتى يستجمع الكلام بها أسباب الاتصال بين الألفاظ ومعانيها، وبين هذه المعاني وصورها النفسية، فيجري في النفس مجرى الإرادة، ويذهب مذهب العاطفة، وينزل منزلة العلم الباعث على كليهما. إن الذروة في الإيقاع إنما تكون في النظم، وبمجموع الحروف، والكلمات، والحركات الدائرة في القرآن، سواء كانت متماثلة متحدة، أو منسجمة متوازنة، أو متقاربة متجانسة، على أن تكون متضامة مع تلك المعاني ذات الدلالات السخية، إذ إن لهما في القلب فعلاً، وفي النفس أثراً، وفي الإحساس اندهاشاً. وإن تلك الألفاظ المنغومة المنسوقة قادتها أجل المعاني، وأغزرها دلالة؛ ليزداد الإحساس بالإيقاع والمعاني إعجاباً، ولا تنتهي الأذن من سماع آية إلا وتتشوق لأخرى، بالمعاني التي بلغت غاية المراد، وبالوزن، والإيقاع، والنغم الذي زادها كمالاً وحسناً، وبهاءً، وجمالاً. فالتوازن والتماثل والتجانس والتكرار والتقديم والتأخير فنون من البديع، مع تلك الصور البيانية وجمل من المعاني السامية، يتبدى حينها الإيقاع والتأثير والجمال، ويتراءى لأهل الذوق الإعجاز والتحدي. " كأن النظم بخصائص التركيب المختلفة حشد من العازفين على آلات متباينة، همهم أن يشتركوا في صنع قطعة موسيقية توحى بموضوع محدد" (2). إذن حقيقة الأمر أن ذروة الإيقاع تتحقق بالنظم، من خلال التراكيب التي تتألف فيها الحروف والكلمات المفردة والجمل جنباً إلى جنب، الأمر الذي يجتمع فيه حلل النغم، مع جمال المعاني، فيتولد الكمال بعينه. " ولا تظهر الخاصة الموسيقية في الأصوات، والألفاظ، والحركات، والصيغ كما تظهر في التراكيب، ذلك؛ لأن عناصر الكلام إنما أهميتها في تراكيبه وعباراته، التي تؤدي عن المعاني والأفكار" (3).

(1) الرفاعي؛ مصطفى صادق، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ط8، بيروت، دار الكتاب العربي، د.ت، 221.

(2) رمضان؛ محي الدين، وجوه من الإعجاز الموسيقي في القرآن، ط1، عمان، دار الفرقان، 1982م، 43.

(3) رمضان، وجوه من الإعجاز الموسيقي في القرآن، 40.

الموسيقى في القرآن وأثرها على النفس

إن الإيقاع، والنغم، والموسيقى بحد ذاتها آية من آيات الجمال، ورائعة من روائع الحسن، وإطلالة مشرقة للنفس. فإن مخلوقات غير الإنسان ليست نسبة إدراك النغم والإيقاع منها ببعيدة. إذ كان الحذاء سبيل القدماء وما زال، لاستنهاض قوى الإبل، وهي -قطعاً- لا تعي ولا تفهم مدلولات الألفاظ والتراكيب، ولكن تحس نغم الألفاظ وترانيم الأصوات وتذكرها. وما زال الناس يشاهدون رقص الخيول، وهرولة الجمال عند سماعها النغم. أما الطرب في نفس الإنسان فيحصل للصغير والكبير. أما ترى الصغير يهدأ به عند بكائه، ويتراقص له في حال رقدته. وهو للكلمات المنغومة والموزونة أحفظ، واستجابته لها أسرع وأبلغ. فكيف لو اجتمع للكبير حسن النغم وجمال الإيقاع والموسيقى، مع جمال دلالة الألفاظ وإيحائها المؤثرة العميقة، فإن آثارها تكون في عمق النفس أبلغ، وإلى القلب أسرع، وفي العقل أدمغ. فالواحد يجد قمة اللذة عند الكلام البليغ المجرس، فتتحرك النفس بسببه وتبتهج، ويمكن للعين أن تدمع معه لو كان النغم شجياً، والجسم يهتز تراقصا واستلذاذاً إذا كان يحمل معان ودلالات فرحة؛ ليعبر بكل ذلك عن فرحه وسعادته. ولذا يحدث اهتزازات في الجسم وإمالة حال الطرب التي تصحب -غالباً- قراء القرآن وقت قراءتهم له؛ لأن احتواء القرآن على أنواع من التطريب والتغني، لا يختلف بوجوده في القرآن أهل الذوق، ولا من أولع بقراءة سوره وآياته. كما " إن أحد وجوه إعجاز القرآن -كما هو معلوم- الوجه اللغوي البياني الذي له مقوماته الخاصة، ومنها -بلا شك- الجانب الإيقاعي أو الموسيقي الذي له دور إلهام في النصوص الأدبية عموماً وفي النص القرآني بوجه خاص، حيث الأساس لهذا النص هو تحريك النفوس وتغييرها. إن مما يساعد على تحقيق هذا الهدف بالتأكيد أن يملك هذا النص قدراً كافياً وفعالاً من هذا الجانب الإيقاعي المحرك للنفوس" (1). فإذا كان جمال بيان الشعر يتأتى من المعنى اللطيف، واللفظ الحلو العذب، والبيان التام، والوزن المعتدل، فلام الفهم، وكان أنفذ من نفث السحر، وأخفى ديبياً عن الرقى، وأشد إطراباً من الغناء، فسل السخائم -الأحقاد- وحلل العقد، وسخى الشحيح، وشجع الجبان، وكان كالخمر في لطف ديبية وإلهائه، وهزه وإثارته، وقد قال رسول الله ﷺ: (إن من البيان لسحراً) (2). فكيف لو اتفق كل ذلك في أي القرآن، مصحوباً بسبك النظم وحسن التأليف، فكان أبلغ ما يكون في النفس أثراً، وأعمق ما يجول في الوجدان سيراً، مع جرس يوافق المعنى، وإيقاع لا يخرج عن تحقيق الهدف والمقصد والمراد. فعندئذ حق لعقل الوليد أن ينبهر، ولأبدان القوم أن تقشعر. و" ليس إلا أن نقرأه حتى تحس من حروفه وأصواتها وحركاتها ومواقع كلماته، وطريقة نظمها ومداورتها للمعنى بأنه كلام يخرج من نفسك. وأعجب شيء في أمر هذا الحس الذي يتمثل

(1) خضر؛ سهام، الإعجاز اللغوي في فواتح السور، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 2008م، 306.

(2) ينظر، أبو علي؛ محمد بركات، مقدمة في دراسة البيان العربي، د ط، الأردن، دار الفكر، 1986م، 46.

مصادر الموسيقى وآثارها في النص القرآني

إن الحديث عن مصادر الموسيقى في آي القرآن وسوره هو مدار الحديث في هذا البحث، وسيتم التعرف على تلك المصادر المنتشرة في أنحاء سور القرآن وآياته، واستعراض ما رآه الباحث أنه مصدر من مصادر الموسيقى في النص القرآني. ولأجل أن تعمر في البحث الفائدة، خصص مبحث يتناول المصادر الموسيقية، ذلك لأن أنواع الموسيقى والإيقاع فيه تتعدد. ولعل سيد قطب - رحمه الله - أكد على تعدد أنواع الإيقاع الموسيقي في القرآن بقوله: " إن في القرآن إيقاعاً موسيقياً متعدد الأنواع، يتناسق مع الجو، ويؤدي وظيفة أساسية في البيان"(1). ولكنه لم يذكر عن تلك الأنواع شيئاً، سوى أنه حام حول الحمى.

المصدر الأول: الحركات والصوائت

إن جمال دلالات وموسيقية الحركات الطويلة والقصيرة، تبدو كصورة بديعة من صور التطريب وتقريب المعاني، فإنها تشد الذهن، وتهيج القريحة، وتؤثر في النفس كذلك. وإن " الصوت يخرج من الناي أملس مستطيلاً ما لم يضع الزامر أنامله على خروقه، وهذه هي حال جريان الصوت وامتداده مع حروف المد عند النطق بها. وكذلك إذا ضربت وتر العود "مرسلاً" سمعت له صوتاً غير محصور، كما يحدث في جريان صوت هذه الحروف. حيث لا يمنع استطالة هذا الصوت حصر أو ضغط...ولكن ينبغي أن نعلم أن هذا الذي نسبوه لهذه الحروف المدية "الحركات الطويلة" ينطبق برمته على الحركات القصيرة "الفتحة والضممة والكسرة"(2).

وإن من فوائد " الحركات التي تدخل في الصيغ ومباني الكلم؛ لتفرق بينها وتميز أجناسها. وتلك غاية في الدلالة... أنها تمد الكلام وتراكيبه بألوان من الأنساق الموسيقية المتناسبة، فيتألف الكلام أصواتاً، وألفاظاً، وصيغاً، وتراكيب. والحركات بعض الأصوات، فإذا هو مثل الماء الجاري في جداول وسواق لا يعوقه شيء. وأعذب بصوت الماء الجاري"(3). وإنك " لو تدبرت ألفاظ القرآن في نظمها، لرأيت حركاتها الصرفية واللغوية تجرى في الوضع والتراكيب مجرى الحروف أنفسها فيما هي له من أمر الفصاحة، فيهيئ بعضها لبعض، ويساند بعضها بعضاً، ولن تجدها إلا مؤتلفة مع أصوات الحروف، مساوقة لها في النظم الموسيقي. حتى إن الحركة ربما كانت ثقيلة في نفسها لسبب من أسباب الثقل أيها كان، فلا تعذب ولا تُساع، وربما كانت أوكس النصيبين في حظ الكلام من الحرف والحركة، فإذا هي استعملت في القرآن رأيت لها شأنًا عجيبيًا، ورأيت أصوات الأحرف والحركات التي قبلها قد امتهدت لها طريقاً في اللسان، واكتفتها بضروب من النغم الموسيقي، حتى

(1) قطب، سيد، التصوير الفني، 79.

(2) بشر؛ كمال، الأصوات العربية، القاهرة، مكتبة الشباب، 82.

(3) رمضان، جوه من الإعجاز الموسيقي في القرآن، 39.

إذا خرجت فيه كانت أعذب شيء وأرقه، وجاءت متمكنة في موضعها، وكانت لهذا الموضع أولى الحركات بالخفة والروعة " (1). وإن الصوائت في الفواصل القرآنية قد كثر دورانها، وفاض جمالها في مواضعها، يقول صاحب البرهان: " قد كثر في القرآن الكريم ختم كلمة المقطع من الفاصلة بحروف المد، واللين، وإلحاق النون، وحكمته التمكن من التطريب بذلك " (2). كما قال سيبويه: " إنهم إذا ترنموا يلحقون الألف والياء والنون؛ لأنهم أرادوا مد الصوت، ويتركون ذلك إذا لم يترنموا، وجاء في القرآن على أسهل موقف وأعذب مقطع " (3). وهناك سور انتشر فيها المد بأنواعه، خاصة المد العارض للسكون (4).

إن الحركات القصيرة "الفتحة، الضمة، الكسرة" وكذلك الحركات الطويلة "الألف المدية، الواو المدية، الياء المدية" قد بلغ انتشارهما في القرآن الكريم شأوا عظيما. وفي خضم تناول البحث للحركات تم العكوف على استبانة مقدارها -الحركات- في بعض السور، كنموذج لا يكون ما عداها من السور بعيدا في الحكم عنها. وقبل الخوض في ذلك، يمكن الإشارة إلى بعض اللمحات عن أهمية الحركات، وتأثيراتها الصوتية في التلغني. إن الحركات -لا سيما- الطويلة، هي أعلى الأصوات اللغوية وضوحاً في السمع، والتي لا تخلو منها آية - غالباً- من آيات القرآن إلا وقد جمعت حكما من أحكام المد إن لم تكن جمعت مجموعة منها في آية واحدة. والحركات تعتبر عاملا أساسيا في التناسق العجيب بين الكلمات، والانسجام بينها داخل السياق، ومع دلالات الألفاظ والتراكيب، والتوافق مع الحالة النفسية للمتلقين، أو المقصودين في الخطاب. وإنه " على مقدار ما يكون في الكلام البليغ من هذا الصوت، يكون فيه من روح البلاغة " (5)، وإذا كانت الفتحة الطويلة -الألف المدية- تعتبر أوسع حروف المد وألينها، والتي تعتبر أداة الموسيقى والغناء، فإن الفتحة القصيرة تأخذ حكمها وصفاتها. فقد اعتبرها العلماء من أبعاض الحروف، وما يتصف به الكل ينسحب على الجزء بداهة. وإن الهواء حال النطق بأصوات المد الثلاثة-الحركات الطويلة- " يمتد خلال مجراه ويستمر في الامتداد لا يقطعه شيء ولا يمنع استمراره أي عارض ولا ينتهي هذا الهواء إلا بانتهاء نطق الصوت نفسه " (6)، ولعل هذا هو الذي يجعل الإنسان متحكما

(1) الرافي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، 227.

(2) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 60.

(3) السيوطي، الإتقان، 3: 281.

(4) السور: الطوال، المثين، ومن القصار: المطففين، البروج، الفجر، التين، التكاثر، الفيل، قریش، الماعون، الناس.

(5) الرافي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، 221.

(6) بشر، الأصوات العربية، 80.

في ضبط النفس الذي تخرج معه أصوات متموجة أثناء خروج الهواء حال النطق به، والتي تحمل دلالة ما تتوافق مع دلالات الخطاب القرآني حتماً ودونما ريب.

مثال: قال تعالى في كلمة التوحيد: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ (غافر: 3)، فإنك تمد الحركة الطويلة- ألف المد- في كلمة " لا " مداً بالقصر أو التوسط أو الطول، ويسمى مد التعظيم، تعظيم الله-تعالى- وذلك لما نفت الآية عن سواه الألوهية، ناسب أن يمد الأصوات للصدع بإثباتها لله-تعالى- وبقصد المبالغة في نفي الإلوهية عن غير الله سبحانه وتعالى.

الحركات القصيرة

إنها الفتحة والضمّة والكسرة، أصوات حركات تنطق مع أصوات الحروف. وهي " على صغرهما وسذاجة شكلها إنما تفيد معان دالة، وتترك في الأذن صيغاً وأصوات مميزة، كأنما هي ترجيعات أصوات في نسق دقيق" (1). إن حركة الفتح هي الأكثر انتشاراً في القرآن الكريم، ذلك لأنها أسهل الحركات الثلاثة نطقاً، وأقربها إلى الجمال الحاصل من الوضوح السمعي، لذلك دورانها في القرآن كثير؛ لسهولة النطق بها، وجريانها على اللسان، ووضوحها في السمع، وجمالها وجرسها خاصة عند تواليها في الكلمة الواحدة (2).

وفي دراسة إحصاء سريعة للسور:

" الناس، والفلق، والإخلاص، والمسد، والنصر، والكافرون، والأعلى، والجن "

حيث تم اختيارها من آخر المصحف بالترتيب من الخلف، ثم انتقلنا لسورة الأعلى، فالجن. حيث يعتبرها الباحث للتمثيل لا الحصر، وقد تبين منها ما يلي:

- أن الفتحة القصيرة، هي الأكثر انتشاراً في جميع السور إجمالاً، فقد بلغ عددها: **663** مرة، بينما كان حضور الضم فيها " **151** مرة " وحضور الكسر " **169** مرة " . وإن حضور تضعيف الفتح، كان له النصيب الأكبر فبلغ عدده " **93** مرة " وتضعيف الضم " **14** مرة " بينما تضعيف الكسر " **27** مرة " . وهذا يعني أن الحركات على هذا النمط تساهم في سهولة النطق أولاً، وإحداث نسق في النص باجتماع هذا العدد من الحركات فيه؛ فيزداد بذلك جمالاً.

- أن تنوين الفتح كان له حضور " **43** مرة " وتنوين الضم " **10** مرات " بينما تنوين الكسر " **7** مرات " . والتنوين -بشكل عام- ينطق نونا. والنون حرف أغن جميل. فعندما يتكرر تتكرر الغنة فيه، ويتحقق بذلك الجمال الإيقاعي والموسيقي. فكيف يبدو الأمر مع تنوين الفتح الذي هو آية من آيات الجمال؛ لسهولة نطقه، وتكراره، وتناسقه.

(1) رمضان، وجوه من الإعجاز الموسيقي في القرآن، 39.

(2) ينظر، معظم سور القرآن، منها: سورة الأعلى، وسورة الفجر، وسورة الزلزلة، سورة الهمزة، وسورة الفيل، وسورة المسد.

الحركات الطويلة

قد أخذت الحركات الطويلة شكلين عند علماء التجويد، بينما ذكر علماء اللغة شكلا واحدا. **الشكل الأول:** وهو وقوع الحركات الطويلة-أصوات المد الثلاثة- الألف، والواو، والياء في الكلام دون النظر إلى أحكامها من حيث مد الحركات مدا زائدا.

الشكل الثاني: وتفرد بذكره علماء التجويد، وذكروا العديد من أنواع المد ذكروها في كتب القراءات، وسموها أحكام المدود، ومنها: المد اللين، ومد البدل، ومد التعظيم. هذا ويكثر دوران هذه المدود في القرآن الأمر الذي يؤكد أنها بحد ذاتها مصادر للموسيقى في كلماته، يتبدى فيها عالم من النغم. يمكن لبحث مستقل أن يتناولها؛ لاستظهار جمالاتها الإيقاعية الغناء. وقد بسط فيها القول في كتب القراءات دون ذكر آثارها الموسيقية بعمق. وقد أجرى الباحث إحصائية موجزة، في سور:

" **الناس، والفلق، والإخلاص، والمسد، والنصر، والكافرون، والأعلى، والجن** "

وتلك السور يمكن أن تعتبر مقياسا نسبيا لدوران الحركات الطويلة في القرآن. حيث وقعت الحركات الطويلة-أصوات المد-فيها " **289** مرة ". إن وجود مثل هذا الانتشار للحركات الطويلة، وحركة الفتح القصيرة والبالغ إجمالي مجموعهما " **1008** مرة " ليدل دلالة ظاهرة وجلية على تلك الموسيقية التي تمتد إشعاعات تأثيرها لما بعد الآذان، فتستملك الوجدان، فضلا عن مصادر أخرى تزيد السور إيقاعا وموسيقية. حيث إن الفتحة الطويلة " **ألف المد** " بلغ حضورها في السور السابقة ذاتها " **180** مرة " وهذا يدل على ذلك الجمال الذي تحققه الفتحة الطويلة، سواء جمال الدلالة، أو الجرس الموسيقي، كما ظهر في الأمثلة السابقة. وكذلك الضمة الطويلة " **واو المد** " التي بلغ حضورها " **31** مرة " بينما الكسرة الطويلة " **الياء المدية** " " **26** مرة " .

أنواع الحركات " المدود " وآثارها في القرآن الكريم

في هذا السياق سيكتفي البحث بذكر بعض أنواع المدود في الحركات الطويلة، وبيان بعض آثارها الدلالية والموسيقية؛ لأن إحصاء دورانها في القرآن يحتاج إلى بحث مستقل. وسيتم في اللاحق الربط بين المد ودلالته في بعض النماذج.

أولا: مد الصلة، وهو نوعان

الصلة الصغرى:

هي وقوع هاء الضمير المفرد الغائب مضمومة أو مكسورة بين متحركين، والمتحرك الثاني ليس همزة (1).

(1) ينظر، العقرباوي؛ زيدان محمود، المرشد في علم التجويد، ط1، عمان، دار الفرقان، 1992 م، 62.

المثال الأول: قال تعالى: ﴿فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً﴾ (الإنسان: 29) فيه كلمة " ربه " المنتهية بهاء، والتي وقعت بين متحركين، فمدت كسرة الهاء بحركتين، فنبع من هذا المد جمال صوتي. كما نبع من مد الهاء تحقيق للسير إلى الله - تعالى - فمد هاء ربه تشعراً بالسير قدما في هذا الطريق، وحركة المد تشعل حركة في المسير، فالمتلقي عندها كأنه شد وثاقه، وربط جأشه منطلقاً إلى "سبيل" ربه.

المثال الثاني: قال تعالى: ﴿إنه لتنزيل رب العالمين﴾ (الشعراء: 192) فالهاء هنا مدت تعظيماً لقدر القرآن، وكان المد قصيراً، بحركتين؛ ليتناسب ذلك مع عملية نزول القرآن الذي لا يستغرق سوى زمن قصير بقدره الله - تعالى - فدل قصر المد على القدرة الإلهية الخارقة التي أنزلت الآيات في أقل المدد، وأوجز الأوقات.

المثال الثالث: قال تعالى: ﴿ولما جاء أمرنا نجينا شعيباً والذين آمنوا معه برحمة منا﴾ (هود: 94) وقد مدته الهاء في كلمة " معه " لوقوعها بين متحركين، ومدتها يشعر بتلك المعية والصحبة والرفقة التي تتبع نبي الله من المؤمنين في النجاة، وتشعر أيضاً بالطمأنينة لديهم جميعاً، مع مؤانسة تتولد من نغم المد الذي يرافق الهاء.

المثال الرابع: قال تعالى: ﴿ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقاً من المؤمنين﴾ (سبأ: 20)، فهاء الصلة هنا في كلمة " ظنه " تعود على مفرد " إبليس " لتساهم في تأكيد حقارة هذا الظن، وعلى صغره، ووضاعته، لذلك جاء مد صلة صغرى، لا كبرى، ليتناسب معه. ومع ذلك تبعته وصدقت به بعض القلوب المعطوبة، والعقول المشوهة، والأنفس المريضة.

الصلة الكبرى:

هي وقوع هاء الضمير المفرد الغائب مضمومة أو مكسورة بين متحركين. عندها إذا ظهر حرف الهمزة في الكلمة التالية لها، يمكن مد الضمة واوا بمقدار حركتين، أو أربعاً، أو ست حركات. وكذلك في حال كسر الهاء، يمكن مد صوت الكسرة ياء بنفس المقدار (1). وينشأ من هذا المد جمال صوتي، وتحقيق لدلالة السياق.

المثال الأول: قال تعالى: ﴿وأنه أهلك عاداً الأولى﴾ (النجم: 50) وهنا وقعت الهاء في نهاية كلمة " أنه " وجاءت بين متحركين، والمتحرك الثاني - بعد الهاء - همزة، فمدت ضمة الهاء، إما حركتين، أو أربعاً، أو ستاً. وبذلك المد يتحقق الجمال الصوتي. أما تحقيق الدلالة، فإنه لما مدت ضمة الهاء دل ذلك على نوع من الترهيب النفسي، من إهلاك الله - تعالى - لمن كفر، وفيه إشعار للنفس بالزجر من الاقتراب من فعلهم. وفيه إشعار بأن العذاب الذي لحق بهم كان فتاكاً، واستغرق زمناً طويلاً بدت علاماته، ثم تلاحقت مظاهره، حتى أنزل عليهم، فأهلكهم، وأخذهم عن بكرة أبيهم.

(1) ينظر، العقرباوي، المرشد في علم التجويد، 63.

المثال الثاني: قال تعالى: ﴿قال لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله﴾ (يوسف: 36)، فمد هاء " ترزقانه " فيها دلالة على سعة الرزق، وانتشاره، وكثرة أنواعه. مع ما فيه من التطريب الجميل الممتع الذي يدخل إلى النفس فتشعر بقيمة هذه الأرزاق والنعم التي تأتيهما من المنعم المتفضل.

المثال الثالث: قال تعالى: ﴿وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعداً أو قائماً﴾ (يونس: 12). " فمد الصلة في قوله " لجنبه " يوحي بإلحاح الإنسان على ربه، وارتفاع صوته بالدعاء، ويشعر بفسحة الأمل الذي يرتجيه من ربه " (1)، كما وتدلل على طول قيام الإنسان بين يديه -سبحانه- دعاء ورجاء وطلباً وافتقاراً؛ ليخلصه من كرب ألم به، ومصيبة لحقته، وشر أصابه، وهو في هذا الوضع الذي يتعب الجسم فيه بقيامه لراض؛ لأنه ينشد الفرج من ربه.

المثال الرابع: قال تعالى: ﴿فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين﴾ (الطور: 34) وقع المد في هاء " مثله إن " فدل على تأكيد عدم قدرتهم على مجازاة القرآن، والإبلاغ أنه أعجزهم، وهم من نظمه بعيدون. ومهما كان لهم من شأن في الفصاحة والبلاغة وحسن المنطق الخطاب، وطول المعرفة باللغة، فذلك ليس كافياً ليقدرُوا على مضاهاته. وتبين في دراسة إحصائية سريعة لسور:

" الناس، والفلق، والإخلاص، والمسد، والنصر، والكافرون، والأعلى، والجن "

ملاحظات الدراسة:

- تم اختيارها -السور- من آخر المصحف بالترتيب من الخلف، ثم لسورة الأعلى، فالجن. حيث يعتبر الباحث تلك الأمثلة للتمثيل لا الحصر، فهي في القرآن كثيرة.
- أن هاء الصلة المضمومة الواقعة بين متحركين-التي لم تقع بعدها همزة- جاءت "12 مرة" بينما جاءت هاء الصلة المكسورة الواقعة بين متحركين-التي لم تقع بعدها همزة- جاءت "9 مرات".
- أن هاء الصلة المضمومة الواقعة بين متحركين-التي وقعت بعدها همزة- لم يكن لها حضور، بينما هاء الصلة المكسورة الواقعة بين متحركين-التي وقعت بعدها همزة- جاءت "مرتين".
- أما عن الموسيقى، ففي كل مد للصلة يمكن ترقب ذلك التنغيم المتولد من حركة المد الذي كلما طال فيها المد زاد الكلام جمالاً بموسيقيته، ونغمه، وجرسه.
- يزداد انسجام نغم المدود في النفس مع دلالات ومفهوم الخطاب القرآني من جهة. ومن جهة أخرى يمكن توقع تأكيد الإبلاغ للمراد من خلال النغم، كما تبين في الأمثلة السابقة.

(1) بني دومي، خالد قاسم، دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم، ط1، عمان، عالم الكتب الحديث، 2006م، 125.

ثانيا: المد المتصل

أن يأتي بعد حرف المد همزة في كلمة واحدة، مثل: السماء، قروء، سيئت. ويجب مده زيادة على المد الطبيعي باتفاق القراء، واختلفوا في مقدار هذه الزيادة، أربع أو خمس حركات، وإذا تطرفت الهمزة ووقف عليها بالسكون تمد ست حركات(1). وقد بلغ عدده في سورة البقرة "92 مرة" الأمر الذي يؤكد مدى انتشاره، هذا الانتشار الذي يضيف على النص موسيقية وجرسا ونغما رطبا عذبا مشوقا.

المثال الأول: قال تعالى: ﴿وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا﴾(النحل:35) حيث جاءت الهمزة بعد الألف في "آباؤنا" لتؤكد على سلسلة من الآباء طويلة تلك التي تجارت معها أفكار نريتهم. ويؤكد ما ذهب الباحث إليه أن كلمة "آباؤنا" جاءت جمعا. وفي جرسها دلالة على التأكيد في التقليد الأعمى لهم.

المثال الثاني: قال تعالى: ﴿ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين﴾(الأعراف: 108) حيث جاءت الهمزة بعد الألف في كلمة "بيضاء" لتبين أمرين: شدة البياض ونصاعته، الذي بهر عيون الناظرين. وشدة الإعجاب الذي طال معه النظر في اليد للتأكد من حقيقته. الأمر الذي يتناسب مع إطالة المد. وفي ذلك الجرس إحياء بجمال تلك اليد، ونصاعة بياضها.

المثال الثالث: قال تعالى: ﴿وانزلنا من السماء ماء بقدر﴾(المؤمنون: 18) جاء المد المتصل في موضعين " السماء " و " ماء " أما الأولى فمدت لتشعر ببعد المسافة بين السماء والأرض، ويشعر كذلك أن هذا البعد واقعي وحقيقي. ومد الألف فيها واجب بمقدار الطول " خمس أو ست " حركات. أما الثانية " ماء " فتشعر بذلك العطاء الممدود من السماء للأرض، وتلك العلاقة الممتدة من مسافات طويلة، وتشعر بذلك الخير والمدد النازل للأرض من مسافات بعيدة.

المثال الرابع: قال تعالى: ﴿ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم﴾(النساء: 129) فقد جاء المد في حرف " الألف " بكلمة " النساء " مدا متصلا واجبا، يمد بست حركات؛ ليناسب ذلك أمر النساء اللواتي يكثرن الذريات، ويمددن بالنسل، وللإشارة إلى صعوبة جمع الرجل لعدد من الزوجات، ويشعر المد فيها بحبل طلباتهن الذي لا ينقطع، وذلك الذي يجعل الحق المعطى لهن لا يجبر طلباتهن، فيبدو الرجل في حقهن قاصرا عن أدائه.

ثالثا: المد المنفصل

أن يأتي حرف المد في نهاية الكلمة الأولى، ويأتي حرف الهمز في أول الكلمة التي تليها(2)، وذلك نحو: إلا أنا، ما أنتم، في أرضنا. وقد بلغ عدده في سورة البقرة " 106 مرة " وهذا النوع من

(1) الجمل؛ عبد الرحمن، التيسير في علم التجويد، ط6، غزة، آفاق للطباعة والنشر، 2007 م، 85.

(2) الجمل، التيسير في علم التجويد، 86.

المدود بهذا العدد فقط، يقارب عدد نصف آيات سورة البقرة، الأمر الذي يؤكد على انتشار الموسيقى والنغم والأجراس التي زادت الآيات القرآنية جمالا صوتيا. فكيف لو اجتمع مع ذلك مصادر موسيقية أخرى فيها.

المثال الأول: قال تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (النحل: 40)، إن قول الله-تعالى- الذي يعود ضمير الهاء إليه لعظيم، وإن إرادة الكينونة له أمر عظيم، وإن هذه الإرادة مفتوح لها الزمن، فهي في أي وقت فيه نافذة لو أراد الله-تعالى- فجاءت إطالة صوت المد في ألف " إذا " لتناسب ذلك الزمن الطويل المفتوح الذي يطويه الله -تعالى- بأمره وقوله للشيء كن فيكون فجاء المد؛ ليناسب تلك العظمة والقدرة الإلهية في طوي الزمن والمسافات. وفي ذلك جرس موسيقي يتولد من الموجات الصوتية لحركة الألف الطويلة ليوحى بتعظيم ذلك الأمر.

المثال الثاني: قال تعالى: ﴿وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ (البقرة: 282) حيث جاءت الهمزة في أول الكلمة الثانية، وحرف المد "الواو" في نهاية الأولى، فطال مده؛ ليتناسب مع التأكيد على الشهادة عند البيع، وعدم الاستخفاف بها؛ لأن عدمها فيه مظنة وقوع المشاكل والتداعي في المستقبل. وليناسب أيضا- مع وضع الشهادة نفسها التي تقتضي البوح والجهر في أي وقت حتى لو طال الأمد. وفي ذلك جرس يستدعي عدم الاستهتار، والجدية في الأخذ بالشهادة.

المثال الثالث: قال تعالى: ﴿وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ (إبراهيم: 45) والمد في الآية لحرف "الواو" في كلمة "ظلموا" يدل على عظم ذلك الظلم الذي يمتد إلى الحكم على مصائرهم، ويكشف عن خطورة التبعية لأولئك حتى في مساكنهم.

المثال الرابع: قال تعالى: ﴿فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخْرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نَجِبْ دَعْوَتِكَ﴾ (إبراهيم: 44).

وهنا ناسب المد المنفصل في "ربنا أخرنا" حال الكافرين، وهم يصطرخون، ويبكون، ويولولون، ويطلبون الفرج بملء أفواههم، فلزم هذا الحال مد الصوت وإطالة الحرف، للتمكن من إحراز بصيص من الأمل. أما المد في قوله " إلى أجل " فيشير إلى أنهم يطلبون مدة كافية مطولة ليثبتوا فيها حسن رجعتهم، وتوبتهم، وأوبتهم، وندمهم.

رابعا: المد اللازم، وفيه الكلمي والحرفي، والكلمي نوعان:

النوع الأول: المد اللازم الكلمي المثقل

يكون فيه بعد حرف المد حرف ساكن، وسكونه لازم في كلمة واحدة، مع إدغام ذلك الحرف الساكن في غيره، فيصيرا حرفا مشددا بعد حرف المد، وذلك نحو: الضالين، الصاخة، تأمروني. وحكمه لزوم المد ست حركات(1).

(1) ينظر، العقرباوي، المرشد في علم التجويد، 66.

المثال الأول: قال تعالى: ﴿ألم تر أن الله يسجد له من في السماوات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والشجر والدواب﴾ (الحج: 18) والشاهد كلمة "الدواب" جاء المد فيها للألف. ولمدها دلالات، فهي تشير إلى مد الأرض بالمخلوقات التي تدب عليها، وهي كثيرة، وتدل على حركة دائبة لتلك الدواب على اختلاف أنواعها؛ ليناسب ذلك إطالة مد الألف في " دواب " لتبلغ حركاتها سناً. مع ثقل الشدة الدالة التي ناسبت ثقل الدبيب على الأرض. إنه الجرس الذي يمتد؛ ليوحى بتلك الحركة التي لا تتقضي من الدبيب على الأرض.

المثال الثاني: قال تعالى: ﴿وأشهدوا إذا تباعتم ولا يضار كاتب ولا شهيد﴾ (البقرة: 282) والشاهد كلمة "يضار" التي امتد حرف الألف فيها إلى أعلى حد؛ ليؤكد على التحذير من مخاطر الإضرار الذي يمكن أن ينجم من عدم المكاتبة بين المتعاقدين. وقد جاء الجرس فيها مبالغاً بحركات المد الطويلة؛ لإشعار المبايعين بأهمية المساجلة والمكاتبة بينهم، وتحذيرهم من مغبة عدما.

النوع الثاني: المد اللازم الكلمي المخفف

يكون عندما يقع بعد حرف المد حرف ساكن غير مشدد في كلمة، نحو: (الآن1). ولم تتكرر في القرآن سوى بموضعين.

مثال: قال تعالى: ﴿الآن وقد كنتم تستعجلون﴾ (يونس: 51)، وقال تعالى: ﴿الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين﴾ (يونس: 91). وفي الموضعين يتبين أن المد في كلمة " الآن " أعطى جرساً فيه استغراب من الحالة التي كان عليها فرعون من أمر غروره، واستعلائه، وادعائه الربوبية. وجرس فيه إنكار لما كان من أمر كفره وعناده، وهو يدرك في قرارة نفسه بطلان ما زعم من الربوبية.

خامساً: المد العارض للسكون

هو أن يكون حرف المد قبل آخر حرف في الكلمة، وقد سكن في الوقف، نحو: فاعلون، خبير، عقاب(2). وقد بلغ عدده في سورة البقرة بعدد الآيات "286 مرة" إذا أردنا أن نقف على رؤوس الآيات فقط. وبهذا تكون الفاصلة القرآنية في سورة البقرة قد تشبعت جرساً وموسيقية. وقد جاءت هذه المدود بنسق وتوازن يخدم التطريب والتغني، ويسهل حفظ الآيات، ويساعد على ربط الآية بالآية. كما تظهر فيه دلالات ومعان كثيرة.

مثال: قال تعالى: ﴿يوم يكون الناس كالفراش المبثوث*وتكون الجبال كالعهن المنفوش﴾ (الفارعة:45). حيث جاء المد العارض للسكون إما قصراً بحركتين، أم التوسط بأربع حركات، أم الطول بست حركات، وذلك عند الوقف على كلمة "المبثوث" و"المنفوش" فأما المد في الأولى فدل بجرسه على حالة الانتشار والتوزيع، لذا جاء المد يتناسب مع هذا الانتشار في مساحة

(1) عثمان؛ حسني شيخ، حق التلاوة، ط9، الأردن، مكتبة المنار، 1990 م، 136.

(2) دعاس، عزة عبيد، فن التجويد، ط6، بيروت، دار الندوة الجديدة، 1987 م، 25.

الأرض طولاً وقصراً. وكذلك المد في الثانية جاء في تشبيه الجبال بالصوف المنفوش، حيث دلت على الانتشار له، وتشابك بعضه ببعض؛ ليتناسب مع مد حرف الواو الذي نبع منه جرس مضطرب.

لقد كثر دوران المد العارض للسكون في القرآن، وبدا ذلك في الفواصل القرآنية بنهايات الآيات، وفي الفواصل الداخلية لها. وفي هذا الدوران موسيقية جميلة تنشأ منه، يمكن قراءتها بالقصر، والتوسط، والطول، ولها في النفس وقع مؤثر ومهيم، فما تنتهي بالمتلقي فاصلة إلا وتطلب نفسه أخرى؛ شوقاً لسماعها، واستلذاً بموسيقيتها، ورغبة في تتبع دلالات الخطاب من خلالها.

المصدر الثاني: خفة الأصوات وجريانها

في دراسة إحصائية سريعة تبين للباحث، أن الأصوات التي تتركب منها الكلمات القرآنية، يندر فيها وجود صوتين متجاورين متحدين في المخرج والصفات، وذلك ساهم في تسهيل اللفظ وجريانه على اللسان. وأعطى الألفاظ حظها من الوضوح في السمع، والخفة عند خروجها -الأصوات- من اللسان، مع سهولة في النطق؛ ليتوافر من ذلك عناصر التناسق، والوضوح، والجمال الصوتي من خلاله. وهذه بعض الصيغ التي توجد في أوائل السور، وتنتشر في أرجائها، مع إبداء بعض الملاحظات.

صيغ فواتح السور الأربع عشرة هي:

" ألف لام ميم " و " ألف لام ميم صاد " و " ألف لام را " و " ألف لام ميم را " و " كاف ها يا عين صاد " و " طا ها " و " طا سين ميم " و " طا سين " و " يا سين " و " صاد " و " حا ميم " و " حا ميم عين سين قاف " و " قاف " و " نون "

- عدد أصوات الصيغ السابقة المكررة: " واحد وأربعون ومائتا صوت " .
- هذه الأصوات تخلو -كلها- من جميع التتابعات، أو الثنائيات الممتعة في أبنية الكلام العربي.
- كثرة انتشار الحركات الطويلة عند تلاوة الصيغ السابقة، علماً أن الحركات -لاسيماً- الطويلة هي أعلى الأصوات اللغوية وضوحاً في السمع، مما يؤدي -حتماً- إلى تذوق الجمال الإيقاعي والموسيقي، خاصة أن بعضاً من هذه الصيغ، تمد حركاتها الطويلة مداً زائداً، الأمر الذي يعطي النفس -الصوت- معه أقصى درجات انطلاقه وقوته؛ فيبرز النغم، والإيقاع فيه أجمل ما يقع على الأذن.

- يكثر في هذه الصيغ انتشار مجموعة الأصوات المتوسطة بين الشدة، والرخاوة، وهي:

الميم واللام، والنون والراء.

حيث تكرر حرف الميم " 47 مرة " واللام " 26 مرة " . أما " النون المغنة " فكان حضورها " 7 مرة " ، بينما الراء " 6 مرة " . هذا فقط في أصوات فواتح السور القرآنية.

- إن هذه الأصوات الأربعة- الميم، اللام، النون، الراء- تلي الحركات الطويلة من حيث قوة الوضوح السمعي، مما حدا بعلماء اللغة أن يطلقوا عليها "أشباه الحركات".
- إن ذلك كله يزيد في درجة إسماعها من ناحية، وعلى أنها أصوات استمرارية يصحب نطق بعضها رنين خاص، وهو "الغنة" الأنفية في صوتي النون والميم.
- أما اللام فيكون فيه "الانطلاق" وهذه الأصوات -لن عمر- تعد "ذلقية" وتتميز بخفتها عند النطق من اللسان(1). ومن الجدير ذكره هو أن تعاقب صوتي " النون والميم " في فواصل القرآن الخارجية كثيرة. فقد بلغت (4015) أي بنسبة (64%) تقريبا من عدد الفواصل حسب إحصائية الباحث.
- أما في نظم كلمات الآيات، فإن اللفظة مستعذبة بأصواتها بنفسها أو بين جاراتها أو فيهما معا؛ وذلك في أي موضع أردت من القرآن، وتبدو أكثر حلية بالفواصل المتماثلة المتنوعة، وللقارئ أن يستعرض بذوقه؛ ليعيش في نغم متواصل سهل يسر.
- صفة "التكرير" في حرف الراء كذلك، لها جرس موسيقي خاص، وتكون له في كل كلمة دلالتة، قال تعالى: ﴿وانشق القمر﴾(القمر: 528) إنه حرف يدل على ذلك الدوران والتعاقب المتكرر لليل الذي علامته القمر مع النهار التي علامتها الشمس. لذا تكرر حرف الراء ساهم في إبراز الحركة المتعاقبة لليل على النهار. ويجرسها تشعر النفس بشعور التعاقب، والاستمرار.

المصدر الثالث: تألف الصوامت

إن تألف الصوامت، واتساقها، وانتشارها أكثر من غيرها، بل وتكرارها، في اللفظة تارة، وفي الآية تارة أخرى، ساهم في إبراز قيم صوتية بديعة وأخاذة. " وقد لاحظ اللغويون منذ القدم عند النظر في تأليف الكلمة العربية من أصولها الثلاثة "الفاء والعين واللام" أن هذه الأصول يجري تأليفها حسب أساس ذوقي وعضوي خاص يتصل بتجاوز مخارج الحروف الأصول التي تتألف منها الكلمة أو تباعدها بالنسبة إلى أماكنها في الجهاز النطقي. ولقد لاحظ الأقدمون أن الكلمة العربية إذا أريد لها أن تكون فصيحة مقبولة، فإنها تتطلب في مخارج حروفها أن تكون متناسقة، ولا تتسامح اللغة فتتخلى عن هذا المطلب إلا في أضيق الحدود، في حالات الزيادة والإطلاق ونحوهما " (2) هذا ولا تجد في القرآن لفظة واحدة مستهجنة أو مستكرهة، أو مستجلبة استجلاب الإقحام في مكانها، ولا أن تجعل كلمة بدلا من أخرى فيه. ولو أدت لسان العرب لن تجد ما يساوي دلالتها وموسيقيتها في الآن نفسه. وهذا عرض للحروف الأقل تألفا في كلام العربية " واعلم أن أقل الحروف تألفا بلا فصل، حروف الحلق، وهي ستة:

(1) ينظر، خضر، الإعجاز اللغوي في فواتح السور، 66.

(2) حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، 265.

الهمزة والهاء والعين والحاء والغين والخاء

فسبيل هذه الحروف متى اجتمع منها في كلمة اثنان أن يكون بينهما فصل، وذلك نحو: هدأت، وخبأت، وعبء... فهذه حال هذه الحروف.

وحكمها: ألا تتجاوز غير مفصولة إلا في ثلاثة مواضع:

أحدها: أن تبدأ الهمزة، فيجاورها من بعدها واحد من ثلاثة أحرف حلقية، وهي:

الهاء، والحاء، والخاء

فالهاء نحو: أهل... والحاء نحو: أحد... والخاء نحو: أخذ...

الثاني: ائتلاف "الهاء" مع "العين"، ولا تكون "العين" إلا مقدمة، وذلك نحو: عهد...

الثالث: ائتلاف "العين" مع "الخاء" ولا تكون "الخاء" إلا مقدمة، وذلك نحو نزع...

وإن " أحسن التأليف ما بوعد فيه بين الحروف، فمتى تجاوز مخرجا الحرفين فالقياس ألا يأثفا" (1). ولا يوجد البتة هذا التجاور في أي القرآن وكلمه إلا في مواضع مستساعة وذلك؛ لأن الألفاظ لو لم تكن على درجة من السلامة من التناثر والنبذ، لم يلطف نظمها أو يتحقق كمال التأليف فيما بينها. ولما كانت ألفاظ القرآن الكريم بريئة من أي سقم، خفيفة الظل، سهلة المنطق، عذبة المخرج، مع ذلك المعنى الذي ناسب المقام وبالغ، فكانت أجود في الكلمة بموقعها بين الكلم، فساغها العقل أيما إساعة، واستطابتها النفس، ورضي عنها خاطر، فكان قبولها صوتا ومعنى. وهذا الذي جعل لها مكنة للتنافس والإعجاز دونما ريب. والمواضع من مثل ذلك في القرآن قليلة، من تلك المواضع المستساعة من المجاورة، كلمة "معهم" في قوله تعالى: ﴿فإن شهدوا فلا تشهد معهم﴾ (الأنعام: 150)، فقد استساغ العرب وقوع العين مجاورة للهاء مع بقاء حركة الفتح على العين دون التسكين فإنه " لما أراد بنو تميم إسكان العين من "معهم" استكروها أن يقولوا "معهم" فأبدلوا حاءين، وادغموا الأولى في الآخرة، فقالوا: "مهم" فكان ذلك أسهل عليهم من اللفظ بالحرفين المقترين " (2).

المصدر الرابع: التوازن بين الكلمات

إن التوازن بين الكلمات داخل النص القرآني، يتمثل في موقع الأصوات المنسجمة والمتناسقة، وكذلك موقع الكلمات التي تتماثل أعدادها وحركاتها ونهاياتها في السياق. إن هناك توازنا بين حروف الكلمات، وبين الكلمة والكلمة، والجملة والجملة، وهناك توازن بين الآية والآية كذلك. كل ذلك يستجلب بسر تركيبه إعجازا لأولي النهى، إذ إنه ينتظم؛ لإفاضة سيل عارم من المعاني

(1) ابن جني؛ أبو الفتح عثمان، سر صناعة الإعراب، تحقيق: حسن هنداي، ط2، دمشق، دار القلم، 1993م، 814 : 2.

(2) ابن جني، سر صناعة الإعراب، 2: 816.

السامية الأكثر إحياء، والأبلغ حجة ومنطقاً في القرآن الكريم. " ولما كان الأصل في نظم القرآن أن تعتبر الحروف بأصواتها وحركاتها ومواقعها من الدلالة المعنوية، استحال أن يقع في تركيبه ما يسوغ الحكم في كلمة زائدة أو حرف مضطرب أو ما يجرى مجرى الحشو والاعتراض، أو ما يقال فيه إنه تغوث واستراحة... بل نزلت كلماته منازلها على ما استقرت عليه طبيعة البلاغة... بحيث لو نزعت كلمة منه، أو أزيلت عن وجهها، ثم أدير لسان العرب كله على أحسن منها في تأليفها، وموقعها، وسدادها، لم يتهياً ذلك، ولا اتسعت له اللغة بكلمة واحدة... وهو سر من إعجازه، قد أحسبه العرب... ولو أنهم وجدوا سبيلاً إلى نقص كلمة من القرآن لأزالوها، وأثبتوا فيه هذا الخطأ أو ما يشبه الخطأ في مذهبهم. إذ كان من المشهور عنهم مثل هذا الصنيع في انتقادهم وتصفحهم بعضهم على بعض في التحدي والمناقضة(1). وهذه بعض أمثلة يتبين فيها ذلك التوازن بين الكلمات، والتقفية الداخلية متماثلة الوزن، مع الفواصل المتماثلة.

المثال الأول: إن الفواصل داخل النص شكلت توازناً لفظياً ساهم في إحداث الجرس الموسيقي، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهُ*وَلَمْ أُدرِ مَا حِسَابِيَهُ*يَا لَيْتَهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ*مَا أغْنَى عَنِّي مَالِيَهُ*هَلْكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهُ*خُدُوهُ فَغُلُوهُ*ثُمَّ الْجَحِيمِ صَلْوُهُ*ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ﴾ (الحاقة: 25-32).
فألفاظ:

" كتابية، حسابية، قاضية، ماله، سلطانية "

خلقت نغماً في نهايات الفواصل المتماثلة، وكان لهذا التوازن جمال دلالي وموسيقي، وأثر بالغ في الوجدان. إنه شعور الرهبة والخوف نبع من هاء السكت. وانتشار حروف الشدة.
وألفاظ:

" غلوه، صلوه، اسلكوه "

أحدثت توازناً داخلياً، خوف النفس ورفع من حالة التوتر والرعب في الوجدان، وبعث فيه القلق ولعل ذلك من الجرس الذي نبع من مد حرف " الواو " الذي أخذ حكم المد العارض للسكون. أما في الآيات المنتهية بـ " الهاء " السكتية المهموسة عند الوقف عليها، تتوافق جميع نهايات الآيات في حق هؤلاء، بجرس وإيقاع منذر بالرهبنة والخوف مع تلك الفاصلة المتوازنة بين:

كتابية، حسابية، قاضية، ماله، سلطانية

كتابه، شماله

غلوه، صلوه، أسلكوه

حيث يصدر صوت الهاء المهموسة في تلك النهايات. وبعضها جاء مسبقاً بالياء المفتوحة

(1) الرافي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، 225.

ويسبقها أصوات إحداهما ألف المد في كل من: كتابية، حسابية، القاضية، مالية، سلطانية
لتحدث أبلغ صور المأساة على هذه النهاية التي يخاطب فيها المجرم نفسه، فكما أن " الهاء " من
آخر أصوات الحلق التي هي أبعد المخارج وينتهي النفس عندها، فإن النهاية بحق أيضا تتمثل في
نهاية صورة حمل الوزن بقوله " كتابية " ونهاية الحساب الذي لا يمكن التحايل عليه. في قوله
"حسابية" ونهاية العبارات الموصية بالندم والمتمثلة في قوله: "القاضية" معترفاً بأن نهاية ما يقع
بها في الدنيا من طمع المال الذي حجب عنه الهداية، وكان جزاؤه الحسرة والندم على ذلك، وأن
ذلك ليس له بنافع في مثل ما هو واقع فيه في هذا المشهد " ما أغنى عني ماليه " ولا أن حظوة
ملكه، وسعة سلطانه كانت سبيلاً لإنقاذه من تلك الولايات والنهايات المأساوية حقاً. ثم تبدأ "الواو"
التي تتبعها "الهاء" المفضية بالنهايات التي ناسبت صفة همسها وسكتها حالة الذهول التي تكون
في هذا المشهد وذلك في: خذوه، غلوه، صلوه، اسلكوه

كلها أفعال حركة، وأمر بها هؤلاء الخلق العظام الذين هم جماعة أكثر قوة، خاصة في مثل هذا
المشهد الذي يكتنفه الضعف والهوان. كل ذلك في توازن ألفاظ مرعبة وجرس أصوات الصارخين،
تهيئ الحركة هذا المشهد، وتضفي عليه رهبة وسكوناً في آن واحد.

المثال الثاني: قال تعالى: ﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهُ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ * نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ * فَلْيَدْعُ
نَادِيَهُ * سَدْعُ الزَّبَانِيَةِ﴾ (العلق: 15-18) إن تكرار " ناصية " مرتين. ومماثلة الكلمات " كاذبة " و "
خاطئة " و " نادية " في الوزن أحدث توازناً داخلية في النص، وساهم في إبراز حالة الاضطراب
التي ألمت بالقوم، والكشف عن سوء ما هم عليه. في آيات "العلق" المشهد ذاته، يتمثل المشهد في
إيقاع وموسيقى تنير في النفس الخوف والرعب، المنبعث من توازن الألفاظ ومن دلالتها:

الناصية، كاذبة، خاطئة، نادية، الزبانية

لقد نبعت من هذا الإيقاع الموسيقي بصوت الفاصلة المتجانسة المتوازنة أنهار من دلالات النهايات
المأساوية التي يعيشها هؤلاء لحظة الحساب.

المثال الثالث: قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ * الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ * يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ
أَخْلَدَهُ * كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ * نَارُ اللَّهِ الْمَوْقُودَةُ * الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى
الْأُفْنِدَةِ * إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ * فِي عَمَدٍ مُّمدَّدةٍ﴾ (الهمزة: 1-9). وآيات " الهمزة " التي تبدأ بالوعيد،
وتنتهي بمشهد النار المرعب، وما بين البداية والنهاية ألفاظ منسوقة منغومة بنغم الخوف والوعيد
الذي تشخص له الأبصار، وتسكت عنده الأنفاس، فانتهدت الآيات بصوت الهاء المهموسة التي
تبرهن على الإخماد الحاصل من المفاجأة الرهيبة في كل من: "عدده، أخلده" و " الحطمة، الموقدة،
مؤصدة، ممددة" إن مثل هذه الجمل يتجلى فيها التوازن بين الألفاظ حللاً، بل أجراساً ونغماً
موسيقياً، يتلون مع أصناف التهديد والوعيد الزاجر، وتتسارع العقول للتفكير في ألوانه وأصنافه.

المصدر الخامس: الغنة والتنغيم

إن ثمة فروقا واضحة بين الغنة التي عناها علماء التجويد، والتنغيم عند علماء الأصوات. ويتجلى ذلك من التعرف على كل منهما للفرقة والتمييز.

أولا: الغنة

لغة: "هي صوت يخرج من الخيشوم، والأغن: الذي يتكلم من قبل خياشيمه، يقال ظبي أغن" (1).
الغنة اصطلاحا: صفة ثابتة للنون والميم في جميع أحوالها، فالنون والميم المظهرتان والمتحركتان فيهما أصل الغنة، لكنها ليست ظاهرة " (2) بينما تظهر في حالة تشديدهما، أو حال إخفائها لمجاورة بعض الأصوات لها، أو في حال قلبها إلى ميم.

مقدار الغنة: جرى الإقراء للقرآن من عهد الرسول-صلى الله عليه وسلم- بالتلقي من جيل لجيل بضوابط له معلومة عند أهل الاختصاص ممن تلقاه بالسند المتصل عن رسول الله. حيث قدروا جريان الغنة بمقدار حركتين بقياس الذوق، وقدره البعض بالوقت الذي يستغرقه قبض الرجل إصبع السبابة وبسطه. وإن الغنة في صوتي " النون والميم " وخاصة في حالة التشديد تبدو جلية واضحة " إذ من اليسير على الإنسان أن يلهو ويدندن بتكرار هذين الصوتين " (3).

إن الغنة التي حافظ القرآن على أصالتها من عصر الفصاحة والبلاغة بالتلقي، والتي تكون صفة لازمة في بعض الحروف، تتبع من التقاء بعض الحروف، ومجاورتها. وتتمثل في بعض الأحكام على طريقة علماء التلاوة.

أحكام الغنة وآثارها في النص القرآني

الإدغام، الإخفاء، الإقلاب، الإظهار

وقد انتشر كل حكم من هذه الأحكام بتفريعاته في النص القرآني، فشكل وجوده كمصدر من مصادر التغمي فيه مظهرا من مظاهره؛ لأنه لا تكاد تخلوا آية من حكم من تلك الأحكام إلا وقد زخرت به، مرة أو مرات، فزاد تغمي الآية، وزاد جمالها، وتعاضدت هذه الأحكام مع المصادر الأخرى؛ لتؤكد هذا التغمي بصورة لا تماثلها صورة، واتحد كل ذلك؛ ليناسب دلالات الآيات، وإيحاءاتها.

(1) العلابي، الصحاح في اللغة والعلوم، 2: 211.

(2) الجمل، المغني في علم التجويد، 99.

(3) بشر، الأصوات العربية، 75.

أولاً: الإدغام

لغة: الإدخال، أدغمت الشيء بالشيء أي أدخلته فيه.

اصطلاحاً: هو إدخال الحرف الساكن " النون الساكنة " أو " التتوين " في الحرف المتحرك " أحد الحروف التالية: " الياء، الواو، النون، الميم، الراء، اللام " بحيث يصيران حرفاً واحداً مشدداً في حال النطق، وها التشديد فيه قمة التغمي، وروعة التجلي. وينقسم الإدغام بين النون الساكنة والتتوين وبين بعض الحروف لقسمين:

القسم الأول: إدغام بغنة، وله أربعة أحرف وهي: "يرملون" .

القسم الثاني: إدغام بغير غنة، وله حرفان هما: "الراء، واللام" . ولسنا بصدد عرض جميع أنواع الإدغام سوى ما كان فيه غنة؛ لأنها مدار الحديث.

شروط الإدغام: أن تكون النون مع هذه الحروف من كلمتين، فإن كانت في كلمة واحدة وجب الإظهار، ويسمى إظهاراً مطلقاً(1).

أمثلة الإدغام بغنة: اجتماع النون الساكنة مع حروف الإدغام

" من يعمل " و " من وال " و " من نعمه " و " من مال "

المثال الأول: قال تعالى: ﴿فمن يعمل مثقال ذرة﴾ (الزلزلة: 7-8) قد وقعت " النون الساكنة " في نهاية الكلمة الأولى -ولا تكون في الإدغام إلا كذلك- ووقع بعدها صوت " الياء " في الثانية، فصارت في النطق "فميعمل" بتشديد الياء، مع خروج صوت الغنة بمقدار حركتين (2)، ترغيباً وترهيباً، فإنه إن قام بعمل خير، جاءت نتيجته مضاعفة بالأجر. ومن قام بسوء يضاعف له العذاب، وهذا وذاك يتناسبان مع الإدغام.

المثال الثاني: بين " النون والواو " قال تعالى: ﴿وما لهم من الله من وال﴾ (الرعد: 11)، فتصيراً " موال " بتشديد الواو. فالولاية في ذلك الموقف العصيب هي أمس شيء للإنسان؛ لأن ضعفه يظهر، وعجزه يبدو. فاجتماع الولي مع الإنسان في هذا الموقف بمثابة التقوية وشد الأزر له.

المثال الثالث: " النون والنون " في قوله تعالى: ﴿ومن نعمه ننكسه في الخلق أفلا يعقلون﴾ (يس: 68) فتصيراً " منعمه " بإطالة غنة النونين المجتمعين، ويسمى المتماثلين؛ لأنهما نفس الصوتين. ويدل هذا على إرادة إطالة العمر، وتعلق الإنسان بطول العمر "التعمير" .

المثال الرابع: بين " النون والميم " قال تعالى: ﴿من مال﴾ (النور: 33) فتصيراً "ممال" . فأى نغم وموسيقى بعد هذا النغم الذي أضفى على النص بحلي تستقر في الأسماع والعقول. وهذا يدل على حب الإنسان للمال وتعلقه به، وعدم التحول عنه.

(1) ينظر، العقرباوي، المرشد في علم التجويد، ، 40.

(2) ينظر، عثمان، حق التلاوة، 144.

اجتماع التنوين مع حروف الإدغام:
الأمثلة:

" خيرا يره " و " أمنة نعاسا " و " قول معروف " و " ووالد وما ولد "

المثال الأول: قد وقع تنوين الفتح في نهاية الكلمة الأولى، ووقع بعدها صوت " الياء " في الثانية فصارت في النطق " خيريره " بتشديد الياء مع خروج صوت الغنة بمقدار حركتين. وهذا يدل على أن رؤية نتائج خيرهم محتومة، لا شك فيها.

المثال الثاني: قال تعالى: ﴿أمنة نعاسا﴾ (آل عمران: 154) تصيرا "أمنتعاسا" بتشديد النون بعد إدغام التنوين فيه. وهذا يوحي بشدة تعلقهم بالنوم، وحاجتهم له.

المثال الثالث: قال تعالى: ﴿قول معروف﴾ (البقرة: 263)، فتصيرا "قولم معروف" بتشديد الميم بعد إدغام التنوين فيه. وهذا يوحي بتأكيد التصاق المعروف بالقول؛ لأنه عندئذ يكون في تأثيره على النفس أبلغ، وأعمق.

المثال الرابع: قال تعالى: ﴿ووالد وما ولد﴾ (البلد: 3) فتشدد الواو التي بعد تنوين الدال المدغم فيها. وهذا فيه دلالة على تعلق الوالد بالمولود، والتصاق كل منهما بالآخر، وتمازجهما معا.

المثال الخامس: قال تعالى: ﴿على سرر متقابلين﴾ (الصافات: 44) فناسب التقاء تنوين الكسر بالميم، وبروز التغني الذي يوافق حالة الفرح التي يكون عليها أهل الجنة، وهم على سررهم.

المثال السادس: قال تعالى: ﴿أم خلقنا الملائكة إناثا وهم شاهدون﴾ (الصافات: 150) والغنة حصلت من التقاء تنوين الفتح في كلمة " إناثا " وحرف الميم بعده، ليؤكد بالتغن الساخر من اتهامهم الملائكة بالإناث، ونفوسهم تشهد خلاف ذلك، إذ لا يليق بالله -تعالى- أن تكون ملائكته إناثا.

الإدغام الشفوي: يكون بين الميم الساكنة وميم مثلها متحركة، وحكم هذا النوع من الإدغام وجوب الغنة بمقدار حركتين، ويسمى بالمثلين الصغير؛ لوقوع حرف الميم المتحركة بعد الميم الساكنة، وتكون في كلمتين (1).

المثال الأول: قال تعالى: ﴿فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف﴾ (قریش: 3). وهنا تضامت الميمان في "أطعمهم من" فنبتت غنة طويلة؛ للتأكيد على إطالة ذلك الإنعام الذي أغدقه الله -تعالى- على قریش، فأطعمهم طعاما لا جوعة فيه. وتضامتا في "آمنهم من" فنبتت منهما غنة؛ للتأكيد على إدامة الأمن عليهم.

(1) ينظر، الجمل، المغني، 93.

المثال الثاني: قال تعالى: ﴿وإنكم لتمرّون عليهم مصبحين﴾ (الصفات: 137) وهنا تضامت الميمان

بين "عليهم مصبحين" فنبتت غنة طويلة من التقائهما، ودل ذلك على إطالة مكثهم على حالهم التي صاروا عليها بعد العذاب، فصاروا شواهد عبر وعظة لمن مر بهم.

المثال الثالث: قال تعالى: ﴿يرسل السماء عليكم مدرارا﴾ (نوح: 11)، حصل الإدغام بين "الميم" و"الميم" ليؤكد بهذا التضام حالة نزول الرزق " الماء " من السماء؛ ليشمل الذين آمنوا بربهم، ويضمهم جميعا في كنف العناية الإلهية.

المثال الرابع: قال تعالى: ﴿ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رجمة منا وذكرى لأولي الألباب﴾ (ص: 43)، واتحدت الميمان في "مثلهم معهم" ليناسب حالة تضام المؤمنين تحت سقف المعية الربانية، لتشملهم رحمة ربهم سبحانه.

والإدغام الشفوي في القرآن حضر كثيرا، وحضوره ساهم في إثراء النص القرآني بالموسيقى، والنغم. وساهم -أيضا- في تحفيز النفس على التتابع، والتواصل مع القرآن.

المثال الخامس: قال تعالى: ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا﴾ (النور: 21)، فالكلمتان "منكم من" تجاوزت الميم الأولى الساكنة مع الميم الثانية المتحركة؛ فأعطت جرسا موسيقيا طويل الغنة أطبقت عنده الشفتان، ناسب هذا الإطباق والإغلاق للشفتين حالة عدم التركية التي ضمت كل من لم يشملهم فضل الله ورحمته.

المثال السادس: قال تعالى: ﴿وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه﴾ (البقرة: 270)، فجاءت الميمان في "أنفقتم من" و"نذرتم من" بغنة طويلة، حيث أدغم الحرفان الساكن بالمتحرك في كل منهما وتضامًا؛ للتأكيد على أن كل نفقة، وكل نذر حتى لو لم يجهر به صاحبه، فعلمه عند الله تعالى، وناسب هذا التضام وذلك التوحد الذي صار فيه الحرفان علم الله الذي حوى وضم نفقتهم ونذرتهم.

ثانيا: الإخفاء، وفيه نوعان

النوع الأول: الإخفاء الحقيقي

لغة: الستر، نقول: أخفينا الشيء، أي سترناه.

اصطلاحا: النطق بالحرف بصفة بين الإظهار والإدغام عار عن التشديد مع بقاء الغنة " (1).

أصوات الإخفاء: عددها خمسة عشر صوتا، وهي:

ص، ذ، ث، ك، ج، ش، ق، س، د، ط، ز، ف، ت، ض، ظ

قاعدته: وقوع أي حرف من هذه الحروف بعد النون الساكنة أو بعد التنوين.

الأمثلة:

- الإخفاء مع النون الساكنة في كلمة: "ينصرون" وهنا وقع صوت النون الساكنة وتليه صوت الصاد، فننطق بالنون مخفاة مع الغنة بمقدار حركتين.

المثال الأول: قال تعالى: ﴿وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج﴾ (فاطر: 12) ففي قوله تعالى: ﴿هذا عذب فرات سائغ شرابه﴾ ثلاث غنات، الحكم فيها جميعا الإخفاء، وهذه الغنات الثلاث يستدعي أداؤها مدة زمنية، وهو أمر يتمشى مع تذوق هذا الماء السائغ شرابه (2). مع الموسيقية التي تتبع من حرف النون، والتنوين. مع وجود "ألف المد" التي تكررت أربع مرات. ومدت في كلمة "سائغ" مدا طويلا زائدا؛ ليتناسب مع حالة الشراب لهذا الماء، الذي يجري ويمتد دون عوائق تعيق مجراه.

الإخفاء مع النون الساكنة في كلمتين: "من فضل" وهنا وقع صوت النون الساكنة وتليه صوت الفاء، فننطق بالنون مخفاة مع الغنة بمقدار حركتين. وعلى ذلك تجري جميع الأصوات السابقة إذا تلت النون الساكنة.

المثال الثاني: الإخفاء مع التنوين في كلمتين-ولا يكون إلا كذلك- : ﴿رزق كريم﴾ (الأنفال: 4) وهنا وقع صوت التنوين وتليه صوت الكاف، فننطق بالنون مخفاة مع الغنة بمقدار حركتين. وإن هذا يزيد اللفظ حلوية وجرسا ونغما وإيقاعا تطرب الأذن له، وله في النفس موقع. وفي الإخفاء دلالة جميلة، أن أمر الرزق خفي بيد الله-تعالى-لا يعلم الإنسان عنه إلا بمقدار ما علمه الله، فناسب إخفاء النون إخفاء الرزق. فيالله! ما أعجب أسلوبه!. ودوران هذا الحكم في القرآن كثير عظيم، تسبب في إحداث تلك الترانيم، والنغمات التي تتشكل مع كل حرف يقع بعد النون والتنوين بشكل يختلف عن الآخر.

(1) الجمل، المغني، 87.

(2) شملول، محمد، تأملات في إعجاز الرسم القرآني داعي التلاوة والبيان، ط2، بيروت، د د، 1992م، 220.

النوع الثاني: الإخفاء الشفوي

أن يقع بعد الميم الساكنة حرف "الباء" بحيث تقع الميم الساكنة في آخر الكلمة، وتقع الباء المتحركة في أول الكلمة الثانية، وحرفه واحد هو "الباء" المتحركة، وشرطه أن يكون في كلمتين، وينطق بحرف الميم الساكنة دون تشديد مع مراعاة الغنة في حرف الميم بمقدار حركتين؛ لأن الغنة صفة للميم لا تفارقها(1). ووجود الغنة في هذا الحكم يمنح اللفظة تنغيما وجرسا موسيقيا جذابا، تستلطفه النفس، ويستجمله الوجدان، فكيف لو اتفقت تلك الموسيقية وتفاعلت مع الخطاب.

المثال الأول: قال تعالى: ﴿فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله﴾(ص:26) وهنا حدث الإخفاء الشفوي في "فاحكم بين" تبرز الغنة على ضعفها لعدم وجود التشديد، لتؤكد وجوب الخروج من الضعف للقوة في الحكم بالحق بين الناس، كما جاء الحكم شفويا "الإخفاء الشفوي" ؛ لأن أمانة الحكم الجهر والتلفظ، لا الكتمان والخفاء.

المثال الثاني: قال تعالى: ﴿ويجزئهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون﴾(الزمر: 35)، وناسب حكم الإخفاء في "أجرهم بأحسن" حال الجزاء المخفي الذي أعده الله تعالى لهم، وناسب كونه شفويا التصريح بالجزاء؛ لتشويقهم، وشحذ همهم نحو المزيد من العمل الصالح. ويدور هذا الحكم في القرآن محدثا نغما يتناسب مع دلالة السياق الذي هو فيه.

المثال الثالث: قال تعالى: ﴿ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم﴾(البقرة: 120)، لما تجاوزت الميم والباء في "أهواءهم بعد" صار الإخفاء الشفوي مموجا بالغنة، ليناسب خفاء الهوى، ونوازع النفس الكتومة التي قد تفكر في اتباع أهواء الضالين.

المثال الرابع: قال تعالى: ﴿تالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين﴾(الأنبياء: 57)، تجاوز حرفا الميم والباء في "أصنامكم بعد" فصار الحكم إخفاء صحبته غنة؛ ليناسب ذلك حالة الخفاء التي قررها إبراهيم - عليه السلام - في نفسه، لما أراد الكيد، و بعدما أنفذه.

المثال الخامس: قال تعالى: ﴿فأخذتهم بغتة وهم لا يشعرون﴾(الأعراف: 95)، تجاوز حرفا الميم والباء في "فأخذتهم بغتة" فصار الحكم إخفاء شفويا بغتة؛ ليناسب ذلك حالة الصاعقة التي كانوا يستبعدون حدوثها، وقد وعدوا بها فجاءتهم على غرة من أمرهم، ودونما أن يشعروا بأماراتها وعلاماتها.

(1) ينظر، العقرباوي، المرشد في علم التجويد، 48.

ثالثا: الإظهار، وفيه ثلاثة أنواع

النوع الأول: الإظهار الحلقى

الإظهار لغة: البيان والوضوح

الإظهار الحلقى اصطلاحا: إخراج الحرف المظهر من مخرجه من غير غنة ظاهرة معه.. والظاهرة: الواضحة، وزدنا على التعريف ظاهرة؛ لأن الغنة أصلية في النون والميم لا تنفك عنهما، وحروفه ستة هي: الهمزة، والهاء، والعين، والحاء، والغين، والخاء... ويسمى الإظهار حلقيا؛ لأن الحروف الستة مخرجها من الحلق(1).

المثال الأول: قال تعالى: ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾(الغاشية: 10) جاء الإظهار لتتوين الكسر التي وقع بعدها حرف العين، ليؤكد هذا الحكم ظهور الجنة العالية على غيرها من الأماكن.

المثال الثاني: قال تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾(الكوثر: 2) جاء حكم الإظهار في هذه الآية لحرف "النون" في كلمة "انحر"؛ للتأكيد على رسول الله أن يظهر تلك العبادتين؛ لكونهما من العبادات المشهودة، أي التي يشهدها الناس.

المثال الثالث: قال تعالى: ﴿وَلئن سألْتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله﴾(الزمر: 38) فحكم الإظهار في "من خلق" يدل على أن معرفتهم بمن خلق السماوات والأرض ظاهرة، وهم بهذا مقرون ومعتزفون؛ لأن ما خلقه الله -تعالى- ظاهر أمامهم، يرونه لا ينكرونه.

النوع الثاني: الإظهار الشفوي

أن يأتي بعد حرف الميم الساكنة أي حرف سوى الميم والباء، وسمي إظهارا شفويا؛ لأن الحروف الواقعة بعد الميم لا تنحصر في مخرج واحد، فنسب الإظهار إلى نفسها؛ لأنها تخرج من الشفتين(2).

المثال الأول: قال تعالى: ﴿لم يلد﴾(الإخلاص: 3) وكان الإظهار للميم؛ لتناسب تلك الحقيقة الظاهرة، إنها حقيقة تنزيه الله -تعالى- عن الولد.

المثال الثاني: قال تعالى: ﴿ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل﴾(الفيل: 1) فظهرت الميم الساكنة؛ لتناسب الرؤية، فإنه لا يتناسب معرض القول في الرؤية إذا كان الأسلوب خفيا، فاقتضت الرؤية الإظهار. وكان الإظهار شفويا؛ لأن الأسلوب استفهام غرضه الاعتبار، والاستفهام يحتاج إلى رد، أي إلى تحريك أعضاء النطق ومنها الشفتان.

(1) العقرباوي، المرشد في علم التجويد، 38.

(2) ينظر، الجمل، المغني في علم التجويد، 95.

النوع الثالث: الإظهار المطلق

أن يقع حرف الإدغام بعد النون الساكنة في كلمة واحدة، ولا يسمى في هذه الحالة إدغاماً؛ لأنه لو أدغم لاختل المعنى، إذ يلزم من الإدغام إدخال الأول في الثاني، ولا يوجد هذا الحكم إلا في أربع كلمات في القرآن، هي: الدنيا، بنيان، قنوان، صنوان، وأظهرت فيها النون ولم تدغم؛ لألا يلتبس المعنى. (1) ولما أظهرت النون الساكنة في الكلمات السابقة التي من صفاتها الغنة غير المنفكة من جسمها، ناسب ذلك مدلول الكلمات. فكلمة الدنيا، ظهرت فيها النون؛ لتؤكد أنها بين أيدينا قائمة ظاهرة، وكذلك كلمة بنيان والأخريات.

رابعاً: الإقلاب

لغة: التحويل، يقول: قلبت الشيء، حولته على غير وجهته.

اصطلاحاً: "تحويل النون الساكنة أو التتوين إلى ميم ساكنة مخفاة بغنة" (2).

حرف الإقلاب: هو حرف الباء فقط.

القاعدة: إذا وقع حرف النون الساكنة أو التتوين في كلمة ووليها حرف الباء تم تحويلهما إلى ميم مخفاة مغناة.

الأمثلة: "أنبياء" و"من بعد" و"سميع بصير" وقع كل من "النون والتتوين" ووليها "الباء" فيتم تحويلهما إلى ميم مخفاة مغناة.

المثال الأول: "أنبياء" جاء القلب؛ ليناسب حالة النبي المتقلبة بين الإنذار والتبشير.

المثال الثاني: "من بعد" جاء قلب النون قبل الباء؛ ليناسب حالة ما قبل الفتح وما بعده، فهما حالتان تقلبت أحوال المسلمين فيهما.

المثال الثالث: ﴿سميع بصير﴾ هما صفتان لله - تعالى - فيهما مراقبة شؤون الخلق والعباد. فالعباد تتقلب أحوالهم بينهما، فهما تحت سمع الله - تعالى - وبصره. فناسب ذكر الحرف المتقلب، حال الناس التي تتقلب بين سمع الله وبصره.

المثال الرابع: قال تعالى: ﴿أفترى على الله كذباً أم به جنة بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد﴾ (سبأ: 8) والحكم هنا بين "جنة" و"بل" إقلاب، فكما قلب تتوين الضم إلى ميم مخفاة، بادروا باتهام رسول الله بالجنون، تلك حالة الانقلاب من السلامة والإصابة والإرادة، إلى المرض، والخطأ، وسلب الإرادة، اتهموه على خفاء واستحياء لعلمهم بحقيقة هي غير الذي ادعوه.

(1) العقرباوي، المرشد في علم التجويد، 43.

(2) الجمل، المغني، 85.

ملاحظات:

1- إن دوران الأحكام- سائلة الذكر- في القرآن كثيرة، مما يجعل حالة التطريب فيه إحدى مظاهره، وخصائصه الصوتية.

2- النون والميم فقد تأتي "النون" مشددة، وكذا "الميم" فتتبع منهما الغنة والترنيم كأجمل ما تكونان، ولو أقل الأنف لما استطاع إظهارهما، ولاحتل نطق الصوتين، مثال: "إنما" فإن التشديد الواقع على "النون" يحدث غنة يجمل بها صوتها، وكذلك الميم في مثل "إما".

التنغيم

التنغيم هو: " ارتفاع الصوت وانخفاضه في الكلام " ويسمى موسيقى الكلام... وله وظيفة نحوية ودلالية مهمة. فالجملة الواحدة قد تكون إثباتية (تقديرية) أو استفهامية. والتنغيم يحدث نتيجة توتر الوترين الصوتيين مما يؤدي إلى اختلاف الوقع السمعي، ولذا نجد كلمات كثيرة تتعدد طرق تنغيمها؛ لتؤدي وظائف دلالية مختلفة (1).

أغراض التنغيم:

التنغيم هو الفيصل في الحكم، والتمييز بين الحالتين (الحالتين المختلف فيهما)... وقد يستغل التنغيم في أغراض أخرى كثيرة، فقد يدل على التهكم، أو الزجر، أو الموافقة، أو الرفض، أو الاستغراب، أو الدهشة. كما يمكن أن يفيد النفي، أو الإنكار، ويدل كذلك على الاحتقار، والاشمئزاز. قال بعض المحققين: " ينبغي أن يقرأ القرآن على سبع نغمات: فما جاء من أسمائه - تعالى- وصفاته فالتعظيم والتوقير، وما جاء من المفتريات عليه فبالإخفاء والترقيق، وما جاء على ردها فبالإعلان والتفخيم، وما جاء في ذكر الجنة فبالشوق والطرب، وما جاء من ذكر النار والعذاب فبالخوف والرهب، وما جاء من ذكر الأوامر فبالطاعة والرغبة، وما جاء من ذكر المناهي، فبالإبانة والرهبه (2). والنغم المقصود هنا، إنما هو التنغيم. وهذا ما أكده د. عبد الجليل بقوله من أن التنغيم له دور فاعل في: " التقرير، والتوكيد، والتعجب، والاستفهام، والنفي، والإنكار، والتهكم، والزجر، والموافقة، والرفض، والقبول، وغيرها من أنواع الفعل الإنساني، كالغضب، واليأس، والأمل، والفرح، والحزن، وبيان الحال، والغنى، والفقر، والشك، واليقين، والإثبات، واللامبالاة، والإقناع"(3). ويرشد. بشر رجال الأدب والنقد للاهتمام بالتنغيم؛ لأنهم بذلك حسب قوله: يستطيعون الحكم على المعاني حكماً صادقاً، ويسهل به فهم القرآن، وتداول معانيه، كما حث على تلاوة القرآن به(4).

(1) حجازي؛ محمود فهمي، مدخل إلى علم اللغة، القاهرة، دار الثقافة، 1978م، 82.

(2) الحمد؛ غانم قدوري، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ط1، عمان، دار عمار، 2003 م، 480.

(3) عبد الجليل؛ عبد القادر، الأصوات العربية سلسلة الدراسات اللغوية، ط1، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1993م، 257.

(4) ينظر، بشر، الأصوات العربية، 163.

فإذا ابتغي التفريق بين جملتين، إثباتية أو استفهامية، فإن أهم أساس للتفريق هو التنغيم، أو التكوين الموسيقي، الذي يعد جزءاً لا يتجزأ من النطق نفسه.

ومن الأمثلة التي طرحها د. بشر: قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَّذْكُوراً﴾ (الإنسان: 1). وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ﴾ (التحريم: 1). حيث يقول: " قرر المفسرون أن "هل" هنا معناها "قد" وفسرها بعضهم بعبارة بسيطة، ولكنها تحمل القصة كلها في طيها. ويقول هؤلاء: إن "هل" للاستفهام التقريبي، أي: الجملة تقريرية، وليست استفهامية، ويفصل الأمر في ذلك برأينا إنما هو التنغيم والموسيقى. أما في الآية الثانية فأكد أن من العلماء من قرر بأن جملة تبتغي...جملة استفهامية. وتقرير الكلام: أتبتغي؟ بحذف الهمزة. والحكم بأنها استفهامية من هذا النوع. وليس هناك من داع إلى تقدير المحذوف، إذ الكلام مفهوم بدون هذا التقدير(1). فليُنظر إلى تلك الكلمات التي إن نغمت حسب معناها، جاءت موسيقاها مناسبة لدلالاتها.

- "أم" تقع موقع "بل" كما قال عز وجل: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ﴾ (الطور: 30) أي: بل يقولون شاعر، فيهبط التنغيم إلى أدنى درجاته فيوحي منهم بالتشكيك في شاعرية محمد صلى الله عليه وسلم.

و"أم" تأتي بمعنى الاستفهام، كقوله تعالى: ﴿أَمْ تَرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ﴾ (البقرة: 108) أي: أتريدون أن تسألوا رسولكم، فيصعد التنغيم للاستفهام منهم عن سؤال الرسول.

- "أن" تقع بمعنى "لعل" كما قال عز وجل: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأنعام: 109) والمعنى: لعلها إذا جاءت.

واعتبر د. تمام حسان أن ارتفاع الصوت يؤدي دلالة توكيدية غالباً، أما نسبيته فتؤدي دلالة خبرية، فإن كان أعلى قليلاً دل على استفهام(2).

- "إلا" تقع بمعنى "بل" كما قال عز وجل: ﴿طه* مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى* إِلَّا تَذَكَّرَ لِمَنْ يَخْشَى﴾ (طه: 1-3) بل تذكرة لمن يخشى.

وتقع بمعنى "لكن" كما قال عز وجل: ﴿أَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ* إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ﴾ (الغاشية: 22) معناه: لكن من تولى وكفر.

- "بل" تقع بمعنى "إن" كقوله تعالى: ﴿ص* وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ* بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾ (ص: 1-2) معناه: إن الذين كفروا في عزة وشقاق.

- "بعد" تقع بمعنى "مع"، قال تعالى: ﴿عَتَلٌ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ﴾ (ن: 13) أي: مع ذلك.

(1) ينظر، بشر، الأصوات العربية، 189.

(2) ينظر، حسان، تمام، مناهج البحث في اللغة، ط1، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1975م، 164.

- "لعل" تقع بمعنى "كي" قال تعالى: ﴿وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (النحل: 15) أي: كي تهتدوا. وحتى نستطيع تدوق الأثر النغمي والموسيقي للآيات السابقة، لا بد أن نتعرف على التنغيم من الناحية السياقية؛ لتدبر كيف نقرأها بنغمها حسب المراد منها.

- ومن أساليب النداء التي يتضح فيها دور التنغيم، قوله تعالى: ﴿يوسف أعرض عن هذا واستغفري لذنبك﴾ (يوسف: 29) إذ المقطع الأول خطاب لرجل، والثاني خطاب لامرأة، والنغم وحده هو الذي يفصل بين الخطابين، وانظر كيف خلا المقطع الأول من أداة النداء، والذي يدل عليه فقط هو النغم " (1).

التنغيم ظاهرة سياقية: وقد تحدث د. تمام حسان عن التنغيم عندما يكون ظاهرة سياقية يقول: " ومن هذا القبيل ما يحدث من أن يحيي المرء شخصاً يكرهه هو، ويود أن لو اختلف عن ناظره، فيحتفظ بالعبرة العرفية "التحية" ولكنه يغير وظيفتها، ويحملها من نغمة الكراهية وتعبيرات الملامح التي تصاحبها ما يجعل التنغيم هنا ظاهرة سياقية، وذلك كأن يجعل المتكلم شفيته على صورتها التي ينطقان بها "الكسرة" ويضيق عينيه، ويقلص ما بين حاجبيه حين ينطق التحية بنغمة الكراهية قائلاً: " كيف حالك يا عزيزي " .

ومن المواطن التي يصير فيها التنغيم ظاهرة موقعية في السياق أن يعمد المتكلم إلى التظاهر بأمر هو عكس ما يتطلب الموقف من تنغيم، كأن يقص المتكلم أمر حادثة مات فيها عدد من أصحابه وأقربائه، ولكنه يريد أن يبدو هادئاً في سرد القصة؛ لئلا يثير أحزان السامعين بصورة أشد، فيصطنع لهذا الكلام الذي يحتمل نغمة الحسرة والجزع نغمة أخرى فيها هدوء وتماسك. فهنا تعطي الجملة وظيفة جديدة، ونغمة غير نغمتها التي في النظام، ويكون التنغيم ظاهرة سياقية " (2).

ويمكن القول هنا أن التنغيم في سياق الكلام، يساهم في إثراء المقام، وخدمته. وذلك كقوله تعالى: ﴿الحمد لله﴾ (الفاحة: 1) تقال في سياق الثناء على الله - تعالى - وفي سياق الرضا الكامل بشيء ما. وفي سياق الرضا مرغماً... الخ. وفي كل سياق لها تنغيمها الخاص الذي يوحى به.

(1) دومي؛ خالد قاسم، دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم، ط1، عمان، عالم الكتب الحديث، 2006م، 158.

(2) حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، 310.

التنغيم وعلاقات الكلمات

التنغيم يظهر في الحرف والكلمة والجملة، فاستخدام حرف النداء "يا" عند نطقها ممدودة مدا زائداً يمكن أن تحمل دلالة البعد، فيما لو استخدمت بدون مد زائد تحمل دلالة القرب، وكذا حرف النفي "لا" عند مده مدا زائداً يحمل دلالة تشديد النفي وتأكيد، الشيء الذي لا يحمل عند عدم وجود مد زائد. و" إن المتكلم -أحياناً- يستعمل "النعمة" على صورة تقوي من العلاقة بين إحدى كلمات السياق، وبين معناها الذي سيقى له. فإذا قال: "بلاد بعيدة" عبر عن شدة البعد بمد الياء مداً طويلاً، وكذلك الفتحة التي بعدها من كلمة "بعيدة" ونطق الياء والفتحة على نغمة واحدة مسطحة عالية نوعاً ما. وإذا أراد أن يقول: إنه قدف حجراً إلى أعلى، فوصل إلى علو شاهق، فلربما منح ذلك التنغيم نفسه لكلمة "فوق" فمد حرف المد منها بصورة ملحوظة، ورفع الصوت به. وهذه الظاهرة يستغلها ملحنو الأغاني كثيراً " (1). لذا " تعد درجة الصوت أو نغمته جزءاً متأسلاً من الكلمة، وقيمتها الفونيمية تعادل تماماً قيمة أصوات العلل، أو أصوات السواكن " (2). وإنك " إن عمدت إلى ألفاظ فجعلت تتبع بعضها بعضاً من غير أن تتوخى فيها معاني النحو، لم تكن صنعت شيئاً تدعى به مؤلفاً، وتشبهه معه بمن عمل نسجاً أو صنع على الجملة صنيعاً، ولم يتصور أن تكون قد تخيرت لها المواقع " (3). ويعد هذا المصدر الموسيقي " التنغيم " واحداً من المصادر التي شكل وجودها في القرآن ظاهرة، تختلف أغراضها من سياق لسياق، ومن كلمة لأخرى، الأمر الذي يجعل من الآيات مركزاً للتنغيم والتطريب والجذب.

المصدر السادس: تأليف الكلمات والجمل

تأليف الكلمات والجمل بعضها في إثر بعض إنما يأتي من النظم، والنسق، والترتيب، والوزن، والتوازن. فإذا اجتمعوا حققوا أفصح الكلام، وأبينه، وأظهره، وأبلغه إيقاعاً وتطريباً، وهذا لا يخفى على عاقل " أعلمت أنه لا يكون الإتيان بالأشياء بعضها في إثر بعض على التوالي نسقاً وترتيباً، حتى تكون الأشياء مختلفة في أنفسها، ثم يكون للذي يجيء بها مضموماً بعضها إلى بعض غرض فيها ومقصود، لا يتم ذلك الغرض وذلك المقصود إلا بأن يتخير لها مواضع، فيجعل هذا أولاً، وذلك ثانياً؟ فإن هذا مالا شبهة فيه على عاقل. وإذا كان الأمر كذلك، لزمك أن تبين الغرض الذي اقتضى أن تكون ألفاظ القرآن منسوقة النسق الذي تراه " (4). وإذا اتفقت كلمتان في المعنى والدلالة مع لفظيهما، يكون للكلمتين موسيقى بجرس متناسب بينهما، الأمر الذي يحدث أثراً عميقاً

(1) حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، 310.

(2) ماريو باي، أسس علم اللغة، ترجمة: أحمد مختار عمر، ط2، القاهرة، عالم الكتب، 1983م، 94.

(3) الجرجاني، دلائل الإعجاز، 371.

(4) الجرجاني، دلائل الإعجاز، 473.

مصحوبا بتأكيد الثانية لدلالة الأولى في الصوت والدلالة، وهذه بعض الأمثلة التي يتضح فيها المقال.

المثال الأول: لقد جاء تأليف الكلمات والجمل في قوله تعالى: ﴿لَا تَقْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتْكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى﴾ (طه: 61). فالشاهد هنا قوله تعالى: "فَيُسْحِتْكُمْ" و"خَابَ مَنْ افْتَرَى" حيث كان المعنى لهما واحدا، لكن اللفظين فيهما اختلاف حسب ما ظهر. ويمكن الإشارة إلى لطيفة صوتية أزاحت اختلاف اللفظين؛ ليبدوا منسجمين متقاربين، فإن المتلقي حتما سيجد أن قوله "فيسحيتكم" احتوت على حروف الهمس التي تتوافق مع دلالة عدم القدرة من المعذب على إصدار أي من الأصوات، فكانت الحروف جلها مهموسة تنتهي بصوت الميم التي تنطبق عند خروجه الشفتان، وكأن المعذب قد انتهى به الحال إلى السكوت بعد الهمس، وهذا من أدق اختيار الألفاظ ودلالاتها. ولكن لم تنته النغمات المؤلمة عند هذا الحد، لقد أتت بعدها "خَابَ مَنْ افْتَرَى" الجملة التي أفادت معنى ما أفادته "فيسحيتكم" واحتوت على الخاء والفاء والتاء وكلها أصوات مهموسة. إن هذا التقارب بين صفات بعض أصوات الكلمتين تكشف عن نغم موسيقى لطيف يصاحب توافق المعنى والدلالة. وقد أضافت الجملة الثانية "من افترى" في ختامها بحرف الراء التكراري مع الألف الممدودة استمرارية حال السائرين على منهج التكذيب في الوصول إلى المصير نفسه الذي لا حصاد فيه إلا الندم؛ ليغدو السياق بعد ذلك سياقاً متوالفاً، ومتناسقاً، وأكثر جمالاً.

المثال الثاني: قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْتُمْ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (الأنعام: 10). ومن نظر إلى المعنى الذي توافق واتحد في "استهزىء" و"سَخِرُوا مِنْهُمْ" ودقق، وأمعن الفكر والسمع لأصوات كل منهما، أدرك المهموس من الكلمتين، الذي تبدي من صوتي "السين" و"الهاء" المتوافقين. و"التاء" التي تقابلها "الخاء" كلها أصوات مهموسة خجولة مما كانوا يفعلون. ويرى الخفاجي أن "لتأليف اللفظة في السمع حسنا وميزة على غيرها، وإن تساوتا في التأليف من الحروف المتباعدة. وليس يخفى على أحد من السامعين أن تسمية الغصن غصنا أو فننا أحسن من تسميته عسلوجا، وأن أغصان البان أحسن من عسالج الشوحط" (1). كيف لو اجتمع الكلام على أحسن اللفظ، وأندى المعاني. وذلك في القرآن كله، كلماته، وجمله، وآياته، وسوره، فقمة الإعجاز إذن هو.

(1) الخفاجي؛ ابن سنان، سر الفصاحة، تحقيق: عبد المتعال الصعيدي، د ط، مصر، مكتبة محمد صبيح، 1953م، 67.

المصدر السابع: التكرار "التكرير أو المجاورة"

التكرير لغة: هو مصدر " كرر إذا ردد وأعاد " (1).

اصطلاحا: المجاورة والتكرار فن واحد، فالمجاورة: " تردد لفظتين، ووقوع كل واحدة منهما بجانب الأخرى، أو قريبا منها، من غير أن تكون إحداهما لغوا، لا يحتاج إليها " (2).

التكرار والإيقاع:

هدف الحديث ليس الاستطراد في استعراض فوائد التكرار، ودلالاته اللغوية. ففي ذلك كتب الكثيرون. إنما الحديث؛ لتبيان آثار هذا التكرار في نفوس القارئ، والسامعين، ومدى تأثيرهم بإيقاعه، وهل أحدث التكرار نغما موسيقيا جاذبا؟ كل ذلك مع فيض من الدلالات والمعاني. إن هذا ما قرره وأكده غير واحد من العلماء، منهم صاحب البرهان يقول: " إن التكرار في الآيات مع سائر الألفاظ لم يوقع في اللفظ هجنة، ولا أحدث ملاما، فباين بذلك كلام المخلوقين " (3).

وإن أكثر " ما يقع التكرار في الألفاظ دون المعاني، وهو في المعاني دون الألفاظ أقل. فإذا تكرر اللفظ والمعنى-جميعا- فذلك الخذلان بعينه " (4). يقول الزركشي عن فوائد التكرير: " وفائدته العظمى التقرير. وقد قيل: الكلام إذا تكرر تقرر " (5).

هذا، وقد استعمل العرب في لغتهم التكرار في الحركات، والحروف، والكلمات، والجمل، ورغم ذلك كانت فواعة النظم للقرآن. الأمر الذي يثبت لأصحاب الذوق والفهم.

أغراض التكرار وفوائده في القرآن الكريم

إن التكرار في القرآن الكريم له حضور كبير، سواء تكرر الجملة، والكلمة، والحرف " وقد غلط من أنكر كونه- التكرار- من أساليب الفصاحة ظنا أنه لا فائدة له وليس كذلك، بل هو من محاسنها- لا سيما- إذا تعلق ببعضه ببعض. وذلك أن عادة العرب في خطاباتها إذا أبهمت بشيء إرادة لتحقيقه، وقرب وقوعه، أو قصدت الدعاء عليه كررته توكيدا، وكأنها تقيم تكراره مقام المقسم عليه، أو الاجتهاد في الدعاء عليه حيث تقصد الدعاء. وإنما نزل القرآن بلسانهم وكانت مخاطباته جارية فيما بين بعضهم وبعض، وبهذا المسلك تستحكم الحجة عليهم في عجزهم عن المعارضة " (6). وبهذا يتبين أن التكرار له موسيقية ربما يستدعيها التكرار من خلال توازن الحروف، أو الكلمات، أو الجمل المكررة. وكذلك له العديد من القيم، والفوائد، والأغراض، منها:

- (1) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 627.
- (2) العسكري، أبو هلال، الصناعتين، 466 .
- (3) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 638.
- (4) القيرواني، ابن رشيق، العمدة، 2: 25.
- (5) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 638.
- (6) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 627 .

أولاً: الإنذار

تكرار بـ "ثم" في قوله تعالى: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ (التكاثر: 3-4). "ثم" دلالة على أن الإنذار الثاني أبلغ " (1). إن تكرار الآية نفسها بربطها بـ "ثم" فيه إيقاع الإنذار، الذي يهيئ النفس؛ للتهديد الشديد الزاجر الآتي في الآيات بعدها وبرز من هذا التكرار للكلمات الثلاث توازنا نبعت منه موسيقية محققة ومؤكدة للمعنى، وخلق هذا التكرار للكلمات الثلاث توازنا نبعت منه موسيقية أكدت المعنى، وقوت دلالاته.

ثانياً: التنبيه

فالتكرار لحرف النداء في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِي أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ * يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ﴾ (غافر: 38-39).

جاء " للتنبيه على ما ينفي التهمة؛ ليكمل تلقي الكلام بالقبول" (2). ولما كرر قوله: "يا قوم" أحدث توازنا بين الآية الأولى والثانية. مما هياً خروج الإيقاع؛ ليراعي السامعون مهمة الرسل الشاقة التي صورت حقيقة الرسل المشتغلين بتا مع الأقوام على الدوام.

ثالثاً: قصد طول الكلام

المثال الأول: قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (النحل: 119) إن قمة الروعة في المعاني، وجمال الإيقاع، يتجلى بديباجة الألفاظ المكررة، ليخلق فوق الجمال توازنا، وعذوبة في استحضار الذوق للمعنى. وذلك من خلال: "ثم" و"إن" و"ربك" فكل لفظة تكررت مرتين مدهشتين، كيف لو علم أن كل لفظة منهن احتوت على جرس آخر، هو جرس حرفي " الميم والنون " المشددتين المنغمتين، والراء الذي يعتبر صوت التكرير صفتها اللازمة. هذا فضلا عن احتواء الآيتين للتمفصل الداخلي بين "عملوا" و"تابوا" و"أصلحوا" اللواتي احتفظن بنفس النهايات، وأجمل بها من نهايات، عندما تكون واوا طويلة. وفيها دلالة على استمرارية الحركة. فالعمل والتوبة والصلاح، كلها أفعال تقتضي من صاحبها العمل والحركة.

المثال الثاني: قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (النحل: 110)، وبنفس المشهد النغمي السابق يتبدى للأسماع صوت كل من "ثم" و"إن" و"ربك" والتمفصل الداخلي بين "هاجروا" و"فتنوا" و"جاهدوا" و"صبروا" وكذلك توافق "هاجروا" و"بعدها" في "ها" كل ذلك أشعل إيقاعا، ونغما في جميع أرجاء السياق. وتشعر تلك الواو بديمومة الحركة، وديمومة الأثر النفسي المنبعث منها.

(1) القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، 190.

(2) القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، 191.

رابعاً: تعدد المتعلق

المثال الأول: قال تعالى: ﴿فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبِّكُمْ تُكذِّبُونَ﴾ (الرحمن: معظم آيات السورة)؛ لأنه -تعالى- ذكر نعمة بعد نعمة، فتعلق باللاحق بالسابق.

المثال الثاني: قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّيَوْمِئذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ (المطففين: 7-12)؛ لأنه تعالى ذكر قصصاً مختلفة، وأتبع كل قصة بهذا القول، فصار كأنه قال عقب كل قصة: ويل يومئذ للمكذبين بهذه القصة (1). وفي الآية الثانية إيقاع الوعيد، والتهديد للذين يكذبون بيوم الدين. فكلما كررت الآية، زاد من تخويفهم، وإرهابهم؛ لمخالفتهم ما يعرفون صدقه وحقيقته، من أن الذي خلقهم من عدم، قادر على إرجاعهم وإعادتهم، وذلك أهون عليه، وكان لهذا التكرار نغمة الذي يزيد النفس تخويفاً وترهيباً.

المثال الثالث: قال تعالى: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ (الروم: 19).

هذه الآية احتوت على تكرر جميع ألفاظها. الفعل المضارع "يخرج" في الأولى، والذي يقتضي الاستمرار؛ لأن الحياة في الدنيا مناطها التنازل، والتكاثر، ثم الإخراج، إخراج حي من ميت؛ لتستمر الحياة. وتقدم الحي هنا؛ لأن الحديث فيها عن الدنيا التي لا ينتفع بها الميت، وإنما المنتفع الحي فبدأ به. أما الفعل "يخرج" في الثانية، للدلالة على أن نهاية الإنسان في الحياة الدنيا هي الموت وفي كل ذلك ففي الآية تبيان "قدرته -سبحانه- على خلق الأشياء المتقابلة... فإنه يذكر فيها خلقه الأشياء وأضدادها؛ ليدل خلقه على كمال قدرته. فمن ذلك إخراج النبات من الحب والحب من النبات، والبيض من الدجاج والدجاج من البيض، والإنسان من النطفة والنطفة من الإنسان" (2). توازن بديع ذلك الذي تولد منه نغم دل على تلك الحركة الدورانية.

أنواع التكرار

النوع الأول: تكرر الحركات

وهذا النوع يمكن أن يكون له مكان في آخر، وذلك عندما تناول الباحث الحديث فيه تحت عنوان الحركات والصوامت، ولكن الأمر هنا موجز ومختصر، يمكن الاكتفاء بتأكيد ذكره كمصدر من مصادر الموسيقى في النص القرآني. يقول د. أنيس: "حركات الإعراب لا تعدو في نشأتها أن تكون بمثابة الروابط بين الكلمات.. (و) نظام المقاطع في نطق العربي يلزم طريقاً خاصاً، ويتطلب تلك الروابط في معظم الأحوال فهي ضرورية صوتية. أما ما يعين حركة معينة فأحد عاملين.

أولهما: إثارة بعض الحروف لحركات معينة كحروف الحلق حين تؤثر الفتح.

(1) ينظر، الفز ويني، الإيضاح في علوم البلاغة، 191.

(2) ابن كثير، تفسير القرآن الكريم، ط2، 3: 400.

ثانيتها: انسجام هذه الحركة الرابطة مع ما يكتنفها من حركات أخرى " (1).

النوع الثاني: تكرار الحرف

إن تكرار الأحرف، وتتبع الناتج عن هذا التكرار، هو ما يعني الباحث؛ لأن ذلك يعتبر أول جزء من الموسيقى الكلية، أي تعبير عن وقع المضمون، أو وحدة الحديث. ومن ناحية أخرى، فإن هذه الأحرف التي تشكل الأصوات محكومة بوقع أساسي آخر، هو ترتيب الأصوات الثابتة والمتحركة بنظام معين. هذا وقد سن العرب التكرير والإعادة، إرادة الإبلاغ حسب العناية بالأمر. وأما القرآن، فلك أن تستلذ نفسا، وأن تطرب أذنا، بما تحس وتسمع لكل حرف مكرر من حروفه.

المثال الأول: قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تَرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا﴾ (غافر: 67).

- تكرار حرف " اللام " الذي تناسق وجوده بدءا من:

" الذي، خلقكم، طفلا، لتبلغوا، لتكونوا "

- أصوات الإيقاعات التي تولدت من تكرار حرف " الميم " بلغت حدا عجبيا من الجمال، والمذكورة إحدى عشرة مرة، وذلك في كل من " خلقكم، من، ثم، يخرجكم، أشدكم ".
- للمتلقي أن يدرك بذوقه جمال الفاصلة الداخلية المكررة بـ " ثم " والتي تحدث ميمها غنة بمقدار حركتين.

- الفاصلة الداخلية التي تكررت فيها الأصوات، وتمائلت في نهايات الكلمات:

" يخرجكم، وأشدكم، وخلقكم "

" لتبلغوا، لتكونوا "

- التكرار للتاء المؤنثة الذي تنتزح بالتوازن الحاصل من الأصوات "نطفة وعلقه".
- التوازن الثاني بين "يخرجكم، وأشدكم، وخلقكم" والذي يتوزع من أول الآية، ووسطها، حتى آخرها.
- تناسب الفاصلة "ألف الإطلاق" بين "طفلا، شيوخا".
- حركة الضمة المتكررة، التي تجولت من بداية المقطع لنهايته في كل من هاء "هو" و كاف "خلقكم" و تاء "تراب" و ثاء "ثم" والتي تكررت خمس مرات فيها. ثم ياء "يخرجكم".
- هذا وكيف لو تدبر ذوق المتلقي -كمالا للانسجام بالنغم والإيقاع- تلك الواو القصيرة، والواو طويلة التي صحبت كلا من:

" هو " و " لتبلغوا " و " لتكونوا " و " شيوخا "

(1) أنيس، دلالة الألفاظ، 207.

إن هذه الأصوات المنسجمة التي تتابعت في نسق من هذا النظم لعجيب أمرها، إذ تمثل صورة من صور الخفة والسرعة، وتحقق صورة من صور الجمال والإبداع، والتي تقع من النفس عبر الأذن موقعا وقرارا.

المثال الثاني: قال تعالى: ﴿الذين يظاهرون منكم من نسائهم ما هن أمهاتهم إن أمهاتهم إلا اللائي ولدنهم وإنهم ليقولون منكرا من القول وزورا وإن الله لعفو غفور﴾ (المجادلة: 2). لقد تكرر في الآية حرف "من" ثلاث مرات، موزعا على مسافات الآية؛ ليصنع بذلك توازنا تتبع منه موسيقية داخلية، كما تكرر حرف "الميم" في الآية 12 مرة؛ ليطرب الأسماع بغنته الجميلة، وليساهم في إثراء الآية بالتطريب في توافق نهايات ست كلمات به "منكم" و"نسائهم" و"أمهاتهم" و"ولدنهم" و"إنهم". أما حرف "النون" الذي لا تتفك غنته أيضا فتكرر في الآية 13 مرة، و"التنوين" 4 مرات، فزاد الآية ثراء نغم وتطريب. وفي الآية تكرر مقطع "هم" خمس مرات في نهاية خمس كلمات، كما تكررت كلمة "أمهاتهم" مرتين. إن هذا التكرار مع ذلك التوازن، ومع تماثل ميزان بعض الكلمات، ومع التقفية الخارجية، حقق في الآية تطريبا موسيقيا عجايبا.

النوع الثالث: تكرار الكلمة

يعتبر تكرار الكلمة " من صنع العرب في إظهار العناية بالأمر، كما قال الشاعر:

مهلا بني عنما مهلا موالينا

وكما قال الآخر:

كم كم وكم

كم نعمة كانت لكم

تكرر لفظ "كم" لتكثير العدد (1). وقد جاء في القرآن كثيرا، ولم يأت اعتباطا، إنما جاء لتحقيق جملة من الفوائد، وهذه بعض الأمثلة تأكيدا على ذلك:

المثال الأول: قال تعالى: ﴿أولى لك فأولى﴾ (القيامة: 35)، فتكرار كلمة "أولى" شكل جمالا موسيقيا، تمثل في تماثل الكلمتين في عدد الحروف، وتوازنهما، ووزنهما، وانتهاء كل منهما بالألف التي تمد حركتين، وموافقة الفاصلة للفواصل بعدها. ساهم ذلك كله في تشكيل الآية بنغم موسيقي أخاذ، وساهم هذا النغم في تأكيد المعنى.

المثال الثاني: قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾ (المزمل: 14)، كثر لفظ: "الجبال" لأنه في مقام التهديد والوعيد، ثم إنه لو أضمر، فقال: " وكانت كثيبا " لكان محتملا أن يعود الضمير على الأرض، فتكون هي التي أصبحت كثيبا مهيبا. وهذا غير مراد،

(1) الثعالبي؛ عبد المالك أبو منصور، فقه اللغة وسر العربية، د ط، بيروت، دار الفكر، د.ت، 274.

فمنعنا لهذا الاحتمال أظهر في موضع الإضمار " (1). ويرى الباحث أن لهذا التكرار جمالا لا يستعاض به غيره، وذلك للأمر الآتية:

أولها: الحقيقة العلمية، إذا كانت مشاهد القرآن معلومة، لا تحتاج إلى تأكيد، لكنها لما كانت مستقبلية وفي عالم الآخرة والغيب، احتاجت إلى هذا التكرار؛ لتأكيد تلك الحقيقة؛ ولتكون أبلغ لكل مرجف مرتاب.

ثانيها: إن هذا التكرار أحدث نغما موسيقيا موزونا، لا يتدبره إلا ذو الذوق الرفيع، والحس الرهيف، فلو حذفت الكلمة الأولى؛ لاختل المعنى ودلالته، واللفظ وجرسه، وكذا لو حذفت الثانية المكررة.

ثالثها: إن كلمة "الجبال" الأولى معطوفة على فاعل لفعل مضارع مستمر، كأنها مشاهد للناظرين. وأما كلمة "الجبال" الثانية فهي الفاعل المباشر دون عطف، وهي لفعل ماض؛ ليكون أبلغ في التأكيد، كتأكيد "قد" إذا تبعها الماضي.

المثال الثالث: قال تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ﴾ (الإسراء: الآية 7) ذلك النغم يأخذ بيد المتلقي للإحسان، بكل لطف، وهدوء، وسكينة. كما جاء في الآية تكرار الحروف طبعاً، وأحدث تكرارها جرساً خاصاً، مع وجود جرس من حرفي النون والميم، وغيرهما، وهذا توضيح ذلك:

1- تكرار "أحسنتم" بنفس الحروف، حيث الأولى فعل الشرط، والثانية جوابه، فكان التكرار لتلك الفائدة. وتكرر حرف السين المهموس ثلاث مرات، مرتين في كلمة "أحسنتم" وثالثة في كلمة "أنفسكم" لتتناسب الحديث الهادئ المهموس إلى النفس.

2- تكرار صوت "النون المغنة" أربع مرات. وهذا عزز ما ذهب إليه الباحث، فإن حكم النون هنا الإخفاء، ليتناسب مع حالة وعظ النفس الهادئ المهموس، وحالة احتفاظ النفس بالخير الذي تفعل؛ لأن فائدته تعود عليها.

3- تكرار صوت "الميم المغنة" ثلاث مرات خطاب يضم الجميع، كما تضم الشفتان حال نطق الميم.

3- أصوات الهمس وما أدراك ما أصوات الهمس، "الحاء" تكررت مرتين، و"السين" ثلاث مرات و"التاء" مرتين و"الفاء" و"الكاف" فهذه تسع أصوات مهموسة، درجت في هذا السياق، فأكدت السابق كله.

4- النوع الرابع: تكرار الجملة

المثال الأول: جاء في كتاب الله-تعالى- التكرير، قال سبحانه: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (الرحمن: جميع آيات السورة)، فإنك لو تجولت بسمعك في نواحي السورة؛ لبهرت ما تسلتذ به

(1) العايد، نظرات لغوية في القرآن الكريم، 286.

من هذا التكرار الذي يتوشح بجملة من المعاني تجري في السورة، وهناك لا تجد أذنا تمج، ولا وجدانا يفر، بل الجذب للنغم، والإيقاع. الأمر الذي يجعلك تسبح في الأفلاك متديرا، ومتفكرا في عظمة خالقها، ومنشئها سبحانه وتعالى.

المثال الثاني: قال عز وجل: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ (المرسلات: تكررت في بعض الآيات)، وقد سبق الحديث عن هذه الشواهد (راجع: تكرار المتعلق). وتكررت تلك الآية في السورة عدة مرات، وشاهد القول هو أن النغم الموسيقي الذي تولد من تكرارها فيه دلالة على تأكيد المصير السيئ الذي سينتهي إليه هؤلاء. كما كثرت في الآية الحروف المكسورة؛ لتؤكد حالة الكسر التي سيصابون بتا من مصير السوء، وعاقبة الويل.

المثال الرابع: قال تعالى: ﴿فكيف كان عذابي ونذر﴾ (القمر: تكررت في بعض الآيات)، استفهام تقريعي متكرر في السورة أربع مرات بلفظه نفسه، وباختلاف بعضه مرتين، ليساهم في بناء نغم منتظم في الآيات، تكشف عنه النفس التي تمتلئ رهبة بسماعه، وخوفا وترعيدا بتلقيه. هذا وقد تجد لذلك في لغة العرب أصلا، فقد نقل عنهم تكرار الجملة مرات ومرات في القصيدة؛ لمقاصد عدة. كما قال "الحارث بن عباد:

لفحت حرب وائل عن حيال

قربا مربط النعامة مني

فكر قوله: "قربا مربط النعامة مني" في رؤوس أبيات كثيرة عناية بالأمر، وإرادة الإيلاج في التنبيه والتحذير " (1).

المصدر الثامن: التناسب والتناسق

التناسب هو أن " يقرن الغريب بمتله، والمتداول بمتله؛ رعاية لحسن الجوار والمناسبة، كقوله تعالى: ﴿تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾ (يوسف: 85). أتى بأغرب ألفاظ القسم، وهي التاء فإنها أقل استعمالا، وأبعد من أفهام العامة بالنسبة إلي الباء والواو، وبأغرب صيغ الأفعال التي ترفع الأسماء وتنصب الأخبار؛ فإن "تزال" أقرب إلي الأفهام، وأكثر استعمالا منها، وبأغرب ألفاظ الهلاك، توخيا لحسن الجوار ورغبة في انتلاف المعاني بالألفاظ، وذلك لتتبادل الألفاظ في الوضع، وتتناسب في النظم " (2).

ويرى الباحث أن ثمة لونا آخر من ألوان التناسب الموجد للإيقاع، الذي حقق نغما تستلذه الأذن وتستعذبه النفس، وذلك من تردد حرف التاء في بداية الكلمات "تالله، تفتأ، تذكر، تكون، حتى" وتكررت التاء مرتين في "تفتأ" ومن فوائد هذا الحرف المتكرر سيع مرات، زيادة النغم والتطريب الحاصل منه. ولا يقف الحد عند ذلك إنما يتمشى الذوق بإدراكه؛ ليطمع في تتابع الضمة التي

(1) ينظر، ابن فارس، الصحابي، 158.

(2) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، 3: 237.

أوجدت تناسبا بين كل من "تفتأ" و"تذكر" و"يوسف" فأية سلاسة منطوق، وعذوبة لفظ، وجمال تناسق بعد هذا الكلام ومثله.

ومن التناسب: الإبدال و" هو إقامة بعض الحروف مقام بعض (1)، وذلك بهدف التناسب والنغم الذي تستعطره الأذن؛ ليكون الإيقاع الأبلغ في القلب والنفس، وهو في القرآن قليل، ويورد البحث مثلا واحدا منه.

المثال: قال تعالى: ﴿فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ (الشعراء: 63) " فانفلق " أي: انفرق.. فالراء واللام متعاقبتان " (2).

المناسبة والإيقاع: للمناسبة فوائد منها: " جعل أجزاء الكلام بعضها آخذا بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط، والتأليف حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء " (3). وإن لكل كلمة في القرآن موقعها الذي لو نقلت منه لاضطرب المعنى نقصاً غير محمود أو زيادة ممجوجة، وإن الكلمة في موقعها تأخذ أبلغ مكانة، لاستظهار أجل المعاني وسط الكلام بلا ريب، وتحدث أعذب الإيقاع دون شك. والمناسبة الموسيقية لا تخلو في القرآن منها آية أو لفظة، فهو يشكل بنظمه اثتلافا وترابطا لا نظير البتة له. ومما يدل على أن البغية الموسيقية في آي القرآن، ليست اضطرارية ولا تكون على حساب المعاني في أسمى دلالاتها هو أنه " لا يمكن تفسير الإتيان على اللفظ إلا في ضوء المناسبة الصوتية الموسيقية بين صوتين " (4). وهذا ليس موجوداً في القرآن بحال، وذلك مثل قولهم: جحر صب خرب. أما القرآن فالتناسب واقع في كل تأليفه ونظمه، ولا يستطيع البحث لها حصرا في هذا المقام المتواضع، بينما يقدم بعضا من الشواهد لذلك.

الشاهد الأول: قال تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُوسِ*الْجَوَارِ الْكُنُوسِ*وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ*وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ (التكوير: 15-18). أذن تستلذ، وعقل يندهش، وفؤاد يطرب، ولسان يستعذب من ذلك التناسق المنظوم بين أصوات الكلمات، السين التي فصلت بين آية وآية وقد تكررت خمس مرات، لتتبعها همزة وصل إن وصلت، وإلا فاللام القمرية، التي أحدثت بهذا التتابع جرساً، وحققت به جمالاً في كل من: الجونس، الجوار، الكنس، الليل

وعندما تتواصل النغمات من خلال ذلك المد الطبيعي المكرر بمقدار حركتين في كل صوت ألف. فجاء متناسباً متناسقاً مع نغم هذه الكلمات المرصوفة، ليجد المتلقي السين في كل من:

أقسم، الخنس، الكنس، عسعس، تنفس

(1) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، 3: 238.

(2) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، 3: 239.

(3) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 26.

(4) حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، 374.

كل ذلك مع هذا الميزان الفاصل، الذي تساوت في كفته أصوات هذه الكلمات عددا. فأى بهاء بعد هذا البهاء، مع ما يلحق بذلك من صوت "النون" المغن المكرر ثلاث مرات في الكلمات:

الخنس، الكنس، تنفس

وليس ذلك فحسب بل جاء صوت "النون" مفتوحاً فيها جميعاً، ومشدداً في بعضها بالفتح. ولا ينسى المتلقي ذلك التقارب بين النون واللام في المخرج، ووجود الفاصل صوت الخاء في "الخنس" وصوت الكاف في "الكنس".

كل ذلك يأتي بتتابع نغمي إيقاعي موسيقي يقع من القلب موقع الرضا والقبول، ويحل في الوجدان حلولا بلا فكاك. أما صوت النون المشددة التي أحدثت ترنماً، فجادت وحسنت في كل من: "الخنس، الكنس" ولم تغادر "الفاء" في كلمة "تنفس" هذه الإجادة، ولا ذلك الحسن، فجاءت مشددة. وكذا "اللام" في كلمة "الليل" و"الصاد" في كلمة "الصبح" وأتى التشديد في الصوت الثاني من الكلمتين الأخيرتين. لقد تناسب كل ذلك مع بعضه واتحد؛ ليعطي للمتلقي أكثر من فرصة للانسجام، وأكثر من نغم للتكيف، وأكثر من مصدر موسيقي لشد انتباهه.

الشاهد الثاني: قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ مَن أقرءوا كِتَابِيهِ* إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيهِ* فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ* فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ* كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ (الحاقة: 10-15).

وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهِ* وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيهِ* يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ* مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَةَ* هَلْكَ عَنِّي سُلْطَانِيَةَ* خُدُوهُ فَعُلُوهُ* نَمَّ الْجَحِيمِ صَلْوُهُ* نَمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾ (الحاقة: 16-20). يا للمشاهد الواقعة في قلب الوجدان، المحركة للضمير، تهتر لها أوتار الأعصاب حتى تلبث أن تهدأ في آخر كل آية، بكلمة تنتهي بهاء السكت الأخاذة العجيبة ولكن، لماذا هاء السكت في كلا المقطعين، عند الحديث عن حال المؤمن وحال الكافر ألم يختلفا في أحوالهما، ألم يفترقا في مآليهما، ومع ذلك فالهواء الساكنة الساكنة سكنت عند الجميع لفائدة، فلكل منهما نغمه المناسب رغم تشابه نهاية الكلمات.

أما الفائدة: فإن المؤمن والكافر أمام بعض أهوال الآخرة حالهما واحد، وذلك عندما يخرج الجميع من قبورهم في مشهد واحد يقول الله عز وجل: ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ (النور: 40). فحتمًا ستكون الصدمة لما يرون من مشاهد رأي العين، فالكل هارح إلى مكان الحشر، الكل فزع مذهول، الأبصار شاخصة، والألسن عن الكلام صامتة، والجسوم عارية. مشهد يتوحد فيه الجميع منتظرين، ماذا سيحل بهم؟ فحاكى سكوتهم جميعاً كلام ربهم في مثل هذا المشهد الذي توافق فيه صمتهم مع ذلك السكوت المخيم في مكان الحشر، إلا أن حقيقة المؤمن وما ينتظره يختلف-حتمًا- عن حقيقة الكافر، لذلك بدأ التفريغ من خلال ذلك النغم الذي يعبر صاحبه عن

فرحته. أما تراه يقول ماذا صوته مدا طويلا في قوله تعالى: "هاؤم" لسمع فرصته الذهبية، لكل أحد، رغم هول ما يشاهد، فالألف ألف الفرحة الممتد، التي يمد بها صوته الفرحة في كل من:

اقرأ كتابية، ملاق حسابية، عيشة راضية، جنة عالية، قطفها دانية

أما حال الكافر، فاقترض أن يمنع من تلك النعم، وأن تفوته لذاتها، لذلك جاءت الآية بأدوات نفي تكررت من أول السياق لآخره، فلفظة "لم" تكررت مرتين، و "ما" جاءت مرة. أما التمني البعيد الذي لا يتحقق، فقد درج على لسانه في موضعين "يا ليتني" ليتناسب مع حاله ووضع وحسرتة، وليس هذا فحسب، بل عطف صور العذاب بـ "ثم" لأنه سينتقل من مرحلة لأخرى، ومن عذاب لآخر. وتناسبت حالته النفسية التي يكتنفها الذهول، ولسانه الذي خلا من اللزوجة، مع الأوامر القاهرة له "خذوه، غلوه، صلوه، اسلكوه" وكلها تنتهي بهاء السكت التي ناسبت ذهوله من رؤية تلك المواقف، وناسبت اندهاشه وصمته لأحداث لم يكن في خلد وقوعها. ومن التناسب حسن التقسيم، وهو: تقسيم الكلام قسمة مستوية تحتوي على جميع أنواعه، ولا يخرج منها جنس من أجناسه... فمن ذلك قول الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ (الرعد: 12). وهذا أحسن تقسيم؛ لأن الناس عند رؤية البرق بين خائف وطامع، وليس فيهم ثالث "1). والتقسيم في التراكيب السابقة، تجلت نهاياته بالتوتين؛ ليزيد من جرس الألفاظ، وبهاء الإيقاع، وموسيقاها، وسماه صاحب الروضة بـ"التناسب" ومراعاة النظير والملائمة والتوفيق. واعتبره من أشرف صنائع البديع وألحق به التشابه وهو عنده: " أن تكون الألفاظ متقاربة في الجزالة والمتانة، والرقة والسلاسة، غير متباينة متنافرة، وتكون المعاني- أيضا -مناسبة لألفاظها من غير أن تكسو المعنى النفيس لفظاً خسيساً أو تودع اللفظ الشريف معنى سخيفاً، بل يصوغهما معا صياغة تناسب وتلاؤم" (2). ولعل سيد-رحمه الله- قد أفاض في تعبيره عن التصوير، وتبيان العلاقة بينه وبين النسق في آي القرآن، معتبرا أن التناسق يبلغ -أحيانا- الذروة في إظهار القيمة، والفائدة من تصوير القرآن، ومبينا أن التناسق ألوان ودرجات. ومن هذه الألوان المتناسقة، والذي منه حسب قول سيد: " ذلك التنسيق في تأليف العبارات، بتخير الألفاظ، ثم نظمها في نسق خاص يبلغ في الفصاحة أرقى درجاتها... ومنها ذلك الإيقاع الموسيقي الناشئ من تخير الألفاظ ونظمها في نسق خاص. ومع أن هذه الظاهرة واضحة جد الوضوح في القرآن، وعميقة كل العمق في بنائه الفني إلا أن حديث العلماء عنها لم يتجاوز ذلك الإيقاع الظاهر، ولم يرتق إلى إدراك التعدد في الأساليب الموسيقية، وتناسق ذلك كله مع الجو

(1) العسكري؛ أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل، الصنائع، تحقيق: د. مفيد قمحة، د ط، بيروت، دار الكتب العلمية، 1989م، 375.

(2) الثعالبي؛ أبو منصور عبد الملك بن محمد، روضة الفصاحة، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، د ط، القاهرة، مكتبة القرآن، 1993م، 53.

الذي تطلق فيه هذه الموسيقى، ووظيفتها التي تؤديها في كل سياق" (1). ولا يبتعد قوله هذا عن القائل: " فتلك الألوان التي تسمى تشبيهاً، واستعارة، وجناساً، وطباقاً، وغير ذلك، من أسماء منثورة في كتب البيان والبدیع، إذا حققناها وجدنا من الممكن أن نستخرج من اللون الواحد أشكالاً، وصورا عديدة" (2). ويرى الباحث أن التناسق الحاصل بفضل وجود هذه الألوان مجتمعة، أو بعضها، أو أحدها، إنما يتفاوت ذوق الذواق فيه، كما حصل تفاوت من أثر هذا التناسق الإيقاعي بين موضع من القرآن وآخر. وبالطبع مع هذا الإيقاع المتألق في كل موضع، والذي هو أثر هذه الألوان، تجده مختلفاً عن آثار الألوان ذاتها التي استخدمها الشعراء، لذا لا تجد " تشبيه ابن المعتز مثلاً كتشبيه الصنوبري، وليس طباق أبي تمام كطباق البحري، وليس جناس ابن الرومي كجناس المعري" (3)، وليست موسيقية القرآن كموسيقية أوزان الشعر، فهي الأبلغ أثراً، والأعظم تأثيراً. هذا وقد اعتبر سيد -رحمه الله- الإيقاع الموسيقي أول مظاهر التناسق يقول: " ومع أن الخصائص التي طرقها حقيقية وقيمة، فإنها لا تزال أولى مظاهر التناسق التي يلحها الباحث في القرآن؛ ووراءها آفاق أخرى لم يتعرضوا لها أصلاً، فيما عدا ظاهرة الإيقاع الموسيقي، فهي أحد هذه الآفاق العالية" (4).

المصدر التاسع: الوزن والتوازن والانسجام

الوزن هو: " أن يكون الكلام لخلوه من العقادة، منحدرًا كتحد الماء المنسجم، ويكاد لسهولة تركيبه وعذوبة ألفاظه أن يسيل رقة، والقرآن كله كذلك" (5). أو كما قال صاحب جواهر البلاغة: " هو سلامة الألفاظ، وسهولة المعاني، مع جزالتها وتناسبها" (6).

أما الجمل في بعض نصوص القرآن، والتي يُقال إنها موزونة، ويعتبرها بعض الجهال شعراً، فيرد عليه برد الجاحظ على من طعن في قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ (المسد: 1) وزعم أنه شعر؛ لأنه في تقدير "مستفعلن مفاعلتن" يقول: "علم أنك لو اعترضت أحاديث الناس وخطبهم ورسائلهم، لوجدت فيها مثل: "مستفعلن مستفعلن" كثيراً و"مستفعلن مفاعلة" وليس أحد في الأرض يجعل ذلك المقدار شعراً. ولو أن رجلاً من الباعة صاح: من يشتري باذنجان؟ لقد كان تكلم بكلام في وزن "مستفعلن مفعولات" وكيف يكون هذا شعراً، وصاحبه لم يقصد فيه الشعر؟ ومثل هذا المقدار من الوزن قد يتهيأ في جميع الكلام. وإذا جاء المقدار الذي يُعلم أنه من نتاج الشعر

(1) قطب، التصوير الفني، 68.

(2) أبو علي، مقدمة في دراسة البيان العربي، 29.

(3) أبو علي، مقدمة في دراسة البيان العربي، 29.

(4) قطب، التصوير الفني، 69.

(5) السيوطي، الإيقاع في علوم القرآن، 3: 235.

(6) الهاشمي؛ أحمد، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، تعليق: محمد مهنا، ط1، المنصورة، مكتبة الإيمان، 1999م، 323.

والمعرفة بالأوزان والقصد إليها، كان ذلك شعراً " (1). هذا بالنسبة للوزن الذي صرح بوجوده السيوطي في القرآن، وكره ابن فارس ذكر شواهد منه، واعتبر أن محمداً صلى الله عليه وسلم - تنزه عن قول الشعر؛ لأن الشاعر يكون بين كذب وإضحاك، وهزل وجد، أو يكون بين مدح ضارع، أو هجاء مقذع. ولا تصلح هذه الأوصاف لنبي (2). لكنه يقع في الكلام بداهة، ويجري على الألسن، دونما قصد أو إرادة.

قال أهل البديع: " وإذا قوي الانسجام في النثر، جاءت قراءته موزونة بلا قصد؛ لقوة انسجامه، ومن ذلك ما وقع في القرآن موزوناً " (3).

وعلى ذلك لا يخلو أي كلام من أن يكون فيه كلمات موزونة. لكن متى يحكم عليه بالشعر؟ إذا كان الكلام كله موزوناً، لا تركيباً من تراكيبه، ولا جملة من جملة. ولا يقول بهذا القول أحد، ومن بحور الشعر التي جاءت نزرًا يسيراً في القرآن:

- 1- من الطويل، قوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ (الكهف: 29).
- 2- من المديد، قوله تعالى: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ (هود: 37).
- 3- من البسيط، قوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحُوا لَا يَرَى إِلَّا مَسَاكِينَهُمْ﴾ (الأحقاف: 25).
- 4- من الوافر، قوله تعالى: ﴿يُخْزِهِمْ وَيَنْصَرِّكُمُ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ﴾ (التوبة: 14).
- 5- من الكامل، قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (التوبة: 14).
- 6- من الهزج، قوله تعالى: ﴿فَأَلْفَوْهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا﴾ (يوسف: 93).
- 7- من الرجز، قوله تعالى: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلَّتْ أَطْوْفُهَا تَدْلِيلًا﴾ (الإنسان: 14).
- 8- من الرمل، قوله تعالى: ﴿وَجَفَانِ كَالْجَوَابِ وَقُدُورِ رَاسِيَاتٍ﴾ (سبأ: 13).
- 9- من السريع، قوله تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾ (البقرة: 259).
- 10- من المنسرح، قوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ (الإنسان: 2).
- 11- من الخفيف، قوله تعالى: ﴿لَا يَكَادُونَ يُفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ (الكهف: 93).
- 12- من المضارع، قوله تعالى: ﴿يَوْمَ التَّنَادِ (32) يَوْمَ تُولُونَ مُدْبِرِينَ﴾ (غافر: 33).
- 13- من المقتضب، قوله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ (البقرة: 10).
- 14- من المجتث، قوله تعالى: ﴿نَبِيُّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْعَفْوَ الرَّحِيمُ﴾ (الحجر: 49).
- 15- من المتقارب، قوله تعالى: ﴿إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ (القلم: 45) ... (4).

(1) الجاحظ، البيان والتبيين، 1: 289.

(2) ابن فارس، الصحاحي، 211.

(3) السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، 3: 235.

(4) ينظر، الإتيان في علوم القرآن، 3: 235.

على الرغم من ذلك، فقد أدرك أهل العلم، وأصحاب الفهوم، وذوو الأذواق من أرباب العربية، من العصر الذي انطلق فيه النص القرآني متحديا ومعجزا إلى هذا الوقت، وإلى ما شاء الله - تعالى - له أن يكون، أدركوا جميعا - كافرهم ومؤمنهم - أن القرآن ليس شعرا، وما دام أمره كذلك. فليس من مانع أن يكون في نظمه وتأليفه من أوزان الشعر بالقدر النزر اليسير، وهذا لا يجعله شعرا محضا البتة. وإنما ذلك يوحى لأهل البلاغة والفصاحة أن لو شاء الله أن يجعله شعرا لجعله، وكذلك إشارة من القرآن لأولي النهى، أنه أبلغ من الذي تنظمون بيانا وتأليفا ونظما، وهو الآية والمعجزة التي ستظل تتقاصر أمامها أفهام الأقسام، من أن يأتوا مع ما أوتوا من الفصاحة ولو بآية من مثله حتى قيام الساعة. وقد ساهمت مثل هذه الأوزان في تأكيد ما يريد الباحث إثباته، من أنها جزء من النص القرآني الغني بالإيقاع، والموسيقى. وأنها - أيضا - امتداد لموسيقى السياق، الذي تقع فيه الآية.

أما التوازن، الذي يتولد من التماثل، أو التجانس، أو التقارب، أو الإتيان بين صوتين، فيظهر في عدة صور، فإن " العرب تزيد وتحذف حفظا للتوازن، وإيثارا له.

أولا: الزيادة

المثال الأول: قال تعالى: ﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا﴾ (الأحزاب: 10)، فإن ألف الإطلاق هنا دلت على إطلاق ظنون لا حد لها تقع من الناس، ظنون من محض النفس، وأخرى من الشيطان الذي يلبس الحق باطلا، وظنون اشتركت فيها قوى الشر في الإنسان من النفس والهوى.

المثال الثاني: قال تعالى: ﴿فَأَضْلُوا السَّبِيلَ﴾ (الأحزاب: 67) وإنما ذكرت ألف الإطلاق بغية أن طريق الضلال مطلق، لا قصد، ولا وجهة، ولا ضابط له، وكان من موسيقاها ما يؤكد دلالتها.

ثانيا: الحذف

المثال الأول: قال تعالى: ﴿يَوْمَ التَّنَادِ﴾ (غافر: 32)، فإن التنادي الحاصل من الملائكة لا من البشر المحاسبين، فناسب حذف الياء حالة البشر التي هي حالة الذهول لا التغني، قال تعالى: ﴿فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (الأنبياء: 97).

المثال الثاني: قال تعالى: ﴿يَوْمَ التَّلَاقِ﴾ (غافر: 15)(1). فإن التلاقي الحاصل في ذلك اليوم له من الرهبة ما يشغل الناس عن بعضهم، فهو تلاق وما هو بتلاق من شدة ما يفزعون.

أما الانسجام الذي هو تحدر الكلام كتحد الماء من الأعالي، فقد اعتبره السيوطي من أركان الإعجاز القرآني لخلوه من العقدة، وما فيه من سهولة التراكيب وعذوبة الألفاظ(2). وأي انسجام هو

(1) ينظر، الثعالبي، فقه اللغة وسر العربية، 333.

(2) ينظر، السيوطي؛ عبد الرحمن جلال الدين، معترك الأقران في إعجاز القرآن، تحقيق: محمد البجاوي، ط1، القاهرة، دار الفكر العربي، دت، 56.

ألذ للوجدان من جرس السين في سورة " الناس " التي اتصفت بالهمس؛ لتتفق مع الخنس الهاتف في نفوس الناس من الشيطان.

وأي انسجام هو أرقى وأمتع من انسجام اسم الله تعالى "الغفور" التي تتبعها اسمه "الرحيم" في فواصل كثير من آيات القرآن، منسجمة مع السياقات التي لا يصلح معها إلا هذه المعاني، فتوافقت الأجراس والإيقاعات مع المعاني والدلالات، فأنعم معه من إعجاز.

المصدر العاشر: التقديم والتأخير

" ومن سنن العرب القلب في الكلمة وفي القصة، أما في الكلمة، فكقولهم: جذب وجذب... وأما القصة، فكقول الفرزدق:

كما كان الزناء فريضة الرجم

أي: كما كان الرجم فريضة الزنا(1). بينما جاء في القرآن ويظن البعض أن فوائده تقتصر على الدلالة، ويتأكد للباحث أن فوائده تتسحب على النغم، والموسيقى، ودليل ذلك البسيط، أن تحريك الكلمة، حرفاً كانت أو اسماً أو فعلاً من موضعها؛ يتسبب في مج الأذن له، واستغرابها منه، واندھاش النفس من تغيير نسقه على غير الحسن الذي كانت الآية فيه. وهذه بعض الشواهد التي تؤكد ذلك.

المثال الأول: قال تعالى: ﴿مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ﴾ (القصص: 76)، وإنما العصبية أولو القوة تنوء بالمفاتيح " وإن هذه السنن إنما جرت على لسان الفصحاء من تقديم وتأخير وقلب حتى يختص الكلام، ويراد بهذا الاختصاص شد الأذهان وإطراب الوجدان، فهو لا يستقيم للأذن إيقاعاً إلا بذلك. وإن في هذا التركيب من التقديم والتأخير إيقاعاً جذاباً، وتنغيماً مميزاً. والعرب تبتدئ بذكر الشيء والمقدم غيره.

المثال الثاني: قال عز وجل: ﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ (آل عمران: 43). فعلى أي وجه أديرت هذه الآية لم تلق لها أسمى إيقاعاً من أصلها الذي خرجت معه، فضلاً عن معانيها التي تنفلق منها لآلئ ودرر، فلو قيل: "اقنتي يا مريم واسجدي واركعي لربك مع الراكعين" أو "يا مريم اقنتي واسجدي لربك واركعي مع الراكعين" أو "الربك اقنتي واسجدي يا مريم واركعي مع الراكعين" وغير تلك التقلبات، لما ضارعت معناها الذي كان في أصل وجودها، فضلاً عن الإيقاع الذي همد وانطفأ.

المثال الثالث: قال تعالى: ﴿فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾ (التغابن: 2). وهذه لو قيل فيها: "كافر منكم ومؤمن منكم"؛ لما استهوى المتلقي معناها ولا إيقاعها.

(1) الثعالبي، فقه اللغة وسر العربية، 371.

المثال الرابع: قال تعالى حكاية عن ذي القرنين: ﴿آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ (الكهف: 96)، تقديره: آتوني قطراً أفرغ عليه. فالمتلقي للآية يحس بنغمها يسبح في وجدانه بقوة ذلك الأسلوب، بتقديم الأمر تبعه الإفرغ الذي يحتاج إلى القوة، وتبعه الجار والمجرور الموحى بسرعة إفرغ القطر.

المثال الخامس: قال جل جلاله: ﴿أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا قِيَمًا﴾ (الكهف: 1). فلو أعيد إنتاج ألفاظها بمعانيها في موقعها بين الآيات ما استطاع أحد أن يجلب حقها الذي أغمر. فالناظر إلى تلك التغييرات، يدرك كيف أذهبت بهاء النظم، فلو قال: "أنزل الكتاب على عبده" فعندما قدم "الكتاب" على "على عبده" قدم ما حقه في المعنى التأخير، وهو الكتاب، فلو لم يكن رسول لما أنزل كتاب. فالحق ما كان من قوله تعالى. أما الإيقاع ففي مثل هذا الموقع من الآية يستحسن الانتهاء بصوت قبله ألف؛ ليجري المد فيها مجري التغيي، فإذا انحدرت من اللسان كانت أعذب ما يكون.

المثال السادس: قال تعالى: ﴿بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾ (البقرة: 106). ولو حصل التقديم لقوله: "مثلها" على "خير منها" فصارت "مثلها أو خير منها" لم يكن لها الجرس الجاذب كالأولى ولا النغم، وذلك أن "مثلها" بوعد بينها وبين "منها" التي جانستها بكلمتين. وأما في الآية فتقاربت الكلمتان وتجانستا، فحسن الجرس، واستقام الوزن. وإن "تقديم بعض ألفاظ الكلام وتأخيرها إنما لقصد التقنن في الفصاحة، وإخراج الكلام على عدة أساليب. وقد قال سيبويه في كتابه: كأنهم يقدمون الذي بيانه أهم، وهم ببيانه أعنى" (1). كما إن "كل تقديم أو تأخير في العبارة الواحدة يولد معنى جديداً" (2). فإن له -أيضاً- نغماً وإيقاعاً مختلفاً. ولما جاء القرآن الكريم وفيه بعض الآي التي تضم التأخير والتقديم، كان ذلك من مناحي الجمال، ولو امتنع التأخير والتقديم؛ لعد عندئذ خلوا من الجمال. وبسبب التقديم والتأخير في ذلك، يتوافر النغم الذي تشد إليه الأسماع، وتتوجه إليه الأطماع. ومن أسباب التقديم والتأخير التي تخدم بحثنا هذا "أن يكون للتأخير إخلال بالتناسب، فيقدم لمشكلة الكلام، ولرعاية الفاصلة.

المثال الأول: قال تعالى: ﴿وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (فصلت: 37)، بتقديم "إياه" على "تعبدون" لمشكلة رعوس الآي.

المثال الثاني: قال تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾ (طه: 67)، فإنه لو أخر "في نفسه" عن "موسى" فات تناسب الفواصل؛ لأن قبله ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾ (طه: 66)، وبعده ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾ (طه: 68).

(1) عيسى؛ محمد مسعود، أثر القراءات القرآنية في الفهم اللغوي، ط 1، مصر، دار السلام، 2009م، 77.

(2) السامرائي؛ فاضل صالح، الجملة العربية والمعنى، ط 1، بيروت، دار ابن حزم، 2000م، 230.

المثال الثالث: قال تعالى: ﴿وَتَغْشَىٰ وُجُوهُهُمُ النَّارُ﴾ (إبراهيم: 50)، فإن تأخير الفاعل عن المفعول لمناسبته لما بعده " (1).

المثال الرابع: قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ (طه: 129)، أراد ولولا كلمة سبقت من ربك وأجل مسمى لكان لزاما.

المثال الخامس: قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَضِيْعُونَ﴾ (النحل: 73)، أراد ما لا يملك لهم رزقاً من السموات والأرض ولا يستطيعون شيئاً " (2).

مصادر التحسين اللفظي في ظواهر فنون البديع

سيتناول البحث عدة ظواهر تجلت فيها الموسيقى القرآنية مبنوثة في آيات القرآن وسوره، وقبل استعراض تلك الظواهر التي ساهم وجودها في إحداث النغم والتطريب في النص القرآني. يمكن إيجاز مصدر الموسيقى في هذه المظاهر، وذلك حسب البيان التالي:

أولاً: التماثل بين الحروف، فتنشابه وتتماثل حروف الألفاظ في الجملة الواحدة، في النص القرآني، وذلك يكون سببا في نبع الموسيقى.

ثانياً: التماثل في حركات الحروف، فتتوافق حركة الحرف الأول في الكلمة الأولى. مع حركة الحرف الأول في الكلمة الثانية، فينبع من تماثل مجموع الحركات نغم وتطريب.

ثالثاً: التماثل في العدد، كأن يكون عدد حروف الكلمة الأولى مثل عدد الثانية، فله عندئذ نغم وجرس، وإذا كان عدد إحداهما أكبر من الثانية، كان لها نغم آخر. وكمال الجمال لكل في موقعه.

رابعاً: التماثل في الحروف، وحركاتها، وأعدادها في الكلمة الأولى، مع الكلمة الثانية في الجملة الواحدة، مثل "ساعة" و"ساعة" وهذا عين اكتمال الجمال في اللفظة، وأوقع لها في النفس، وأبلغ في التأثير. وإن ذلك مع وجود المعنى، ورائعة الدلالة، ينتج كلاماً ما أعجزه، وهو في آي القرآن الذي لا يجاري كثير.

خامساً: توازن الكلمات في الجمل، وسهولتها، وخفة نطق ألفاظها، وانحدارها على اللسان، وانتظامها في نسق. إن أجود هذه المصادر في الألفاظ، يحدث كلاماً ما أعذب نطقه، وأسهل درجته، وأجمل إيقاعه، وأكثر نغمه، وأحدث موسيقية تحار النفوس في جمالها، من حسن وقعها وتطريبها، فتدخل إلى النفس، وتحرك فيها بواعث لا تقع من آلات العزف والطرب، والروح تكون في توق مستمر لسماعه؛ لأنه يجاوز اللذة التي تقع من عطر زهرة قُوَاحَة، أو مناظر خُلابَة، كل ذلك عندما يتفق كل ما سبق في نص واحد.

(1) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 771.

(2) ابن جعفر؛ قدامة، نقد النثر، بيروت، دار الكتب العلمية، 1995م، 73.

ظواهر الإيقاع والموسيقى في القرآن

تتعدد المظاهر الموسيقية في القرآن، لتشمل مجموعة من فنون البديع التي تتميز بجمالها القائم على الإثراء الموسيقي من خلال الجوانب الصوتية والإيقاعية فيها، من تلك الفنون: الفاصلة، والجناس، ورد العجز على الصدر، والمشاكلة... الخ.

وأصل الحسن في ذلك كله " أن تكون الألفاظ تابعة للمعاني دون العكس، أي: لا أن تكون المعاني توابع للألفاظ؛ وذلك لأن المعاني إذا تركت على سجيبتها طلبت لأنفسها ألفاظاً تليق بها، فيحسن اللفظ والمعنى جميعاً، وإن أتى بألفاظ متكلفة مصنوعة وجعل المعاني تابعة لها، كان كظاهر على باطن مشوه، ولباس حسن على منظر قبيح، وغمد من ذهب على نصل من خشب، فينبغي أن يجتنب ما يفعله بعض المتأخرين الذين لهم شغف بإيراد شيء من المحسنات اللفظية، فيصرفون العناية إلى جمع عدة من المحسنات " (1). ومع ذلك لا إغفال البنية للفظ إن كان سليماً جذاباً، يشد الأذان، ويثير الوجدان - لا سيما- إن التأم، وتلاحم، وتعاضد، وتناغم، وتناسق، مع ألفاظ تجاوره. " والكلام الفصيح مما برع في نظمه البلغاء من أهل البيان، لا يخلو من جوانب جمّة من عذوبة الكلمات والحروف، وما تسلكه في نفس السامع من الإثارة والاستحواذ والدهشة، ومن شأن هذا الكلام ذي المرتبة الجيدة من الفصاحة أن يؤثر في الحس تأثيراً، وذلك لمزايا الأوزان التي تتخلل الألفاظ، وللأجراس المؤثرة الشجية التي تجل الحروف ذوات الألحان الموسيقية العذبة، وذلك على أقدار تتفاوت في كلام البشر ما بين كلام وكلام، فقد يسمو الكلام بلحنه وموسيقاه مرة، ثم ينحدر هابطاً مرة أخرى، ليكون ضعيفاً كزاً غير ذي سحر ولا جمال " (2). إلا في آي القرآن الذي نبه معناه، وسلم للذوق نغمه وموسيقاه. هذا وقد نصح صاحب الصناعتين بأن يكون لفظ البليغ " شريفاً عذباً، وفخماً سهلاً " (3). وفي القرآن هذا حاله. وإذا كان هذا حاله مع حسن السبك بين الكلام وبراعة النظم، سنتجلى فيه جماليات المعنى والموسيقى، فيغدو أكثر استقطاباً للنفوس، وتأثيراً عليها. وعند النظر للشعر فإن استحواذه على النفوس، إنما لشرف معناه ومحاسن موسيقاه و" إنما هو غريزة المحاكاة وغريزة حب الوزن والإيقاع... والإنسان فطر على حب النغم والموسيقى " (4). وإلا لمجته الأذن، ولم تستلطفه النفس، فصار راكدا جامداً. والسحر الذي في القرآن على النفوس، أبلغ من الشعر والنثر وسجع الكهان.

(1) التفتازاني؛ سعد الدين مسعود بن عمر، المطول، شرح تلخيص مفتاح العلوم، ط 1، بيروت، دار الكتب العلمية، 2001م، 706.

(2) عبد العزيز، إعجاز القرآن، 98.

(3) العسكري، الصناعتين، 152.

(4) الماضي؛ شكري عزيز، محاضرات في نظرية الأدب، ط2، قسطنطينية، دار البعث، 1984م، 30.

لذا " كان البحتري (ت: 284هـ) حريصاً على أن يكون الجرس الصوتي لألفاظه معبراً عن معانيه، وموصياً بها، فإذا أراد أن يعبر عن المعنى العنيف اختار له الألفاظ ذات الرنين الصوتي القوي، وإذا أراد أن يعبر عن المعنى الرقيق اختار له الألفاظ ذات الرنين الصوتي الهادئ الناعم " (1). هذا وإن " البنية الإيقاعية تتعدى هذا الحصر المرتبط بالخصائص الصوتية إلى سياقات معنوية وإيحائية وموضوعية تؤثر فيها حركة النغم الداخلي للنص، وتحرك الانفعال معه عند المتلقي. إن الموسيقى في الأدب ترتفع عن مجرد موسيقى لغوية لسانية، وتستعين بدلالات أخرى غير مجرد دلالات المخرج والنبرة، وتوجد في التردد، والمماثلة، والمشاكلية، والمقابلة، والتوقف، والاسترسال، والإيقاع. وهي تصاحب الشعور المعبر عنه، وتسايير جيشانه، وتحكي درجته ومقداره " (2). وعند حديث "سيد قطب" -رحمه الله- عن التصوير الذي يعتبره الأداة المفضلة في أسلوب القرآن، مبيناً أن إدراك آفاق هذا التصوير الفني في القرآن يستوجب التوسع فيه، ليشمل النغم والموسيقى. فهو حسب قوله: " تصوير باللون، وتصوير بالحركة، وتصوير بالإيقاع، وكثيراً ما يشترك الوصف والحوار، وجرس الكلمات، ونغم العبارات، وموسيقى السياق، في إبراز صورة من الصور، تتلمى العين والأذن، والحس والخيال، والفكر والوجدان " (3). " ولذلك يقع في النفوس عند تلاوته وسماعه من الروعة ما يملأ القلوب هيبية، والنفوس خشية، وتستلذه الأسماع، وتميل إليه بالحنين الطباع، سواءً كانت فاهمة لمعانيه، أو غير فاهمة. عالمة بما يحتويه، أو غير عالمة، كافرة بما جاء معه أو مؤمنة " (4). والأبرز في تلك المظاهر التي يتخللها التوافق والتماثل والتجانس والتوازن وغير ذلك، سواء في الكلمتين أو الآية أو المقطع القرآني إنما تظهر في الفاصلة "السجع" والجناس، والترصيع، ورد العجز على الصدر. و" السجع والجناس من أبرز فنون البديع اللفظي وأكثرها تألقاً، وأقواها أثراً، وأنداها جمالاً، وأشيعها ذكراً. وحسبك دليلاً على هذا أن العامة سريعاً ما يتأثرون بهما ويعجبون منهما، فمتى سمع أحدهم كلاماً مجنساً أو مسجوعاً اشتد انتباهه إليه، وزاد أسره. وعدوه ضرباً من الفن الرفيع، حتى وإن كان غث المعنى، ركيك البناء، سوقي اللفظ، عديم الإعراب " (5). فكيف والمعنى في أبهى صورة، وأحسن تألف، وأسمى تألق، وأكمل بهاء، مع لفظ أنيق، وكلام رصين، وأصوات موزونة، وكلمات منسوقة. فحتماً هو الكمال في البلاغة، والذروة في الفصاحة، فلم يقدر لهذا من مجاراته أصحاب الفهوم من العرب، مع وجود القدرة والملكة عندهم، فأعجزهم ما فيه، عن نظم ما يضاهيه أو يجاربه. " ويبلغ عندهم غاية الحسن إذا كان الكلام مجنساً مسجوعاً

(1) أبو علي، مناهج وآراء في لغة القرآن، 17.

(2) العف، التشكيل الجمالي، 242.

(3) قطب، التصوير الفني في القرآن، 30.

(4) العايد، نظرات لغوية في القرآن الكريم، 47.

(5) المطعني؛ عبد العظيم إبراهيم، البديع من المعاني والألفاظ، ط1، القاهرة، مكتبة وهبة، 2002م، 129.

معاً. بما يوحي معه الجناس غالباً من تألق الألفاظ، وبما يشيعه السجع "الفاصلة" غالباً من اتساق الأنغام، وحسب المتلقي بهذين الفنيين إبداعاً وإقناعاً. ولهذا يتخذ الفنان الشعبي من الجناس والسجع مقومات لفنه، ومرتقى لبلوغ قوة التأثير على السامع، سواء كان ذلك من خلال أغنية تلحين، أو موال ينشد، أو توشيح يرتل، أو منولوج يقدم " (1). ولكن لما اجتمع هذان الفنان مع مظاهر أخرى نبعت منها الغنائية، صار في النفوس لها أبلغ الأثر.

الظاهرة الأولى

الفاصلة

تعريف الفاصلة: " هي كلمة آخر الآية: كفاية الشعر وقريئة السجع. وقال الداني: كلمة آخر الجملة " (2). " وتقع الفاصلة عند الاستراحة في الخطاب؛ لتحسين الكلام بها، وهي الطريقة التي يباين القرآن بها سائر الكلام. وتسمى فواصل؛ لأنه ينفصل عندها الكلامان، وذلك أن آخر الآية فصل بينها وبين ما بعدها، ولم يسموها أسجاء " (3).

أسجاع أم فواصل

قد بدا لبعض الدارسين أن الإسلام بغض من هذه الظاهرة الموسيقية حين قضى الرسول - صلى الله عليه وسلم - بديعة الجنين، فقال رجل في مجلسه: كيف ندى من لا شرب ولا أكل، ولا صاح ما استهل، ومثله دمه يطل؟ فقال الرسول - صلى الله عليه وسلم -: "إياكم وسجع الكهان". وقد فسر ابن الأثير هذا الحديث بقوله: إن النهي لم يكن عن السجع نفسه، وإنما النهي عن حكم الكاهن الوارد باللفظ المسجوع " (4). فإن أسجاعهم -الكهان- الواقع في الأذهان بريقها، ينسجون بها الأكاذيب والأباطيل؛ لذا كان النهي عن الانجرار خلف الكهان؛ لعذوبة ما ينطقون، فيفتنون بنطقهم القلوب، فإذا سلم الكلم من الافتتان، فلم النهي إذن، والمؤمنون مأمورون بحسن الخطاب، والسجع فيه تجميل للكلام لا ينكر، لذا عده أهل البلاغة فنا محسنا، وهذا رأي الباحث في السجع. ومع ذلك، وإن كان السجع بحد ذاته ليس منهيًا عنه، فإن من جمال الخطاب ألا يكون الكلام كله مسجوعا، وكلما تنوعت الفواصل، كان ذلك للقلب أنفع، وللنفس أجمل، وللعقل أدهش. وهكذا هو القرآن. فإنه " نزل بلغة العرب وعلى عرفهم وعاداتهم، وكان الفصيح منهم لا يكون كلامه كله مسجوعا، لما فيه من أمارات التكلف والاستكراه والتصنع، لاسيما فيما يطول من الكلام فلم يرد كله مسجوعا جريا منه على عرفهم في الطبقة العالية من كلامهم، فلم يخل من السجع؛ لأنه يحسن

(1) المطعني، البديع من المعاني والألفاظ، 130.

(2) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 50.

(3) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 50.

(4) أنيس، دلالة الألفاظ، 204.

في بعض الكلام على الصفة السابقة، وعليها ورد في فصيح كلامهم، فلم يجز أن يكون عالياً في الفصاحة، وقد أخل فيه بشرط من شروطها. فهذا هو السبب في ورود بعضه كذلك، وبعضه بخلافه " (1). وهناك تفسير ذكره الجاحظ في البيان، يقول: " قال عبد الصمد: لو أن هذا المتكلم لم يُرد إلا الإقامة لهذا الوزن، لما كان عليه بأس، ولكنّه عسى أن يكون أراد إبطال حق، فتشادق في الكلام. وقال غير عبد الصمد: وجدنا الشعر من القصيد والرجز، قد سمعه النبي ﷺ فاستحسنه وأمر معه شعراءه. وعامة أصحاب رسول الله ﷺ قد قالوا شعراً، قليلاً كان ذلك أم كثيراً، واستمعوا وأنشدوا. فالسجع والمزدوج دون القصيد والرجز، فكيف تحل ما هو أكثر، وتحرم ما هو أقل " (2). وهذا ما يذهب إليه الباحث من أن السجع ليس محظوراً أو ممنوعاً منه كفن أو لون من ألوان تحسين الكلام البتة لما سبق من كلام، مع إضافة الفارق بين السجع والفاصلة حيث لا يقال لأواخر الكلم في القرآن أسجاع بل فواصل، لقول الله تعالى: ﴿فصلت آياته﴾ (فصلت: 3) تنزيهاً، وتشريفاً لمقامه، وللفرق بينهما " فإذا كان السجع هو اتفاق حرفين في كلمتين متتاليتين، فإن الفاصلة هي الكلمة التي ينتهي بها معنى الجملة، ويحسن السكوت عندها. وعلى ذلك فإن الفاصلة أعم من السجع؛ لأن الفاصلة تأتي مسجوعة وغير مسجوعة. وقد يوجد السجع في كلمتين مفردتين غير داخلتين في تركيب جملة، وقد تحتوى الجملة في سياقها على كلمتين متفتقتين في آخر حرف فيهما، ولكنهما لا يؤذنان بانتها المعنى، ولا يفصلان بين الشطرين في الكلام، ولا يحسن الوقوف عندهما. أما الفاصلة فلا توجد إلا في تركيب، أي لا توجد إلا في سياق؛ لأن وجودها معه ومن أجله. ولهذا كانت رأس آية (3). لذلك فإن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كان يقرأ القرآن آية آية، يقف عند رأس كل آية، وذلك وارد عنه في الصحاح من الأحاديث، وهذا أيضاً من أبرز الأدلة على اهتمام رسول الله بالتعني؛ لأن بروز التعني والتطريب في الفواصل لا يختلف عليه اثنان.

أيضاً " الفواصل قد تكون باتحاد الحروف، وقد تكون بمجرد تقاربها، والأسجاع تكون باتحاد الحروف " (4). لكن الباحث مع هذه الفوارق يجد أن بعض علماء العربية لم يفرقوا بينهما عند حديثهم عن أي القرآن الكريم، وهذا ليس بكبير إن اعتبر أن السجع ليس محظوراً، وإنما يكونوا قد ضيقوا واسعاً.

(1) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 53.

(2) الجاحظ، البيان والتبيين، 1: 288.

(3) ينظر، الثعالبي، روضة الفصاحة، 100.

(4) النفاذ؛ عبد الغني أحمد، الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم بين التأصيل والتمثيل، ط 1، القاهرة، دار العفاني، 2009م، 9.

الفاصلة والمعنى

بينهما علاقة وثيقة " ذكر الزمخشري في كشافه القديم أنه لا تحسن المحافظة على الفواصل لمجردها إلا مع بقاء المعاني على سدادها على النهج الذي يقتضيه حسن النظم والتتامه. كما لا يحسن تخير الألفاظ المؤنقة في السمع، السلسلة على اللسان إلا مع مجيئها منقادة للمعاني الصحيحة المنتظمة. فأما أن تهمل المعاني، ويهتم بتحسين اللفظ وحده، وهذا ليس من البلاغة في فتيل أو نكير، ومع ذلك يكون قوله تعالى: ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ (البقرة: 4)، وقوله تعالى: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (البقرة: 3) لا يتأتي فيه ترك رعاية التناسب في العطف بين الجمل الفعلية، إيثارا للفاصلة؛ لأن ذلك أمر لفظي لا طائل تحته. وإنما عدل إلى هذا لقصد الاختصاص " (1). ولو تم تتبع الفواصل ودورها في الآي، لوجد باليقين أن مراعاتها لم يكن عبثا ولقصد المناسبة فقط، ولو كان الأمر كذلك فهي لم تخرج عن الإجادة والحسن في موقعها، وتحقيق التأثير بها، ولكن مع ذلك لو جيء بالمواضع جميعها، تلك التي أحصاها العلماء، ومنهم الإمام السيوطي -رحمه الله- في أربعين موضعا كما ذكر، لوجد مع مراعاة المناسبة للفواصل أنها حملت معان لا يكمل السياق إلا بها، ولا يجمل إلا معها. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾ (طه: 70). فإنه لما كان موسى -عليه السلام- مشغولا مع عصاه "الثعبان" ليظهر أمام الأعين معجزة السماء، لم يجد السحرة أقرب من هارون للنداء عليه، ثم أتبعوه نداءهم على موسى -عليهما السلام- كما إن الآية لو ذكرت موسى -عليه السلام- أولا، لما كان من داع لذكر هارون؛ لأن عادة العرب في كلامهم أن يذكروا الأقل شأنًا، فالأعظم؛ لقصد المفاجأة أحيانا. وهكذا ومن خلال ما سبق يتضح أن السجع -كما يبدو للباحث- من حيث معناه لا يتضاد مع الحديث النبوي، وسبق أن ظهر السبب الذي لأجله ذكر الحديث. وإن استخدام مصطلح "الفاصلة" مع النص القرآني أدق وأنسب، فهناك فروق بين المصطلحين جدير الأخذ بها. والتي أبرزها أن الفاصلة القرآنية موضوعة في موضع يكتمل فيه المعنى على أحسن ما يكون الكمال، ولم تأت زائدة أو لأجل التناسب فحسب دون إطلالة الدلالات منها. أما السجع فيأتي أحيانا لأجل الوزن والتناسق فحسب، دون أخذ مكانه المتمم للدلالات والمعاني. ومن الفروق المعتد بتا أن الفاصلة تأتي مسجوعة، وقد لا تأتي كذلك، فصارت الفاصلة بذلك أعم من السجع.

(1) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 61.

نهايات الفواصل في السور القرآنية:

أولاً: تماثل الفواصل جميعاً في السور القرآنية. خاصة قصار السور، ويذكر الباحث منها:

الناس - الإخلاص - المسد - الكوثر - الفيل - العصر - القدر - الهمة - الشمس - الليل - الأعلى - البيئة - الإنسان - المنافقون - الطلاق - الجن - القمر - الفتح - الكهف - المؤمنون. ثانياً: تماثل الفواصل في السور القرآنية عدا فاصلة واحدة في آية واحدة منها. السور هي:

الإسراء، الفرقان، والنمل، والأحزاب، ويس، والدخان، والجاثية، والأحقاف، ومحمد، والحجرات، والجمعة، والقلم، والمطففين، والتين.

ثالثاً: تتماثل الفواصل في بعض آيات السور، واختلف أكثرها الآخر، مثل:

الأعراف - المائدة - النحل - غافر - الزمر - الحديد - الأحزاب - يوسف - إبراهيم

إن نهايات الآيات القرآنية أسهمت إسهاماً جلياً في إحداث حالة من التأثير النفسي المتولد من النغم والإيقاع منها، والتي تدعو إلى استجابة الذوق لها، من ذلك تماثل أصوات النهايات المفعمة بالجمال الذي تبدى بالإيقاع، والموسيقية الرائعة، التي تناسقت مع دلالة النص.

وإن " أحسن السجع ونحوه ما تساوت قرائنه، نحو: ﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ*وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ*وَوَيْلٌ مِّنْ مَّخْضُودٍ﴾ (الواقعة: 28-30) (1)، ويقصد بتساوي القرائن، تساوي عدد الحروف، واتفاق الوزن. ومن المعلوم أن الآيات القرآنية الكريمة تنتهي بفواصل منسجمة موسيقياً، بعضها مع بعض، ومن الملاحظ أن القرآن الكريم يعنى بهذا الانسجام عناية واضحة، لما لذلك من تأثير كبير على السمع، ووقع مؤثر في النفس " (2). وتتنوع تلك الفواصل في القرآن، فمعظمها ينتهي بحكم المد العارض للسكون، أو مد العوض، وهذه بعض أمثلتهما:

فواصل تنتهي بحكم المد العارض للسكون، وقد سبق ذكره، ومثاله:

" تعلمون، تؤمنون، تتقون "

وهذا النوع من المد، كثير الورد في فواصل الآيات القرآنية، إذ قلما تخلو من ذكره سورة، وله من الجرس الموسيقي، ما يكفل تفاعل النفس مع النص وتأثرها به، وميلها إليه، وأثر النص على النفس يكون عظيماً، خاصة عندما يغدق بجمال النغم النابع من الفواصل المتحدة، خاصة إذا تشبعت بالمد.

(1) السيوطي، الإتقان، 3: 380.

(2) السامرائي، فاضل، التعبير القرآني، ط6، عمان، دار عمار، 1998م، 221.

فواصل تنتهي بحكم مد العوض، ومثاله:

" خبيرا، كبيرا، بصيرا، عليما، حكما "

وهذا النوع الثاني من حيث كثرة الورود في فواصل الآيات، وله من الجرس ما يجعل النفس إليه تنزوا، والقلب إليه يميل، والسمع نحوه ينجذب.

فواصل تنتهي بإبراز صفة من صفات الحروف، ومثالها:

1- حكم القلقة: مثل

سورة المسد، وفيها الفواصل الآتية:

وتب، كسب، لهب، حطب.

سورة الإخلاص، وفيها الفواصل الآتية:

أحد، صمد، يلد، يولد، أحد.

2- حكم الهمس: مثل

سورة الناس، وفيها الفواصل الآتية:

الناس، الخناس

3- حكم التكرير: مثل

سورة القمر، وفيها الفواصل الآتية:

القمر، مستمر، مستقر، مزدجر، فعقر... الخ

سورة الكوثر، وفيها الفواصل الآتية:

الكوثر، انحر، أبت.

وقد تتبع الباحث سورة "البقرة" من القرآن، والمكونة من 48 صفحة، فوجد أن حكم مد العارض للسكون يقع فيها حسب الآتي:

عدد آيات "سورة البقرة" "286" آية. أما عدد الفواصل المتماثلة المنتهية بمقطع " ون " مثل: يكتبون و"ين" مثل: المؤمنين، فقد بلغت "193 فاصلة". بينما عدد الفواصل المتماثلة المنتهية بمقطع "يم" مثل: عليم قد بلغت "54 فاصلة" وعدد الفواصل المتماثلة المنتهية بمقطع "ير" مثل: قدير و"ور" مثل: الأمور و"ار" مثل: النار قد بلغت "21 فاصلة". أما عدد الفواصل المتماثلة المنتهية بمقطع "اب" مثل: متاب قد بلغت "9 فاصلة". وبلغ عدد الفواصل المتماثلة المنتهية بمقطع "اد" مثل: المهاد و"يد" مثل: يريد، بلغت "7 فواصل". بينما عدد الفواصل المتماثلة المنتهية بمقطع "اق" مثل: خلاق، وقد بلغت "فاصلة واحدة"، وعدد الفواصل المتماثلة المنتهية بمقطع "يل" مثل: السبيل: بلغت "فاصلة واحدة". وعلى ذلك فإن تماثل هذه الأصوات في الفواصل بهذا العدد ينسحب على كثير من سورة القرآن، وهذا الانتشار بحد ذاته يعتبر ظاهرة مركزية للموسيقى،

والإيقاع، والجرس. كيف لو تبدى مع ذلك كله مصادر أخرى كأصوات الحركات الطويلة، وغيرها مثل التي تقع قبل تلك الفواصل، كما مثل الباحث. عندئذ يتحقق ذلك الأثر الجمالي من وراء تلك الموسيقية، التي لا قرار لها سوى الوجدان والقلب.

والمنتبغ لسورة "القصص" يجد كيف يتجلى التماثل الصوتي في نهايات فواصل جميع الآيات فيها، كما سيتضح في المثال الآتي:

عدد آيات السورة "88 آية". أما عدد الفواصل التي تماثلت نهاياتها بمقطع "ين" هو "52 فاصلة" ونهايات الفواصل المتبقية وهي "يم" و"ون" و"ير" بلغت في "36 فاصلة". كلها تتسجم مع بعضها، فضلا عن انسجامها مع المعاني في جميع آيات السورة.

رابعاً: اختلاف الفواصل، لكل آية فاصلة تختلف عن تاليته، مثل: سورة قريش
ولا يوجد في القرآن غيرها.

وبعد تتبع الفواصل المتماثلة، يمكن الاطلاع على السور آنفة الذكر؛ لتسجيل بعض الملاحظات:

1- تماثل الفواصل في كل مقطع من السورة بأصوات تختلف في المقاطع الأخرى، وعلى ذلك معظم سور القرآن الكريم.

2- إن من السور ما تتماثل فواصل معظم آياتها، ومنها ما تنوعت لفاصلتين، ومنها ما كان لكل مقطع فاصلته، ومنها أن المتلقي يجد كل آية بفاصلة. وهذا من الفوارق المميزة للفاصلة عن السجع، لمن قال بأن القرآن مسجوع. إن هذا كله يزيد فعل المؤثرات الموسيقية في الآيات، وبالتالي يزيد من جمالها النابع من تلك الموسيقية. وإن هذه الفواصل المختلفة الإيقاع التي تقدم بها القرآن، تدفع عن النفس السامة والملل، وتشد الذهن، وتهيئ الوجدان. الشيء الذي أدركه الذواق في القرآن الكريم. وإن يكن مثل هذا التأثير غريباً ومعجزاً، إلا أن الشعراء والنقاد المتأخرين، أذهلتهم الموشحة ذات القافية المسجوعة. يقول د. شوقي ضيف: "فقانون ائتلاف النغم حاد صارم في الموشحة، رغم ما يبدو من تنوع فيه، فهو يتغذى من نفس أشعة النغم القديم في القصيدة، وبمجرد أن تطرق الأذن بإيقاعاتها الرنانة السريعة والبطيئة تحس بتعادل وتوازن شديد، وهو توازن يطرد في الموشحة جميعها في كل مراكزها وأدوارها أو في كل كتائبها الموسيقية، توازن ضبط أقوى ما يكون الضبط" (1). والموشحة بلغت من الرقة والعذوبة وجمال الإيقاع وخالص النغم، ولكنها ليست عملاً سهلاً بل لعلها أكثر صعوبة وتعقيداً من القصيدة، فإن ما سقط منها لتعدد الوزن أو تعدد القافية عاد إليها أروع أداءً وأبهج صوتاً" (2). وفي موضع آخر يقول: "وعندما أراد بعض الشعراء إلغاء القافية والتحرر منها، ظناً أنها تقيد الخيال، وتتمترس أمام العقل فضاءات التفكير والانطلاق،

(1) ضيف، في النقد الأدبي، 105.

(2) ضيف، في النقد الأدبي، 106.

وتحول دون نظم القصائد القصصية الطويلة بكلام مرسل، فكان هذا شذوذاً على أذواقنا، لا لأنها لا تألفه فحسب بل؛ لأنه **فعلاً** - يصدم الأذن " (1). واعتبر د. شوقي الشعر المقفى يجد طريقه إلى الأذن، ويدفع عنها الملل، ويبتعد عن المقفى المكرر، خاصة إذا طالت القصيدة (2). وإن تنوع القافية فيه تجعل له موسيقية، ونغماً، يتفق مع المعنى. الشيء الذي يكسبه صبغة التأثير في الأذهان، والتجديد في النفوس المهيئة لسماعه. والقرآن كما سبق القول تتمتع فواصله بخاصية التنوع. والأمر فيه أبلغ تأثيراً، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ* وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ* وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيْفِ الرِّيَّاحِ آيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (الجاثية: 3-5).

إن التوازن في الفاصلة وقع هنا في نهايات الجمل "آيات لقوم يوقنون" و"آيات لقوم يعقلون" بتوازن كلمات ثلاث في الوزن الصرفي، وعدد الحروف، وتمائل الحركات، وعدد الكلمات، وترتيبها، وقارب هذا التوازن نهاية الجملة الأولى "آيات للمؤمنين".

التمائل في نهايات الكلمات المنتهية بها الجمل الثلاث "للمؤمنين" و"يوقنون" و"يعقلون". فقد انتهت الفواصل الثلاث بـ"الواو والنون". وإن المد العارض التي تنتهي به الفاصلة في الآية، لتتناسب مع حالة التدبر لهذه المشاهد الطبيعية التي تبهر العقول المتفكرة بنسقها ونظامها، التي تنادي بتوحيد الخالق وتعظيمه، الداعية إلى التفكير في معالم خلق الكون، وجزئياته، بدءاً بالسموات القائمة، وانتهاء بالرياح العاتية، مروراً بالأرض المستقرة، والخلق فوقها من كل دابة، مع أحوال العيش فيها ليلاً ونهاراً، مع أرزاقهم فيها. وقد تكرر صوت "اللام" سبع عشرة مرة، وصوت "الألف" ست عشرة مرة؛ ليشكلا بتوزيعاتهما خلال الآيات إيقاعاً صوتياً جاذباً، وقد تكررت كلمة "آيات" ثلاث مرات قبيل نهاية كل جملة. وإن موقع "الآيات" في هذا السياق وبهذه الحركات يشكل توازناً صوتياً فيه، ويوجه بالغاية القصوى استجابة الحس إليه، وقوة جذب الإدراك والذوق نحوه، مع دلالة واضحة فيها على عظمة الخالق سبحانه. إن الإيقاع في الآية بمظاهره الفاتنة المتعددة يستمر؛ ليظهر حضوره في الغنة التي نبعث من صوت النون بمقدار حركتين في كلمة "النهار" و"إن". وكيف ينتهي ذلك التناغم والتناسق المنبعث من تكرار صوت "النون والتنوين" ثمان عشرة مرة. والميم التي تكررت اثني عشرة مرة في نفس الآيات. مع ما فيهما من النغم الحاصل من أصلهما عند نطقهما، ومن تشديدهما. " والغنة صفة ثابتة للنون والميم في جميع أحوالهما " (3). وفي

(1) ضيف، في النقد الأدبي، 107.

(2) ينظر، ضيف، في النقد الأدبي، 108.

(3) الجمل، المغني، 99.

التنوين المنغم، والمتكرر في حكم الإدغام في كل من "آيات للمؤمنين" و"لقوم يوقنون" و"من رزق" و"آيات لقوم" و"لقوم يعقلون".

وفي التنوين المنغم، والمتكرر في حكم الإخفاء في كل من "أنزل" و"من دابة" يليها المد الطبيعي في "السموات" بنفس مقدار المد، يليه مد البدل في كلمة "آيات" وفيها نفس مقدار المد، والفاصلة التي تنتهي بـ"الياء" التي تمد مداً بالقصر والتوسط والطول عند الوقف عليها؛ ليحقق غاية الانسجام. لتبدأ الآية الثانية بـ"اليا" في كلمة "في" الممدودة مداً طبيعياً، وكذا "الألف" في كلمة "ما" ثم تمضي ذاهبة إلى الألف الممدودة مداً لازماً بحركاتها الست في كلمة "دابة" حتى إذا ما انتهت تبعها مد البدل في ألف "آيات" وكذا ألف "آيات" الثانية التي تنتهي بحركتين عند وصلها بما بعدها، أما إن وقفت عليها فالمد يجوز فيه القصر والتوسط والطول ويبلغ حركتين أو أربعاً أو ست حركات، حتى إذا انتهيت إلى الفاصلة وقع في سمعك ما وقع له عند الآية الأولى من الانسجام والتنغيم وذلك في كل من "للمؤمنين، يوقنون، يعقلون" فيا لله ما أعذب تلك الأجراس، وما أجمل إيقاعها. هذا وقد فطن ابن جني للإيقاع، والجرس، والغنة. وفرق بين صفات الأصوات، فهذا مكرر عنده، وذلك مهموس، وهذا جرسه قوي، والآخر خفي، يقول: "وأحسن التأليف ما بوعد فيه بين الحروف، فمتى تجاوز مخرجا الحرفين، فالقياس ألا يأنثفا، وإن تجشمو ذلك بدعوا بالأقوى من الحرفين، وذلك نحو: "أرل" و"ورل" و"وتد" فبدعوا بالراء قبل اللام، والتاء قبل الدال؛ لأنهما أقوى منهما. ويدلك قوة الراء والتاء على اللام والدال، أنك إذا ذقتهما ساكنتين، ووقفت عليهما وجدت الصوت ينقطع عند التاء بجرس قوي، ووجدته ينقطع عند الدال بجرس خفي، وذلك قولك: "إت" و"إد" وكذلك الراء واللام. فإذا وقفت على الراء، وجدت الصوت هناك مكرراً... وإذا وقفت على اللام وجدت في الصوت ليناً وغنة، وذلك قولك: "إر" و"إل" (1). وإن تباعد الحروف يحسن اللفظ، ويجوده. واعلم أن أحسن الأبنية أن يبنوا بامتزاج الحروف المتباعدة، "التأليف ثلاثة أضرب: أحدها: تأليف الحروف المتباعدة، وهو أحسنه، وهو أغلب في كلام العرب (2). والمقصود بقوله إنما هو تباعد مخارج الحروف، فإنها إن تباعدت حسنت، وسهل خروجها من اللسان.

(1) ابن جني، سر صناعة الإعراب، 2: 814.

(2) ينظر، السيوطي؛ عبد الرحمن جلال الدين، المزهرة في علوم اللغة العربية وأنواعها، ط3، القاهرة، دار التراث،

أقسام الفواصل في القرآن: مطرف، ومرصع، ومتواز، ومتوازن.

النوع الأول: المطرف، وهو اتفاق في حروف السجع لا في الوزن.

المثال الأول: قال تعالى: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ (نوح: 13-14). إن هاتين الآيتين انتهتا بفاصلتين "وقارا" و"أطوارا" من أبهى ما تكون حلل الألفاظ، فكلمة "وقارا" التي جاءت قبلها "ترجون" قد دللتا بتكرار حرف الراء الذي من صفاته التكرير على حالة الرجاء المتوقعة ممن يراقب نعم الله - تعالى - عليه، وقد كان لجرس التكرير أثر نفسي دافق في دفع النفس لتحقيق هذا الرجاء. وكلمة "أطوارا" التي من دلالاتها تتابع النسل النسل، والجيل الجيل، أتى حرف الراء المكرر؛ ليؤكد ذلك التتابع من الأجيال الذي يكون الأصل من ذكره التدبير في قدرة الله - تعالى - على الخلق.

المثال الثاني: قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مَهَادًا وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ (النبأ: 6-7). وهنا جملت نهاية الكلمتين؛ وسهلت مخارج الكلمتين "مهادا، أوتادا" فساهم ذلك في إثراء الدلالة والمعنى، وتحقيقه في النفس.

المثال الثالث: قال تعالى: ﴿وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ * وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (آل عمران: 48-4). إن الفاصلتين "الإنجيل، إسرائيل" تماثل آخر حرفيهما، ليتناسب ذلك مع ما أنزل على اليهود من الكتب، وخاصة الإنجيل، فلم يجد طريقا ينفذ به إلى قلوبهم إلا بإرسال الرسل والكتب إليهم.

النوع الثاني: المرصع هو اتفاق ألفاظ الفقرتين، أو أكثرها في الوزن والتقفية.

المثال الأول: قال تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * وَإِنَّ الْفَجَارَ لَفِي الْجَحِيمِ﴾ (الانفطار: 13-14). ما أجمل هذا التناسق، وما أروع هذا الاتفاق في الوزن والتقفية، زاد بهما النغم، وحسن التطريب.

المثال الثاني: قال تعالى: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا * فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا * فَالْمَغِيرَاتِ صَبْحًا * فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا * فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا﴾ (العدايات: 1-5). اتفقت أول الكلمات في الآيات "العدايات" و"الموريات" و"المغيرات" وزنا وتقفية، وكذلك الفواصل "ضبحا" و"قدحا" و"صبحا" و"جمعا".

المثال الثالث: قال تعالى: ﴿إِن إِلَيْنَا إِيَابُهُمْ ثُمَّ إِن عَلَيْنَا حِسَابُهُمْ﴾ (الغاشية: 25-26) ما أجمل هذا التوازن بين "إلينا" و"علينا" وبين "إيابهم" و"حسابهم" وزاد الحسن بتكرار "إن" المشددة، فما أروع هذا التوازن الذي نبع منه النغم، وحسن به التطريب.

النوع الثالث: المتوازي هو أن تتفق الكلمتان في الوزن وحروف السجع.

المثال الأول: قال تعالى: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ * وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ﴾ (الغاشية: 13-14).

المثال الثاني: قال تعالى: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا﴾ (المرسلات: 1-2). سهولة الألفاظ تلك التي اقتصرت بها الآيتان، اتفاق في الوزن، واتحاد في الفواصل، تولد عنهما جرس فرح، وتطريب ساحر في الأولى، جرس قوي عاصف في الثانية.

النوع الرابع: المتوازن هو اتفاق الفاصلتين في الوزن دون التقفية، أي أن يراعي في مقاطع الكلام الوزن فقط.

المثال الأول: قال تعالى: ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةً* وَرَزَابِي مَبْنُوثَةً﴾ (الغاشية: 15-16).

المثال الثاني: قال تعالى: ﴿وَأَتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ* وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (الصافات: 117-118)، فلفظ "الكتاب" و"الصراط" متوازنان، ولفظ "المستبين" و"المستقيم" متوازنان (1).

المثال الثالث: قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوَزَّهُمْ أَزًا* فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدَا (مريم: 83-84).

المثال الرابع: قال تعالى: ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَعَرَابِيٌّ سُودٌ﴾ (فاطر: 27)، قال الزركشي: "إن الموجب لتقديم "الغرابيب" هو تناسب الكلم، وجريانها على نمط متساوي التركيب، وذلك أنه لما تقدم البيض والحمرة دون إتباع كان الأليق بحسن النسق وترتيب النظام أن يكون السود كذلك، ولكنه لما كان في "السود" هنا زيادة الوصف كان الأليق في المعنى أن يتبع بما يقتضي ذلك، وهو "الغرابيب" فيقابل حظ اللفظ وحظ المعنى، فوفى الخطاب، وكمل الغرضان جمعياً" (2). وهذا من مراعاة الفواصل في ختام الآيات. و"إنما لم يجيء على أسلوب واحد؛ لأنه لا يحسن في الكلام جميعاً أن يكون مستمراً على نمط واحد لما فيه من التكلف، ولما في الطبع من الملل عليه؛ ولأن الافتتان في ضروب الفصاحة أعلى من الاستمرار على ضرب واحد. فلهذا وردت بعض آي القرآن متماثلة المقاطع، وبعضها غير متماثل" (3). وما أروع ختم الله تعالى الآية الأولى: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ﴾ (الحاقة: 41)، وختم التالية لها بقوله تعالى: ﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَا تَدْكُرُونَ﴾ (الحاقة: 42). ووجه ذلك: "أن مخالفة القرآن لنظم الشعر ظاهرة، وواضحة، لا تخفى على أحد، فقول من قال: شعر، عناد وكفر محض، فناسب ختمها بقوله تعالى: ﴿قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ﴾. وأما مخالفته لنظم الكهان، وألفاظ السجع، فتحتاج إلى تدبر وتذكر؛ لأن كلا منهما نثر، فليست مخالفته لهما في وضوحها لكل أحد كمخالفة الشعر، وإنما تظهر بتدبر ما في القرآن من الفصاحة، والبلاغة، والبدائع، والمعاني الأنيقة، فحسن ختمه بقوله تعالى: ﴿قَلِيلاً مَا تَدْكُرُونَ﴾. واعلم أن إيقاع المناسبة في مقاطع الفواصل حيث "تطرد" متأكد جداً، ومؤثر في الكلام، وحسن موقعه في اليقين من النفس تأثيراً عظيماً" (4). أما من حيث توازن الكلمات

(1) ينظر، الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 64. وينظر، علوان، من بلاغة القرآن، 256. وينظر، غنيم، علم الوصول الجميل، ط1، فلسطين، أكاديمية الإبداع، 2008 م، 74.

(2) العابد، نظرات لغوية في القرآن الكريم، 254.

(3) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 54.

(4) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 55.

والفواصل فقد تنوع ذلك في القرآن، فجاء بعضه متوازنا متساويا، وبعضه متوازنا غير متساو، وذلك يتضح في قسمة ابن الأثير التي ذكرها التفتازاني، قال:

" قال ابن الأثير: السجع ثلاثة أقسام:

الأول: أن يكون الفصلان متساويين.

مثال: قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ* وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ (الضحى: 9-10).

الثاني: أن يكون الثاني أطول من الأول، لا طولا يخرج به عن الاعتدال كثيرا.

مثال: قال تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا* لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا* تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾ (مريم: 88-90)...

الثالث: أن يكون الآخر أقصر من الأول، وهو عندي عيب فاحش؛ لأن السجع قد استوفى أمده في الأول بطوله، فإذا جاء الثاني قصيرا يبقى الإنسان عند سماعه كمن يريد الانتهاء إلى غاية فيعثر دونها " (1). واعتبر ابن الأثير السجع " الفاصلة " يحتاج إلى أربعة شرائط؛ لئلا يكون تطويلا: اختيار مفردات الألفاظ، واختيار التأليف، وكون اللفظ تابعا للمعنى، لا عكسه، وكون كل واحد من الفقرتين دالة على معنى آخر، وإن أحسن السجع كما قيل: ما تساوت قرائنه.

مثال: قال تعالى: ﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ* وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ* وَظِلِّ مَمْدُودٍ﴾ (الواقعة: 28-30).

فإن لم تتساوى قرائنه، فالأحسن: ما طالت قرينته الثانية.

مثال: قال تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى* مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾ (النجم: 1-2). أو قرينته الثالثة.

مثال: قال تعالى: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوه* ثُمَّ الْجَحِيمِ صَلُّوه﴾ (الحاقة: 30-31). ولا يحسن أن تؤتى قرينة

أخرى أقصر منها قصرا كثيرا " (2). وهكذا، فإن ابن الأثير اعتبر الفاصلة سجعا، وقسم له أقساما. وليس لهذا كبير الأهمية في حديثنا، ففيه تفصيل عريض يمكن الرجوع إليه في مظانه. ما يهمنا هو تلك الظاهرة التي تتألق بها الفاصلة؛ لتستحوذ بنغمها وجرسها وإيقاعها على النفوس، وتحقق معها ذلك التفاعل النفسي مع النص. وإن كان من قول، فإن الفاصلة استقطبت جمال السجع، وموسيقيته، فضلا عن كونها ليست مستدعاة أو جيء بها حشوا في الكلم. علما بأن " النثر العربي في عصوره الأولى قد انتظمت تلك الموسيقية، فمثله في العبارات المسجوعة حيناً، أو المتوازنة حيناً آخر " (3). واعتبر العسكري أن الفاصلة " تكون مستقرة في قرارها، ومتمكنة في موضعها. حتى لا يسد مسدها غيرها.. وإن لم تكن قصيرة قليلة الحروف.

(1) التفتازاني، المطول، 697.

(2) ينظر، التفتازاني، المطول، 696.

(3) أنيس، دلالة الألفاظ، 204 .

المثال الأول: قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى* وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا* وَأَنَّهُ خَلَقَ الزُّوجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ (النجم: 34).

المثال الثاني: قال تعالى: ﴿وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى* وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ (الضحى: 5)، فأبكى مع أضحك، وأحيا مع أمات، والأنثى مع الذكر، والأولى مع الآخرة، والرضى مع العطية في نهاية الجودة، وغاية حسن الموقع " (1).

الظاهرة الثانية

الجناس

تعريف الجناس: " تشابه لفظين في النطق، واختلافهما في المعنى " (2) وحاصل الحسن في الجناس أن يكون التشابه فيه هو " تشابه اللفظين في اللفظ... ويحتمل أن يطلق اللفظ على ذاتهما أي حروفها، فيكون المعنى تشابه اللفظين في حروفهما " (3). ويعني ذلك التوافق في أمور أربعة، أو اختلاف في بعضها، وهي: نوع الحروف، وشكلها، وعددها، وترتيبها.

ويعتبر الجناس من أهم وأبرز المظاهر التي احتوت على المصادر الموسيقية، خاصة الجناس التام، وذلك من خلال ذلك التماثل بين الألفاظ في الكلمات المتجانسة، وسيظهر ذلك في شرح نماذج من الآيات، علما بأن الجناس في آيات القرآن كثير.

إن الجناس لما كان محسنا لفظياً سار تأثيره في الأسماع سيراً نحو الشعور والإحساس، صانعاً صنعته في الوجدان، ومبدعاً بدعته في الأدهان، فإذا كان جرس اللفظ السائر حزيناً، كانت النفس أشد حزناً بسماعه، وإذا كان جرس لفظه فرحاً مسروراً، انبعث في النفس إشعاع الأمل، وبارقة السعادة، وكثيراً ما تتأثر النفس من نغم؛ فتبكي العين عند سماعه، أو يرقص البدن بطربه وإيقاعه، فهل هناك قوة تأثير أشد وأبلغ من ذلك. كيف والنفس تلحظ مع ذلك الجناس لفظاً قويا محكماً تألف مع بعضه لما انضم، فحتماً فيه من النغم والموسيقية الغناء ما فيه.

أنواع الجناس: الجناس ضربان، تام، وغير تام " ناقص".

النوع الأول: الجناس التام

أن يتفق اللفظان في أنواع الحروف، وفي أعدادها، وهيئاتها، وترتيبها، فإن كان اللفظان المتفقان في جميع ما ذكر من نوع واحد من أنواع الكلمة كاسمين، أو فعلين، أو حرفين، سمى متماثلاً. ثم الاسمان، إما متفقان في الأفراد أو الجمعية بأن يكونا مفردين.

(1) العسكري، الصناعتين، 508 .

(2) غنيم، علم الوصول الجميل، 66.

(3) ابن يعقوب؛ أبو العباس أحمد بن محمد المغربي، مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح، ط 1، تحقيق: خليل إبراهيم خليل، بيروت، دار الكتب العلمية، 2002م، 2: 597.

المثال الأول: قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ (الروم: 55)، ساعة الأولى: القيامة، والثانية: من ساعات الأيام (1). والتماثل في الحروف بين "ساعة" و"ساعة" مع وجود التوازن، حيث تمثل كل منهما توازنا مع الأخرى، مع ترديد حرف "السين" ثلاث مرات، وتكرار "الميم المغنة" خمس مرات، وتوزيع حرف "الواو" بين الكلمات في أربعة مواضع. كل ذلك ساهم في إحداث طفرة جمالية من الموسيقى، تجوب النفس، وتغزو خاطر؛ وتشعر المتلقي بنغمها فتحدث في قلبه التدبر والخشوع، وفي نفسه استنشاع مخاطر ذلك اليوم القريب. وما يعني الباحث هنا هو كيف لعب اللفظ المجنس دورا إيقاعيا. فكلمتا "الساعة" على اختلاف معانيهما جاءتا متماثلتين في الأصوات؛ فوقع النغم والإيقاع كأجمل ما يكون منهما في ظلال السياق. والجناس التام ما لا يتفق للبليغ إلا ندور وقلة، فهو لا يقع موقعه من الحسن حتى يكون المعنى هو الذي استدعاه وساقه (2).

المثال الثاني: قال تعالى: ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾ (النور: 43)، وقال تعالى: ﴿يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ (النور: 44). والجناس هنا بين "الأبصار" و"الأبصار" فقد جاءت كل منهما فاصلة لآية، فجمال بها المنتهى. وكان لتماثل الحروف جرس خاص، ونغم يشعر بالتدبر، لماذا لم يذكر العيون؟ لأن العيون في ظاهرها لن تصاب بشيء. إن الذي يصاب هو البصر، كما أن الذي يعي ذلك تماما هم أهل البصيرة من الناس. وهذا الاختلاف للمعنى أحدث في النفس جمالا لا يضارع، ومتعة، وروعة.

النوع الثاني: الجناس الناقص: "يسمى الجناس ناقصاً؛ لنقصان أحد اللفظين عن الآخر. وفيه أقسام:

أنواع الجناس الناقص:

أولاً: الاختلاف في عدد الحروف

1- يكون الحرف أو الأحرف الزائدة في أول كلمة

المثال الأول: قال تعالى: ﴿وَالْتَفَتْنَا السَّاقُ بِالسَّاقِ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾ (القيامة: 29-30). الساق والمساق، المرادان مختلفان، وثمة أمور تجمع بينهما منها: المساق لا يستغني عن الساق؛ لأنها أدواته. فلما تلتفت الساق، ولم تقدر على الزحف لهول ما ترى، يأتي من يقدر على القيام بالدور ذاته؛ ليسحبوهم، ويزجوهم. وهذا يؤكد أن جند الله -تعالى- يتدخلون في تلك اللحظة؛ ليحصل المساق إلى الله -تعالى- للحساب. والساق والمساق تماثلتا في نوع الحروف وعددهما إلا حرفاً واحداً، فشدت الانتباه، وحفرت النفس؛ لاستشراف المقصود وتدبره.

(1) ينظر، التفاتاني، المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، 687.

(2) الهاشمي، جواهر البلاغة، 312.

المثال الثاني: قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ (القصص: 45). إنه ضمير العظمة المتكرر "تا" في كلمتين متجاورتين، الأمر الذي يقع في النفس، تشعرها اللفظتان بالخوف والوجل منه، والمراقبة له، والحذر من عقابه، وتجنب سخطه، والبحث عن رضوانه. إن لها موسيقية خاصة، وفريدة، تدركها الأذواق، هي موسيقية التعاضم الموجب على الخلق. مصحوبة بالكينونة الدائمة.

المثال الثالث: قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾ (الأعراف: 86). إنه الضمير ضمير جمع العظمة "ربهم" وضمير جمع الناس وأحوالهم "بهم" كلاهما يؤكدان بهذا التكرار، والتماثل، تلك الإحاطة، وذلك الشمول الرباني، الذي يحوي بعلمه كل شيء.

المثال الرابع: قوله تعالى: ﴿مُذَبِّبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ﴾ (النساء: 143). إن هذا التماثل للحروف في كلمتي "مذبذبين" و"بين" يناسب حالة الينونة التي يعيشها المنافقون، الذين يحاولون الميل حسب مصالحهم ذات اليمين، أو ذات الشمال. إنها حالة الذبذبة، حالة لا استقرار، لا هدوء، لا استكانة، لا إلى هؤلاء، ولا إلى هؤلاء، تماما كالينونة بين شيئين. وحرف الباء الذي من صفاته القفلة، أي: الاضطراب، تلك الحالة التي توافق حالة المتذبذب.

المثال الخامس: قال تعالى: ﴿جُرْفٍ هَارٍ فَانْهَارَ﴾ (التوبة: 109). "هار، فانهار" كلمتان تماثلت بعض حروفهما، الهاء الحلقية المهموسة الضعيفة التي تناسب ضعف البنيان المنهار. حيث لا أساس، ولا قواعد، وفي الآية حرف "الفاء" المهموس الضعيف، وقد تكرر مرتين، والذي يخرج من الشفتين مع أطراف الثنايا العليا؛ لينتاسب مع حالة الانهيار، والسقوط لمن يقف على طرف الدين، وجرفه. إنه الجرس المخيف، الذي يشعر النفس بمدى خطورة الأمر.

2- يكون الحرف الزائد آخر الكلمة.

مثال: قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ﴾ (النساء: 83). لقد وقعت كلمة "الأمن" بين جمالين، الأول: مع كلمة "أمر" التي توافقت مع بعض حروفها جرسا. والثاني: المطابقة بينها وبين "الخوف" لتفيد شمولا وعموما لذلك الأمر الذي ذكر، وكأن المراد: كل أمر. كما تغذت الآية بمجموعة من الأجراس، منها: تكرار حرف "الميم" المغنة أربع مرات، وتكرار حرف "النون" مرتين. فهذه الآيات وأبعادها احتوت على الموسيقية اللفظية؛ تبثت في تماثل الأصوات بين الألفاظ المتجاورة، التي بسببها حصل التناسب والتوازن الذي زاد موسيقاها جمالا وصدى بديعا، تتطلق سهامها للنفس؛ فتستشرف بها، وبمعناها التي حملت. ودورانها في القرآن كثير، وهذا مظهر من مظاهر التنغي الأخاذ في القرآن.

ثانيا: الاختلاف في نوع الحروف

الجناس المضارع: إن كانا متقاربين في المخرج سمي هذا الجنس مضارعا، ويكون في الحرف الأول أو الوسط نحو.

مثال: قال تعالى: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأُونَ عَنْهُ﴾ (الأنعام: 26). فالجناس وقع بين "ينهون" و"ينأون" فقد تماثلا في كل الحروف سوى الهاء ومقابله الهمزة، وكلاهما حلقي المخرج. فهما متقاربان -أيضا- وعلى ذلك يبدو النغم المنبعث من ذا التماثل، وذا التقارب قد أحدث جرسا قويا، هذا مع حرف الهاء المهموسة المكررة أربع مرات. والنون المغنطة المكررة ست مرات. فكيف سيبدو النغم حينها!.

الجناس اللاحق: ألا يكون الحرفان متجانسين، وفيه أنواع:

1- يكون في الحرف الأول

المثال الأول: قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ (الهمزة: 1)، لاحظ التجانس بين "همزة" و"لمزة" واصطحبت الآية مع هذا التجانس "صوت اللام" الذي تكرر أربع مرات؛ ليعطي بإطلالته رونقا وجمالا مستعربين. فالزاي حرف صغير، يتناسب مع الهمز واللمز؛ لأنه أداة من أدواتهما. وحرف " اللام " في " لمزه " فيه صفة الانحراف، وذلك يتناسب مع انحراف طباعهم، وأخلاقهم.

المثال الثاني: قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ * وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ (العاديات: 7-8)، ما أجمله من تقسيم. وكلمة "إنه" تكررت في الآيتين، وحرف "اللام" تكرر خمس مرات، وتماثل آخر الفاصلتين، ومد العارض فيهما -أيضا- مع القفلة في حرف " الدال " والنون المغناة المشددة وتكوين الضم في نهاية الفاصلتين. اكتنظت الآية بالأجراس الطبيعية المتناسقة، التي أضفت جمالها على الآية.

2- يكون في الحرف الأوسط.

مثال: قال تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ (غافر: 75)، إن تجليات التجانس بين "تفرحون" و"تمرحون" توازن الكلمتين، وتماثل الوزن، وتقفيتهما الداخلية، وباعتبار الأولى فاصلة داخلية، والثانية في نهاية الآية، مع صوت النون المغناة في آخرهما، وصوت "الميم المغناة" والتي تكررت ست مرات التي جملت بها باقي الكلمات. يا للعجب كيف كان أثر ذلك في إيقاع الإنذار والإنكار على ضمائر المخاطبين، وشد أذهانهم، وتوق النفس ومعاودتها لتكرار مثل خطاب في قمة الروعة كهذا.

ثالثا: الاختلاف في ترتيب الحروف

ويسمى تجنيس القلب، بأن يختلفا في تركيب الحروف (1).

مثال: قال تعالى: ﴿فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (طه: 94). إن هذا الاختلاف في ترتيب الحروف "القلب" في كلمتي "بين، بني" ساهم في إبراز البينونة بين فرق بني إسرائيل، وتجاوز الكلمتين

(1) ينظر، السيوطي، الإتقان في العلوم القرآن، 3: 246.

كشف عن حقيقة تلك البينونة وظهورها، فإنه لم يفصل بين سلالة بني إسرائيل المتفرقة وبين كلمة "بين" فاصل.

ولا يعني الباحث في هذا المقام تقسيم الجنس بقسمة قدمائنا -عليهم الرحمة- بقدر ما تعنيه الأصوات التي تماثلت، أو تقاربت صفاتها؛ لتهيئ إيقاعا جذابا، ونغما موسيقيا في أرجاء النص.

رابعا: الاختلاف في الاشتقاق

ويجمع هذا الجنس في مجال النقص بين عدم ترتيب الحروف، واختلاف شكلها -أحيانا- واختلاف عددها أو ترتيبها (1).

المثال الأول: قال تعالى: ﴿فَرُوحٌ وَرِيحَانٌ وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ﴾ (الواقعة: 89)، فهنا تماثلت في كلمتي "روح" و"ريحان" الأصوات التالية: "الراء والحاء" فتولد منها نغم وإيقاع. مع وجود النون المغناة التي زادت الآية حلا على حالاتها، وروعة لروائعها، فقد تكرر حرف النون ثلاث مرات، وتكرر التنوين الذي لا تتفك عنه الغنة -أيضا- أربع مرات، فصار لهذه الكلمات الأربع نغم مكتظ، وجرس بارز، تحقق في النفس أثره. ودل على نشوة الروح، وفرح النفس، وهي تنطلق إلى رحاب ربها سبحانه.

المثال الثاني: قال تعالى: ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾ (فصلت: 51)...(2).

" قال ابن رشيد الدين: صناعة الاشتقاق عند الأدباء والبلغاء من التجنيس " (3). إن فيض هاتين الكلمتين اللتين أضفت حروفهما عليهما بتلك الموسيقى الغناء على تباين دلالة كل منهما نغما وموسيقية رائعة، وجرسا خاصا. فالراء المفتوحة في كليهما، مع ذلك المد الذي ينتهي بقاء الحاء المهموسة التي تبعث على الارتياح والطمأنينة والسكينة. ولما تمر كلمتا "أعرض" و"عريض" حيث توافق فيهما صوت العين الجهورية، التي تتناسب مع الإعراض المنكر، الذي يحتاج إلى استنفال لا استعلاء؛ ليدل على حالة التجافي الخجول الذي يجانب الحق والصواب. وكذلك الراء المنكرة التي تتسق مع حالة العناد والإعراض المتكرر. هذا وقد انتهت الكلمتان بصوت الضاد في "أعرض" الذي يحاول الاستعلاء بإنكاره النعمة، وشدة اللجوء عند مساس صاحبه السوء. والاختلاف بين المتجانسين قد يكون في الحركة فقط.

المثال الثالث: قال الله تعالى: ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ﴾ (النمل: 44)، فهنا تماثلت في كلمتي "أسلمت" و"سليمان" الأصوات التالية:

"السين واللام والميم"

(1) ينظر، غنيم، علم الوصول الجميل، 71.

(2) ينظر، الثعالبي، روضة الفصاحة، 91.

(3) الثعالبي، روضة الفصاحة، 94.

فتولد منها نغم وإيقاع. وزيادة على هذا النغم، ما يلاحظ من تكرار حرف "الميم" المغنة ثلاث مرات، ووجود حرف النون المغنة. مع وفرة صفة الهمس في حرف "السين" المكرر مرتين، وحرف "التاء"، مع اختلاف الحركات، حيث ساهم كل ذلك في زيادة تنغيم الكلمات الثلاث، وإعطائها جرسا محفزا للأسماع والنفوس.

المثال الرابع: قال عز وجل: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقِيمِ﴾ (الروم: 43)، فهنا تماثلت في كلمتي "أقم" و"القيم" الأصوات التالية:

"القاف و الميم"

فتولد منها نغم وإيقاع.

المثال الخامس: قال تعالى: ﴿تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ (النور: 37)، فهنا تماثلت في كلمتي "تتقلب" و"القلوب" الأصوات التالية:

" القاف واللام والباء "

فتولد منها نغما وإيقاعا. وحرف القاف فيه صفة القلقة التي تعني الاضطراب، فناسبت الكلمتان تلك الحالة من التقلب.

المثال السادس: قال تعالى: ﴿وَالْتَفَتُ السَّاقُ بِالسَّاقِ *إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾ (القيامة: 69)، فهنا تماثلت في كلمتي "الساق" و"المساق" الأصوات التالية:

"السين والألف والقاف"

فتولد منها نغم وإيقاع.

المثال السابع: قال تعالى: ﴿وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (الأنعام: 79)، فهنا تماثلت في كلمتي "وجهت" و"وجهي" الأصوات التالية:

" الواو والجيم والهاء "

فتولد منها نغم وإيقاع. وزيادة على ذلك برزت الكسرة في كل من:

هاء "وجهي" وذال "الذي" وتاء "السموات" وضاد "الأرض" مع الحركة الطويل "ياء" الذي

لتدل على ذلك الانكسار الذي يصحب المؤمن عندما يتوجه لله -تعالى- ويتجه قبالة. إنها القبالة الشريفة، وهل هناك أشرف من الوجه؛ ليكون مسمى بديلا. وما تشهده الكلمات من حروف مشددة بدءا بحرف "الجيم" المكررة ثم اللام في "الذي" ثم "الذال" ثم "السين" في السماوات وكلها مشددة مفتوحة؛ كل ذلك منح الآية الكريمة نغما مضاعفا، وجرسا مناسبا.

المثال الثامن: قال تعالى: ﴿ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ (النحل: 69). فهنا تماثلت في كلمتي "كلي" و"كل" الأصوات التالية:

"الكاف واللام"

فتولد منها نغم وإيقاع، هذا مع تكرار "الميم المنغمة" ثلاث مرات، وواحدة منها مشددة، مع النون الساكنة في كلمة " من ". إن هذا جاء في الآية بحلية بهية، ورائعة للأسماع بيّنة.

المثال التاسع: قال تعالى: ﴿أَزْفَتِ الْأَزْفَةُ﴾ (النجم: 75)، الأزفة اسم ليوم القيامة (1)، فهنا تماثلت في كلمتي "أزفت" و"الأزفة" الأصوات التالية:

"الهمزة و الزاي و الفاء"

فتولد منها نغم وإيقاع. وصوت الزاي من صفاته الصغير؛ ليتناسب مع حالة النفخ في الصور التي تصحو على أثيره الأرواح، وتوم من رقتها. وجاءت أربع حروف مهموسة؛ لتساهم في الوشاية للنفس عن قرب ذلك اليوم، وتحققه.

المثال العاشر: قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنذِرِينَ*فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذِرِينَ﴾ (يونس: 73). وأما الإيقاع الحاصل من التجانس في حركات الأصوات فتبين لنا بين قوله: "المنذرين" بفتح صوت "الذال" و"المنذرين" بكسر صوت "الذال" وازداد جرس الإيقاع لما وقعت الكلمتان فواصل للآيتين.

الظاهرة الثالثة

الترصيع

لغة: " أصل- الترصيع- من قولهم رصعت العقد إذا فصلته " (2).

اصطلاحاً: " أن يكون الكلام مشتملاً على قرينتين مختلفتين، فما زاد يكون كل واحدة لها ما يقابلها، وتكون الكلمات متفقة في الوزن وفي حروف السجع " (3).

المثال الأول: قال تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ*ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ (الغاشية: 25- 26). إن الموسيقى النابعة من هذا التناسق بين "إيابهم، حسابهم" الواقعتين في نهاية الآية، بهذا الوزن الذي اتفقت فيه أصوات الكلمتين وحركاتهما، ومع تقارب مخرجي الهمزة والحاء الحلقيتين. وتوافق نهاية مقطع الكلمتين "إيابهم" و"حسابهم" أحدثنا إيقاعاً وجرساً منغماً، تهتز له أوتار المشاعر، وتتجلى له الأسماع.

المثال الثاني: قال تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ*وَأَنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ (الانفطار: 13-14). " فيه طباقان، مع ما فيه من الترصيع " (4). لقد وقع التوازن بين الكلمات في الآية الأولى مع الثانية، فوازنت كل واحدة الأخرى. مع تماثل الكلمات والحروف والحركات لمعظمها، مع فاصلة الميم

(1) ينظر، العسكري، الصناعتين، 355.

(2) العسكري، الصناعتين، 416.

(3) الثعالبي، روضة الفصاحة، 95.

(4) الثعالبي، روضة الفصاحة، 95.

المغنة في نهاية كل منهما، مع تقفية داخلية نبعت مع التوازن في " الأبرار " و " الفجار " وغنة النون المشددة التي تكررت مرتين. مع تناسب نطق حرف " الباء " سهل المخرج من الشفتين، ليتناسب مع سهولة انقيادهم نحو النعيم. وصوت الجيم الانفجاري الذي يشير على انفجار أصواتهم وهم إلى الجحيم يساقون. مع بروز المؤكدات: "إن" و"اللام" في كلمة "لفي" و"تكرار الكلمات" التي أضفت على الصورة في ذهن المتلقي حيوية.

وإن " مثل هذا إذا اتفق في موضع... أو موضعين كان حسنا... فإذا كثر، وتوالى، دل على التكلف " (1). ولا يوجد في القرآن متكلف. وزعم بعضهم " أن الترصيع لا يوجد في كتاب الله، قال صاحب البرهان: " قيل: ولم يجئ هذا القسم في القرآن العظيم لما فيه من التكلف " (2).

ويرى الباحث أن في القرآن ترصيعا، وما الذي يمنع أن يكون الترصيع قد أخذ مكانه في الآيات - لا سيما- وأنه ليس مما يؤثر الشعر به دون غيره، ولم يقل أحد بأثرة الشعر له. وما دامت الألفاظ تسوقها المعاني لخدمته، فلا يمنع أن تكون معان طلبت ألفاظا بنسق مرصع؛ لتبدو أكثر تأثيرا، وأروع مذاقا. وقد جرت في القرآن على نحو من النسق والتألف. وإنك لا تجد فيه ما ينبو من الألفاظ، أو يشكل في خفته، ونظامه مع غيره. فكما معانيه فريدة، فقد لبست أجمل ما يحلو من حلا اللفظ. فالترصيع فيه أندى وأجل بما يحمل لفظه من معان. قال بعض المغاربة: " سورة الواقعة من نوع الترصيع، وتتبع آخر آيها يدل على أن فيها موزانة. قالوا: وأحسن السجع ما تساوت قرائنه ليكون شبيها بالشعر، فإن أبياته متساوية (3).

المثال الأول: قال تعالى: ﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ*وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ*وَوَيْلٍ مَّمْدُودٍ﴾ (الواقعة: 28-30). وعلته أن السمع ألف الانتهاء إلى غاية في الخفة بالأولى، فإذا زيد عليها ثقل عنه الزائد؛ لأنه يكون عند وصولها إلى مقدار الأول، كمن توقع الظفر بمقصوده " (4).

المثال الثاني: قال تعالى: ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾ (البقرة: 282). يقول الزركشي: " قال بعضهم: إنما أعيدت " إحداهما " لتعادل الكلم، وتوازن الألفاظ في التركيب، وهو المعنى في الترصيع البديعي، بل هذا أبلغ من الترصيع. فإن الترصيع توازن الألفاظ من حيث صيغا؛ وهذا من حيث تركيبها ؛ فكأنه ترصيع معنوي، وقلما يوجد إلا في نادر من الكلام " (5).

(1)العسكري، الصناعتين، 419.

(2) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 64.

(3) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 64.

(4) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 64.

(5) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 611.

الظاهرة الرابعة

رد العجز على الصدر

تعريف رد العجز على الصدر: " أن تعكس الكلام فتجعل في الجزء الأخير منه ما جعلته في الجزء الأول... وبعضهم يسميه التبديل... وهو مثل قول الله عز وجل: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ (الروم: 19)... (1).

أقسام رد العجز على الصدر:

الأول: أن يكون اللفظان مكررين، نحو: ﴿وَتَخَشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾ (الأحزاب: 37)، إن الجرس والإيقاع الذي انطلق من تكرار " تخشى " يوحى بالانكسار إلى عظمة الرب الأعلى - سبحانه - والخوف منه، مع تكرار الأصوات الطويلة أربع مرات، وكذلك تكرار أصوات الهمس:

" الخاء " و " الشين " و " السين " و " الهاء " و " الحاء " و " التاء "

لأنه مشهد السكون الذي لا بد من أن يكتنفه الوقار، والهيبة، والرغبة من الناس لله رب العالمين.

الثاني: أن يكونا متجانسين... وسبق ذكره في الجناس.

الثالث: أن يجمع الاشتقاق اللفظين.

مثال: قال تعالى: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ (نوح: 10)، فكان للاشتقاق جرس خاص، مع ما استجلبه من المعاني الحسان.

الرابع: أن يجمع شبه الاشتقاق اللفظين.

المثال الأول: قال تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ﴾ (سبأ: 22)، وجعل صاحب الصناعتين هذه الآيات من العكس وما هي كذلك، إنما هي من رد العجز على الصدر، والعكس هو أن يقدم في الكلام جزءا على جزء آخر كان في ذلك الكلام المقدم، ثم يؤخر ذلك الجزء المقدم على ذلك الجزء المؤخر أولا.

المثال الثاني: قال تعالى: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ (يونس: 31). فالفعل " يخرج " هو في الجملتين، وقد تعلق بالجملة الأولى والثانية (2)، قد جيء بمعنى بليغ رغم تكرار نفس الكلمات، وكان أعذب الإيقاع بهذا التوازن والتماثل بين الألفاظ.

(1) العسكري، الصناعتين، 411.

(2) ابن يعقوب، مواهب الفتاح، 2: 514 - 516.

المثال الثالث: قال تعالى: ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لِهِنَّ﴾ (الممتحنة: 10)، هذا التوازن استعار من الأذن كل طاقتها للاستلذاذ بجماله، وقد تكررت حركات، وحروف، وكلمات، وتوازنت الكلمات، وكانت كل كلمة على وزن أختها ومثيلتها، مع التشديد الذي رافق معظم الحروف، وتكرار النون والميم المغنيتين، مع حدوث التقفية الداخلية في "لهم" و"هم" مع تكرار حرف اللام ست مرات في مقطع صغير. فحسن الجرس، وجمل النغم، فأعظم به من جمال. وهذه الألفاظ تماثلت وتوازنت؛ لتنهل النفس من إيقاعها وموسيقيتها، ولقد تبدلت الألفاظ؛ لتتفق مع تبادلية أدوار العلاقة الزوجية التي توحى بالفرح والسعادة من جرائها، وهذا من أروع البلاغة، وأندى التعابير.

ومما دخل في الجناس، وعده بعض العلماء من رد العجز على الصدر وهو جناس في رأي الباحث؛ لأنه يقلب الحروف لا الكلمات، ويرد لفظ العجز على الصدر، ولا يرد المعنى. وفيه في القرآن مثالان:

المثال الأول: قال تعالى: ﴿كُلٌّ فِي فَكِّ﴾ (يس: 40) الذي يسمى المقلوب، ويسميه الباحث " **المدور** " لأنه دائري اللفظ والمعنى، ولا يوجد منه في القرآن إلا موضعان، السابق أحدهما، ومعناه الدائري أن الحياة حركة دائرية سواء بحركة الأفلاك أو بدوران الحياة والموت، فجيل يتبع جيلا. أما اللفظ فلو قلبت حروف آخرها لقرأت فيها أولها، إن هذا القلب الذي تماثلت فيه أصوات الحروف أعطى نغما، وجرسا، وإيقاعا، يشعر بديمومة الحركة.

المثال الثاني: قال تعالى: ﴿وَرَبِّكَ فَكْبُرُ﴾ (المدثر: 3) فلو أدت الألفاظ في لسان العرب ما جئت بأحسن من "كبر" ؛ لأنها متماثلة اللفظ، شاملة المعنى. فتدور معاني العظمة كلها فيها. كما إن لفظها لو أدير؛ لقرئت كما هي.

فائدة رد العجز على الصدر:

إن صاحب العمدة ذكر بعض فوائد فن "رد العجز على الصدر" الذي سماه بـ "التصدير" الذي يدل بعضه على بعض، ومن تلك الفوائد التي ذكرها: أن يكسب الكلام أبهة، ويكسوه رونقا وديباجة، ويزيده مائية وطلاوة، واعتبره قريبا من التريديد الذي هو: الإتيان بلفظة متعلقة بمعنى، ثم يردها بعينها متعلقة بمعنى آخر في المقطع نفسه(1)، وأيضا هو الذي يضيف إيقاعا موسيقيا مؤثرا في النفس، ومؤكدا على دلالة المعنى في النفوس.

(1) ينظر، القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، 1: 334، 335، 336، 337.

الظاهرة الخامسة

الازدواج

تعريف الازدواج: " توافق جميع ألفاظ الجملتين أو أكثرهما في الوزن دون اشتراط التوافق في التقفية"(1). و " لا يحسن الكلام ولا يحلو حتى يكون مزدوجا، ولا تكاد تجد لبليغ كلاما يخلو من الازدواج... وقد كثر الازدواج فيه- القرآن- حتى حصل في أوساط الآيات، فضلا عما تزوج في الفواصل منه.

الازدواج في الآية الواحدة:

المثال الأول: قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ (الأنعام: 1). وقد تزوجت كلمتا "خلق" و "جعل" وكذلك كلمتا "السموات" و"الظلمات" واتحد وزنها، فكان هذا مصدرا من مصادر موسيقية الآية ونغمها.

المثال الثاني: قال تعالى: ﴿أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصْبَنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَي قُلُوبِهِمْ﴾ (الأعراف: 100). وحصل التزواج بين "ذنوبهم" و"قلوبهم" واتحدا وزنا، ومنهما نبع التطريب والنغم، وازداد بتوافق نهاية الكلمات "أصبناهم" و"ذنوبهم" و "قلوبهم" بالمقطع الأخير "هم".

المثال الثالث: قال تعالى: ﴿وَلَسَنُ أَخْذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ﴾ (البقرة: 227). وحصل التزواج بين "أخذه" و"فيه" واتحدا في مقطعهما، ومن ذلك نبع التطريب والنغم.

الازدواج في فواصل الآيات: وأما ما زوج بينه بالفواصل فهو كثير.

المثال الأول: قال تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَعْتَ فَانصَبْ * وَالْيَ رِيكَ فَارْعَبْ﴾ (الشرح: 7-8). وحصل التزواج بين "انصب" و"ارغب" اتحدا في الوزن، وانتهت كل آية بواحدة، فحسن الإيقاع، وجمل النغم.

المثال الثاني: قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ * وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ (الضحى: 9-10)... وهذا من المطابقة التي لا تجد في كلام الخلق مثلها حسنا ولا شدة اختصار على كثرة المطابقة في الكلام(2).

المزاوجة بين الموسيقى اللفظية " الداخلية والخارجية "

إن القرآن الكريم مفعم بالموسيقى التي تتداخل في ألفاظه وجمله وآياته " وحيثما تلا الإنسان القرآن أحس بذلك الإيقاع الداخلي في سياقه؛ يبرز بروزاً واضحاً في السور القصار، والفواصل السريعة، ومواقع التصوير والتشخيص بصفه عامة؛ ويتوارى قليلاً أو كثيراً في السور الطوال، ولكنه -على كل حال -ملحوظ دائماً في بناء النظم القرآني" (3).

(1) غنيم، علم الوصول الجميل، 82.

(2) ينظر، العسكري، الصناعتين، 285 .

(3) قطب، التصوير الفني، 80.

" هذه الظاهرة أشد ما تكون استبانة وظهوراً في القرآن. وهي ظاهرة يجليها جلال النظم، وما تفيض به كلماته وحروفه من نداوة النغم وطلاوة الجرس، وتلك خصيصة من خصائص القرآن لا توجد على نهج مطرد وكيفية مستديمة مركزة في غير هذا الكتاب الحكيم " (1).

الظاهرة السادسة

المشاكلة

تعريف المشاكلة: " أن يذكر الشيء بلفظ غيره، لوقوعه في صحبته تحقيقاً أو تقديراً " (2)، أو " أن يجعل كلام بحداء كلام، فيؤتى به على وزنه لفظاً، وإن كانا مختلفين " (3). وما يهم البحث هو كون تماثل الوزن بين الكلمتين في فن المشاكلة. وتنقسم المشاكلة لقسمين، وسيكتفي البحث بعرض القسم الأول؛ لتعلقه باللفظ.

المشاكلة التحقيقية

وهي التي يذكر فيها لفظان متجانسان، والتي ستكون مدار حديثنا لتعلقها بلفظتين متجانستين دون التقديرية التي خفي اللفظ الآخر، إذ لا داعي لذكرها. ومن أمثلتها:

المثال الأول: قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ (البقرة: 194)، والمعنى: من اعتدى عليكم، فعاقبه على عدوانه بالمثل. فعبّر عن الاعتداء بالمثل. وهذا التجانس الصوتي بين "اعتدى" الأولى و"اعتدى" الثانية توازنت بها الآية، وهيمن الإيقاع عليها من تماثل حروفهما، وزاد الجرس في الآية من لفظ "عليكم" الذي تكرر مرتين و لفظ "على" مرة. وحرف "العين" الذي تكرر ست مرات، ليصور للنفس شعور العدوانية الذي لا تنتهي آثارها. وكذلك صوت "الميم" المغنة تكرر خمس مرات؛ ليتفاعل النغم والإيقاع ليزداد المعنى ثراءً.

المثال الثاني: قوله تعالى: ﴿تَعَلَّمْ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمْ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ (المائدة: 116)، والمراد: ولا أعلم ما عندك وعبر بالنفس للمشاكلة. فتوافقت الكلمتان صوتاً، وتكرر اللفظة نفسها أحدث توازناً نبعت منه موسيقى. مصحوباً هذا بتكرار الكلمات، والحروف، والحركات، وتماثلها. ولما كان العلم معنوياً أتى بلفظ "نفس" التي تحتوي "السين" و"الفاء" المهموستين؛ وحرفاً "الفاء والسين" المهموسين، يتناسب إيقاعهما وجرسهما في كلمة "النفس" مع دلالاتها. فالنفس أمرها خفي، وما تفكر به خفي، وما تريده خفي. فناسب الخفاء همس. وللتأكيد على معرفة الله -تعالى- لخفاياها، فساهم ذلك في إبراز نغم هامس، يتناسب فيه المعنى مع الصوت. وإن الآية اكتظت بأصوات

(1) عبد العزيز، إعجاز القرآن، 98.

(2) علوان، محموندنعمان، من بلاغة القرآن، ط 2، دار العربية للنشر، 1994 م، 229.

(3) ابن فارس، الصحابي، 175.

الحركات الطويلة "الألف المدية" التي تكررت ثلاث مرات، و "الياء المدية" ثلاث مرات؛ ليزداد النغم، وتتسع موسيقية الآية في الأذان.

المثال الثالث: كأن يأتي الفعل بمثل لفظه، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ * اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ (آل عمران: 54)، أي يجازيهم جزاء الاستهزاء " أي: الله يعاقبهم على صنيعهم، وكان للألفاظ جرس ونغم مختلف فقد تكررت اللفظة "مستهزئون" نفسها فأحدثت توازنا نبعت منه موسيقى ونغم، خاصة أن "الهاء" تكررت أربع مرات وصوت "النون" المغنة تكررت أربع مرات؛ ليزداد النغم وتتسع موسيقية الآية في الأذان. أما حرف "السين" المهموس، والذي تظهر فيه صفة الصفير؛ فهو بذلك يتناسب مع حالة الاستهزاء التي تقتضي حيناً الهمس والإضمار، وحيناً الجهر والإفصاح. والاستهزاء من الله -تعالى- يكون بعقابهم في نفوسهم كأن يشعرهم بالضيق والشدة، أو يجازيهم علانية وجهراً.

المثال الرابع: قال تعالى: ﴿وَمَكْرُؤًا وَّمَكْرَ اللَّهِ﴾ (التوبة: 79)، فقد تكرر لفظ "مكر" مرتين، مع صوت "الواو" ثلاث مرات؛ ليحدث نغماً موسيقياً. وتكرار حرف الكاف المهموس، يغذي دلالة الكلمة، لأن "المكر" موضعه النفس. وما في النفس خفي، ولم يكن المكر شديداً إلا لخفائه في النفس. أما تكرار حرف "الراء" الذي يناسب حالة المكر. فالمكر أمر لا ينتهي، يتكرر، كلما انتهت عقدة من عقده، ظهرت أختها، وفيه تناسب مع الراء المتكررة النغم.

المثال الخامس: قوله تعالى: ﴿يَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾ (التوبة: 79)، أي: جازاهم. ذكر المجازة هنا بلفظ السخرية لوقوعه في صحبته، ولاحظ معي كيف تكررت لفظة "سخر" ولفظة "منهم" وتكرر صوت "الهاء" ثلاث مرات، وصوت "الراء المفخمة" مرتين فالآية ألفاظها إما متجانسة أو متماثلة؛ ليتحقق بها نغم وإيقاع مستعذبين.

المثال السادس: قوله تعالى: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ (التوبة: 67)، أي: أهملهم. ذكر الإهمال هنا بلفظ النسيان لوقوعه في صحبته، ولاحظ معي كيف تكررت لفظة النسيان، وصوت الهاء الذي خلا من اللفظة الأولى؛ لأنها ستكون في لفظ الجلالة "الله" مع تكرارها في اللفظة الثانية؛ ليتحقق بها نغم وإيقاع مستعذبين.

المثال السابع: قال تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ (الشورى: 40). فحرف السين المهموس يتناسب مع إضمار الخطايا، ووعيد الجزاء. حرف الهمز الجهوري المتفجر، يتناسب مع الخطايا المعلنة وما سيقابلها من رد. أما الياء المشددة فيتناسب مع قبح السيئة، وشدة الجزاء والحساب.

الخاتمة

التوصيات والنتائج

الحمد لله الذي من علي بمنة هي عندي من أجل المنن والمنح، أن أحياني ربي، وهيانني، ووقفني، وسخر الأسباب لي؛ لإتمام هذا البحث المتواضع، الذي أطلب من مولاي بعد تمامه، أن يجعله على مدرجة طريقي نحو رضاه والجنة، ومنفعة ومفتاح علم للاحقين من طلبة العلم. سائلا إياه أن يجزل لأستاذي ومرشدي العظيمة منه أن حثني، وشجعني، وأرشدني؛ ليكون هذا البحث على الوجه الذي أتقدم به اليوم بين أيدي أساتذتي ممن أفرح بهم، وأتشوف العلم منهم.

تتضمن الخاتمة أهم النتائج والتوصيات التي توصل إليها هذا البحث المتواضع.

نتائج الفصل الأول (الزمان)

1. القرآن الكريم أعطى قدسية للزمان، فسمى عددا من السور القرآنية بأسماء أزمنة، كسورة الدهر، والجمعة، والفجر، والعصر، والليل، والشمس، والضحى. وأقسم الله -تعالى- به في بعض المواطن.
2. الزمان مخلوق بعد المكان، وهو يتحرك في كل مكونات الكون، ويحسه كل مخلوق بإحساسه الخاص الذي يخالف فيه إحساس الآخرين له.
3. القرآن الكريم أعطى للزمن خاصية الانطواء، فطوى أزمنة تشهد على قدرة مقتدر، مثل طي الزمن لعيسى -عليه السلام- فنطق وهو في المهد، ونومة أهل الكهف الطويلة دونما موت.. الخ.
4. القرآن رسم صورة الماضي رسما دقيقا، فقد استعرض القرآن الكريم قصص السابقين الماضية؛ للاتعاظ بما حصل في الأزمنة الماضية، وللدلالة على إحاطة علم الله -تعالى- بأحداث الأزمنة المختلفة. ولتكون محطة انطلاق جديدة للأجيال المتعاقبة.
5. القرآن يكشف خوارق مستقبلية قريبة الوقوع من نزوله، وبعيدة الوقوع أيضا.
6. وضع القرآن علاقة الزمان بالمكان، وأكد أولا على أسبقية المكان.. وكثيرا ما اقترنت الأماكن بالأزمنة في الآيات القرآنية؛ لتجسيد تلك العلاقة.
7. ربط أماكن عبادة بأزمنة مخصوصة. كما ربط أماكن عبادة مخصوصة بأزمنة مفتوحة.
8. للزمن أثره في الشخصية داخل القصة القرآنية حيث يمكن تسميته بالزمن النفسي فهو يسجل غضبها، وفرحها.
9. ظهرت الشخصية مع الزمن في رابط وشائج قوي، سجل قمة الإعجاز، وذلك كقصة ولادة المسيح -عليه السلام- وكلامه صبيا، مستبقا عوامل الزمان.

10. الزمان في القرآن لا يتوقف على تسجيل الأحداث تاريخياً، وإنما يمنح المتلقي إمكانية الإحساس بجريان الأحداث في جميع الأزمنة.
11. ربط القرآن الكريم بين الزمن في حياة الإنسان (الدنيا)، ومصيره في الآخرة.
12. قياس الزمن في عالم الآخرة، يختلف عن قياسه في الدنيا.
13. أكد القرآن على ضرورة استغلال الزمن، وعدم إضاعته وتبديده بلا استثمار أو فائدة.
14. الزمان دليل من دلائل القدرة الإلهية. فإن القرآن وضع أزمنة مختلفة لكل عالم من العوالم الثلاثة (الدنيا، البرزخ، الآخرة). كما جعل إحساس الإنسان تجاه الزمان إحساساً يشعر بعجزه أمامه، واستشعار قدرة الله في تسييره، مثل: منام أهل الكهف سنوات طويلة، وكلام عيسى -عليه السلام- في المهد.
15. الزمان عامل أساسي من عوامل انقسام الكون إلى قوى الشرك التي ترى انتهاء الإنسان، وقوة الإيمان التي ترى وقوع عالمي البرزخ والآخرة بعد الدنيا.
16. الزمان أعطى القصة القرآنية حيوية، وجمالاً؛ للولوج إلى نفس المتلقي، وذلك من خلال التراتيبية ذات الأهداف والمغازي.
17. الزمان الأخروي يبدأ بأمارات وعلامات مختلفة تؤذن بانتهاء الكون (عالم الدنيا)، وبدء البرزخ، ثم البعث، والعرض، والحساب، ثم الجنة، والنار.
18. الزمان في القرآن حقيقي الوجود. والأحداث التي تزامنت هي أحداث بأزمنة حقيقية، لا تقدير فيها ولا خيال.
19. القصص القرآني سيقنت من الزمن الماضي استرجاعاً في سياق خطاب النبي محمد صلى الله عليه وسلم.
20. الزمان في القرآن الكريم دالة حقيقة تكشف عن حقيقة وجود خالق، عالم بأحوال العوالم، وأحداثها، حاضراً، وغائباً، وماضياً، ومستقبلاً.
21. الزمان في القرآن الكريم ارتقى من تصوير الحالة الواقعية المحدودة إلى تصوير حالة واقعية خارقة السعة أي من حدود الزمن إلى أبدتيه.
22. الزمن يساعد على تقريب المفاهيم لنفس المتلقي، ويزيد من إثارته ودافعيته، وأخذة وإقناعه بما حوت من استرجاعات واستباقات.. الخ.
23. برزت في القرآن الكريم تقانات الزمن (الترتيب، الديمومة، التواتر).
24. الاسترجاعات في القرآن وجدت بنوعيتها (الداخلي والخارجي)، وكثر في القرآن ذكر النوعين. الخارجي باعتبار أنه يهدف من خلال ذكر القصة في سياق خطاب الله -تعالى- لنبية للعة والاعتبار. أما الداخلي فله عدة أبعاد وأهداف منها: إيجاد الحافز، والدافعية، والتشويق، والإثارة للمتلقي على متابعة مجريات القصة.

25. جاء في القصة عدد من أشكال الاسترجاع، منها: الاسترجاع المؤلم، والاسترجاع السار، والاسترجاع المحايد.

24- تقانة الاستباق في القرآن وجدت على ثلاثة أنواع:

25- الاستباق الداخلي، وجاء في عدد من الأنماط، منها: الاستباق التحذيري، والاستباق المؤكد لأمر جلل، والاستباق التبشيري، والاستباق للإخبار بالعواقب والنهايات.. الخ.

26- الاستباق الخارجي، وجاء في عدد من الأنماط منها: التنبؤ، والاندھاش، وطلب التحقق، والتبشير بالنصر، الإنذار بالعقوبة... الخ.

27- الاستباق الخارجي (الخارج عن المؤلف ونواميس الكون). وهى في القرآن حقائق يتم الإخبار بها يقينا لا ظنا.

28- غلب على القصص القرآني ديمومة الزمن بتقاناته: الحذف، والتلخيص، والمشهد بأنواعه. بينما غابت تقانة الوقفة. الأمر الذي يستنتج منه أهمية عامل الزمن في نقل الوقائع للاعتبار والعظة، لا لمجرد الوصف، والإمتاع.

29- لعب الحذف دروا فاعلا في اقتصاد السرد، وكذلك في إثبات القدرة الإلهية المطلقة في تحريك عجلة الزمن. وقد جاء الحذف في القرآن بأنواعه:

30- الحذف المعلن أو المحدد، كتيه بني إسرائيل أربعين سنة، وحمل الأم لجنينها وإرضاعه في ثلاثين شهرا.

31- الحذف الضمني وهو الذي يهتدي إليه المتلقي من خلال بعض الإشارات، مثل بلوغ الرشد، واستواء العمر... الخ

32- لعب التلخيص-أيضا- دورا فاعلا في اقتصاد السرد، وإثبات جمال النص القرآني، والمحافظة على فصاحته، وبلاغته في أجمل الصور، وتحفيز المتلقي، وإثارته، وتشويقه، للمتابعة.

33- استطاع التلخيص نقل الحقيقة كاملة، وإيصال الهدف من القصة، وذلك باحتوائه على عبارات مكثفة الدلالات والمعاني مع مراعاة البعد النفسي والمحافظة عليه.

34- جمع القرآن أنواعا من المشاهد منها: المشاهد الوصفية "السردية" والمشاهد الحوارية، وقد غلبت الأنواع الأخرى، والمشاهد المزجية (وصفية حوارية) والمشاهد التأملية تلك الداعية إلى التأمل، والتي تهدف إلى إبراز العظمة والقدرة الإلهية.

26. القرآن الكريم ذكر ألفاظ الأزمنة المختلفة في سياقات وخطابات مختلفة؛ ليدل على علم الله بالزمن، وإحاطته له.

- 24- ألفاظ الزمان في النص القرآني تعددت، فشملت أجزاء النهار، وأجزاء الليل، وأجزاء اليوم، وأجزاء العام.. كما أشارت إلى الأبدية والخلود.
- 25- جاءت ألفاظ الزمان تارة مترادفة مثل: الصبح، والفجر، والإبكار.. ومتضادة مثل: الليل والنهار، والإشراق والأفول، والمشرق والمغرب.
- 26- تم ذكر ألفاظ الأزمنة وفق اللزوم.
- 27- جاء القرآن بألفاظ الأزمنة في الدنيا، تلك التي تهتم الإنسان. بينما جاء بألفاظ أزمنة الآخرة تلك التي تخرج عن مألوف حسابات الإنسان.
- 28- قارب عدد ألفاظ الزمان في القرآن الكريم إلى 60 لفظة، وتكرر بعضها. وإحصائية التكرار التقريبية لجميع الألفاظ تروى على 1500 مرة بقليل.

نتائج الفصل الثاني (المكان)

- 1- المكان في القرآن حقيقي الصورة، فقد سجلت حركة الأحداث عليه، وسجل دورا في تأكيد واقعية القصص؛ لأن كثيرا من الأماكن المذكورة تشهد حتى الآن آثارها على حدوثها.
- 2- يوجد المكان موزعا في أرجاء النص القرآني، عالج -أحيانا- موضوعات العقيدة، فربط الإنسان برب الكون ومدبره ومقدره. ودخل في موضوعات العبادة فأخذ المكان ثوب القداسة والتمايز كما حصل لمكان الكعبة والمسجد الأقصى، ودخل المكان في القصة القرآنية كذلك.
- 3- برزت قدرة الله -تعالى- وإحاطة علمه بالمكان، وذلك من خلال سيطرته عليه، وطوبى له، كما اتضح من حادثة الإسراء المذكورة في القرآن، وتنزيل الوحي الذي يخترق المسافات البعيدة في لحظات قليلة.
- 4- تعاملت القصص القرآنية مع المكان بانتقاء جمالي فني، حيث خدمت الأحداث الدائرة فيها، وساهمت في رسم الصورة واضحة عن مجرياتها.
- 5- حدد المكان في القصص القرآني صفات الحياة اجتماعيا وثقافيا وسياسيا، وذلك الذي ساد في الحواضر والقرى، وبين المكان تلك الظروف من خلال التنقل والإقامة.

- 6- تميز المكان في القصة القرآنية بأنه جاء وفقا لما تستلزم ضرورة الأحداث فيها، خاليا من المبالغات، فلم تذكر القصة أية تفاصيل عنه ليس لها أهمية، لا في تطوير الأحداث، ولا في ديمومة الصراع، ولا في التأثير على الشخصيات.
- 7- المكان في القصة القرآنية واقعي الذكر، تاريخي العراقة، يجسد صورة حقب تاريخية لها حضارات عريقة، من خلال كشف النقاب عن أحوال المدن وطبيعتها وظروفها واقتصادها واجتماعياتها، ونظمها، وكذلك القرى.
- 8- جاء المكان في القرآن الكريم منوعا، بين أماكن مترادفة، ومتقابلة، ومسافات محدودة ومفتوحة، للدلالة على رسم صورة للواقع الذي حدثت على مدرجته الأحداث المختلفة.

نتائج الفصل الثالث (البناءات الجمالية)

1. البناء والقرآن والسورة مصطلحات تتقارب في المضمون والمفهوم. فهي تحمل معنى التضام، والإحاطة، والتشابك.
2. يحتوى النص القرآني على مجموعة من البناءات الجمالية، كما يرى الباحث، منها: البناء القصصي، والبناء التوقيعي، والبناء المقطعي، والبناء الدائري، وهناك سور تعددت بناءاتها.
3. القرآن الكريم له وحدة عضوية واحدة، ولكل سورة أتت غرض وهدف، وكل آية تأخذ بعنق صاحبها، لتأكيد وحدة الفكرة.
4. بين السور روابط متحدة، تؤكد الوحدة العضوية، والفكرة الواحدة التي حملها القرآن.
5. من خصائص أسلوب القرآن، فخامة الألفاظ، وقوة الدلالات، وجمال كل منهما. ومن خصائصه، التصوير الإبداعي باللون والحركة والإيقاع. ومن خصائصه، الانسجام الموسيقي الذي يتمثل في الفواصل، والجناس، وفنون البديع الأخرى. ومن خصائصه، ائتلاف المعاني. وقد يتفاوت أسلوب القرآن لاختلاف الموضوعات التي تعالجها السور. ومن خصائصه، احتواء منوعات روائع البلاغة العربية وفنونها المتعددة.
6. البناء القصصي يقارب حضوره في السور القرآنية ثلث القرآن الكريم.
7. اختلف حجم حضور القصص القرآني من قصة لأخرى، فهناك سور شملت قصة كاملة من بدايتها لنهايتها كسورة نوح. وقصة كان حجم وردها في السورة كثيرا كسورة يوسف

والقصص. وفيه سور شملت عددا من القصص كسورة الشعراء، والأعراف. وتختلف كل قصة في حجمها عن الأخريات، فهناك سور احتوت على مشاهد قصيرة، وأخرى على مشاهد طويلة. وكلها صالحة للنفع والعرض في كل زمان ومكان.

8. من سمات القصة القرآنية أنها واقعية. موجزة، معظمها حجمها قصير، وبعضها طويل نسبيا. شخوصها واقعية، وأحداثها واقعية، وحواراتها وسردها واقعي، وزمانها ومكانها كذلك.

9. تبدأ بعض القصص بافتتاحية سردية قصيرة، ومع ذلك فقد تميزت القصص القرآنية بالابتعاد عن مبالغات الوصف والاستطراد.

10. القصة القرآنية تحتوى على عناصر القصة الفنية (فكرة، وشخصيات، وزمان، ومكان، ولغة، وأحداث، صراع) وبهذا تكون قد اتفقت معها في ذلك. بينما اختلفت بواقعياتها وبعدها - تماما - عن الخيال.

11. فكرة القصص القرآنية تهدف إلى أمر واحد فحسب، هو اطلاع الرسول -صلى الله عليه وسلم- والمؤمنين على ما كان عليه السابقون للثبوت والعظة والاعتبار... الخ.

12. لم تبالغ في وصف الأبعاد المادية والاجتماعية والوجدانية للشخصيات، لأنها جاءت بقدر ما تستحق المتلقي للمتابعة، وما له ضرورة في خدمه الفكرة والحدث.

13. تعددت شخصيات القصة القرآنية. فهناك شخصيات متطورة، كشخصية هاروت وماروت. وثابتة مثل معظم الأنبياء. وهناك شخصيات رئيسة كشخصية يوسف -عليه السلام- وشخصيات ثانوية كالأقوام، وأم موسى -عليه السلام- وأخته، وهامان.. الخ.

14. تعددت الشخصيات بتعدد أنواع القصة القرآنية، والموضوع الذي تعالجه. فلكل قصة شخصياتها، فالملائكة شخصيات في المشهد الحوارى الذي برز في سورة البقرة، وشخصيات الأنبياء، وأقوامهم، والناس، والطير، والجن، والمرأة. وغير ذلك. كل شخصية من تلك الشخصيات لها دور فاعل وتتواجد بقدر الحاجة التي تحقق الهدف.

15. تعددت صور الشخصيات في القصة القرآنية، فهناك صورة للشخصيات الكافرة، وأخرى للمؤمنة، وثالثة للمنافقة، ورابعة للشخصية النرجسية، وخامسة صورة للشخصية الحكيمة، وسادسة تصور دور الأب، وسابعة تصور دور الابن... الخ. وهذا يعزز ما ذهب إليه الباحث من أن القصة القرآنية هدفت للعظة والعبرة.

16. لغة القصة القرآنية تمتاز بالسهولة، والوضوح، والمباشرة، والاقتضاب في أغلب ورودها. الأمر الذي يتوافق وينسجم مع مقصدها.
17. انقسمت اللغة في القصة بين السرد والحوار، فهناك مشاهد حوارية بحتة، وأخرى سردية كقصة أصحاب الفيل، وأبى لهب. وهناك قصص مزجت بين السرد والحوار، فتارة غلب حضور السرد، وأخرى كانت الغلبة للحوار. لبعث مزيدا من التشويق والإثارة من خلال هذا التنوع.
18. تناسب أسلوب الحوار مع القصة، حيث أضفى عليها مزيدا من الإحساس بواقعيتها.
19. تقلب الحوار في القرآن بين نوعيه: حوار خارجي، وحوار داخلي.
20. دارت الأحداث في القصة القرآنية؛ لمعالجة واقع الإنسان في كل زمان ومكان، وفي فلك ما يمر به في الحياة الدنيا. وجاءت بعض المشاهد الحوارية لبيان أحوال المصير النهائي؛ لإعطاء صورة للإنسان عن استمرارية بقاءه في عالم الآخرة. الأمر الذي يتوافق مع رسالة وهدف النص القرآني.
21. أحداث بعض القصص القرآنية ناشئة من الإيحاء المباشر (الوحي عن طريق جبريل)، وبعضه الآخر تفجرت من المنامان كقصة إبراهيم مع ولده إسماعيل - عليه السلام - ورؤيا يوسف - عليه السلام - في مقتبل عمره، مما تسبب بتفجير الأحداث، ووضع المتلقي في مزيد من الترقب والإثارة، واشتعال الأحداث المتفجرة والمتأججة والمتشابكة نتيجة هذه المنامان.
22. تمثل الصراع تمثلا حقيقيا في عرض قوتي الحق والباطل، ورسم ما يدور بينهما في كل قصة، حتى في عالم الآخرة بين أهل الجنة وأهل النار.
23. يوجد بناء توقيعي في القرآن، ويتميز بالكثافة، والتلخيص، والتصوير، والإيجاز.
24. قصار السور في القرآن الكريم مبنية على التكثيف، والتلخيص، والتصوير، والإيجاز (البناء التوقيعي).
25. تتلخص موضوعات البناء التوقيعي في الثناء على الخالق، والبشارة للمؤمنين، وأخرى.
26. قد تحتوى السور ذات البناء التوقيعي على أنواع أخرى من البناءات، كالبناء القصصي، مثل: سورة الفيل، وسورة المسد.

نتائج الفصل الرابع (الموسيقى)

- 1- الغناء والإيقاع والموسيقى مصطلحات لها مضمون واحد، من حيث الجرس والنغم والتطريب.
- 2- معرفة العرب قبل الإسلام بالموسيقى والنغم والتطريب، وتمثل ذلك في ميزان الأشعار.
- 3- ذروة الموسيقى في القرآن، تكون في مجموع الكلمات والحركات من خلال التماثل، أو التقارب، أو التجانس، أو التوازن، وذلك بالتضام مع جمال المعاني، وسخاء دلالات الألفاظ.
- 4- إثبات أثر الموسيقى القرآنية في النفس، بالتطريب والنغم والجرس؛ لإحداث اللذة والتفاعل مع الدلالة.
- 5- الحركات الطويلة منتشرة في القرآن الكريم، حيث لا تخلو آية إلا ودرجت فيها مرة أو مرات. وهي أعلى الأصوات اللغوية رتبة بوضوحها في السمع. الأمر الذي يساهم في إحداث الموسيقى.
- 6- الحركات الطويلة تولد منها أجراس موسيقية، تتوافق مع الوضع النفسي والدلالي للكلمة، والآية.
- 7- الحركات الطويلة تولد عنها عدد من أنواع الممدود عند علماء التجويد، منها: المد اللين، ومد الصلة الصغرى وأنواع، والمد المتصل، والمد المنفصل، والمد العارض للسكون، ومد اللين، ومد الصلة الصغرى والكبرى. كل ذلك يفيض بالنغم والجرس والموسيقية.
- 8- انتشار الحركات القصيرة ونسقتها الدقيق في الآيات، مع بروز حركة الفتحة. مما تولد من انتشار الفتحة جمالات موسيقية، وتناسق وتوازن من الحركات الثلاث معاً.
- 9- من فوائد الممدود، التمكن من التطريب، وتحقيق الدلالة اللغوية والمعنوية.
- 10- عدم وقوع صوتين متحدين أو متماثلين جنباً لجنب في الكلمة القرآنية؛ لأن وقوعها معا يحدث صعوبة في النطق في بعض الكلمات، ولما تقع يتم التخلص منها مرة بتناسق الحركات، أو بزيادة حركة، أو تحريك ساكن تحريكاً مناسباً.
- 11- حروف فواتح السور سهلة النطق، خفيفة اللفظ، تخلو من التتابعات والثنائيات الممتعة في أبنية الكلام العربي.
- 12- مد الحركات الطويلة مداً زائداً عمل على خفة النطق للحروف، مثل: حرف الهمزة عندما سبق بألف مد، فإن الألف تمد تخلصاً من صعوبة نطق الهمزة، فتخف بنطقه.
- 13- تألف الصوامت، واتساقها، وانتشارها أكثر من غيرها، بل وتكرارها في اللفظة الواحدة، وفي الآية الواحدة، فساهم ذلك في إبراز قيم صوتية بديعة وأخاذة.
- 14- أكد البحث على أن أقل الحروف تألفاً، حروف الحلق الستة " الهمزة والهاء والعين والحاء والغين والخاء " لذلك قل مجاورة حرفين منها في القرآن الكريم. وتأتي قلة ورود الحروف المتحددة متجاورة في القرآن، لعدم ائتلافها، مثل "معهم" والتخلص في مثل تلك الحالة بالتحريك، مما يساهم في خفة اللفظ، وسهولة النطق، وحصول النغم.

- 15- إثبات أنه لا حشو في كلمات القرآن، فكل كلمة موضوعة في النظم لفائدة، أو فوائد، منها فوائد موسيقية، وفوائد دلالية. فإذا نزعنا كلمة قرآنية-حرفاً أو اسماً أو فعلاً- من الآية، اختلف التوازن، ونقصت المعاني، وشذ الإيقاع.
- 16- التوازن يكون في الحركات، والحروف، والكلمات.
- 17- إثبات الفروق بين مصطلحي الغنة والتنغيم.
- 18- مصادر الموسيقى في الغنة موجودة في عدد من أحكام التلاوة مثل: الإظهار بنوعيه، والإدغام بنوعيه، والإخفاء بنوعيه، والإفلاق.
- 19- من حروف الغنة "النون والميم" ويلحقها التنوين، ويكثر دورانها في القرآن الكريم. والغنة تحدث نغماً موسيقياً في جميع الأحكام، وتزيد غنتها عند تشديدها.
- 20- وجود التنغيم في القرآن الكريم بكثرة، وهو ارتفاع الصوت وانخفاض عند التلاوة.
- 21- للتنغيم في القرآن الكريم أغراض عديدة، منها: التهكم، والزجر، والموافقة، والرفض، والاستغراب، والدهشة، والتعجب، والرفض، والقبول.
- 22- التنغيم يسهل فهم معاني القرآن الكريم، ويساعد المتلقي على التدبر والخشوع.
- 23- التنغيم يخدم المقام ويثريه، ويمكن توظيفه في سياقات عديدة، مثل قوله تعالى: "الحمد لله" حيث تقال في سياق الثناء على الله تعالى، وتقال في سياق الرضا الكامل عن أمر ما، وتقال في سياق الرضا مرغماً. حيث تنغم في كل سياق بشكل.
- 24- التنغيم يقوي العلاقة بين اللفظة ومعناها، كقول القائل: بلاد بعيدة، فإذا مدت الياء مداً طبيعياً دلت على البعد، وإذا مدت مداً طويلاً، دلت على المبالغة في البعد.
- 25- تألف الكلمات والجمل يعني نظمها، وترتيبها، ووزنها، والتنسيق بينها، وموافقة أصواتها، وانسجامها.
- 26- تألف اللفظ، له في السمع وقع، وفي النفس ميزة. وذلك من خلال الجرس والنغم النابع منه.
- 27- التكرار في القرآن الكريم أتى الفائدة، أو لجملة من الفوائد.
- 28- من فوائد التكرار: التدبر، والإنذار، والتنبيه وقصد طول الكلام، وتعدد المتعلق.
- 29- لم يقع التكرار في اللفظ والمعنى معاً في القرآن الكريم البتة.
- 30- التكرار الواقع في آي القرآن، هو تكرار اللفظ دون المعنى، أو المعنى دون اللفظ.
- 31- التكرار له في القرآن صور، منها: تكرار الحرف، وتكرار الكلمة، وتكرار الجملة.
- 32- للتكرير نغم وإيقاع خاص، فهو أول جزء من الموسيقى الكلية، فضلاً عن إرادة الإبلاغ والعناية بالأمر.
- 33- التناسب والتناسق يساهم في ائتلاف المعاني بالألفاظ، ويجمل النظم، ويحدث النغم والموسيقى.

- 34- الموسيقى ليست هدفاً للتناسب، فلا يأتي التناسب لمجرد الجذب الموسيقي دون حساب للمعاني، ولا يمكن تفسير إتباع اللفظ إلا في ضوء المناسبة الصوتية والدلالية معاً.
- 35- لا يوجد في القرآن إتباع اللفظ للفظ لمجرد المناسبة الصوتية، مثل: حجر ضبٍ خربٍ.
- 36- من التناسب حسن التقسيم الذي يساهم في إحداث الموسيقى الداخلية للجمل أو الآية القرآنية.
- 37- التناسق يكون في تأليف العبارات، بتخير الألفاظ، ونظمها في نسق خاص. والإيقاع الموسيقي ناشئ من تخير الألفاظ، والتناسق بينها.
- 38- هناك تفاوت بين الأذواق في الحكم على تناسق الفنون. أما آيات القرآن بلغ التناسق فيها ذروتها، وتكاملت مع الفصاحة والبلاغة للكلمات والجمل، وهو بذلك يوافق جميع الأذواق.
- 39- في القرآن نصوص موزونة، وهي فيه قليلة، **كقوله تعالى ﴿تبیت یدا ابي لهب﴾** (المسد: 1)؛ لأنه في وزن **(مستفعلن مفاعيل)**. لكن ذلك لا يجريه مجرى الشعر لقلة وقوعه فيه، فإن كلام عامة الناس يقع فيه ذلك.
- 40- النصوص الموزونة شملت أنواع البحور كلها، لكنها قليلة الدوران في القرآن، لتؤكد على قلتها أن القرآن نزل بلغتهم، وتحداهم بنظمه.
- 41- هناك بعض الحروف وردت في القرآن الكريم، خاصة في الفاصلة، للتوازن. ولها مع هذا التوازن دلالات، **كقوله تعالى: ﴿تظنون بالله الظنونا﴾** (الأحزاب: 10) فألف الإطلاق دلت على إطلاق الظنون في حق الله، ولها وقع موسيقي توازنت مع الفواصل الأخرى.
- 42- الانسجام في ألفاظ القرآن ورد في جميع القرآن، وظهر واضحاً في قصار السور، مثل: سورة الناس. حيث انسجمت فاصلة الآيات **(الناس)** مع الدلالة على حالة الوسوسة، والجرس الموسيقي المتولد عنها.
- 43- على كثرة ورود التقديم والتأخير، وأن فائدته دلالية، إلا أن الجرس والنغم لم تخل البتة منه، ليشارك في منح النص موسيقية أبلغ، وذلك أنه ساهم في توازن النص، وفي انسجام الكلمات.
- 44- يؤكد البحث فكرة العلاقة بين الأصوات العربية ودلالاتها، وهي واضحة تتمثل في عدة مظاهر، منها: الفاصلة، والجناس، ورد العجز على الصدر، والمشاكلية،.... الخ.
- 45- هناك فروق بين الأسجاع والفواصل، مثل: الفاصلة تأتي مسجوعة وغير مسجوعة في الأعم، والفاصلة توجد في التركيب ولا توجد في السياق.
- 46- النغم الموسيقي ينبع من عدة مصادر في الفواصل، منها اتحاد آخر الحروف في المقاطع، لذلك كان الرسول - **صلى الله عليه وسلم** - يقف على نهاية الآيات، ومن أهدافه تأكيد المعنى، وتنغيم الآية والكلمات؛ لتحقيق الإبلاغ، والتأثير في النفوس.

47- الصوتيات خاصة تعبيرية لها أهميتها. وللفظ المفرد دلالة صوتية تحاكي حدث الكلمة ذاتها. وتترابط في ذلك الألفاظ المفردة؛ لتعطي صورة دقيقة تحاكي فيها الحدث. وهذا ما يجعل آيات القرآن قبولاً، وحباً، وشوقاً إليها من الملتقين.

48- يؤكد البحث أن كل زيادة في الحركات الصوتية، والنغم، والمد يقوي الدلالة والمعنى، ويحدث تشويقاً وإثارة عند الملتقي، ويكون أبلغ في التأثير على نفسه.

49- تساهم أحكام التلاوة في تجميل الألفاظ صوتياً. بنغمها ومدّها، وتساهم أيضاً في استظهار الدلالة، وتقوية معاني الألفاظ، وإعطائها القدرة على تحريك النفوس والتأثير فيها.

التوصيات:

أولاً: العكوف على مزيد من الدراسات القرآنية النافعة في الدنيا والآخرة، والتي تثبت - قطعاً - مع غيرها أن القرآن الكريم كلام الله - تعالى - الجامع الشامل.

ثانياً: أقترح بأن تكون مادة الإعجاز القرآني مادة منهجية، أو ضمن موضوعات مساق التربية الإسلامية التي تدرس في المناهج المدرسية؛ لبث روح المنافعة عنه، والتأكيد على قداسته وإعجازه. ثالثاً: دراسة تقانات الزمان في القرآن الكريم دراسة تفصيلية، مقدار حضورها وأغراضها وجمالياتها. ويمكن أفراد كل تقاته يبحث مستقل.

رابعاً: استخراج المزيد من جماليات المكان لرسم صور للحضارات المختلفة من خلاله. وقراءة من ألفاظه الواردة في القصص القرآنية.

خامساً: إجراء دراسة إحصائية على حضور البناءات في النص القرآني، وبيان أغراض كل بناء وتفصيل جمالاته. ويمكن أفراد بحث لكل نوع من أنواع البناءات.

سادساً: إجراء دراسة فنية جمالية للسور متعددة البناءات، وإبراز القيمة الجمالية لذلك التعداد.

سابعاً: يمكن البحث في بعض المصادر الموسيقية المتعلقة بأحكام التجويد، يشتمل دراسة إحصائية لأنواع المدود وحضورها في النص القرآني، وكذلك أحكام النون الساكنة والميم الساكنة - التنوين وأثارها الصوتية في النص القرآني، ومقدار حضورها، والتي تنقسم إلى أربعة:

- الإظهار الحقيقي، والإظهار المطلق. - الإخفاء الحقيقية، والإخفاء الشفوي.

- الإدغام الناقص، والإدغام الكامل. - الإقلاب.

ثامناً: أقترح أن يضم بحثي للمكتبة الجامعية؛ للإفادة من موضوعه، ولتحفيز طلاب العلم نحو البحث عن المزيد من الدالات الجمالية.

المصادر والمراجع (1)

- (1) القرآن الكريم، كلام الله تعالى.
- (2) إبراهيم؛ أحمد شوقي، فتح العليم في تفسير القرآن الكريم وبيان أوجه الإعجاز العلمي فيه، جزء عم، د. ط، القاهرة، دار غريب، 2005م.
- (3) إبراهيم؛ عبد الله، البنية السردية في رواية أنت منذ اليوم، الأعلام، العدد 5، د. د، 1993 م.
- (4) أرسطو، الطبيعة، ترجمة: إسحاق بن حنين مع شروح ابن السمع وابن عدي، ومثى بن يونس، وأبي الفرج بن الطيب، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، الثقافة والإرشاد القومي، 1964 م.
- (5) إسماعيل؛ عز الدين، التفسير النفسي للأدب، ط4، القاهرة، د. د - 1984م.
- (6) إسماعيل؛ عز الدين، الشعر العربي المعاصر، قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية، بيروت، دار الفكر العربي، 1978م.
- (7) الأصفهاني؛ الراغب، معجم مفردات ألفاظ القرآن، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1997م.
- (8) أبو أصبع؛ صالح، الحركة الشعرية في فلسطين، د ط، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات، 1979م.
- (9) إعلاني؛ نزيه محمد، الشخصيات القرآنية، ط1، عمان، دار صفاء، 2006م.
- (10) الأهل؛ عبد العزيز سيد، من إشارات العلوم في القرآن، دك، بيروت، النهضة الحديثة، 1972م.
- (11) الأندلسي؛ محمد بن يوسف، البحر المحيط، بيروت، دار الفكر، 1978م.
- (12) أنيس؛ إبراهيم، دلالة الألفاظ، ط 3، القاهرة، مكتبة لأنجلو المصرية، 1976م.
- (13) أيوب؛ محمد، الزمن والسرد القصصي في الرواية الفلسطينية المعاصرة، ط 1، الدقي، دار سندباد، 2001 م.

(1) لم يتم التصنيف حسب " أ ل " التعريف، ولم يصنف حسب كنية " أبو " ، وتم اعتماد الترتيب الأبثني عد ذلك. كما تم تدوين اسم المؤلف لكل كتاب؛ لتفادي خلط الأسماء التي وقعت فيها بعض دور النشر، مثل: السيوطي في كتاب ذكر باسم " السيوطي جلال الدين " وذكر في آخر " السيوطي عبد الرحمن " وجلال الدين لقبه.

- (14) **بازمول؛ محمد بن عمر**، الحقيقة الشرعية في تفسير القرآن الكريم العظيم والسنة النبوية، ط1، القاهرة، دار الإمام أحمد، 2005م.
- (15) **بحراوي؛ حسن**، بنية الشكل الدائري، الفضاء الزمن، الشخصية، ط1، بيروت، المركز الثقافي العربي، 1990م.
- (16) **باشلار؛ جاستون**، جماليات المكان، ترجمة: غالب هلسا، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، 1980 م.
- (17) **بشر؛ كمال محمد**، الأصوات العربية، د ط، القاهرة، مكتبة الشباب، د ت.
- (18) **البقاعي؛ برهان الدين أبي الحسن إبراهيم**، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ط3، بيروت، دار الكتب العلمية، 2006م.
- (19) **بوتور؛ ميشال**، بحوث في الرواية الجديدة، ترجمة: فريد أنطونيوس، ط 3، بيروت، منشورات عويدات، 1986 م.
- (20) **بوطيب؛ عبد العالي**، إشكالية الزمن في النص السردي، مجلة فصول، العدد 2، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1992م.
- (21) **التفتازاني؛ سعد الدين مسعود بن عمر**، المطول، شرح تلخيص مفتاح العلوم، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 2001م.
- (22) **التونجي؛ محمد**، المعجم المفصل في الأدب، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1993 م.
- (23) **ابن تيمية؛ أحمد بن عبد الحلیم**، الفتاوى الكبرى (الفتاوى المصرية) تقديم: حسنين مخلوف، ط1، بيروت، دار المعرفة.
- (24) **الثعالبي؛ أبو منصور عبد المالك**، فقه اللغة وسر العربية، د. ط، بيروت، دار الفكر، د ت.
- (25) **الثعالبي؛ أبو منصور عبد الملك**، روضة الفصاحة، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، د. ط، القاهرة، مكتبة القرآن، 1993م.
- (26) **الثعالبي؛ أبو منصور عبد الملك**، خاص الخاص، تقديم: حسن الأمين، بيروت، دار مكتبة الحياة.
- (27) **الجاحظ؛ عمرو بن بحر**، البيان والتبيين، ط5، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1985م.
- (28) **الجرجاني؛ عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد**، دلائل الإعجاز، ط 3، القاهرة، مطبعة المدني، 1992م.
- (29) **الجزائري؛ أبو بكر جابر**، عقيدة المؤمن، د ط، المنصورة، مكتبة الإيمان، 1418هـ.
- (30) **ابن جعفر؛ قدامة**، نقد النثر، بيروت، دار الكتب العلمية، 1995م.

- (31) **الجمال؛ عبد الرحمن، التيسير في علم التجويد، ط6، غزة، آفاق للطباعة والنشر، 2007 م.**
- (32) **الجمال؛ عبد الرحمن، المغنى في علم التجويد، ط3، غزة، مكتبة آفاق، 1999م.**
- (33) **ابن جني؛ عثمان، سر صناعة الإعراب، تحقيق: حسن هندراوي، ط2، دمشق، دار القلم، 1993م.**
- (34) **حجازي؛ محمود فهمي، مدخل إلى علم اللغة، القاهرة، دار الثقافة، 1978م.**
- (35) **حسان؛ تمام، مناهج البحث في اللغة، ط1، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1975م.**
- (36) **حسان؛ تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، ط3، القاهرة، عالم الكتب، 1998م.**
- (37) **الحمداني؛ حميد؛ بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، د ط، بيروت، المركز الثقافي العربي، 1993م.**
- (38) **الحمد؛ غانم قدوري، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ط1، عمان، دار عمار، 2003 م.**
- (39) **حوي؛ سعيد، الأساس في التفسير، ط5، القاهرة، دار السلام، 1999م.**
- (40) **الخالدي؛ محمود، الأصول الفكرية للثقافة الإسلامية، الأردن، دار الفكر، 1983م.**
- (41) **خضر؛ سهام، الإعجاز اللغوي في فواتح السور، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 2008م.**
- (42) **الخطيب؛ عماد علي، في الأدب الحديث ونقده، ط1، دار المسيرة، دت.**
- (43) **الخفاجي؛ ابن سنان، سر الفصاحة، تحقيق: عبد المتعال الصعيدي، د ط، مصر، مكتبة محمد صبيح، 1953م.**
- (44) **دعاس؛ عزة عبيد، فن التجويد، ط6، بيروت، دار الندوة الجديدة، 1987 م.**
- (45) **دومي؛ خالد قاسم، دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم، ط1، عمان، عالم الكتب الحديث، 2006م.**
- (46) **الرافعي، مصطفى صادق، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ط 8، بيروت، دار الكتاب العربي، د. ت.**
- (47) **رمضان، محي الدين، وجوه من الإعجاز الموسيقي في القرآن، ط1، عمان، دار الفرقان، 1982م.**
- (48) **زايد، عبد الصمد، مفهوم الزمن ودلالاته، ط 1، تونس، دار الثقافة، 1988م.**
- (49) **الزركشي، محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: أبي الفضل الدمياطي، ط1، القاهرة، دار الحديث، 2006م.**

- (50) الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، بيروت، دار المعرفة، 1968م.
- (51) السامرائي؛ فاضل صالح، التعبير القرآني، ط6، عمان، دار عمار، 1998م، 221.
- (52) السامرائي؛ فاضل صالح، الجملة العربية والمعنى، ط1، بيروت، دار ابن حزم، 2000م.
- (53) سلام، محمد زغلول: دراسات في القصة العربية الحديثة، د. ط، الإسكندرية، منشأة المعارف، د. ت.
- (54) السويركي، محمد صبحي، من أسرار البناء الداخلي في القرآن الكريم، ط1.
- (55) سيبويه، عمرو بن عثمان؛ الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، ط3، بيروت، عالم الكتب، 1983م.
- (56) السيوطي؛ جلال الدين عبد الرحمن، الإتقان في علوم القرآن، تدقيق: سعيد المنذرة، ط1، بيروت، دار الفكر، 1996م.
- (57) السيوطي؛ جلال الدين عبد الرحمن، المزهري في علوم اللغة العربية وأنواعها، ط3، القاهرة، دار التراث.
- (58) السيوطي؛ جلال الدين عبد الرحمن، مرصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع، تحقيق: عبد المحسن العسكر، ط1، الرياض، مكتبة دار المنهاج، 1426هـ،
- (59) السيوطي؛ جلال الدين عبد الرحمن، معترك الأقران في إعجاز القرآن، تحقيق: محمد الجاوي، ط1، القاهرة، دار الفكر العربي، د. ت.
- (60) أبو شادي؛ مصطفى عبد السلام، الحذف البلاغي في القرآن الكريم، ط1، القاهرة، مكتبة القرآن، 1992م.
- (61) الشافعي؛ حسين محمد فهمي، الدليل المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ط3، الإسكندرية، دار السلام، 2008م.
- (62) أبو شريفة؛ عبد القادر، وآخرون، مدخل إلى تحليل النص الأدبي، ط4، عمان، دار الفكر، 2008م.
- (63) شملول، محمد، تأملات في إعجاز الرسم القرآني داعي التلاوة والبيان، ط2، بيروت، د. د، 1992م.
- (64) الشوابكة؛ محمد علي، السرد المؤطر في رواية النهايات البنية والدلالة، د ط، عمان، مطبعة الروزنا، 2006 م.
- (65) الشوكاني؛ محمد بن علي بن محمد، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، ط3، بيروت، دار المعرفة، 1997م.

- (66) **الصولي، أبو بكر محمد بن يحيى بن عبد الله،** أدب الكتاب، تحقيق: أحمد حسن، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1994م.
- (67) **ضيف، شوقي،** في النقد الأدبي، ط8، القاهرة، دار المعارف، 1993م.
- (68) **الطحاوي، أبو جعفر أحمد بن سلامة،** أصول العقيدة الإسلامية، ؟.
- (69) **طه، المتوكل،** دراسة في قصيدة الثلاثاء الحمراء لإبراهيم طوقان، الزاوية: مجلة فصلية ثقافية، رام الله، مديرية الشؤون الثقافية، 2002م.
- (70) **العالم، محمود،** تأملات في عالم نجيب محفوظ، د ط، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، 1970م.
- (71) **العامري؛ أبو زكريا عماد الدين يحيى،** بهجة المحافل وبغية الأمائل في تلخيص المعجزات والسير والشمائيل شرح: جمال الدين محمد المعروف بابن الأشخر، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1996 م.
- (72) **العايد؛ صالح بن حسين؛** نظرات لغوية في القرآن الكريم، ط2، الرياض، دار أشبيليا، 2002م.
- (73) **عباس؛ فضل حسن،** بالاشتراك، إعجاز القرآن الكريم، د. ط، عمان، المكتبة الوطنية، 1991م.
- (74) **عبد الباقي؛ محمد فؤاد،** المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، د ط، القاهرة، دار الحديث، 2001م.
- (75) **عبد الجليل؛ عبد القادر،** الأصوات العربية سلسلة الدراسات اللغوية، ط1، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1993م.
- (76) **ابن عبد ربه؛ أحمد بن محمد الأندلسي،** العقد الفريد، تحقيق محمد سعيد العريان، ط1، بيروت، دار الفكر.
- (77) **عبد العزيز؛ أمير،** إعجاز القرآن ط1، فلسطين، نابلس، جامعة النجاح الوطنية، 2007م.
- (78) **عبد الفتاح؛ سيد صديق،** الجمال كما يراه الفلاسفة والأدباء، ط1، دار الهدى، 1994م.
- (79) **عبد الكريم؛ بكري،** الزمن في القرآن الكريم، ط1، مصر، دار الفجر، 1997م.
- (80) **العبيدي؛ حسن،** نظرية المكان في فلسفة ابن سينا، راجعه: عبد الأمير الأعمش، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1987م.
- (81) **عثمان؛ حسني شيخ،** حق التلاوة، ط9، الأردن، مكتبة المنار، 1990 م.

- (82) أبو عزيز؛ سعد يوسف، قصص القرآن الكريم، ط2، القاهرة، دار الفجر للتراث، 2010م.
- (83) العسكري؛ أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل، الصناعتين، تحقيق: د. مفيد قمحة، د. ط، بيروت، دار الكتب العلمية، 1989م.
- (84) العسكري؛ أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل، الفروق في اللغة، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، ط 5، بيروت، دار الأفاق الجديدة، 1983م.
- (85) العف؛ عبد الخالق، التشكيل الجمالي في الشعر الفلسطيني المعاصر، ط1، غزة، مطبوعات وزارة الثقافة، 2000م.
- (86) العقرباوي، زيدان محمود، المرشد في علم التجويد، ط1، عمان، دار الفرقان، 1992م.
- (87) العلايلي؛ عبد الله، الصحاح في اللغة والعلوم تجديد صحاح العلامة الجوهري، د. ط، بيروت، دار الحضارة العربية.
- (88) علوان؛ محمد ونعمان، من بلاغة القرآن، ط 2، دار العربية للنشر، 1994م.
- (89) أبو علي؛ محمد بركات، مقدمة في دراسة البيان العربي، د. ط، الأردن، دار الفكر، 1986م.
- (90) أبو علي؛ د محمد بركات، مناهج وآراء في لغة القرآن، ط 1، عمان، دار الفكر، 1984م.
- (91) العواجي؛ محمد بن عبد العزيز، إعجاز القرآن الكريم عند شيخ الإسلام ابن تيمية، تقديم: حكمت بن بشير بن ياسين، وآخرون، ط1، الرياض، مكتبة دار المنهاج، 1427هـ.
- (92) عودة؛ علي محمد، الزمان والمكان في الرواية الفلسطينية 1925- 1982 م، ط2، غزة، مكتبة دار المنارة، د. ت.
- (93) العيد؛ يماني، تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنوي، ط 1، عمارة، وزارة الثقافة، 2002م.
- (94) عيسى؛ محمد مسعود، أثر القراءات القرآنية في الفهم اللغوي، ط 1، مصر، دار السلام، 2009م.
- (95) غنيم؛ كمال أحمد، علم الوصول الجميل، ط1، فلسطين، أكاديمية الإبداع، 2008م.
- (96) غنيم؛ كمال أحمد، عناصر الإبداع الفني في شعر أحمد مطر، ط1، القاهرة، مكتبة مدبولي، 1998 م، 232.

- (97) ابن فارس، أبو الحسن أحمد، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، ط1، بيروت، دار عالم الكتاب ودار الجيل، 1999م.
- (98) ابن فارس، أبو الحسن أحمد بن زكريا، الصحابي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامهم، تعليق: أحمد حسن، بيروت، دار الكتب العلمية، 1997م.
- (99) فالج، عامر عبد الله، معجم ألفاظ العقيدة، ط1، الرياض، مكتبة العبيكان، 1997م.
- (100) الفراعين، سليمان سالم، القصة القصيرة عند عبد الإله عبد القادر، د. ط، المغرب، منشورات المركز الأكاديمي للثقافة، 2005م.
- (101) ابن فضال؛ علي، النكت في القرآن، تحقيق: عبد الله الطويل، ط1، مصر، دار بدر للنشر والتوزيع، 2005م.
- (102) الفيروزآبادي؛ مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، ط4، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1994م.
- (103) قاسم؛ سيزا أحمد، بناء الرواية دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ. د ط، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1984م.
- (104) قنبيي؛ حامد صادق، المشاهد في القرآن الكريم، ط1، الأردن، مكتبة المنار، 1984م.
- (105) القزويني؛ الخطيب، الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، ط4، بيروت.
- (106) قسومة؛ الصادق، النزعة الذهبية في رواية الشحاذ؛ لنجيب محفوظ، تونس، دار الجنوب، 1992م.
- (107) قطب، سيد، التصوير الفني في القرآن، ط4، القاهرة، دار الشروق، 1978م.
- (108) قطب، سيد، في ظلال القرآن، ط17، بيروت، دار الشروق، 1993م.
- (109) القيرواني؛ أبو علي الحسن بن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق: حمد عبد القادر عطا، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 2001م.
- (110) ابن قيم الجوزية؛ محمد، الروح، ط1، القاهرة، دار الحديث، 1994م.
- (111) ابن كثير؛ أبو الفداء إسماعيل، تفسير القرآن الكريم، ط2، بيروت، المكتبة العصرية، 1996م.
- (112) ابن كثير؛ أبو الفداء إسماعيل، قصص القرآن جمع وترتيب: أحمد بن شعبان بن محمد، ط1، القاهرة، مكتبة الصفا، 2003م.
- (113) الكفوي، الكليات، إعداد: عدنان درويش، محمد المصري، دمشق، 1976م.
- (114) لاشين؛ عبد الفتاح، الفاصلة القرآنية، الرياض، دار المريخ، 1982م.

- (115) ماريو باي؛ أسس علم اللغة، ترجمة: أحمد مختار عمر، ط2، القاهرة، عالم الكتب، 1983م.
- (116) الماضي؛ شكري عزيز، محاضرات في نظرية الأدب، ط2، قسطنطينية، دار البعث، 1984م.
- (117) المرزايق؛ جهاد، بناء الخطاب الروائي عند أحمد الزعبي، ط1، عمان، دائرة المكتبة الوطنية، وزارة الثقافة، 2005م.
- (118) مرتاض؛ عبد الملك؛ ألف ليلة وليلة - دراسة سيميائية ونفسيكية- لحكاية جمال بغداد، د. ط، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، 1989م.
- (119) المرزوقي؛ أحمد محمد؛ الأزمنة والأمكنة، د. ط، الهند، حيدر آباد الدكن، 1332هـ.
- (120) مرعشلي؛ نديم وأسامة، الصحاح في اللغة والأدب والعلوم، تقديم: عبد الله العلايلي، ط1، بيروت، دار الحضارة العربية، 1974م.
- (121) المطعني؛ عبد العظيم إبراهيم، البديع من المعاني والألفاظ، ط1، القاهرة، مكتبة وهبة، 2002م.
- (122) مطلق؛ حيدر لازم؛ الزمان والمكان في شعر أبي الطيب المتنبي، ط1، عمان، دار صفاء للنشر والتوزيع، 2010 م.
- (123) المعري؛ أبو العلاء أحمد؛ رسالة الغفران، تحقيق: علي شلق، د ط، بيروت، د. د، 1975 م.
- (124) المقدسي؛ أنيس، مقال في مجلة المجمع العلمي العربي، ج1، دمشق، 1955م.
- (125) ابن منظور، جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم، لسان العرب، ط 1، بيروت، دار الكتب العلمية، 2003م.
- (126) موسى؛ إبراهيم نمر؛ جماليات الشكل الزماني والمكاني، مجلة فصول، مجلد 12، العدد2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1993م.
- (127) ميرهوف؛ هانز، الزمن في الأدب، ترجمة: أسعد رزوق، د ط، القاهرة، مؤسسة سجل العرب، 1972م.
- (128) أبو ناظر؛ موريس؛ الألسنية والنقد الأدبي في النظرية والممارسة، د ط، بيروت، دار النهار للنشر، 1979 م.
- (129) النجار؛ زغلول، قضية الإعجاز العلمي للقرآن الكريم وضوابط التعامل معها، دط، القاهرة، شركة نهضة مصر، 2005م.
- (130) نجم؛ محمد يوسف، فن القصة، ط1، بيروت، دار صادر، 1996 م.

- (131) النعيمي؛ أحمد حمد، إيقاع الزمن في الرواية العربية المعاصرة، ط1، عمان، المؤسسة العربية للدراسات، 2004م.
- (132) النفاض؛ عبد الغني أحمد، الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم بين التأصيل والتمثيل، ط1، القاهرة، دار العفاني، 2009م.
- (133) هادي؛ ميسلون، اقتفاء الشك أم ارتكابه، صراخ النورس، العدد ألف باء، 1997م.
- (134) الهاشمي؛ أحمد، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، تعليق: محمد مهنا، ط1، المنصورة، مكتبة الإيمان، 1999م.
- (135) الهنائي؛ أبو الحسن علي بن الحسن، المنتخب من غريب كلام العرب، تحقيق: محمد العمري، ط1، مكة، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، 1989م.
- (136) ابن يعقوب؛ أبو العباس أحمد بن محمد المغربي، مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح، ط1، تحقيق: خليل إبراهيم خليل، بيروت، دار الكتب العلمية، 2002م.

المحتويات

أ	البسمة
ب	إهداء
ج	شكر وتقدير
د	تقدمة
ز	خطة البحث
1	تمهيد
2	تعريف الجمال ووسائل إدراكه
4	القرآن كلام الله
7	القرآن ليس قابلاً لإعادة الإنتاج
8	حاجة الإنسان للقرآن
8	الذات العلية وأثارها في النص القرآني
17	أسماء وصفات الذات الإلهية وأثارها في القصة القرآنية
23	الفصل الأول: بناء الزمان وجمالياته
24	تعريف الزمان
25	الزمن الصرفي والزمن النحوي
27	الزمن الطبيعي الفيزيائي
27	الزمن الحدتي الموضوعي
27	الزمن الحقيقي
28	الزمن التقديري
28	الزمن البيولوجي
28	الزمن النفسي "السيكولوجي"
29	الزمن التاريخي
30	زمن القصة
32	الزمان والإنسان
33	طي الزمان في القرآن
34	الزمن الغيبي في القرآن
35	علاقة الزمان بالمكان في القرآن الكريم
36	الزمن والشخصية في القرآن الكريم

38	آثار الزمن في النص القرآني
42	تقانات الزمان في النص القرآني
42	أولاً: تقانة الترتيب: وفيه، الاسترجاع والاستباق
42	تعريف الاسترجاع
43	أبعاد الاسترجاع
43	أشكال الاسترجاع
44	وظائف الاسترجاع
44	أنواع الاسترجاع
44	الاسترجاع الخارجي
45	الاسترجاع الداخلي
47	الاسترجاع المزجي
48	تعريف الاستباق
48	وظائف الاستباق
48	أنواع الاستباق
48	الاستباق الداخلي
50	الاستباق الخارجي
51	الاستباق الخارج عن المؤلف ونواميس الكون
51	الاستباق المزجي
53	ثانياً: تقانة الديمومة
53	التلخيص
54	صور التلخيص في القرآن
57	الحذف
58	أنواع الحذف
58	الحذف المحدد
59	الحذف الضمني
60	تعطيل "إبطاء السرد"
60	المشهد
61	أغراض المشهد
62	أنواع المشهد
62	المشهد الوصفي

63	المشهد الحوارى
65	المشهد المزجى
67	المشهد التأملى
68	الوقفه
69	ثالثا: تقانة التواتر
70	ألفاظ الزمان فى النص القرآنى "دلالات وجماليات"
70	أولا: النهار وأجزائه
70	النهار
72	الفجر
72	البكرة
73	الشمس
73	طلوع
74	الفلق
74	الإشراق
75	صباح
76	ضحى
76	غدو
77	ظهيرة
77	عصر
79	ثانيا: الليل وأجزائه "دلالات وجماليات"
79	الليل
80	غروب
80	إياب
81	الأصيل
82	الشفق
82	المساء
83	عشاء
84	عسرس
84	غسق
85	بيات

85	الأهلة
86	القمر
87	النجم
88	الكوكب
88	الأسحار
88	أفل
89	ثالثا: اليوم وأجزؤه
89	اليوم
90	السبت
92	ساعة
93	لمح البصر
93	الآن
94	رابعا: الدهر وأجزؤه "دلالات وجماليات"
94	الدهر
95	الحول
95	العام
96	السنة
97	الحجج
98	الأحقاب
98	الصيف
99	الشتاء
99	الشهر
100	القرء
101	خامسا: ألفاظ الزمان المفتوح
101	الأول
101	الآخر
102	الحين
103	الأمد
103	أسلفت
104	عمر

104	عيش
105	الدوام
105	السرمد
106	الخلود
106	الأبد
107	الآزفة
108	سادسا: ألفاظ الزمن المحدد
108	أقنتت
108	موعد
109	بغنة
110	عقب
110	آفا
110	الأجل
112	سابعا: الظروف الزمانية
112	أيان
112	قبل
113	بعد
113	إذ
114	حيث
114	متى
114	ثم
116	الفصل الثاني: المكان في القرآن الكريم
117	تعريف المكان
117	المكان عند القدماء والمحدثين
118	مفهوم المكان في القرآن الكريم
119	المكان والإعجاز
126	أنواع المكان في القرآن الكريم
126	أولا: المكان الحضاري في القرآن
128	ثانيا: المكان المعنوي في القرآن
130	أنواع العوالم وأماكنها في القرآن الكريم

130	أماكن عالم الدنيا "دلالات وجماليات"
131	الكون
132	الإنسان والكون
134	الأماكن الكونية
134	السماء
137	الأرض
139	علاقة السماء بالأرض
143	أجزاء الأرض
143	أولاً: الأماكن المائية
143	البحار
144	الأنهار
145	مجمع البحرين
146	الينابيع
146	السيول
146	العيون
147	الوادي
148	ثانياً: الأماكن الطبيعية البرية
148	البر
150	الجبال
151	الجودي
152	جبل الطور
153	طوى
153	العقبة
154	الربوة
155	المشعر الحرام
155	السهول
156	البقعة
156	الحدائق
157	ثالثاً: الأبعاد والمسافات والجهات المكانية المتقابلة في القرآن
158	الاستعلاء والاستفال

159	الفوقية والدونية
163	العروج والغور
164	الصعود والنزول
165	السقف والقاع
167	الخلف والأمام
169	اليمين والشمال
170	العرض والطول
172	المخرج والمدخل
173	الشرق والغرب
174	البعد والقرب وعند
177	الفج والضيقة
178	رابعاً: المترادفات المكانية
178	البيت والدار والمسكن
181	السفينة والفلك
183	السبيل والطريق
184	العمق والبعد والغوط
185	النزول والصوب
185	العلو والفرع
186	بين وخلال
188	خامساً: أماكن الأبنية في القرآن الكريم
188	المدينة
190	القرية
191	البلدة
192	الحجرات
192	السفينة
192	الفلك
192	المساجد
194	الكعبة
194	السجن
195	الكهف

196	السور
196	الصرح
197	السوق
197	التابوت
198	النادي
198	القبر
199	الأخدود
199	بطن الحوت
200	سادسا: الأوطان والمدن والقرى في القرآن الكريم
200	مصر
200	قريش
201	سبأ
201	سيناء
202	مكة ويكة
202	بدر
202	حنين
203	الأيكة
203	سابعا: الأماكن الغيبية
204	العرش
205	الكرسي
206	البرزخ
206	البعث
207	مكان الحشر
208	الصراط
209	الجنة
210	الدرجات
211	النزل
211	المبوأ
211	المستقر والمقام والمأوى والمثوى
214	الفردوس

215	عدن
215	القصور
216	الغرفة
217	الأرائك
217	دار البوار
219	جهنم
219	الجحيم
220	سقر
220	سحق
221	الدركات
222	الفصل الثالث: البناءات الجمالية
223	تعريف البناء
224	وحدة السورة القرآنية
225	علاقة السورة القرآنية بالأخرى
227	خصائص أسلوب القرآن
229	أنواع البناءات القرآنية
230	تعدد البناءات
231	أولاً: البناء القصصي
231	القصة الفنية والقصة القرآنية
231	سمات القصة القرآنية
234	سور قرآنية ذات بناء قصصي
237	القصة القرآنية والعناصر الفنية
277	ثانياً: البناء التوقيعي
277	التوقيع لغة واصطلاحاً
277	جوامع الكلم
278	التوقيع في النثر
278	التوقيع في القرآن الكريم
279	البناء التوقيعي في القرآن الكريم
280	موضوعات البناء التوقيعي في القرآن
280	سور قرآنية ذات بناء توقيعي

281	سورة الزلزلة
282	سورة الإخلاص
283	سورة الفلق
283	سورة الناس
285	تقانات جوامع الكلم
288	المقام وجوامع الكلم في القرآن الكريم
290	فوارق بين البناء التوقيعي وجوامع الكلم
291	ثالثا: البناء الدائري
291	تعريف البناء الدائري
292	سور قرآنية ذات بناء دائري
293	سورة المؤمنون
294	سورة القصص
294	سورة النازعات
295	سورة النبأ
296	سورة الانشقاق
297	رابعا: البناء المقطعي
297	تعريف البناء المقطعي
298	سور قرآنية ذات بناء مقطعي
298	سورة الفاتحة
298	سورة عبس
299	سورة المطفين
300	سورة الانفطار
301	سورة الانشقاق
301	سورة التكوير
303	خامسا: البناء اللولبي
303	تعريف البناء اللولبي
304	سور قرآنية ذات بناء لولبي
304	سورة الرحمن
305	سورة المرسلات
306	سورة الحديد

307	سادسا: تعدد البناءات
307	سور قرآنية ذات بناءات متعددة
307	سورة البقرة
309	سورة آل عمران
310	سورة المائدة
312	الفصل الرابع: الموسيقى القرآنية وجماليتها
312	تعريف الغناء والإيقاع والموسيقى
317	ذروة الموسيقى في القرآن
318	الموسيقى في القرآن وأثرها على النفس
320	مصادر الموسيقى في النص القرآني
320	المصدر الأول: الحركات والصوائت
323	أنواع الحركات "المدود" وآثارها
323	أولا: مد الصلة
323	الصلة الصغرى
324	الصلة الكبرى
326	ثانيا: المد المتصل
326	ثالثا: المد المنفصل
327	رابعا: المد اللازم
328	خامسا: المد العارض للسكون
329	المصدر الثاني: خفة الأصوات وجريانها
330	المصدر الثالث: تألف الصوامت
331	المصدر الرابع: التوازن بين الكلمات
334	المصدر الخامس: الغنة والتنغيم
334	تعريف الغنة
334	أحكام الغنة وآثارها في النص القرآني
335	أولا: الإدغام
338	ثانيا: الإخفاء
340	ثالثا: الإظهار
341	رابعا: الإقلاب
342	تعريف التنغيم

344	التغيم ظاهرة سياقية
345	التغيم وعلاقات الكلمات
345	المصدر السادس: تأليف الكلمات والجمل
347	المصدر السابع: التكرار "التكرير والمجاورة"
347	التكرير والإيقاع
347	أغراض التكرار وفوائده
349	أنواع التكرار
353	المصدر الثامن: التناسب والتناسق
357	المصدر التاسع: الوزن والتوازن والانسجام
360	المصدر العاشر: التقديم والتأخير
362	مصادر التحسين اللفظي في ظواهر فنون البديع
363	ظواهر الإيقاع والموسيقى في القرآن
365	الظاهرة الأولى: الفاصلة
365	تعريف الفاصلة
365	أسجاع أم فواصل
367	الفاصلة والمعنى
368	نهايات الفواصل
373	أقسام الفواصل
376	الظاهرة الثانية: الجناس
376	تعريف الجناس
376	أنواع الجناس ودلالاتها الصوتية
382	الظاهرة الثالثة: الترصيع
382	تعريف الترصيع
382	أمثلة الترصيع
384	الظاهرة الرابعة: رد العجز على الصدر
384	تعريف رد العجز على الصدر
384	أقسام رد العجز على الصدر
386	الظاهرة الخامسة: الازدواج
386	تعريف الازدواج
388	أمثلة الازدواج

386المزاوجة بين الموسيقى اللفظية "الداخلية والخارجية"
387الظاهرة السادسة: المشاكلة
387تعريف المشاكلة
387المشاكلة التحقيقية
389الخاتمة " التوصيات والنتائج "
400المصادر والمراجع
409المحتويات